



جامعةالجزائر02أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الانسانية

قسم التاريخ

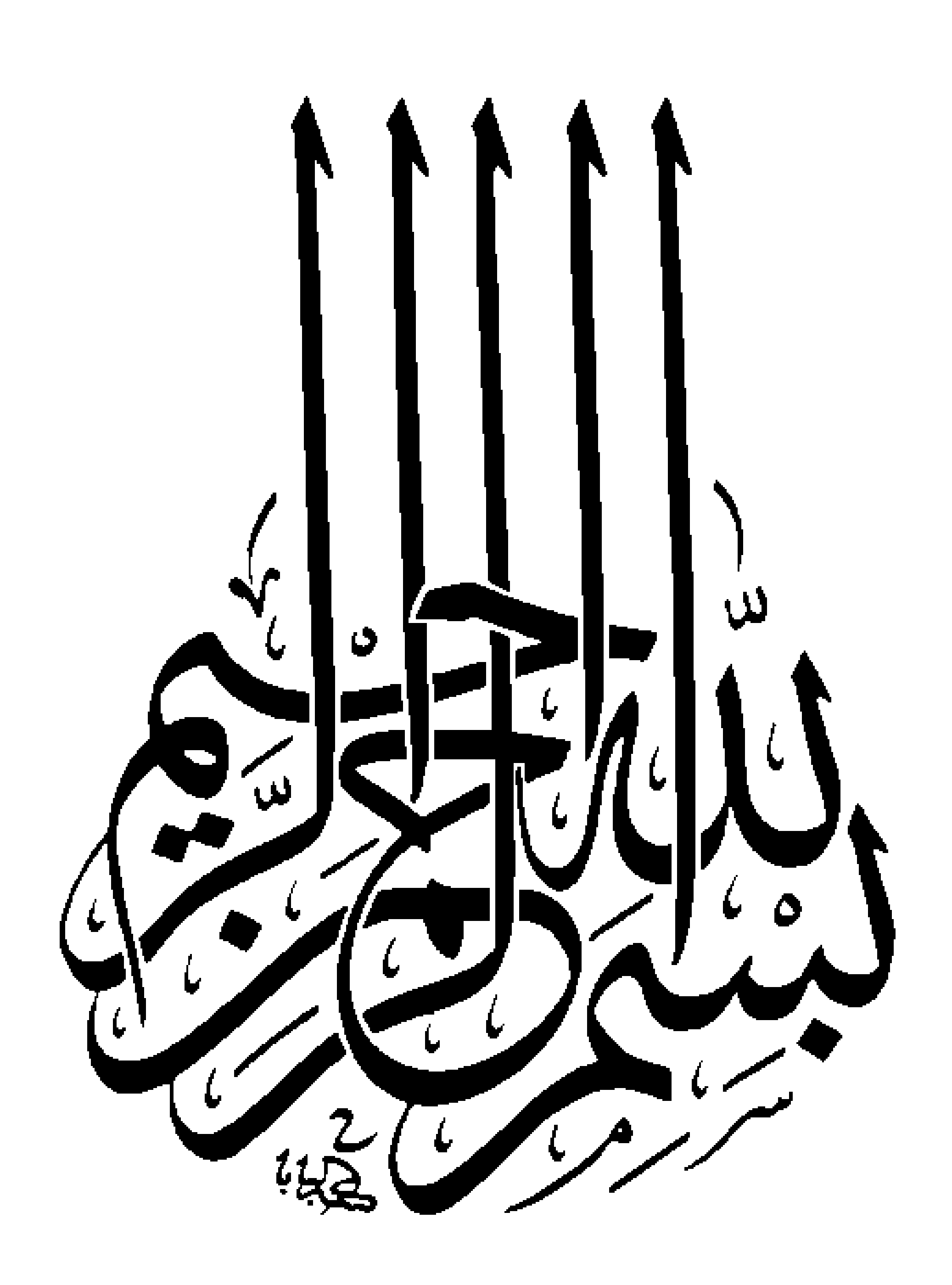
المظاهر الحضارية في الدولة المغولية الثانية

أطروحة لنيل دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب: بوبكر العربي إشراف الاستاذ الدكتور:أحمد شريفي

أ.د.بشار قويدر رئيسا	جامعة الجزائر2،أبو القاسم سعد الله
أ.د.شريفي أحمد،مشرفا ومقررا	جامعة الجزائر2،أبو القاسم سعد الله
أ.د.بوكنة عبد العزيز،عضوا	جامعة الجزائر2،أبو القاسم سعد الله
أ.د.عبد الشكور نبيلة،عضوا	جامعة الجزائر2،أبو القاسم سعد الله
د.موهوبي نورالدين،عضوا	جامعة المدية
د.جلايلي أحمد،عضوا	جامعة أدرار

السنة الجامعية: 1438هـ،1439هـ.2017ـــ2018


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمان الرحيم

﴿....رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا
تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا
وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا
وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

صدق الله العظيم

سورة البقرة ، الآية 285

"رواية ورش عن نافع"

الإهداء

إلى التي جعل الله الجنة تحت أقدامها، التي غمرتني بفضلها و حنانها ، إلى الذي أنار درب حياتي و

كان خير معلم .

إلى التي تشاركتني الحاضر و المستقبل،الآلم والآمل، إلى أم أحمد الشمعة التي تضيء البيت .

إلى قرة العين أحمد – عمر – عبد الرحمان

إلى كل من يحملهم قلبي و لم يخطهم قلمي

إلى كل هؤلاء أهدي هذا البحث.

الشكر

الشكر و الحمد لله رب العالمين الذي يسر لي إنجاز هذا العمل و ألهمني الصبر والعزم .

و الشكر الخالص إلى أستاذي أحمد شريفي الذي شجعني و غمرني بفضله و حلمه و عطفه .

إلى كل من ساهم في هذا العمل تشجيعا و تدعيما و تحفيزا .

و إلى كل أساتذتي في كل مراحل رحلتي العلمية.

المقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين،لله الذي عمر الأرض ببني الإنسان،ومن عليهم بنعمة العقل والبيان،ليميزوا الحق من الباطل،والهدى من الضلال،والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم،إمام الأنبياء وسيد الرسل وخير المعلمين،عمت رسالته الأرض،ففتحت أعين عميا،وأذنا صما،وقلوبا غلفا،فكانت حياته خيرا وبركة على الدنيا كلها،وبعثته رحمة للعالمين .

آما بعد:

الحديث عن آسيا الوسطى هو حديث التاريخ والحضارة،عن مدن الإمامة والإمارة،من هنا مرت جحافل الإسكندر المقدونى فيما قبل التاريخ،وهنا أشعت الأرض ضياءا من العلم والمعرفة، بعد أن أنعم الله عليها بالإسلام،في ارضهاقبر ابن عم رسول الله قثم بن العباس، الذي مازال إلى يومنا هذا تسميه شعوب المنطقة الملك الحى،وفيها تفقت عبقرية الإنسان المسلم،فصارت أرضا للعلم والعلماء،فأنجبت الفقهاء والعلماء،والآطباء والفلاسفة وعلماء الرياضيات،في مدنها من سمرقند إلى بخارا إلى نسا إلى بيهق،مرورا بمرو وترمذ وطبرستان وغيرها من المدن التي صارتلإسلام منارة ،وللعلم عنوان.

لقد كانت أرضها أرض لآكبر العظماء في التاريخ،حتى من غير المسلمين،فكان ذكرها مقرونا بأتيلا،مؤسس أول دولة مغولية في التاريخ القديم أما في العصور الوسطى فكلما ذكرت إلا وكان الحديث عن أبرز شخصية في تلك المنطقة إنه تيمورلنك،وقبله بقليل جنكيزخان،لازالت شعوب آسيا خاصة في تلك المنطقة تنظر إليه ، كبطل قومي ،تقام لأجله التماثيل،ويزور الناس في كل سنة بعض مواقعه يحتفلون ويتبركون من بقايا رجل كان في ذاكرتهم بطلا قوميا يعتزون به،ومازال الناس في أوزبكستان حاليا لا تخلو أعراسهم وأفراحهم من ذكر هذا الرجل،حتى أن الكثير من شباب اليوم وهم يقبلون على الزواج لا يجدون حرجا في زيارة قبره،والتمثال الذي أقيم له في وسط سمرقند،ينظفونه ويأخذون البركة منه ويتذكرون أمجاد أجدادهم في العصور الوسطى.

شهدت العصور الوسطى قيام إمبرطوريتان مغوليتان كبيرتان،الأولى كانت في بداية القرن السابع الهجري ،الثالث عشر الميلادي ،بقيادة جنكيزخان،والتي إمتدت على نطاق جغرافي شمل الصين شرقا

إلى حدود روسيا غربا،وكادت أن تمتد إلى أوربا لولا الموت المفاجئ لجنكيزخان عام 624هـ،1226م، مما إضطر الجيوش الزاحفة على أوربا بقيادة أشهر القادة العسكريين في تاريخ المغول جبي وسوبتايأن تعود إلى قراقورم ليشارك قادتها في إختيار الخاقان الأكبر خلفا لجنكيزخان.

لقد ترك جنكيزخان إمبراطورية مترامية الأطراف،متعهدا بإسناد أمرها بعد وفاته إلى إبنه أوكتاي ،كما تقتضى القوانين والتقاليد المغولية،إذ صار أوكتاي الخاقان الأكبر للمغول،إلاأن وحدة الإمبراطوريةمن الناحية السياسية لم تظل على تماسكها كما كان في عهد جنكيزخان،بل صارت عبارة عن ممالك أربعة تقاسمت النفوذ السياسي والعسكري في مناطق جغرافية كما أراد جنكيرخان لها،لكن مع مرور الزمن خاصة بالنسبة للمغول الذين إستوطنوا البلاد الإسلامية إعتنق الكثير منهم الإسلام،خاصة مغول القبيلة الذهبية منذ عهد بركة خان،ومغول إيران منذ أن أسلم أحمد تكودار،وهو بطبيعة الحال تحول هام في تاريخ المغول خاصة على المستوى الديني.

لكن سنة الله في خلقه ظلت قائمة،فبعد مئة وخمسين عاما من موت جنكيزخان،ظهر مغولي‌أخر سار على نفس النهج على الأقل من الناحية العسكرية،ولكن في بيئة مختلفة عن تلك التي جاء منها جنكيزخان،لا من حيث الجوانب السياسية أو الدينية.

لقد كان ظهور تيمورلنك في تلك المنطقة من الأحداث المهمة في تاريخ العالم عامة،وفي تاريخ أسيا الوسطى على وجه الخصوص،وقد أسالت هذه الشخصية في تاريخ البشرية الحبر الكثير بين معجب بها وناقما عليها.

كتب أحد أشهرالشعراء الأمريكيين في القرن العشرين،وهوالشاعرإدغار الأنبو،مجموعة من القصائد الشعرية،تحت عنوان تيمورلنك وقصائد أخرى،ويظهر من خلال هذا أهميةالشخص المعنى بالكتابة الشعرية،بعد فترة طويلة من وفاته،وكان أول من نقلصورة عنتيمورلنك،هو السفير الإسباني غنزاليس دي كلافيجو،المتوفي عام 1412م،وكان من بين أفراد بعثة ملك قشتالة التي زارت سمرقند،وكتب في ذلك كتابه الشهير،الطريق إلى سمرقند،والذي صور من خلالها مدى التطور الذي

صارت إليه المدينة،ومنه أخذ المؤرخ الإسباني بيرو ميخيا مواطن كلافيجو نصا آخرعن تيمورلنك وحوله إلى أسطورة.

أما في القرن السادس عشر وتحديدا عام 1590م فإن أحد المسرحيين البريطانيين وهو كريستوفر مارلوعالج هذه الشخصية في نص شعري "تامرلان العظيم"،ومايقال على هذا النصأنه ساهم في أن يكون مصدر إلهام الكثير من الكتاب الغربيين والتعريف بهذه الشخصية على الآقل من الناحية العسكرية.

في الكتابات العربية القديمة يعتبر إبن خلدون أكثر المؤرخين الذين نقلوا صورته إلى الغرب،خاصة وأن هذا الأخير،كان له الحظ أن يلتقى تيمورلنك اثناء حملتة على دمشق،وقد فصل والتر فشل في هذا اللقاء بين الرجلين،مستعرضا الحوار الذى دار بينهما،فمثلما إستقى الغرب معلوماتهم عن المغول وجنكيزخان من كتابات إبن الآثير،فنقلوا عن إبن خلدون ما كتب عن تيمورلنك الذي سمي بما كتب عنه ا إلى درجة الإعجاب،بتلك الشخصية التي كان لها دور في تاريخ البشرية عامة،كموهبة عسكرية فذة،أو كشخصية إرتبط ذكر إسمها بكل الجرائم المرتبطة بالعسف والظلم والوحشية،والذي إرتبطت صورته في العقل العربي بما فعله هولاكو خان من مجازر وجرائم في بغداد وما حولها،لقد ساهم هذا الرجل في إحياء الإمبراطورية المغولية في نفس الرقعة الجغرافية التي ساد فيها اسلافه المغول بقيادة جمكيزخان.

الحديث عن هذه المنطقة الجغرافية من العالم الإسلامي،هو حديث عن مدن كان لها باع في العلم،والمعرفة،ومنها كان الأفذاذ من العلماء الذين أثروا مختلف العلوم،وإذا كان الحديث عنهم ليس متاحا في هذا البحث،إلا أنه لابد من الإشارة إلى بعضهم،ممن تتداولت أسمائهم عند القاصي والداني،فإلى هذه المنطقة ينتسب أعظم أئمة الحديث ورواته،خاصة أولئك الذين برزوا في القرن الثالث الهجري،ويمكن ذكر راوي الحديث الإمام البخاري المتوفيعام256ه،والإمام مسلم،صاحب الصحيح المتوفي عام 261ه،وصاحب السنن الإمام الترمذي المتوفي عام278ه.

كما إشتهر في القرون اللاحقة الكثير من العلماء والمحدثين والمؤرخين،وإذا كانت الأسماء هنا دون شك كثيرة،إلا أنه لابد من الإشارة،إلى إمام المفسرين وشيخ المؤرخينالإمام الطبري المتوفي عام310هـ،والعالم الرياضي الخوارزمي المتوفي عام428هـ،والطبيب و الأديب الفيلسوف إبن سينا المتوفي عام 428هـ،والإمام أبو حامد الغزالي حجة الإسلام،صاحب كتاب إحياء علوم الدين المتوفي عام 505هـ، وإمام التفسير الزمخشري المتوفي عام 538هـ، وأخيرا الإمام البيقهي إمام الحديث المتوفي عام 556هـ،وغيرهم من العلماء الذين علا شأنهم،وتنوعت كتاباتهم،في التاريخ والحديث والتفسير والطب والرياضيات،والحقيقة أن هذه المنطقة كانت بحق منارة العلم والعلماء،ومدنها مركزالإمامة،فصارت هذه المدن في القرن الثامن الهجري،الرابع عشر الميلادي ،مدن الإمارة أيضا خاصة مدينة سمرقند،فجمعت بين الإمامة والإمارة.

لقد كانت أحوال البداوة غالبة مدينة سمرقند والمدن المحيطة بها فجاء تيمورلنك،فرفعها إلى مستوى الحاضرة،بعد أن نقل إليها صناع ومهرة دمشق،وفناني بغداد وشيراز،وأحجار الهند وفيلتها ،فإزدهرت المباني وكثر العمران،وأحاط العلماء فيها برعايته الفائقة،وكذا فعل خلفاءه من بعده، خاصة ألغ بك في سمرقند،وشاهرخ في هراة.

تحت تأثير هذه المغريات وجدت نفسي مجبرا أن أغوص في تاريخ المنطقة وحضارتها،ورجالها ممن كان أثرهم في التاريخ بارزا،وذكرهم في كتب التاريخ متداولا،وفي فنون الحضارة مكتوبا وموثقا،دالا ومعبرا.

أما عن أسباب اختيار هذا الموضوع لكي يكون محل بحث:

فيعود إلى مجموعة من ألاسباب المتعددة،فبعضها،كان عند إختياري للموضوع،وبعضها الآخر زاد وتعمق وأنا أبحث فيه،وهنا لابد أن أشير إلى نصائح وإرشادات الأستاذ الدكتور أحمد شريفي،الذي كان موجها لهذا العمل،ومن جهة أخرى الرغبة،في التعريف بهذه المنطقة ورجالتها،خاصة في مدرستنا التاريخية،التي ظل الإهتمام فيها بتاريخ منطقة آسيا الوسطى محتشما،إلا عند النزر القليل من الباحثين،كما أن أكثر الكتابات عن تيمورلتك وآسيا الوسطفي هذه الفترة إنما يعود بشكل كبير،إلىما

كتبته بعض المصادر الفارسية،والعربية،و إلى نخبة من المشتشرقين،الذين نظروا إلى تيمورلنكوخلفاءه نظرة الإجلال والتقدير،كل هذا دفعني أن أسعى في هذا الإتجاه،لعل وعسى أن أقدممايفيد المهتمين،والباحثين،ويمكن أن أضيف نقطة أخيرة في الأمر أنه في حدود علمي وعلى الأقل في الجامعة التي أعمل فيها،وجدت أن الكثير من الطلبة يجهلون تاريخ المنطقة وحضارتها ودورها السياسى والحضارى في العالم الاسلامى،خاصة عندما تعرض على البعض منهم مواضيع للبحث في ذلك،فكثيرا ما كانوا ينفرون منها، وهو ما زادني إصرارا على أن أجتهد في الموضوع ،عسى أن أقدم،ما أنتفع به،وما يفيد الباحثين عن المعرفة مستقبلا،ولا أدعى سبقا في ذلك ،إنما هي محاولة للفت الآنتباه.

أولا:فإنني أربطها بشكل مباشر بطبيعة الإختيار الذي كان في رسالة الماجستير،من خلال دراسة شخصية تيمورلنكوالحقيقة تقال أنني لم أصيب في كثير من الجوانب المتعلقة بالموضوع بحكم طبيعة الموضوع ونوعية المصادر التي تعسر الحصول عليها في ذلك الوقت،لذلك شعرت أنني لم أوف الموضوع حقه من الدراسة.

ثانيا:لقد أشادت الكثير من الكتابات بعصر تيمورلنك وخلفاءه،في بعض المعارف والعلوم والفنون، حيث أعتبر عصرهم من أزهى العصور الإسلامية،لذلك وجدت نفسي مجبرا أن أعرف ببعضها خاصة من أجل محو الصورة النمطية التي رسمت عن تاريخ المغول،والتي كانت في نظر الكثير مرادفة للهمجية والتخريب.

ثالثا:التعريف بالنهضة الفكرية والأدبية والفنية التي عرفها عهد تيمورلنك، وإبنه شاهرخ،وبعض أحفاده،خاصة ألغ بك ،وبايسنقرا،وحسين بايقرا، حيث إنتشرت مختلف الكتابات في الأدب والفلسفة والتاريخ والشعر،من خلال مجموعة من المؤلفين،أشهرهم الشاعر عبد الرحمان الجامي والمؤرخين ميرخواند وخواند مير، والحاكم الفلكي العالم ألغ بك،و الفنان المصور كمال الدين بهزاد، وغيرهم ممن تركوا بصماتهم واضحة في حقول المعرفةوالفن في عهد التيموريين على طول الفترة الزمنية الممتدة بين 771هـ،911هـ،1370م،1506م.

رابعا: معرفة التحولات الكبرى التي عرفتها مدينتا سمرقند وهراة في القرن الثامن الهجري الرابع عشرالميلادي،وكيف ساهمتا في النهضة الفنية والعلمية والفكرية في العصرالتيموريوصارتا من أهم حواضر العا لم الإسلامي في تلك الفترة.

خامسا: الرغبة في معرفة مختلف التحولات العمرانية التي عرفتها مدينة سمرقند وهراة في عهد تيمورلنك وخلفاءه،وطبيعة المنشآت المختلفة من مساجدوقصور،وطرق،ومدارس،وأسواق،التي ظلت شاهدة على حضارة مرت من هنا.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في إعتقادي في التعريف بمختلف التحولات الحضارية التي عرفتها منطقة آسيا الوسطى في عهد الدولة المغولية الثانية التي تعود إلى مؤسسها تيمورلنك عام 771ه،1370م،وإستمرت في عهد خلفاءه إلى غاية 911ه،1506م،بعد أن سقطت دولتهم على يد الأوزبك.

لقد عرفت آسيا الوسطى في هذه الفترة درجة كبيرة من الرقي الحضاري،خاصة في المدن التي تحولت إلى عواصم للتيموريين،كسمرقند وهراة،حيث إزدهر فن العمارةوفن التصوير،وإزدهر الأدب والشعر،حتى شبه البعض تلك الفترة خاصة المتأخرة منها ،بأنها أزهى عصور الحضارة الإسلامية،ولا يضاهيها في ذلك ،إلا العصرالذهبي للخلافة العباسية في بغداد،وفترة الأمراء الأمويين بالأندلس،أين كان للعلم والفكر والفن والعمارة شأن عظيم.

ولما كانت الحضارة والتطور الحضارى في تعريفهما البسيط على أنه مختلف التطورات التي تصيب الحياة الإنسانية ، لمواجهة ضرورات ومتغيرات الحياة،عاكسة للتطور المادى والفكرى والروحى، إرتايت أن أبحث في مرحلة من مراحل التاريخ الاسلامى،عسى أن أثبت ما يمكن أن يؤكد ذلك.

أما عن إشكالية البحث فهي تجيب على المفارقة التي ظلت راسخة في ذهن الكثير من الدارسين،كيف إستطاع هؤلاء القتلة،المخربين حسب تعابير الكثير من المؤرخين أن يحققوا ذلك التطور الحضاري الذي مس جوانب متعددة من فنون الحضارة.

أما عن الدراسات السابقة عن الموضوع فلم أجد ذلك بشكل مباشر إنما هناك دراسات متخصصة في مجالات معينة،كالدراسات الأثرية والفنية،وحتى الأدبية،وقد إستفدت من بعضها،ويمكن الإشارة إليها:

1-**المدرسة التيمورية في هراة تحت رعاية الأمير بايسنقر،دراسة فنية وأثرية**، وهي رسالة ماجيستير،من جامعة القاهرة، لصاحبها أسامة البسيوني عبد الله،عام 1430هـ،2009م،وقد ذكر فيها،بعض الأمراء التيموريين،ودورهم في الحياة الفنية والعلمية،في العصرالتيموري ،كبايسنقر بن شاهرخ في فن التصوير،وألغ بك من خلال ذكر أعماله الفنية والمعمارية.

2-**فن التجليد التييمورى،بين 771هـ،912هـ،1370م،1506م**،في ضوء مجموعات متاحف القاهرة،ودار الكتب المصرية،من جامعة القاهرة لصاحبها سامح فكري طه البنا،وذلك في العام1424هـ،2003م،وركز فيها الباحث على تطور فن التجليد في العصر التيموري.

3-**تصاوير الحكام في مدرستي التصوير التيمورية والصفوية**، من جامعة القاهرة لصاحبها رضوى إسماعيل عبد المعبود محمود،تناول تطور فن التصوير في عصر التيموريين.

4-كما يمكن الإشارة إلى رسالة ماجستير في اللغة الفارسية،لصاحبها محمد عبد الله عبد السلام علي،لعام 1431هـ،2010م،تناول صاحبها واحد من أشهر مؤرخي العصر التيموري وهو حافظ أبرو،وكانت الرسالة تحت عنوان، ذيل جامع التواريخ رشيدي ،لحافظ أبرو ،دراسة وترجمة، وكما هو شائع إلتقى حافظ أبرو تيمورلنك، وبأمر السلطان شاهرخ،كتب الجزء الخاص،بالفترة الممتدة بين 703هـ،795هـ.

5-في الأخير يمكن الإشارة إلى دراستين الأولى في الفنون الاسلامية،لصاحبتها مائدة طارق محمد،صادرة عن مركز البحوث والدراسات التراثية بجامعة الدول العربية عام 2013م،وقد أشارت المؤلفة وبشكل موسع إلى نقطتين هامتين،الأولى تتمثل في التعريف بالعصر التيموري،والثانية إلى حالة الفنون في نفس الفترة،وأخيرا أشير إلى رسالة دكتوراه في الأدب العربي من جامعة القاهرة،لصاحبها رجب رمضان السيد عبد الوهاب، عام2013م،تحت عنوان" فن القص في مؤلفات إبن

عربشاه"،خاصة وأن الكاتب ورغم الدراسة الأدبية إلا أنه أشار إلى خصائص إبن عرب شاه في الكتابة التاريخية من خلال مؤلفه الشهير"عجائب المقدور في نوائب تيمور"،وكان هذا الكتاب من أهم المصادر التي إعتمدت عليها في بحثي.

رغم أن هذه الدراسات غلب عليها الجانب الأثري والفنيوحتى الأدبي،إلا أنها تعتبر من بين أهم الدراسات التي صدرت في الألفية الحالية،وأمكنني الإستئناس ببعضها،خاصة وأنها إعتمدت الطرح الأكاديمي العلمي من خلال تعدد وتنوع المصادر سواءا،الأثرية،أو المخطوطات،كما أن الكثير منهما إعتمد أصحابها على المصادرالفارسية،بإعتبار أن أغلب من كتبوا في تلك المواضيع يجيدون اللغة الفارسية،وفي معظمها كانت تعتمد على الجانب السياسى والعسكرى عند كل دراسة.

المنهج المتبع:

إعتمدت في تفسير تلك الأسباب ، و الإجابة علىالإشكالية المطروحة ، على المنهج التاريخي الوصفي، الذي يسمح بعرض الأحداث وتحليلها ، و وصفها ،كما إعتمدت من جهة أخرى ، على المنهج التحليلي، الذي يسمح بتحليل كثير من المواد الخبرية ، و إعادة ترتيبها وشرحها،حسب ما تقتضيه طبيعة العمل، إضافة إلى الإستعانة بالمهنج المقارن،الذي يسمح بالمقارنة بين الأفكار والعناصر المعرفية،خاصة خلال المقارنة بين الفترات التاريخية الإسلامية ، أو بين المظاهر الحضارية بين منطقة وأخرى ،كما هو في مجال العمارة وفنونها.

لتنفيذ البحث إعتمدت على الخطة التالية حسبما يقتضيه الموضوع،والعمل الأكاديمي ،فكان العمل مكون من فصل تمهيدي ،وستة فصول، و خاتمة ، و ملاحق ، وفهرس للأعلام ، وآخر للأماكن ، و قائمة بأهم المصادر والمراجع التي إعتمدت عليها.

في الفصل الأول تحدثت عن التحولات الكبرى التي ميزت إقليم تركستان منذ الغزو المغولي إلى غاية ظهور تيمورلنك،مستعرضا خاصة التحول الكبير الذي عرفه المغول بدخولهم الإسلام،وإستنتجت أن البيئة التي ظهر فيها تيمورلنك،على الأقل من الناحية الدينية،تختلف عن بيئة أسلافه المغول.

أما الفصل الثانى فحاولت فيه التعريف بشخصية تيمورلنك من حيث نسبه،وبداية ظهوره،وآراء بعض المؤرخين فيه،كما ناقشت فيه قضية إسلامه التي إختلفت فيها الكثير من المصادر،خاصة في ظل تباين الكتابات التاريخية بين المصادر العربية والفارسية ،كما عرفت ببعض خلفاءه،الذين كان دورهم في تاريخ التيموريين مهما،خاصة السلطان شاهرخ، وألغ بك،وبايسنقر،وآخر التيموريين حسين بايقرا.

أما في الفصل الثاني فعرضت فيه التوسعات العسكرية التي قام بها تيمورلنك وكان لها الدور الكبير في مد أركان دولته من الناحية الجغرافية و الحضارية،وركزت بطبيعة الحالعلى إستفادة تيمورلنك من تلك الحملات من الناحية الحضارية خاصة،وهو ما كان يعنيني في هذا العمل،واستعراض كيف عمد تيمورلنك الى نقل الصناع والحرفيين والمهرة من النساجين والخطاطين والطرازين والبناءين،من المناطق التي دخلها،كبغداد،ودمشق،ودلهي،إلى خاضرته سمرقند التي صارت ورشه بناء، وهو الامر نفسه الذي قام به خلفاءه من بعده،كما أن هذه التوسعات العسكرية ورغم ما حققته في مد شساعة الدولة،وزيادة مواردها،الإ أنها كانت في الوقت نفسه وبالا على المسلمين،خاصة مغول القبيلة الذهبية،إذ أنه شتتها وقضى على وحدتها الجغرافية والبشرية والعسكرية بعد أن أنهك المنطقة بالحملات العسكرية المتكررة، فأضعفها،وهو ما فتح المجال واسعا أمام الحملة الأرثوذكسية التي قادتها روسيا،بدعم من الكنيسة الغربية في روما، ضد المسلمين،في بلاد ما وراء النهر والقوقاز،في إطار موجة صليبية جديدة، أرادت فيها روسيا أن تكون الوريث الشرعي للإمبراطورية البزنطية،وسعت من خلالها الكنيسة في روما أن تثأر لبعض هزائمها في حروبها الصليبية ضد المشرق الإسلامي،وكان ما فعله تيمورلنك بهذه الأقاليم،أن أضعف دورها في المقاومة،مماجعلها تقع فريسة للنفوذ الروسي،وبعده السوفياتي في القرن العشرين .

أما الفصل الثالث،وبطبيعة الحال ومنه يبدأ صلب موضوع البحث فقد عرضت فيه مختلف التطورات الفنية التي عرفها عهد تيمورلنك،وخلفاءه من بعده،في ظل الفكرة السائدة عند كثير من المهتمين والدارسين،التي تعتبر أن الفن هو رفيق الحضارة،وهو السمة الدالة على أحوال الناس،والزمن

الذي أبدعت فيه،لآن كل جيل له فنونه وأدابه،وإحتياجاته الخاصة حسب طبيعة المرحلة السياسية،حيث سادت وإنتشرت في هذه الفترة الكثير من المظاهر الفنية التي تعبر عن المرحلة،خاصة في مجال فن التصوير،والزخرفة بكل أنواعها،إضافة إلى فن التجليد الذي برع فيه التيموريين على نطاق واسع،وقد عرضت في بداية الأمر تعريفا للتصويروإبراز رأي الدين فيه إضافة إلى مختلف التطورات التي عرفها في العالم الإسلامي إلى غاية عهد التيموريين، كما ذكرت بعض النماذج من الكتب المصورة التي أبدعها المصورين في تلك الفترة،كما عرضت أشهر المصورين في تلك الفترة،وهنا بطبيعة الحال أشرت إلى المصور الكبير كمال الدين بهزاد الذي عد مدرسة قائمة بذاتها في فن التصوير،كما أشرت إلى بعض الأمراء التيموريين الذين برعوا في مختلف فنون المعرفة والثقافة والفن.

أما الفصل الرابع فتطرقت فيه إلى الحياة الأدبية والفكرية والعلمية في العصر التيموري،مركزا بشكل خاص على الفترة الممتدة من حكم السلطان شاهرخ،إلى عهد آخر التيموريين حسين بايقرا،دون أن أهمل بطبيعة الحال الدور الذي لعبه تيمورلنك في رعاية الأدباء والشعراء،ورجال الصوفية،وغيرهم من أعلام الفكر والثقافة، وحرصه على إنشاء المدارس،والإنفاق عليها وتأسيس المكتبات الخاصة بها،وكان يأتى بالعلماء والفقهاء من كل البلاد المفتوحة الى عاصمة ملكه سمرقند،وهو الآمر نفسه الذي فعله مع أمهات الكتب التي نقلت الى مدينة سمرقند،ورغم أن الحياة الفكرية و الثقافية بشكل عام إرتكزت على التراث الفارسي، والثقافة الإيرانية،إلا هذا لم يمنع من تطور الثقافة العربية وحتى التركية في تلك الفترة،ورغم أن الآسماء الفكرية في تلك الفترة كانت كثيرة،وفي مختلف صنوف المعرفة،إلا أننى حاولت ذكر والإستدلال على حالةالثقافة في تلك الفترة،بذكر ثلاث نماذج، لم تكن الوحيدة،إنما أستحسنتها لآنها تعبر بشكل واضح عن الحالة الفكرة لعصر التيموريين، وهي الأفضل حسب ما ذكرته المؤلفات التاريخية،وهم شخصية الصوفي سيد على الهمذاني،ووزيرحسين بايقرا علي شير نوائيوالشاعر الصوفي الكبير عبد الرحمان الجامي،وهي أسماء كان لها من الإعتبار والمكانة في عصر التيموريين الكثير،ولازال تأثيرها في العالم الإسلامي يلقى الصدى

إلى يومنا هذا،من خلال قائمة كبيرة من المؤلفات في شتى صنوف المعرفة،مع إشارات واضحة في البحث إلى تأثيرات الطريقة النقشبندية في الفكر والأدب آن ذاك.

دون أن أنسى دور حفيد تيمورلنك الفلكي الحاكم ألغ بك ،الذي عدته الكثير من الكتابات التاريخية آخر مرجع هام في علم الفلك في العصور الوسطى،وقد كان لهذا الأخير دورا كبيرا في رعاية علم الفلك،وتعليمه،والإشتغال به،والتأليف فيه.

في الفصل الخامس تطرقت إلى التطور الكبير الذي عرفته أشهر مدينتين في عهد التيموريين الأولى هي مدينة سمرقند عاصمة تيمورلنك وحفيده ألغ بك من بعده،ثم مدينة هراة عاصمة السلطان شاهرخ،وحفيده بايسنقر وآخر الأمراء التيموريين حسين بايقرا،وتعرضت للتطور التاريخي للمدينتين وأهميتها الحضارية في عهد الدولة التيمورية وكيف إستطاعت مدينة سمرقند أن تسرق بريق بغداد ودمشق،وتأخذ هراة،فن وحضارة شيراز.

في الفصل السادس والأخير تطرقت بشكل معمق إلى تطور العمارة التيمورية،من حيث الأساليب الفنية في العمران،مركزا على تطور العمارة الإسلامية،من حيث الهياكل وأدوات الإنجاز وصولا إلى العصر التيموري،الذي عرف أزهى عصور العمارة الإسلامية،إذ ظل تيمورلنك وخلفاءه حريصين على التعيمر،من خلال بناء المساجد والقصور،والأسواق ،وتزيينها بمختلف الأشكال الفنية من زخارف وأشكال هندسية،وقد حاولت أن أربط في كثير من المحطات بين تطور العمارة، والفنون الأخرى التي لها علاقة بالعمران كالزخرفة ومختلف الكتابات التي عادة ما كانت تسجل على جدران المساجد.

وفي الأخير وضعت خاتمة لهذا البحث مسجلا فيها أهم النتائج التي خلصت إليها ،وقد زودت البحث بمجموعة من الملاحق رأيت أنها تفيد العمل،إضافة إلى فهرس، للأعلام ،وآخر للأماكن،وقائمة للمصادروالمراجع،وفهرس للموضوعات.

ككل عمل أكاديمي كان لابد من الإعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع التي تساعد على فهم الموضوع ، و توثيق المادة العملية،وفق ما يقتضيه المنهج العلمي في البحث.

هناك الكثير من المصادر والمراجع التي إعتمدت عليها في هذا البحث،بعضها شمل معظم الفصول،ومنها ما هومرتبط بفصل أو فصلين من البحث،يأتي في مقدمة تلك المصادر:

المصدر الأول:كتاب الكامل في التاريخ لعزالدين بن الأثير،تحقيق عمر عبد السلام تدمري،أصدرته دار الكتاب العربي،في عام1427هـ،2006م،وتكمن قيمة الكتاب أن كتب عن الغزو المغولي لبلاد ما وراء النهر، وخاصة عندما تحدث المؤرخ عن حوادث عام 617هـ،617هـ،متحدثا عن سقوط بخارا وسمرقند،ويعتبر إبن الأثير مؤرخا شاهدا على تلك الأحداث المروعة ،التي أصابت المسلمين.

المصدرالثاني:يعتبر من بين المصادر الهامة في التأريخ للغزو المغولي،وهو كتاب سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي،لمحمد بن أحمد النسوي ،تم تحقيق الكتاب من قبل أحمد حافظ حمدي ،وهو صادر عن دار الفكر العربي ،عام 1953م،والكتاب قيم في محتواه،وثري في هامشه مما يفتح للباحث أفاقا كثيرة،في معرفة التطورات التي حدثتفي آسيا الوسطى،منذ ظهور جنكيزخان وصراعه مع الدولة الخوارزمية ،إلى غاية سقوطها،بإنتهاء مقاومة السلطان جلال الدين منكبرتي.

المصدر الثالث:هو كتاب،تلفيق الأخبار، وتلقيح الآثار في وقائع قزان والبلغار،وملوك التتار،الطبعة الأولى،المجلد الأول والثاني،لعام1908م،والكتاب ذو قيمة تاريخية وجغرافية في كل ما يتعلق بالمغول منذ طهورهم إلى سيادة ملكهم في معظم آسيا.

المصدر الرابع،هو كتاب ،جامع التواريخ ،لرشيد الدين فضل الله الهمذاني،تحقيق فؤاد عبد المعطى الصياد،ومراجعة يحي الخشاب،طبعة ،دار النهضة العربية،عام 1980،والكتاب كما هو شائع من أشهر المؤلفات التي كتبت عن تاريخ المغول خاصة وأن صاحبه ظل فترة طويلة قريبا ومؤثرا في بلاط الإيلخانيين،أين ظل الهمذاني يشغل عندهم منصب الوزارة،إلى أن ساءت وضعيته داخل البلاط،إذ وقع فريسة للدسائس والمؤامرات،التي كان يحيكها بعض منافسيه خاصة في الوزارة ومنهم علي شاه الجيلاني ،وإنتهى الأمر بقتله في تبريز من قبل السلطان أبي سعيد بهادر عام718هـ،1318م،وهو في الثانية والسبعين من عمره،والكتاب يعد مصدرا رئيسيا عن المغول،منذ عهد جنكيزخان إلى غاية الفترة التي عاشها،وقد أكمل المؤرخ خافظ أبرو الذي عاصر التيموريين،ما كتبه رشيد الدين،من خلال

مؤلفه ذيل جامع التواريخ رشيدي ،الذي تناول الأحداث فيه من عام 703هـ،إلى غاية 795هـ،والكتاب فيه من الفائدة العلمية خاصة عن الإيلخانيين،ما يجعل الباحث يجد ضالته من خلال الكم الهائل من المعلومات،خاصة وأن رشيد الدين إعتمد هوالآخر على عطا الله الجويني من خلال كتابه تاريخ جهانكشاى.

المصدر الخامس،يتمثل في مؤلفات إبن تغري بردي ،من خلال كتابين الأول،وهو النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة،تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين،الطبعة الأولى ،دار الكتب العلمية،لعام،1413هـ،1992م،والكتاب من خلال الأجزاء التي إشتغلت عليها يقدم صورة واضحة عن تيمورلنك والتيموريين،خاصة فيما يخص العلاقات بين المماليك،والتيموريين، كما أنه يقدم صورة واضحة عن حملة تيمورلنك على دمشق،وكان تصويره للأحداث قريبا من الصورة التي نقلها إبن الأثير عن المغول الجنكيزخانيين في بداية القرن السابع الهجري.

أما كتابه الثاني،فهو المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافىخاصة الجزء الثالث الذي حققه،نبيل محمد عبد العزيز،صادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ،عام 1985م،خاصة فيما يتعلق ببعض أبناء وأحفاد تيمورلنك ومنهم حفيده حاكم سمرقند ، ألغ بك بن شاهرخ،أما الجزء الرابع الذي حققه محمد محمد أمين ،وهو صادر عن نفس الدار عام 1986،فركز فيه المؤلف على كل ما يتعلق بشخصية تيمورلنك،منذ ولادته إلى غاية وفاته،مستعرضا حروبه وتوسعاته ومختلف أعماله.

المصدر السادس،يتمثل في كتاب، السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة،من خلال مخطوط عقد الجمان،في تاريخ أهل الزمان، لبدر العيني،وحققته،إيمان عمر شكري ،في نسخةصادرة عن مكتبة مدبولي عام 2002م،والكتاب قيم في محتواه يقدم صورة واضحة عن السلطان برقوق ، وأيضا علاقتة بتيمورلنك.

المصدرالسابع،هو كتاب السلوك في معرفة دول الملوك، لتقي الدين أبي العباس المقريزي،الذي حققه محمد عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى،الجزء السادس عن منشورات بيضون،ودار الكتب العلمية،عام 1418هـ،1997م،وفي هذا الجزء إستفادت خاصة فيما يتعلق بحملة تيمورلنك على

دمشق،والمفاوضات التي حدثت بين علماء دمشق،وتيمورلنك،في وجود أحد علماء بلاد المغرب،وهو عبد الرحمان بن خلدون.

المصدر الثامن،هو كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر،في أيام العرب والعجم والبربر،ومن عاصرهم من ذوي النفوذ الأكبر،الجزء الخامس ،الطبعة الأولى،عن دار الكتب العلمية،لبنان،عام 1413هـ،1992م،والكتاب ذو قيمة علمية كبيرة،وتعود إلى سببين الأول،يتمثل في القيمة المعرفية لإبن خلدون في كتابة التاريخ،أما السبب الثاني،يتمثل في ،كون إبن خلدون يعتبر الوحيد من بين المؤرخين الذين ذكروا،وكان له فرصة لقاء تيمورلنك في دمشق وكان من بين أعضاء الوفد الذين فاوضوا تيمورلنك على تسليم المدينة،وقد أفاض إبن خلدون في ذكر تيمورلنك وأعماله خاصة حبه للعلم والعلماء،وهوالوحيد الذي كان يكتب عنه ،بالسلطان تمر،على غير العادة عند بقية المؤرخين،الذين كانوا يكتبون تيمورلنك،الطاغية،إلى غير ذلك من الألفاظ التي تشير إلى التحقير،وقد أفاض والتر فشر في كتابه .

المصدرالتاسع،هوتاريخ الدول الإسلامية في الشرق(آسيا الوسطى،إيران،العراق، بلاد الأناضول،بلاد الشام)،لصاحبه عبد الله بن فتح الله،المعروف بالغياثي،قام بتحقيق الكتابطارق نافع الحمداني،صدر في طبعته الأولى عن دار الهلال ببيروت عام 2010م،والكتاب في مجمله يقدم تفصيلا واضحا،عن تيمورلنك وخلفاءه،وعن التوسعات العسكريةكما أن المحقق،زاده قيمة أكثر من خلال ثراء هامشه بالمعلومات.

المصدرالعاشر،تاريخ بابرشاه المعروفببابرنامة،وقائع فرغانةلصاحبه مؤسس الدولة المغولية بالهند،وهو ظهير الدين محمد بابرنوهو ينحدر من نسل ميرانشاه بن تيمورلنك،والكتاب هو من ترجمة وتعليق ماجدة مخلوف،صدرفي طبعته الأولى عن دار الآفاق العربية،عام1422هـ،2002م،والكتاب يعطي صورة عن المغول التيموريين ،وخاصة أبناء تيمورلنك.

قائمة المصادر كبيرة إلاأنه من الضرورة الإشارة إلى مصدراخر،والذي لايمكن الإستغناء عنه،عند الحديث عن تيمورلنك،وهو كتاب إبن عرب شاه الدمشقي،عجائب المقدور في نوائب

تيمور،والكتاب رغم أنه غلب عليه الأسلوب الأدبي إلا أن صاحبه يقدم صورة حقيقية عن تيمورلنك،ورغمانه ظل ذاما له في كثير مما كتب إلا أنه،كان يعترف بتيمورلنك ودهائه العسكري،وإعتمدت على نسختين من هذا الكتاب.

أولا:نسخة من المخطوط الأصلي،طبعة أركانيد،كلكتا بالهند عام 1882م.

ثانيا:النسخة التي حققها أحمد فايز الحمصي ، في طبعة أولى ، عن مؤسسة الرسالة ، عام 1407ه، 1986 م،والنسختين تقدمان نفس المعلومات حول تاريخ تيمورلنك وأعماله،إلا أن النسخة المحققة ساعدتني أكثر على التحكم في المضوع ،ولذلك أشرت إلى النسخة التي أخذت منها المعلومة في الهامش،والكتاب يعتبر أهم مصدر عن تيمورلنك ،وأعماله الحربية،وحتى إنجازاته الحضارية.

من المصادر الأساسية التي لابد من الإشارة إليها،مع التحفظ على ما جاء فيها،هي مذكرات سلطان المغول تيمور،كتبت باللغة الجغطائية،نقلها إلى الفارسية،أبو طالب الحسيني،وترجمها إلى الإنجليزية،تشارلز ستيورات،وترجمتها إلى اللغة العربية،دينا الملاح،صدرت الطبعة الأولى عن دارالكتب الوطنية في أبو ظبي،عام1435ه،2014م،وقد أشار إليها عباس العزاوي ، في كتابه تاريخ العراق بين إحتلالين، الجزء المعنون "الدولة الجلائرية"،ويمكن هنا ذكربعض ما جاء فيها :"ليعلم أولادي المظفرين،والميامين،وحفدتي الأمراء الكرام،وسواهم أنني قد وضعت مذكراتي هذه باللغة التركية من أجل كل واحد من ذريتي الذين بمعونة الله القادر على كل شيء،وحماية محمد صلى الله عليه وسلم،سيتربعون على عرشي ويخلفونني في الحكم، الذين حصلت عليهما عبر كثير من الجهاد،والكد،ومواكب الحروب،لعلهم يضعون تلك الأحكام،والشرائع بعد إحاطتهم بها موضع التطبيق والممارسة،التي بواسطتها يكون سلطانهم والأراضي الخاضعة لحكمهم بمأمن عن الخراب أوالتفكك والإنحلال"،من الصحفة 21من المذكرات،من يقرأ تلك المذكرات يجد فيها ذلك الإهتمام بالدين والقرآن وذكر للرسول عليه الصلاة والسلام،وبطبيعة الحال فإن هذه المذكرات فيها الكثير من المعلومات،لكن تبقى حقيقتها غير مؤكدة،حتى أن وليام ديفي كاتب المقدمة،يشير إلا أن علماء الشرق أشارو إليها فيما يعرف،شرعة تيمور،إلا أنه بعض الأوربيين شككوا فيها.

قبل أن أختم التعريف ببعض المصادر،لابد أن أشيرإلى المصادر الفارسية التي كتبت عن تيمورلنك والتيموريين، صحيح أنني لم أستطع الوصول إليها إلا أنني إستفدت بشكل غير مباشر من المؤلفات التي عرفت بها ،أوتلك التي أشارت إليها،ويمكن هنا الإشارة إلى مراجع رئيسيية وهامة تناولت المصادر الفارسية التي كتبت عن تلك الفترة،والأمر هنا يتعلق:

كتاب تاريخ العراق بين إحتلالين،الجزء الثاني الذي يتحدث عن الدولة الجلائرية،والذي تناول المؤلف فيه الفترة الممتدة بين (739هـ،814هـ/1338م،1410م)،في طبعته الأولى الصادرة عن مكتبة بغداد الحديثة،عام 1354هـ،1936م ،ومنها المصادر الفارسية التي أشار إليها،كتاب ظفرنامة،لنظام الدين شامي،وهو الوحيد من بين المؤرخين الفرس الذين كتبوا عن تيمورلنك وهو على قيد الحياة،وهو كتاب ترجمه إلى اللغة الفرنسية المستشرق بتى دولا كروا،عام 1722م،في ترجمة قال عنها البعض أنها لم ترق إلى مستوى قيمة الكتاب

كما يمكن الإشارة إلى المؤرخ شرف الدين علي اليزدي،الذي ألف مؤلفه ظفرنامة عام 827هـ،بأمر من السلطان،إبراهيم ميرزا إبن السلطان شاهرخ،كما يمكن الإشارة إلى مؤلف زبدة التواريخ،لحافظ أبرو ،الذي ظل بعض الوقت في خدمة تيمورلنك،ثم إنتقل بعدها إلى خدمة إبنه شاهرخ،وقد أشار صاحب بحث ذيل جامع التواريخ رشيدي إلى ذلك،وهو من الباحثين الذين كتبوا عن إسهامات حافظ أبرو في الكتابة عن تيمورلنك والتيموريين.

ومهما يكن فإن هذه المصادر لا تعد الوحيدة التي إعتمدت عليها في هذا العمل إنما هناكمصادر أخرى،سيشار إليها في قائمة المصادر على أن التي ذكرت تبقى الأهم في تاريخ التيموريين.

كما يمكن هنا الاشارة الى الكتاب القيم الذي كتبه الاستاذ حربى امين سليمان،تحت عنوان المؤرخ الايرانى الكبير غياث الدين خواند مير كما يبدوفي كتابه دستور الوزراء،والذي قدم له الآستاذ فؤاد عبد المعطى الصياد،والكتاب صادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1980م،حيث تطرق المؤلف وبإسهاب الى المؤرخ خواند مير وحياته بشكل مفصل مستعرضا دوره العلمى والفكرى

في حياة التيموريين،خاصة وان خواند مير عاش فترة لاباس بها في بلاط السلطان حسين بايقرا،محاطا بالرعاية الكبيرة للوزير علي شير نوائى،ويعد الكتاب من الناحية العلمية مهما لدارس تلك المرحلة،لآن المؤلف أفاض وبشكل كبير في ذكر وعد مختلف الإنجازات العلمية والمؤلفات التاريخية التي كتبها خواند مير،ومنها كتاب دستور الوزراء،وحبيب السير وغيرها،كما أن المؤلف حربى أمين من خلال ما كتبه في الهامش إستطاع أن يقدم معلومات هامة،إستئنست بها في الحديث عن الحياة الآدبية والفكرية في عهد التيموريين.

حتى يحافظ البحث على قيمتهاالعلمية،فإنني إعتمدت على بعض المصادر الأجنبية،خاصة تلك التي عاصر أصحابها الغزو المغولي للبلاد الإسلامية،أوتلك التي كتبت عن تيمورلنك،ويكمن هنا أن أذكر،كتاب رحلة داخل الإمبراطورية المغولية،للراهب وليم روبروك،طبعة باريس،1985م،والذي كتب فيه صاحبه عن مختلف الجوانب السياسية والإقتصادية والعسكرية للمغول،من خلال الرحلة التي قادته لبلاد المغول كمبشرا بالمسيحية.

يعد كتاب الرحالة الإيطالي ماركو بولو،" وصف العالم"،طبعة باريس 1995م،من المصادر الهامة عن المغول خاصة وأن ماركو بولو ظل يشتغل لمدة لابأس بها في البلاط المغولي بعد أن عينه قوبلايخان في منصب مستشار ،والكتاب يعطي هو الآخر صورا واضحة عن جوانب متعددة من حياة المغول على المستوى الإجتماعى الديني والسياسي.

أما عن عصر التيموريين،فإن أهم مصدر يمكن الإشارة إليه،هو مقال الكاتب اللاتيني دي مخائلني ،عن حياة تيمورلنك،وقد نقل أحمد عبد الكريم سليمان جزء من هذا المقال،في كتابه،تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة،في طبعته الأولى،الصادرة عن دار النهضة العربية، عام 1405هـ ،1985 م ،وقد ترجم المؤلف جزءا من هذا المقال،وقد أشار صاحب المقال إلى تيمورلنك وبعض صفاته،ويظهر أنه لم يكن من الناس الراغبين فيه أو الالتقاء به،في قائمة آخر المصادرالأجنبية يمكن ذكر كتاب السفيرالإسباني،مبعوث ملك قشتاله إلسمرقند،وصدر الكتاب عن المطبعة الوطنية الفرنسية، عام 2002م،بعنوان،" الطريق إلى سمرقند "والكتاب من المصادر الهامة،التي نقلت صورة

واضحة عن التطور الذي وصلت إليه سمرقند،بإعتبار أن المؤلف وقف على كثير من مظاهر التطور خاصة على المستوى الحضاري، من خلال تطورالصناعة والزراعة و مظاهر الحياة الإجتماعية من خلال الإحتفالات التي حضرها في المدينة بمناسبة الإنتصارات العسكرية التي حققها تيمورلنك على خصومه.

وبطبيعة الحال فإنني في هذا البحث إعتمدت على قائمة كبيرة من المراجع،سواء باللغة العربية،أو الأجنبية،أو تلك المترجمة ، من لغات أخرى،على أن أشير في هذه المقدمة إلى طبيعة المراجع حسب أهميتها،وإرتباطها بفصول البحث.

يأتي في مقدمة تلك المراجع،كتاب،تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، لفاسيليبارتولد، ترجمة صلاح عثمان هاشم،صادر بالكويت،عام 1401هـ،1981م،والكتاب يعطي صورة واضحة عن جغرافية المنطقة ومختلف التحولات التي عرفتها منذ الفتح العربي إلى الغزو المغولي،خاصة وأن المؤلف يعد من أكبر المستشرقين المهتمين بتاريخ المنطقة.

إستفدت أيضا من كتاب تاريخ بخاري ،للمستشرق المجري أرمينيوس فامبري ، ترجمه أحمد محمود الساداتي ،مراجعه يحي الخشاب،الكتاب قيم في محتواه حيث يقدم صورة واضحة عن تاريخ التيموريين،خاصة تيمورلنك،وبعض أبناءه،وهو من المراجع الهامة عن المنطقة ،خاصة وأن صاحب الكتاب،مهتم كثير بالدراسات الشرقية،وكان له عدة زيارات في بعض العواصم والمدن الإسلامية،مثل خيوا،وسمرقند وبخارا وهراة،وله عدة مؤلفات و دراسات ،منها كتابه "دراسات لغوية في لغة جغطاى"، وكتاب أخر عن لغات الآيغور،بعنوان "أثار لغوية إيغورية"،كما أصدر أيضا معجم ،"إشتقاق اللهجات التركية الشرقية"،وقد نشرت بعض أجزائه في ألمانيا والمجر، لذلك فجزء كبير من كتاباته حول بلاد ما وراء تلقى الثناء و الإستحسان.

إستفدت مما كتبه عباس إقبال ضمن كتابه،تاريخ إيران بعد الإسلام،في معرفة مجمل التطورات التي عرفها إقليم تركستان،خاصة فيما يتعلق بفترة تيمورلنك،وخلفاءه، ورغم الانحياز الذي ابداه المؤلف اتجاه الثقافة الإيرانية،إلا أن الكتب قيم ويقدم رؤية أخرى عن تاريخ المنطقة وحضارتها.

أما عن المصادر الفارسية،فوجدت ضالتي عند الأستاذ عباس العزاوي،في كتابه، تاريخ العراق بين إحتلالين،خاصة فيما يخص التعريف بالمصادر الفارسية،التي كتبت عن تيمورلنك والتيموريين،أما في التحليل وشرح مختلف التطورات في بلاد المشرق،فقد أفاضتا الأستاذتين،عفاف صبرة،ونجوى كيرى،في كتابهما،تاريخ الدويلات الإسلامية في الشرق،دراسة سياسية وحضارية، وقد أفادني الكتاب،خاصة في معرفة التطورات الحضارية التي شهدها عصر التيموريين،في مختلف جوانب المعرفة والفنون،بطبيعة الحال يبقى كتاب،المغول في التاريخ لفؤاد عبد المعطي الصياد من بين الكتب الهامة في دراسة تاريخ المغول.

في الجانب الفني والحضاري الذي ظل شقا أساسيا من هذا البحث،فإنني إعتمدت بشكل مباشر،على مجموعة من المراجع المتخصصة،منها كتابات زكي محمد حسن المتعددة،ومنها،أعلام المصورين الفرس،والفنون الإسلامية،وتاريخ التصوير عند المسلمين،وكل كتبه ذات قيمة فنية ،كما إستعنت بكتاب الأستاذة سعاد ماهر في الفنون الإسلامية،وديماند في كتاب يحمل العنوان نفسه،إضافة إلى كتاب ،العمارة والفنون في الحضارة الإسلامية،لسعد زغلول عبد الحميد.

أما في الجانب المتعلق بالحياة الفكرية،فكانت هناك إطلالة عميقة على الحركة الصوفية في تركستان من خلال كتاب،النقشبندية نشأتها وتطورها لدى الترك،لمؤلفته،بديعة محمد عبد العال،والكتاب يعرض مجمل التطورات التي عرفها الفكر الصوفي في المنطقة،من خلال ذكر إسباب إنتشار الطرق الصوفية،خاصة النقشبندية والاشارة الى بعض رموزها،وعلاقة النقشبندية بالسلطة السياسة خاصة الآمراء التيموريين

ولما كان الجامي من بين أهم الكتاب والشعراء الذين ظهروا في تلك الفترة خاصة في عهد السلطان حسين بايقرا، فقد أسعفني الحظ أن أطلع على بعض ما كتب الجامي ،ويمكن ذكر كتاب،الدرة الفاخرة،وكتاب يوسف وزوليخا، وأيضا كتاب نفحات الإنس في حضرات القدس، وكتاب الربيع،أو بهارستان،وأخيرا كتاب لوائح الحق ولوامع العشق،وكل هذه الكتابات ذات رؤية صوفية عميقة،وقد كان عليا أن أطلع على كتاب الأستاذ براون المختص في الدراسات الإيرانية،تاريخ

الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي،عرف جميع التطورات التي عرفتها الحياة الأدبية والفكرية في عصر التيموريين،خاصة وأن الحياة الفكرية في هذا العصر إرتكزت بشكل مباشر على الثقافة الإيرانية،فكثير من التيموريين أخذو من فريد الدين العطار والفردوسي وجلال الدين الروميوغيرهم.

في باب التصوير الذي يعد جزءا هاما من هذا البحث،إعتمدت على عدة مؤلفات،أبرزها ما كتبه الأستاذ أحمد تيمورباشا في كتابه،التصوير عند العرب،وأبو الحمد فرغلي في كتابه القيم،نشأة التصوير في الإسلام ومدراسه،إضافة إلى المؤلفات المتعددة في الفنون الاسلامية للأستاذ زكى محمد حسن الذي أسهم بشكل واسع من خلال مؤلفاته المتنوعة في الفنون الإسلامية ،كتالتصوير والعمارة وغيرها.

في الفصل الأخيرمن هذا البحث كانت أكثر المراجع التي إعتمدت عليها هي تلك المتعلقة بالعمارة وفن العمارة،وفي مجال الآثار الفنية وتطور العمارة يمكنني الإشارة إلى كتاب فيتالي نومكين ،سمرقند"،أما أهم مرجع إستطعت من خلاله معرفة تطور العمارة في عصر التيموريين،هو ما ألفه الأستاذ محمد هاني القحطاني،تحت عنوان،مبادئ العمارة الإسلامية،وتحولاتها المعمارية،قراءة تحليله في الشكل،والكتاب صادر عن مركز دراسات الوحدة العربية عام2009م،والكتاب قيم في محتواه بسيط في مفاهيمه،غني بتحليلاته،وفي الأخير يمكن الإشارة إلى بعض الكتب ذات الدلالة الفنية،منها كتاب روائع الفن الإسلامي لعادل الألوسي،والكتاب يتناول بعض الجوانب الفنية في العمارة الإسلامية على العموم،والعمارة في عصر التيموريين خاصة.

أما عن المراجع الأجنبية التي كانت سندا في هذا البحث ،يمكن الإشارة إليها،ومنها كتاب هنري هوراث،تاريخ المغول من القرن التاسع إلى القرن التاسع عشر الميلادي،والكتاب قيم في أفكاره و تحليلاته ، يضاف إلى ذلك،كتاب دوسون ، تاريخ المغول منذ عهد جنكيز خان إلى تيمورقان ، والكتاب غطى فترة مهمة من تاريخ المغول وتوسعاتهم.

وإجمالا يمكن القول أن ماذكرته من مصادر ومراجع في هذه المقدمة يبقى ضئيل،لأن هناك الكثير من المصادر والمراجع والمعاجم وكتب الرحلات والرسائل الجامعية،والموسوعات والمجلات

والمقالات المتخصصة التي لم أشير إليها في هذه المقدمة تاركا الفرصة للتعريف بها من خلال هوامش هذا البحث ،أو من خلال قائمة المصادر والمراجع التي سوف تعرض في خاتمة الرسالة.

تلك هي جولة محتشمة تأتي في أقصي صور إستحيائها،وأملي أن يكون هذا الجهد المبذول،قد إستوفى شروط البحث والإستقصاء،من خلال تحري الحقائق،وتحرير الوقائع،وتدوين الأفكار والمعلومات في أسلوب علمي يراعي شروط البحث العلمي وأخلاقياته.

أملي أن يكون هذا العمل فاتحة باب على تاريخ آسيا الوسطى وحضارتها أمام الطلاب والباحثين،لمعرفة التطورات التي مرت بها تلك الأمم،ومعرفة مختلف التحولات التي عرفتها المنطقة عبر كل العصور،خاصة وأن الجميع يدرك بأن المنطقة ظلت عبر التاريخ تحفظ الإسلام،وتدافع عنه إلى يوم الناس هذا،في آسيا الوسطى التي تفيض حبا للإسلام،لأرض ظلت على الدوام تقدم خيرة الأبناء من الرجال والعلماء،وهو أمر قد نجهله لكن الباحث في التاريخ،وهو يقوم بتلك الرحلة الطويلة،يقف معتزا بأولئك الذين ظلوا يدافعون عن دينهم وهويتهم وكرامتهم أمام مخاطر شتى لازالت إلى اليوم،وقد يكون هذا البحث خطوة على الأقل في معرفة الكثير من المصادر والمراجع التي كتبت وبإسهاب عن تاريخ المنطقة وحضارتها خلال العصور الوسطى.

وحتى لا أبرر جوانب النقص في هذا العمل وهي دون شكك موجودة،إلا أننى أقروأجزم بأنني بذلت جهدا كبيرا للحصول على المصادر والمراجع، وجمع المعلومات،وتنظيمها وترتيبها،وقد صادفتني الكثير من العوائق،وعلى رأسها عدم التحكم في االلغة الفارسية،أين وجدت نفسي عاجزا عن فهم الكثير من المصادر الفارسة رغم أن بعضها ظل بين يدي لوقت طويل،ولكن المثابرة والكد والصبر،جعلني أحقق بعض هدفي، وأذلل بعض العوائق خاصة فيما يخص ترجمة بعض النصوص عن اللغة الفارسية من الخيرين،الذين حسبوا ذلك في ميزان الصدقة الجارية.

أما العائق الثاني وإستطعت أن أتغلب عليه في إعتقادي في نهاية الأمروهوكيفية التعاملمع بعض المصادر والمراجع،من خلال نظرتها إلى تيمورلنك والتيموريين وتسميتهم،فبعضها إستعمل إسم الترك،وأكثرها إستعمل إسم المغول،وقد وجدت أن أكثر المؤرخين أطلقوا على تيمورلنك والتيموريين

إسم المغول، خاصة أن الكثير من المصادر تعتبرهم من أصل واحد،وكان هو الإسم الشائع في كل الكتابات التاريخية خاصة في المشرق كمصر وسوريا،وحتى عند المستشرقين،أما الذين ركزوا على الأصول التركية لتيمورلنك ومحاولة تأكيدها إنما هو تحقيقلأهدافقوميةوهناك الكثير من العوائق الأخرى ، والتي تدخل في صميم العمل والحياة الإجتماعية بصفة عامة ، بين ظروف العمل والأسرة ، وغيرها من العوائق الأخرى التي تثني العزائم أكثر مما تشجعها في واقعنا العام،ورغم ذلك فقد غمرتنى متعة لا حدود لها وأنا ابحر في تاريخ التيموريين،مستمتعا بقوة الإسلام وقدرته،في التجدد والتكيف مع كل الظروف والمعيقات،والتي ورغم كثرتها إلان الحضارة الإسلامية ظلت حية ومستمرة ومتجددة عبر الدوام.

فان أصبت،فذلك توفيق من الله ومن كل من أمدنى بالعون والمساعدة،وإن أخفقت فذلك من نفسى ومن الشيطان،متعهدا صادقا أن أتدارك كل جوانب النقص والإستفادة من كل الملاحظات والتوجيهات.

وفي الأخير لايسعني إلا أن أتقدم بشكري الجزيل إلى أستاذي،الأستاذ الدكتور أحمدشريفي ، الذي غمرني بجميل تواضعه ، وكبير فضله في الإشراف علىهذا البحث، كما أشكره على صبره وحلمهوتلك من شيمه، والى اسرتى التي امدتنى بكل ما تملك من وقت وصبر،ولا يفوتني أن أشكر كل أساتذتي ممن كان لهمفضل عليا طيلة مراحل الدراسة كلها،وإلى كل زملائى في العمل ،بكلية العلوم الإنسانية بجامعة الدكتور يحى فارسبالمدية،وإلى اعضاء اللجنة الموقرة، التي سيكون لها الفضل فيتصويب هذا البحث وتقويم ما يجب أن يقوم ، وإلى كل الزملاء الذين ساعدو نيولو بالتشجيع والكلمة الطيبة و الدعاء.

الفصل التمهيدي

تمهيد:

قبل أن تميل شمس القرن الثامن الهجري،الرابع عشر الميلادي للمغيب ،تعرضت أجزاء الإمبراطورية المغولية التي أنشأها جنكيزخان[1] إلى هزات عنيفة،فمملكة جغطاي التي ورثها أبناء جغطاي،فقدت تقريبا كل صفاتها المغولية،وأصبحت مزيجا من التأثيرات المغولية والتركية[2]،أما إيلخانية إيران التي كانت مدنها فخر البلاد الإسلامية ومنارتها،ذاقت صنوف الأزمات والمحن،وفقدت الكثير من مدنها بريقها ووهجها،أما إقليم خراسان الذي بلغ فيما مضي شأنا عظيما صار اليوم فقرا بلقعا،أما خانية القبيلة الذهبية فصارت عرضة لأخطار متلاحقة ، ظلت تحدق بها خاصة الخطر الروسي الدى طل يتربص بالمنطقة.

قسم جنكيزخان الإمبراطورية المغولية بين أبناءه في حياته،ولم يترك الأمر للصدفة أو الظروف،إنما حسم الأمر وهو على قيد الحياة،وهو مدرك تمام الإدراك بخصال وخصوصيات أبناءه وقدراتهم السياسية ومهاراتهم العسكرية،وهي معايير كان لابد من الإعتماد عليها،حتى تكون عملية الإختيار

---

[1]– جنكيزخان إسمه الحقبقي تموجين على ماتذكره أغلب المصادر والمراجع،ولد سنة 549هـ،1155م،في حين ترى مصادر أخرى أنه ولد 1167م،ينتمى إلى قبيلة قيات المغولية،أصبح زعيما للقبائل المغولية بعد وفاة والده يوسكاي بهادر ،وعمره ما بين 10او13 عشر سنة حسب تباين الروايات،عاش حياة قاسية وصعبة ناتجة عن تأثير البيئة القاسية والمعاناة والحرمان،عمل على تشكيل إمبراطورية واسعة،تلقب بسيد العالم،تذكره المصادر العربية بأسماء مختلقة،فابن بطوطة يذكره بإسم تنكيز خان في حين آن ابن الآثير يسميه تمرجين،انظر:

عزالدين بن الحسن علي بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الواحد بن الآثير،**الكاملفي التاريخ**،تحقيق عبد السلام تدمري،دار الكتاب العربي،1427هـ،2006م،ص،333.

–فؤاد عبد المعطي الصياد،**المغول في التاريخ**،ج1،دار النهضة العربية ،القاهرة،1980م،ص،36

–الباز العريني،**المغول**،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،1406هـ،1986مً،ص،43 .

[2]– تشير الكثير من المصادر التاريخيه آن الآصول العرقيه للمغول والترك تعود الى آصل واحد،تفرع الآصل إلى عناصر مختلفه وأن ثلاثة أرباع لآلفاظ في اللغتين واحدة،وأن اللسان المغولي هو آحد آلسنة الترك،كما آنهم يشتركون في بعض الخصائص وتختلفون في آخرى،فآغلب القبائل التركية يغلب عليها طابع التمدن،في حين آن المغول هم آكثر ميلا آلى البداوة،للمزيد حول تفصيل ذلك آنظر:

محمود الرمزي،**تلفيق الاخباروتلقيح الآخبار في وقائع قازان والبلغار وملوك التتار**،ط1،مج1980،1م،ص،19 وما بعدها، إبن الآثير ،الكامل في التاريخ،ج361،1.

دقيقة مبنية على قواعد سليمة،أثبت جنكيزخان من خلال عملية الإختيار على دهاء كبير وفطنة خارقة،وهي خصائص إكتسبها من خلال طفولته القاسية وتجربته كقائد عسكري قوي خاض معارك شرسه وسياسي محنك أبان عن دهاء واضح في كثير من المواقف.

كان إختيار أوكتاي لكي يكون الخاقان الأعظم للمغول[1]،ودلت عملية الإختيار هذه على مدى معرفة جنكيزخان التامة بقدرات أبناءه،ينقل رشيد الدين[2] مؤرخ المغول الكبير من خلال كتابه الشهير جامع التواريخ ما كان يقوله جنكيزخان للمقربيين منه ذاكرا خصال أبناءه ، من يريد التفقه في القوانين ومعرفتها،وأحوال الملك ،عليه أن يتبع جغطاي ،ومن يريد الثراء والقوة والهدوء عليه بأوكتاي،ومن أراد المعرفة والأدب والشجاعة ،ومتطلبات الحرب وأساليبها عليه أن يلازم تولي".[3]

يفسر المستشرق الروسي بارتولد[4] عملية الإختيار هذه بكون جغطاي،كان يشبه والده فيالطباع ،خاصة في الإلتزام والتقيد بالقوانين،وهي ربما عوامل لا تساعد على إختياره خاصة في ظل المتغيرات التى عرفها المجتمع المغولي،أما عن عدم إختيار تولي فربما هناك تفسير وحيد لذلك ،ففنون الحرب والمهارة العسكرية ليست وحدها المعيار الأساسي المؤهل لتحمل مثل هذه المسؤولية،فكان إختيار

[1]- الخاقان الأعظم هو لقب أطلقه المغول على الحاكم الذي يحكم الدولة بأسرها،أما الخان فأطلق على الحاكم الذي يحكم أجراء منها،أما إيلخان فيعني الخان التابع،وهو لقب الصق بحكام المغول في إيران،الذين أطلق عليهم إسم الإيلخانيين في..

[2]- رشيد الدين فضل الله الهمذاني،طبيب ،مؤرخ المغول الكبير ولد بهمذان سنة 645هـ،1247م، وإليها يجب أن ينتسب،من ألمع رجال الإدارة في العصر الإيلخاني، يعد من أشهر مؤرخي العصر المغولي،بعد الجويني(توفي سنة 681هـ،1283م)،النعلومات عن حياته قليلة إلا أن بعض المصادر تشير إلى أنه إمتهن العطارة،ثم إلتحق بالبلاط الإيلخاني كطبيب ،وكان ذلك منذ عهد اللإيلخات الثاني أباقا خان،هناك تضارب في معتقده الديني بالبعض يقول أنه يهودي دان بالإسلام عند سن الثلاثين ،والبعض الآخر يقول أنه ولد في أسرة مسلمةعاش رشيد الدين فترة طويلة في بلاط الإيلخانيين، أكسبته الفترة التي قضاها في البلاط الإيلخاني ،قدرة في الإدارة والسياسة وألف كتابه الشهير جامع التواريخ الذي وصل به إلى عهد محمود قازان إيلخان المغول في إيران،قتل في عهد أبي سعيد إيلخان إيران سنة 711هـ،1318م،للمزيد عن الؤلف والكتاب انظر:

فؤاد عبد المعطى الصياد،**مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني**،دار الكتب،القاهرة،1967م،ص،50.

رشيد الدين فضل الله الهمذاني،**جامع التواريخ تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي خان الى تيمور قان**،تر،فؤاد عبد المعطي الصياد،/ر،يحي الخشاب،ط1،دار النهضة العربية،بيروت،لبنان،1983م.3

[3]- نفسه،ص،11.

[4]- فاسيلي فلاديمروفتش بارتولد،**تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي**،ترجمه صلاح الدين عثمان،الكويت،1401هـ،1981م،ص،445.

أوكتاي[2] بإعتباره الشخص الذي يحقق الإجماع،فهو يملك خصائص الحاكم الذي يجمع بين اللين والترف حينا ،والشدة والحزم حينا آخر[1].

يبدو تفسير بارتولد مقنعا إلى حد ما ،وذلك لكون الإمبراطورية المغولية،صارت مشكلة من عدة شعوب وثقافات،وبالتالي لابد على الحاكم أن يتمتع بقدرة وكفاءة تساعده على حل مختلف المشاكل ومواجهة الصعوبات،ومن هنا كان أوكتاي أقرب إلى عملية الإختيار.

إعتمدت عملية الإختيار على الأبناء الثلاثة دون الإبن الرابع وهو جوجي الذي توفي في حياة أبيه[2] ،وربما من هنا يأتي عدم ذكره فيما كتبه رشيد الدين.

توفيجنكيزخان سنة624ه،1227م،وكي تنتقل السلطة إلى أوكتاي بطريقة سلسة،كان لابد من إتباع الأساليب القانونية في عملية إنتقال السلطة،ومن ذلك إنعقاد مجلس القوريلتاي الذي يسمح له القانون المغولي بتنصيب الخاقان الأعظم،إلا أن عوامل مختلفة أخرت إنعقاد المجلس،أشرف على تسيير المرحلة بين موت جنكيزخان وإنعقاد مجلس القوريلتاي،تولي الإبن الأصغر لجنكيزخان على ما تذكر أغلب المصادر[3]،لأن العرف المغولي يقول أن تسيير الوطن الأصلي للمغول يكون من نصيب الإبن الأصغر،أما عن أسباب تأخر إنعقاد المجلس إلى غاية سنة 626ه،1229م،فيعود إلى أسباب متعددة منها طول مراسم دفن الزعيم المغولي،وبعد الأقاليم المغولية عن بعضها ،إذ كان يلزم وقت طويل للوصول إلى العاصمة قراقورم،وأخيرا إنتظار عودة أغلب الأمراء والقادة العسكريين الذين كانوا

---

[1]- حكم أوكتاى من 626ه،636ه،129م،1241م،كان ميالا للهو مترفا، أنظر:
الصياد،المغول في التاريخ،ص،ص،102،103

[2]- أنجب جنكيزخان أربعة أبناء وهم جوجي ، جغطاي أوكتاي ،وأصغرهم تولي، توفي جوجي في حياة أبيه سنة 623ه،1226م،في وقت كان جنكيزخان يقود حملة عسكرية على قبائل التانغوت ،التي أخضعها في نهاية الأمر،وعزم على توجيه حملة عسكرية ضد إبنه المتهم بعصيان الأوامر،وكان إدعى المرض،رافضا المشاركة في حملة أبيه،ووصل إلى مسامع أبيه من خلال بعض العيون أنه كان في رحلة صيد،لكن المؤكد أنه توفى والحملة في طريقها إليه.

[3]- فؤاد عبد المعطى الصياد،**المغول في التاريخ**،ص،.40

في عمليات عسكرية ،كتلك التي كان يقودها جبي وسوبتاي[1] الذين توغلا في روسيا بين 1221م،1223م،حتى وصلا إلى حدود حوض نهر الدونيتز[2]،وحقق نتائج عسكرية باهرة،سحقا خلالها مملكة جورجيا،إلا أن هذا الزحف توقف بسب دعوتهما إلى قراقورم لحضور مجلس القوريلتاي[3].

نصب مجلس القوريلتاي أوكتاي ليكون الحاكم الفعلي في قراقورم،ويظهر أن هذا التعيين ماهو في الحقيقة إلا تجسيد لما إختاره جنكيزخان وهو على فراش الموت،ورغم أن جميع الأبناء لم يرثوا عبقرية والدهم،ولا قوته العسكرية،ولا إرادته الحديدية اللازمة لإدارة الدولة،إلا أن إختياره وقع على أوكتاي رغم حبه لتولي الإبن الأصغر المتمتع بأكثر المواهب كالشجاعة والقيادة والموهبة والفروسية.

أشرت أن عدد أبناء جنكيزخان من زوجته الأولى بورتاي،كانوا أربعة،وهم جوجي وجغطاي وأوكتاي وتولي،توفي الإبن الأكبر في حياة أبيه،وكان نصيبه من الأملاك المنطقة الواقعة بين بحر أرتيش والسواحل الجنوبية لبحر قزوين،وبلاد القفجاق،والتي صار يطلق عليها القبيلة الذهبية[4].

أما عن سكانها فغالبيتهم من الترك والتركمان،وكان نصيب جغطاي من مملكة أبيه منطقة البراري التي كانت خاضعة لقبائل الخطا الذين أسسوا دولتهم في مستهل القرن السادس الهجري،الثاني عشر الميلادي،وشملت مملكة جغطاي أيضا بلاد الإيغور وما وراء النهروكاشغر وبلخ أو ما يعرف بمنطقة مغول إقليم تركستان،في حين كان نصيب أوكتاي المنطقة الجغرافية الواقعة بين أقاليم منطقة

---

[1]- من أشهر القادة العسكريين الذين إشتهروا بالقوة والإخلاص لزعيمهم جنكيزخان ،قادا عدة عمليات عسكرية،ومنها مطاردة علاء الدين خوارزم شاه،إذ أرسلها جنكيزخان على رأس حيشين يتكون كلا منها من ألف فارس وقد إضطراه إلى الإعتصام بإحدى جزر بحر قزوين.

[2]- D ،ohsson.m.le.braon.**histoire des mongols depuis tchinguiz khanjusqu**.a **timour** bey،d tamerlan.paris.1824.240.

[3]- هو عبارة عن مجلس عام يجمع الأمراء وكبار القادة العسكريين،لمناقشة الأمور المهمة والعاجلة،والقضايا الكبرى المستجدة ومنها تعيين وتنصيب الخاقان الآعظم،ومما يدل على أهمية هذا المجلس وأعضاءه وتأثيره على إتخاذ القرارات الهامة في عهد المغول ،أن الحملة العسكرية التي قادها جتى وسوبتاي على أوربا ،توقفتن القائدين طلب منهما العودة إلى قراقورم إختيار خليفة جنكيزخان.

[4]- القبيلة الذهبية،أطلق على هذا الإسم على مغول الشمال ،في المناطق التي حكم جوجي خان ،ومن بعده إبنه باتوخان،الذي خلفه أول خان مسلم في المنطقة وهوبركة خان،وقيل الإسلام أطلق عليهم إسم دولة دشت القبجاق،يطلق أما عند الروس والمغول فإشتهرت بإسم القبيلة الذهبية لأن خيامهم كانت ذات لون ذهبي،انظر:

عبد السلام عبد العزيز فهمي ،**تاريخ الدولة المغولية في ايران**،دط،دار المعارف،القاهرة،1981م،ص،193.

جغطاي وأطراف بحيرة حوض إيميل،أما تولي الإبن الأصغر فكان نصيبه الموطن الأصلي للمغول تطبيقا للعرف المغولي،الذي يعترف بالموطن الأصلي للمغول للإبن الأصغر إلى غاية تعيين الخان الأعظم[1].

أما عن باقي أفراد أسرة جنكيزخان،أخذ خنشاراخ جنكيزخان الأراضي الواقعة على نهر .أرخون وجلاير في حين تموجي أخذ الأجزاء الشرقية من منغوليا،وليس الغرض من هذا العرض تذكير بالإمبرطورية المغولية الجنكيزخانية،بقدر ماهو معرفة الأقاليم التي إنطلقت منها الإمبراطورية المغولية الثانية في العصورالوسطى والتي قادها تيمورلنك وخلفاءه من بعده ونخص بالذكر هنا خانية جغطاي التيكانت قاعدة الدولة الجديدة بعد أكثر من مئة وخمسين عاما من وفاة جنكيزخان.

1-تركستان وقيام خانية جغطاي:

يشير لفظ تركستان إلى القبائل المغولية الناطقة باللغة التركية،تتمركز أغلب شعوبها في وسط قارة آسيا،وعموما فإن المنطقة لم تعرف حدود واضحة ويعود ذلك لمجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية والتاريخية والثقافية،وقد زاد التداخل الجغرافي والعرقي في صعوبة تحديد الموقع الجغرافي للمنطقة بصفة دقيقة وواضحة،ورغم ذلك يمكن تحديد ولو بشكل إجمالي الحدود الجغرافية للمنطقة بناءا على ما أورده بعض الجغرافيين[2].

هي المنطقة الممتدة من السهول السيبيرية في أقصى الشمال إلى إيران والهند وباكستان جنوبا، يقع في غربها الصحراء المنغولية الكبرى،وفي شرقها بحر قزوين[3]،في هذه البيئة شبه القاسية المحاطة باليابس والبعيدة نسبيا عن المسطحات المائية،والمتأثرة بالطابع الصحراوي،غلبت بيئة قاسيةصعبة

[1]- في عقيدة المغول أن منزلة الأب والام تؤول إلى الأبن الأصغر،لذلك حظى تولى ومن بعده أبناءه بإمتياز قيادة الوطن الأصلي في قراقورم التي ظلت هي العاصمة،إلى غاية نهاية القرن الثالث عشر بعد أن إتخذ قوبلاي خان من بكين عاصمة له بعد القضاء على أسرة سونغ..

[2]- كثير من الجغرافيين العرب عرفوا بالمنطقة كالمقدسى وإبن حوقل وإبن بطوطة وغيرهم

[3]- يطلق عليه سابقا بحر الخزر.

التضاريس،شحيحة المياه[1]،وهو ما إنعكس بشكل واضح على طبيعة العناصر البشرية من حيث التركيبة،ونمط العيش إذ ظلت القبائل المغولية تعتمد في حياتها على التنقل والترحال بحثا عن الكلأ وأماكن المياه،التي عادة ما كانوا يروون منها قطعان الماشية ،أو الإنتقال إلى البراري للممارسة رياضتهم المفضلة،وهي الفروسية والصيد، ومن هنا يمكن القول أن الشعوب المغولية،أوما أطلق عليها الشعوب الإستبسية،ظلت إلى وقت طويل شعوب رعوية متنقلة، تطغى عليها روح البداوة،بعيدة كل البعد عن الشعوب المتحضرة ،كالصينيين،والمسلمين،وكانوضعهم شبها الى حد ما بوضع القبائل الجرمانية في أوربا، التي ظلت غير مستقرة تتحرك على طول نهر الراين والدانوب،مشكلة أخطارا جمة على الإمبراطورية الرومانية، خلال القرن الرابع والخامس الميلاديين.

يتألف إقليم تركستان من منطقتين جغرافيتين هامتين من الناحية الطبيعية والبشرية، لعبتا دورا بارزا خلال مختلف العصورالتاريخية،وهما منطقة تركستان الغربية[2] وتركستان الشرقية[3]،ورغم قساوة المنطقة من الناحية المناخية والتضارسية إلا أنها تتمتع بأهمية تاريخية وحضارية،تعاقبت عليها مختلف الحضارات والشعوب والثقافات.

---

[1]- نظرا لموقعها الجغرافي البعيد عن المؤثرات البحرية،وكثرة الجبال المحيطة بها،فان المنطقة غلب عليها خاصة المناخ القاري،الذي يمتاز بشتاء طويل قليل الأمطار،وشديد البرودة تصل فيه الحرارة أحيانا إلى مادون 58 درجة تحت الصفر،وصيف قصير حار وجاف تصل الحرارة فيه اثر من 60درجة،،مما جعل النبات فيها قليل، ماعدا في بعض البراري وعلى ضفاف الأنهار،لذلك إعتمدت الشعوب في تلك المنطقة خاصة على حياة التنقل والترحال وممارسة حرفة الرعي في البراري والصيد. على ضفاف الأنهار و الغابات.

[2]- تركستان الغربية هي المنطقة الجغرافية المحصورة بين بحر قزوين وجبال تيان شان ومن بين أقاليمها المشهورة بلاد ما وراء النهر،يجري في المنطقة نهران عظيمان هما نهرا سيحون و جيحون،تتميز المنطقة بوفرة المياه،وكثرة البساتين وقد ذكرها الكثير من الرحالة والجغرافيين ومن أشهر مدنها بخارا وسمرقند وومرووخجند وغيرها ،أما في الوقت الحالي فهي تشكل مجموعة الجمهوريات التى إستقلت عن الإتحاد السوفياتى بعد سقوط المعسكر الشيوعي نهاية الحرب الباردة.

[3]- تركستان الشرقية،تعرف حاليا بتركستان الصينية،تمتد من حدود تركستان الغربية شرقا إلى هضبة التبت غربا،تتميز بيئة قاسية، جافة،شديدة البرودة،غالبية سكانها من الأتراك الإيغور،انظر:

أبي بكر محمد بن جعفر النرشخي،**تاريخ بخارا**،تحقيق وتعليق أمين عبد المجيد بدوي وآخرون،ط3،دار الكتاب المعارف،ب د ت،هامش،ص،19

شكلت منطقة تركستان الغربية أهمية إستراتجية عبر كل فترات التاريخ،إذ ظلت لقرون طويلة معبرا هاما للثقافات وجسرا تم من خلاله تلاقي مختلف الحضارات وطريقا تجاريا حيويا خاصة وأنه حلقة وصل هامة بين قارة أوربا وآسيا،فعبره إنتقلت التوابل والورق من أقصى آسيا إلى وسطها وغربها،لتنتقل إلى أوربا[1]،كما شهدت إنتقال الديانات شرقا وغربا،فعبر هذا الطريق عرفت الصين وبعض القبائل المغولية تسرب بعض المعتقدات المسيحية،خاصة المسيحية النسطورية[2]،كما إنتشرت قبل ذلك مختلف العقائد الوثنية القادمة من الصين،وعبر هذا الطريق إنتقل الإسلام إلى الصين،أما من حيث التكوين الطبيعي والخصائص المناخية والنباتية،فقد ذكرت المنطقة في معظم كتابات الرحالة خاصة المسلمين منهم،إذ كثيرا ما وجدنا في مؤلفاتهم تفصيلا للمنطقة،فهي عندهم منطقة خصبة الأراضي،كثيرة البحيرات،نقية الهواء،تنتشر بها البساتين،وتتميز بمناظر طبيعية جذابة،يجري بها في الجزء الغربي نهران عظيمان،هما نهرا جيحون وسيحون.[3]

ينبع نهر سيجون من جبال بامير ويجري إلى الحدود الفاصلة بين أفغانستان وطاجكستان،يقطع النهر من منبعه إلى مصبه مسافة 2540كيلومتر،منها 1124كيلومتر في الأراضي الأفغانية،ومن المد العرفة التي تقع على نهر جيحون في الجانب الأفغاني مدينتا شيرخان وحيرنان وهما حلقة الوصل بين أفغانستان وجمهوريات آسيا الوسطى،يشكل في نهاية مجراه الحد الفاصل بين صحراءقيزيل قوم في الشرق وقراقورم في الغربأطلق عليه اليونانين إسم أكسس،ويعرف أيضا بنهر أموداريا[4].

[1]- يعرفه المؤرخون بطريق الحرير أو طريق ماركو بولوالرحالة الإيطالي الشهير،لعب هذا الطريق دورا حيويا في مختلف المبادلات التجارية والحضارية خلال العصور الوسطى،كما عد معبرا هاما لنقل السلاح بين الصين والإتحاد السوفياتي خلال الحرب العالمية الثانية 1939م،1945م.

[2]- طائفة من النصارى ينتمون إلى نسطور بطريق القسطنطينية إستوطنوا تركستان وعملوا على نشر المسيحية،أنظر:

محمد صالح دواد القزاز،**الحياة السياسيه في العراق في عهد السيطرة المغولية**،مطبعة القضاء،النجف،1970ً،ص،62..

[3]- من المصادر الجغرافية التي عرفت بالمنطقة ،موقعها وخصائصها التضاريسية والطبيعية،نجد إبن حوقل في كتابه صورة الأرض،والمقدسي في كتابه أحسن التقاسيم،للمزيد حول المنطقة أنظر:

-أبي القاسم بن حوقل ،**صورة الأرض**،د ط،دار مكتبة الحياة،بيروت لبنان،1992م،ص،198.

شمس الدين أبي عبد الله المقدسي،**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**،ط2،مطبعة بريل،ليدن،1909م،ص،.332

[4]- محمد المحمدي النورستاني،**ما وراء النهر** ،مجلة الوعي الإسلامي،العدد،1434،570هـ،2012م،ص،92.

أما نهر سيحون فينبع من مرتفعات بامير الشمالية على إمتداد يصل إلى 2700كيلو متر،عموده الرئيسي هو نهر قرداريا،ثم يتصل برافد آخر هو نهر خيلام[1]،مارا بعدة مدن مثل إيلاق،إشروسه،والشاش،وفي هذه المنطقة يعرف بنهر الشاش،يطلق عليه البعض إسم سيرداريا.

تعاقبت على إقليم تركستان دولا متعددة ساهمت بثقافتها وحضارتها في التأثير على المنطقة في مختلف المجالات خاصة الثقافية منها،ولعل أشهر الدول التي قامت في المنطقة دولة القرخطائيون[2]،وهي تلك الدولة التي أسستها القبائل التركية التي زحفت إلى المنطقة في القرن السادس الهجري،الثالث عشر الميلادي،دلت الأبحاث الأثرية والرحلات العلمية الألمانية التي نشطت في المنطقة بين 1907م،1940م،من خلال مختلف الحفريات،أن هؤلاء الأقوام كانوا بارعين في مختلف الفنون،والصناعات المختلفة،وهم من نقل إلى المنطقة مختلف الفنون الصينية،التي عرفت إزدهارا وإنتشارا واسعا خاصة فنا التصوير والزخرفة[3].

من هنا لانستغرب مدى إنتشار هذه الفنون في العصور اللاحقة خاصة القرنيين الثامن والتاسع الهجريين ،الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين،إذ ظهرت تأثيرات الفنون الصينية بشكل بارز خاصة في عهد التيموريين الذين تأثروا بالفنون الصينية،خاصة في التصوير وصناعة الخزف، وكان لهم دور كبير

---

[1]- يعرف الأن في جمهورية قيرغيرستان بنهر نارين، أنظر:
النورستاني **مقال سابق**،ص،93.

[2]- ينتمى هؤلاء إلى طائفة الأتراك"خليط من المغول والتانجوت"،الذين أسسو دولة في منتصف القرن السادس الهحري،الثاني عشر الميلادي،وكانت دولتهم تتو سط الدولة الخوارزمية الواقعة غربا وسكان قبائل المغول الجهة الشرقية،ورد إسمهم في المراجع الصينية منذ القرن الرابع الميلادي،في بداية القرن الرابع الهجري،العاشر الميلادي ظهر بينهم زعيم "تاى سو"الذي أعلن نفسه إمبراطورا على تلك القبائل،ثم جاء بعده "لياوو،وقد إستمر حكمهم من 304هـ،519هـ،916م،1125م،،هاجروا إلى إقليم تركستان في القرن السادس الهجري،الثاني عشر الميلادي،نتيجة الإضطرابات والسياسة المتبعة في النطقة ،وقد إصطدموا مع الدولة الخوارزمية في تلك المناطق،كان لهمدور كبير في نقل التراث الصينى إلى العالم الإسلامي خاصة في بلاد ما وراء النهر،أنظر :.
الصياد،المغول في التاريخ،ص،24.

[3]- زكي محمد حسن،**الفنون الاسلامية**.،مؤسسة هنداوي،2013م،ص،27.

في نقلها إلى العالم الإسلامي،إصطدم القرخطائيون بالدولة الخوارزمية التي كانت تمثل أكبر قوة في المنطقة ،فكانت نهايتهم على يد السلطان الخوارزمي علاء الدين خوارزم شاه[1].

مرت على هذا الإقليم الكثير من الدويلات الإسلامية[2] ،كان أبرزها عشية الغزو المغولي الدولة الخوارزمية،ورغم النجاحات العسكرية التي حققها الخوارزمين وعلى رأسها أبعاد خطر الخطأ ،إلا أن المشاكل الداخلية التي واجهتها الدولة شتتت قوتها،وكان من أبرز تلك المشاكل،أن وجد السلطان علاء الدين تكش ،يواجه إبن أخيه سلطان شاه على عرش البلاد،وأن هذا الأخير كان يلجأ إلى طلب العون من الأتراك الخطا والغوريين[3] بين الحين والآخر،كما وجد نفسه مجبرا على مواجهة سلاجقة العراق وخاصة السلطان محمد ثم إبنه محمود،إضافة إلى مواجهة الباطنية وقبائل الخطا المتمردة بين الحين والآخر.

[1]- سقوط الدولة الخوارزمية بعد آن عجز السلطان علاء الدين خوارز شاه عن مقاومة المغول،كما أن إبنه جلال الدين منكبرتي ورغم الشجاعة التي آبداها في مقاومة المغول إلا أنه لم يفلح في ذلك.

[2]- ثبت الإسلام في المنطقة على أيدى الأمويين خاصة بعد النجاحات العسكرية التي حققها قتيبة بن مسلم الباهلي،وقد تعاقبت على المنطقة العديد من الدويلات الإسلامية ،الطاهرية والصفارية والسامانية والغزنوية ودولة السلاجقة والدولة الخوارزمية،وهذه الآخيرة هي التي عاصرت الغزو المغولي الذي قاده جنكيزخان.

[3]- عفاف صبرة،نجوى كيرة،**تاريخ الدويلات المستقلة في المشرق الإسلامي دراسة سياسية حضارية**،ط1،زهراء الشرق،2009،ص،109.

رغم كل هذه الأخطار المحدقة إلا أن علاء الدين تكش نجح في المحافظة على وحدة دولته الناشئة حتى وفاته سنة 596هـ،1199م،تولى إدارة الدولة بعده إبنه علاء الدين محمد،الذي لقب بلقب أبيه،وقد حكم ما يزيد عن إحدى وعشرين سنة[1].

ورغم حالة الرخاء التي نعمت بها الدولة الخوارزمية نسبيا،إلا أن الآمر سرعان ما تغير بسبب التغيرات السياسية والعسكرية التي عرفتها المنطقة،خاصة مع ظهور خطر المغول،ودورهم الحاسم في قلب موازين القوى فيما بعد.

واجه السلطان الخوارزمي خصوم كثر ومنهم الغوريين[2] ودولة الأتراك الخطأ والخلافة العباسية، وربما أن طموحه هو الذي زاد من كثرة أعدائه،إذ وصف المؤرخون السلطان بأنه كان ميالا للسلطة والسيطرة و راغبا في إضافة الأملاك وتأسيس إمبراطورية واسعة على حساب القوى الإسلامية وغير الإسلامية،إلا أن هذا الطموح لم يتحقق لسببين على الأقل،الأول يتمثل في ظهور قوة جديدة منازعة في المنطقة وهي قوة المغول،أما السبب الثاني دخوله غير المبرر في حالة عداء مع الخلافة العباسية[3].

---

[1]- حكم السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه بين سنة 596هـ،617هـ،1190م،1220م،قاد الحرب ضد جيوش المغول الزاحفة نحو البلاد الإسلامية بقيادة جنكيزخان ،إلا أنه لم يفلح في ذلك،حيث أرسل جنكيز خان فرقة خاصة لمطاردته تعرف بفرقة التتر المغرية لأنها سارت غرب خراسان،حيث قال لجنوده أطلبوا رأس خوارزم شاه ولو تعلق بالسماء،يذكر إبن الحديد المائني أن الفرقة كان يقودها جرماغون نسيب جنكيزخان،في حين أن محقق كتاب سيرة =السلطان جلال الدين منكبرتي نقلا عن دوسون صاحب كتاب تاريخ المغول،يذكر في الهامش ص 102،أن هذه الفرقة العسكرية قادها القائدين الشهريين جبي وسوبتاي،أنظر:

إبن أبي الحديد المدائني **حملات الغزو المغولي كما عاشها589هـ 656هـ،1190م،1258م**،دار لامارتون،1995م،ص،36.

-محمد بن أحمد النسوي،**سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي**،تح،حافظ أحمد حمدي،دار الفكرالعربي،1953مً،102.

[2]- تقع بلاد الغور حاليا في أفغانستان بين هراة وغزنة،أتخذ الغوريون من منطقة فيروز كوه عاصمة لهم،وكان الغوريون لا يدينون بالإسلام حتى غزاهم السلطان محمود الغزنوي سنة 401هـ،1010م،كما إمتدت دولتهم الى بلاد الهندناستطاع الغوريون تبيت أدامهم على أملاك الغزنويين في عهد علاء الدين الحسين بن الحسين،دخل الغوريون في ص إنتهى بسقوط صراع شديد مع الخوارزمية إنتهى بسقوط عاصمتهم فيروز كوه سنة 609هـ.انظر:

عصام دعبد الرؤوف ،**بلاد الهند في العصر الإسلامي**،دط،دار الفكر،2000القاهرة،م،ص،34.

سعد بن حذيفة الغامدي،**اوضاع الدول الاسلامية في الشرق الاسلامي**، ج1،مؤسسة الرسالة ،الرياض،1981م،

[3]- أحمد حمدى حافظ،،**الدولة الخوارزمية والمغول غزو جنكيزخان للعالم الإسلامي وأثاره السياسية والدينية والإقتصادية والثقافية**،دط،دار الفكر العربي،القاهرة،2005م.

إعتبر السبب الأخير من بين الأخطاء الإستراتجية التي إرتكبها السلطان الخوارزمي في نظر المؤرخين،وأكثرها خطورة خاصة وأنه عزم على توجيه حملة عسكرية ضد الخلافة في بغداد وأعد لذلك ترتيبات كبيرة ثم إتجه صوب العراق العجمي[1]،تذكر بعض،المصادر و المراجع أن السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد،"سير أمامه من العساكر ما غصت به البيداء وضاقت برحبها عن ضمهاالفلا"[2].،وربما مثل هذا الكلام تعبير عن حجم الحشد الذي أعد للهجوم على الخلافة .

إضطرت الظروف المناخية السيئة السلطان للعودة وعدم تنفيذ هذه الحملة العسكرية،حتى إن البعض يقول أنه ندم على فعلته في حق الخليفة،وربما هذه الحادثة هي التي جعلت بعض المؤرخيين يتهمون الخليفة العباسي الناصر بتحريض المغول ضد الخوارزميين،وخاصة ضد السلطان علاء الدين خوارزم شاه.

من المؤرخين الذين أيدو رواية تحريض الخليفة العباسي للمغول،المؤرخ إبن الفرات المتوفي في سنة 807ه،1405م، في كتابه تاريخ الدول والملوك[3]،كما أيد هذا الرأي المؤرخ الفارسي مير خواند الذي عاش بعد إبن الفرات بأكثر من قرن،وفسر طريقة إتصال الخليفة العباسي بالمغول بواسطة رسول حلق رأسه وكتبت عليه الرسالة ثم أرسل بعد ما نما شعره[4]،كما لقيت الرواية تأييدا آخر من خلال ما كتبه المقريزي،بقوله:"وفي خلافته "الناصر" خرب التتر بلاد المشرق حتى وصلوا إلى

---

[1]-العراق العجمي،يقصد به المنطقة الجغرافية التي تشمل الآراضى الواقعة شرق عراق العجم،وتعرف باقليم الجبال،يفصل بين العراق العربي والعجمى منطقة جبال زاغروس.

[2]- عفاف صبرة،نجوى كيرة ،**مرجع سابق**،ص،186،ذكرت المؤلفتان ان المقولة تم نقلها من كتاب النسوي سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي من الصفحة 72و73،الإإنه خلال عودتي الى الصفحتين لم أجد تلك المقولة ،مع العلم أني إعتمدت على نفس النسخة التى إعتمدتا عليها المؤلفتان.

[3]- عفاف صبرة ،نجوى كيرة ،**مرجع سابق**،ص،186.

[4]- محمد صالح القزاز،**مرجع سابق**،ص28.

همذان[1]،وكان هو السبب في ذلك،فإنه كتب إليهم بالعبور إلى البلاد خوفا من السلطان علاء الدين خوارزم شاه بالإستيلاء على بغداد،وأن يجعلها دار ملكه كما كانت السلجوقية[2].

رغم تباين الروايات عند المؤرخين القدامى والمؤرخين المحدثين وحتى عند بعض المؤرخ خين الاوربين حول القضية إلا أن ماهو مؤكد أن المغول اجهزوا بشكل سريع على أملاك الدولة الخوارزمية.

إن الهدف من هذا العرض الموجز لمعظم التحولات التي عرفتها منطقة تركستان عشية ظهور المغول،إنما يهدف إلى فهم معظم التحولات الإجتماعية والسياسية والعسكرية والحضارية التى رافقت المنطقة طوال القرن السابع الهجري،الثالث عشر الميلادى،خاصة وأن الجزء الأكبر من المنطقة كان من نصيب الجغطائيين عند تقسيم أملاك الإمبراطورية الجنكيزخانية،كما أن المنطقة ذاتها عرفت مختلف التحولات والتفاعلات السياسية خلال القرن الثامن الهجري،الرابع عشر الميلادي،والتى كان من نتائجها ظهور الموجة المغولية الثانية خلال العصور الوسطى،بقيادة تيمورلنك وخلفاءه.

2-إنتشارالاسلام بين المغول

نتج عن الزحف المغولي للبلاد الإسلامية سواءا في عهد جنكيزخان أو خلفاءه من بعده نتائج متعددة،كان أبرزها إصابة العالم الاسلامي بالفزع والشلل نتيجة الكم الهائل في الخسائر أملاكا وأرواحا ،حتى أن أقلام المؤرخيين ذكرت ذلك بكثير من الأسى والألم ولعل أبلغ وصف لهول ما حدث ما كتبه أشهر مؤرخي تلك الفترة،وهو عزالدين بن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ[3].

[1]- نقلا عن عفاف صبرة ،نجوى كيرة ،**مرجع سابق**،ص،178

[2]- كثير من المؤرخيين الذين ايدو الرواية التى تتهم الخليفة الناصر بتحريض المغول ضد الخوارزميين،مثل ابن الفرات ،مير خواند،أبو الفدا ،المقريزي،ومن المؤرخيين المحدثين الذين أيدوا هذا الطرح،حافظ حمدى فى كتابه الدولة الخوارزمية والمغول،ونجدأن المؤخ القزاز نحا منحى اخر في هذا الامر،اما المؤرخيين الاوربيين ومنهم دسون،وهوراث،وهارولد لام،وبراون،أيدو الرواية التى تتهم الخليفة الناصر بتحريض المغول،ولكن في راينا السلطان الخوارزمي ارتكب من الاخطاء ما يعطى للمغول الفرصة للهجوم عليه، وهو راى ذهب اليه الكثير من المؤرخين الذين عاصروا تلك الفترة،ومنهم النسوى،صاحب كتاب سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى،خاصة في كيفية تعامله مع قضية التجار التى اشعلت الصراع بينه وبين المغول،وهو رآى أميل اليه.

[3]- إبن الآثير،**الكامل في التاريخ**،،ص،333.

إذا عدنا الى تحليل نتائج الغزو المغولي على العالم الاسلامي،فإننا نقف عند نتائج متعددة ،لعل أبرزها قيام إمبراطورية مغولية مترامية الأطراف شملت إجراء واسعة من العالم الإسلامي،أما النتيجة الثانية فهي حجم الخراب والدمار الذي لحق بالبلاد الإسلامية ،إذ أن الكثير منها صار حطاما وركاما على ذكره الكثير من المؤرخين[1]،نعلى أن أهم نتيجة تعنيينا في كل هذا،هوذلك الصراع الدينى الذي ظهر في البلاط المغولي،سواءا في العاصمة قراقورم أو فيما بعد في الممالك المغولية التي قامت وفق ما أقره جنكيزخان كما أشرنا في ثنايا هذا العمل.

لفهم طبيعة هذا الصراع لابد من العودة ولو بشكل سريع لفهم طبيعة المعتقد المغولي وماهي طبيعة التحولات التي طرأت عليه فيما بعد،يشير الكثير من المؤرخين أن المعتقد الأول للمغول هو الديانة الشامانية[2].

وهي ديانة وثنية،إعتمدت على عبادة الكواكب والأصنام وأرواح الأجداد القدامى،وظلت

الشامانية المعتقد الأول للمغول،وقد سادت الديانة الشامانية كديانة بدائية بين مجموعات مختلفة من القبائل المغولية،وكان إنتشارها واسعا عند قبيلة قيات ،وهي القبيلة التي ينتمى إليها جنكيزخان،وأيضا عند قبلية أويرات.

كما إنتشرت بعض الديانات الأخري بينهم كالمسيحية،فقبيلتا الكرايت والنايمان واللتنان تعدان من أشهر القبائل المغولية ،كانتا على المسيحية النسطورية،إذ يذكر المؤرخين أنهم إعتنقوا المسيحية منذ سنة 438هـ،1008م[3]،في حين أن البعض من القبائل المغولية بقي متأثرة بالبوذية ،وتعتقد بتعاليمها خاصة عند القبائل المغولية التي كانت تجاور الصين.

[1]- أفاض الكثير من المؤرخين المسلمين وغيرهم في الإشارة إلى حجم الخراب الذي لحق بالبلاد الإسلامية،خاصة في بخارى وسمرقند وبعدهما بغداد وغيرها .

[2]- توماس أرنولد،**الدعوة إلى الإسلام**،تر،إبراهيم حسن وأخرون،ط1،مكتبة النهضة العربية،1970م،ص،251.،وانظر ايضا: الرمزي،مصدر سابق،ص،333

الصياد، **المغول في التاريخ**.،ص335.،بارتولد،تركستان،ص،554.

[3]- عبد السلام عبد العزيز فهمي،**تاريخ الدولة المغولية في إيران**،د ط،دار المعارف،1981م،ص،132.

أما فيما يخص موقف جنكيزخان،من إتباع الديانات الأخري سواء كان ذلك بين قبائل المغول،أو الجماعات الوافدة إلى بلاد المغول،أوالمناطق التى خضعت لهم،فإن المصادر الاسلامية والمغولية وكتب الرحلات الأوربية،تشير كلها إلى أن جنكيزخان وقف موقفا محايدا،ولم يقدم ديانة على أخرى،فلم يتأثر بديانة قبيلته الشامانية،أو ديانة زوجته المسيحية،لذلك يشير بعض الكتاب الأوربيين مثل مورغن وساوندوز بالقول:" أن المسيحيين والمسلمين واليهود والبوذيين علاوة على الشامانيين،قد تمتعوا بحريتهم الدينية،وإقامة معابدهم وشعائرهم دون ضغط أو ملاحقة"[1].

يستنتج مما تم ذكره أن جنكيزخان إعتمد مبدأ التوزان بين مختلف الديانات السائدة داخل الإمبراطوريةالمغولية،وكان مستشاريه من مختلف الديانات يحضون بنفس المعاملة[2]،ويعتقد الكثير من الدارسين أنها أحد أسباب نجاح سياسة جنكيزخان في إدارة الدولة.

إن هذه الساسية المنتهجة كانت من بين العوامل الأساسية التي ساهمت في إستقرار نظام الحكم وتحقيق مختلف النجاحات العسكرية في ظل الإمتيازات الممنوحة إلى كل الأطراف دون تمييز.

بعد وفاة جنكيز خان لم يبق الأمر على حاله و يعود ذلك إلى مجموعة المتغيرات التى حدثت في البيت المغولي،ومنها إنقسام الإمبراطرية المغولية إلى مجموعة من الإيلخانات تسيرتقريبا بشكل منفصل عن السلطة المركزية في قراقورم،ودخول بعض العناصر المغولية إلى الإسلام[3]،وزيادة الأطماع المسيحية في إستعطاف المغول وبذل كل الجهود للتقرب منهم.

أسهمت هذه المتغيرات علي زيادة الصراع الديني بين مختلف الديانات المنتشرة بين المغول،وكان أكثرها خاصة الصراع بين المسيحية والإسلام،وبين الإسلام وبعض الديانات الوثنية،يبدو أن شعور أوربا بالخطر المغولي من خلال النجاحات العسكرية التي حققتها الجيوش المغولية الزاحفة بشكل سريع

1-morgan.david .**the mongol**.oxford1986p.232.

Saundens.j.the **history of the mogol conquets**.london.1971.p 68

2- من بين مستشارى جنكيزخان المسلمين محمود يلواج وإبنه مسعود،وقد لعبا دورا هاما في مساعدة المسلمين.

3- تذكر المصادر التاريخية ومنها الرمزى وغيره، أن أول من أسلم من المغول هو بركة خان حفيد جنكيزخان من إبنه الآكبر جوجى،أنظر:

الرمزى،**مصدرسابق**، ج2،ص،26.

وقوي على مناطق واسعة من القارة الأوربية[1]،هو الذي دفع الأوربيين ،وخاصة منهم رجال الدين على بذل كل طاقتهم،في إيجاد أيسر الطرق التي تمكنهم من وقف الزحف المغولي،وكان إستغلال المسيحية كإستراتجية أولى لتحقيق تلك الأهداف.

لما توفي أوكتاي في سنة، 639هـ ،1241م،تولي عرش المغول أرملته توركينا خاتون،وهي إمرأة عرفت بالذكاء والنشاط والمهارة،إذ عملت كل ما في وسعها،لتجعل من إبنها كيوك خانا أكبر للمغول، الذي كان يقاتل في روسيا ،و إنتهزت أمه الفرصة لتطول فترة الوصاية،التي ساعدتها في التخلص من كثير من مستشاري أوكتاي،بعد منازعة إبنها من طرف إبن عمه باتو،وعمه تيموجي، وإمتدت فترة حكم كيوك من 1248،1246م.

حضر إنعقاد مجلس القوريلتاي الذي نصب فيه كيوك خانا أكبر للمغول،الكثير من المدعويين ، ولم يغب عن هذا اللقاء سوى باتو الذي إعتذر بالمرض،وما يهمنا في هذا المجلس ما أورده الراهب جان بلان كاربيني الذي حضر إلى بلاط المغول مبعوثا من طرف البابا أنوسست الرابع وكان ذلك سنة643هـ،1245م قاطعا روسيا وبراري أسيا الوسطى[2]،وحضر تنصيب الخان الأكبر الجديد،ورغم أنه إستقبل مبعوث البابا بالترحاب وبما يليق به ،غير أنه لم يلب دعوته في إعتناق المسيحية، والأكثر من هذا أنه طلب من البابا وسائر أمراء الغرب أن يقدموا له الولاء والطاعة،ورغم خيبة الأمل إلا أن البابا أنوسست الرابع ظل متمسكا بخيط الأمل في دفع المغول الى إعتناق المسيحية[3]. لم ييأس الغرب

---

[1]- إستطاعت الجيوش المغولية التي قادها باتو وسوبتاي أن تحقق نجاحات عسكرية كبري أنتهت بعض إلى إسقاط المجر لمتي أبدي ملكها بيلا الرابع مقاومة شرسة،إلا أنه لم ينجح أمام قوات سوبتاي،الذي أحرق الكثير من المدن،وفر بيلا الرابع إلى ساحل بحر الأدرياتيك،كما سقطت مدن أخرى بعد أن إجتاز باتو نهر الدانوب في 25ديسمبر 1241م،ولم ينقذ أوربا إلا موت الخان الأكبر أوكتاي في هذه السنة.،وكان حظ أوربا كبير إذا أنها نجت للمرة الثانية من الغزو المغولى الذي كاد أن يسقطها،فأنقذها في المرة الأولى موت جنكيزخان ،وفي الثانية موت الخاقان الأعظم أوكتاى.

[2]- الباز العريني ،**مرجع سابق**،ص..،189.

[3]- نقسه،ص،196.

المسيحي من محاولاته المتكررة لدفع المغول إلى إعتناق المسيحية،فالملك لويس التاسع[1]،أرسل إلى البلاط المغولي راهبا فرنسيا ليقوم بمحاولة جديدة،وهووليم روربروك ،رفقة راهب أخر وهو بارثيلمو الكريموني ، و إستقبل في البلاط المغولي،ورغم أن منكوخان الذي حكم من،649هـ، 657هـ/1251م،1259م، أبدي حقدا ضد الدول الإسلامية ،خاصة في دفع أخيه هولاكو نحو الخلافة العباسية إلا أنه عامل المستشارين على إختلاف دياناتهم بنفس المعاملة[2].

كان من نتائج ذلك الحماس الكبير الذي أبداه منكو خان أن دفع أخيه هولاكو نحو عاصمة الخلافة من أجل إسقاطها،ولم يكبح هذا الطموح إلا المعارضة الشديدة التي أبداها بركة خان في دفع أخيه باتو كي يضغط على الخان الأكبر،ويجبره على عدم تنفيذ خطته، وربما الدور الذي لعبه باتو في نقل الخانية العظمي من بيت أوكتاي إلى بيت تولي هو الذي جعل منكو خان يلبي رغبة إبن عمه،كما أن باتو خان كان يحظى بمكانة كبرى في العائلة[3]. الجنكيزخانية،ويحظى بنفس المكانة التي يحظى بها الخان الأكبر في قرقورام على ما يذكر الراهب وليم روبروك الذي حظى بإستقبال باتو خان[4] ،ويبو أن باتو خان نجح في تأخير الحملة على الخلافة العباسية مؤقتا،لأنه بوفاته عام653هـ 1255م ، زاد إصرار هولاكو على تنفيذ مشروعه ، في ظل الدعم المتواصل من أخيه ، و التحريض

[1]- لويس التاسع 1226م،1270م،إبن ملك فرنسا لويس الثامن،أما أمه فهي بلونش،إبنة الفونسو التاسع ملك قشتالة ،تولت الوصاية على إبنها عند سن الثانية عشر،رغم جمالها الفائق إلا أنها رفضت الزواج،وسعت إلى توطيد حكم إبنها،يقال عنها زوجة الملك،وإبنة الملك وأم الملك،كان لويس التاسع من أشد أعداء المسلمين،ظل ساعيا للتقرب من المغول وطائفة الإسماعيلية الشيعية،أنظر:

jackson.peter.**the.mission of william RubRuk**.london.1990

[2] -ROUBrouk.wi.voyag dans l.**empire mongol**.ed.payot.paris.1985.p.p.20.211.

[3]- الباز العريني،**المغول**،ص،195.

[4] -Roubrouk.wi.op.cit.p.126

-الصياد ،**المغول في التاريخ**،ج،1ص،231.

المتواصل الذي قام به مسيحيو أوربا ضد المسلمين[1].

لكن يجنب التنبيه إلى نقطة جوهرية تتمثل في نجاح،ملك أرمينبا الصغري هيثوم الأول[2]،في عقد تحالف مع المغول،بعد أن نجح أخيه سمباد في سفريته إلى قراقورم سنة،645ه 1247،وعاد منها سنة،648ه، 1250م،إذ حصل على براءة تضمن له وحدة مملكته،ووعد ببذل المساعدة على استرجاع ما إستولى عليه السلاجقة من حصون،ولم يتردد هيثوم الأول في زيارة منكو خان في قراقورم سنة651ه، 1253م،ويعتبر هذا الأخير أول زائر يقدم على قراقورم دون دعوة.

جرت العادة أن أغلب زائري قراقورم إما أتباعا للخان أوممثلين للملوك،وفي أثناء عودة هيثوم إلى أرمينيا سنة،652ه ،1254م،بعد أن غمره الخان الأكبر بالهدايا والوعود،وفي أثناء عودته إلى بلاده مارا بإقليم تركستان نزل ضيفا على هولاكو في فارس الذي أحسن وفادته[1]،ومن هنا نجد أثر هذه الزيارة لاحقا خاصة أن بلاط هولاكو صار يعج بالمستشارين الأرمن والكرج المتنفذين.

لم يفقد الاوربيين الأمل في محاولة جلب المغول وإستعطافهم، من خلال كثرة الرحلات نحو قراقورم تحت مبارات عدة،ومن هنا يمكن ذكرالرحلة التي قام بها الرحالة الإيطالي الشهير ماركو بولو[3]

---

[1]- ظل الأرمن عبر محطات الصراع بين المسلمين والصليبين أكثر العناصر حقدا وتحريضا ضد المسلمين،إستطاع ملكهم هيثوم الأول أن يعقد تحالفات واسعة مع عدد كبير من أمراء الفرنج،من خلال مجموعة من المصاهرات،فتزوج ملك قبرص أخت هيثوم الأميرة ستيفانى،أما ماريا تزوجت يوحنا ابلين كونت يافا،كما أن بناته تزوجن أمراء من اللاتين،فتزوجت سبيل ،بوهيمند السادس أمير انطاكية،وتزوجت ماريا إبن بلدوين صنجيل قبرص.

[2]- الباز العريني،**مرجع سابق**،249.

[3]- تاجر ورحالة ايطالي عاش بين1254 م،1324م،ذاعت شهرته بسب الرحلة التي قام بها الى أواسط أسيا،ولد في إيطاليا من أب إيطالي سنة1254م،وخلال رحلته إلى قراقورم،وعين كأحد مستشاري الخان،وعاد إلى إيطاليا بكثير من الهدايا،إلا أنه وفي طريق عودته ألقى عليه القبض من طرف الجيش الجنوى،وفي سنة 1299م بعد السلام أطلق صراحه،ألف كتابا شهيرا ضمنه خلاصة رحلاته ومنها رحلته الطويلة لبلاد المغول أنظر:

فرنسيس قرد،**ماركو بولو هل وصل إلى الصين**،تر،فاضل جنكز،ط1، دمشق،دت،ص،22.

إلى بلاط قوبيلاى خان[1] ،ورغم الحفاوة التي إستقبل بها إلا أنه لم يحقق ما كان يصبو إليه،رغم أن قوبيلاي خان كان تحت تأثير أمه المسيحية إلا أنه ظل محافظا على معتقده البوذي،وإتبع سياسة دينية شبيهة لجده جنكيزخان.

إنتهج قوبيلاى خان مبدأ التوزان بيت الديانات داخل البلاط المغولي،ينقل مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين أن قوبيلاي خان،"عمل على إعفاء المسلمين والنصارى والبوذيين من الخراج"[2].

يظهر أن هذه السياسة كان الهدف منها إحداث توازن جديد بين الديانات خاصة وأن عهد سلفه منكو خان عرف إنحيازا واضحا للمسيحية،وفي عهده حقق المسيحين نصرا كبيرا تمثل في إسقاط الخلافة العباسية عام 656هـ،1258م،وقد الحق فيها الكثير من الأذى بالمسلمين.

في عهد قوبيلاى خان صارت الممالك المغولية تسير وكأنها دول منفصلة عن الدولة المركزية، وفك تقريبا الإرتباط مع العاصمة قراقورم إلا في القضايا الجوهرية الحاسمة، و ربما هذه الإستقلالية هي التي ساهمت في حدة الصراع بين مختلف الديانات ،خاصة بين المسيحيين والمسلمين بدرجة أكبر،إذ أن النصارى بذلوا كل جهدهم من أجل دفع المغول نحو ذلك الأمر،خاصة بعد أن وجدو عيونا لهم داخل البلاط المغولي ،من خلال بعض النساء اللواتي إعتنقن المسيحية، يضاف إلى هذا فإن البعثات التبشرية التي تغلغلت داخل نسيج القبائل المغولية الوثنية،نجحت في تنصير الكثير من العناصر،إضافة إلى بعض القادة العسكريين و بعض النساء المتنفذات داخل البلاط المغولي[3].

كان من نتائج هذا العمل أن نجح النصارى في إيجاد حليف قوى يساعدهم في إسترجاع الأملاك المقدسة في فلسطين،لذلك بذل البعض منهم كل ما في وسعهم من أجل تقوية التحالف الصليبي المغولي الذى ظهر دوره واضحا خلال سقوط بغداد وأن هزيمة الصليبيين في حطين[4]لازالت

[1]- قوبيلاي خان،حفيد جنكيزخان من إبنه تولى حكم من 1259م،1294م،سقطت في عهده اسرة سونج الصينية،أنظر:
=فؤاد عبد المعطى الصياد،**المغول في التاريخ**،ج1،ص،218.

[2]- رشيد الدين ،**مصدر سابق**،ص،11.

[3]- الباز العريني،**المغول**،ص،246.-

[4]-هي تلك المعركة الشهيرة في التاريخ الإسلامي والتي جرت سنة583هـ،1197م،وكان من نتائجها إنتصار صلاح الدين الأيوبي على الصليبين المتحالفين ،وتم خلالها إسترجاع بيت المقدس.

تلقى بأثارها النفسية والعسكرية عند النصاري خاصة منهم المتعصبين،لذلك بذل البعض منهم كل ما في وسعهم من أجل تقوية التحالف الصليبي المغولي الذى ظهر دوره واضحا خلاالإعداد الحملة العسكرية على الخلافة العباسية و سقوط بغداد.

حاولنا تفسير عملية تحول المغول عن معتقداتهم القديمة وخاصة الشامانية منها ،فإنه يجدر بنا الوقوف عند مجموعة من الأسباب العامة ،على أن نعود في ثنايا هذا البحث إلى الأسباب الخاصة بكل مملكة مغولية،أو كل الخانية كما إتفق عليه معظم المؤرخين،من بين هذه الأسباب تأثير بعض الزوجات والأمهات ،فالخان الأكبر وأخيه هولاكو كان تحت تأثير والدتها التي تنتمي إلى قبيلة الكرايت التي تعد من بين أول القبائل المغولية التي إعتنقت المسيحية وكانت والدتهما متأثرة جدا بتعاليم المسيحية النسطورية[1] .

أما زوجة هولاكو طقز خاتون[2]فكانت مسيحية متعصبة واقعة تحت تأثير مستشاريها الكرج والأرمن،الذين كانوا من أكثر النصارى حقدا على المسلمين وقد أشرنا سلفا إلى الدور الذي لعبه ملكهم هيثوم الأول في محاولة إستمالة المغول من خلال زيارته إلى قراقورم،في الطرف الأخر نجد إمرأة بارزة لعبت دورا حيويا في دفع مغول القبيلة الذهبية نحو الإسلام،وهي رسالة خوارزم شاه، أخت السلطان جلال الدين منكبرتي،كانت من سبايا الحرب،تزوجها جوجى خان ورغم أن زواجها من الناحية الشرعية يعتبر باطلا،إلا أنها لقيت الإحترام من أبناء جوجي خان ،خاصة إبنه الأكبر باتو خان،كما لعبت دورا حيويا فيدفع مغول القبيلة الذهبية نحو الإسلام،وهي رسالة خوارزم شاه، أخت السلطان جلال الدين منكبرتي،كانت من سبايا الحرب،تزوجها جوجى خان ورغم أن زواجها من الناحية الشرعية يعتبر باطلا،إلا أنها لقيت الإحترام من أبناء جوجي خان ،خاصة إبنه الأكبر باتو

[1]– التسطورية،طائفة من طوائف النصارى ينتسب أتباعها إلى نسطور بطريق كنسية القسطنطينية،إستوطنوا إقليم تركستان،ومن تلك المنطقة إنتشرت المسيحية في إيران والهند والصين،محمد صالح القزاز،مرجع سابق، ص،62.

[2]– يذكرها البعض بإسم دقوز خاتون،في حين يذكرها إبن كثير ظفر خاتون،المرأة القوية المتعصبة التي لعبت دورا هاما في مساعدة الصليبيين أنظر :

عماد الدين أبى الفدا اسماعيل،إبن كثير ،**البداية والنهاية**،ط1،ج17،دار هجر للطباعة والنشر،1419 هـ،1998م،ص،468.

خان،كما لعبت دورا حيويا في إعتناق الإبن الرابع لجوجى خان الإسلام،وكان بذلك بركة خان أول مغولي يعتنق الاسلام 650ه[1].

كان لدخول بركة خان الإسلام تأثير كبير في زيادة حدة الصراع بين العناصر المغولية وإستغل كل طرف من خلفائها الظرف، بإستعمال شتى الطرق في زيادة حدة الصراع،فإستغل الصليبيون الفرصة لدفع مغول إيران في معاداة أبناء عمومتهم،كما عمل المماليك من جهة أخرى على إيجاد كافة السبل في تحسين العلاقة خاصة مع مغول القبيلة الذهبية،وقد لعب بركة خان دورا مهما في تمتين الروابط الساسية والعسكرية مع المماليك[2]

أما السبب الأخير الذي كان من بين الأسباب التي أدت إلى تحول المغول،هو دورا بعض المسشتارين في البلاط المغولي،فعلى سبيل المثال يمكن أن نذكر دور ماركو بولو في بلاط قوبيلاى خان،كممثل للعالم المسيحي،وفي الطرف الأخر يوجد الوزير الايراني أحمد البنكاتي،الذي عرف بالسيد الأجل عمل على الدفاع عن مصالح المسلمين،وظل في بلاط قوبيلاي خان محسودا حتى من الأمراء المغول.

إنتهى الأمر بالمغول في نهاية الأمر إلى إعتناق الإسلام،ماعدا مغول الصين،وكان هذا التحول مهما في حياة الإسلام والمسلمين،والمغول على حد السواء.

[1]- الرمزى،**مصدرسابق**، ج2،ص،26.

[2]- ربط بركة خان ،خان القبيلة الذهبية علاقة قوية مع المماليك خاصة مع الظاهربيبرس حتى أنه دخل في صراع مع أبناء عمومته في تبريز،أنظر:

صبحى عبد المنعم محمد،**سياسة المغول الايلخانيين إتجاه المماليك في مصر والشام**،ط1،الاسكندرية،2000،ص10،وما بعدها.

2-1-إنتشار الإسلام في إيلخانية إيران

خضعت بلاد فارس لإدارة مزدوجة طيلة عشرين سنة،إدارة عسكرية في إيران وموقان،وإدارة مالية في خراسان والعراق العجمي[1]،إلا أن مجلس القوريلتى الذي إنعقد سنة 1251م،وهي نفس السنة التي نصب فيها منكو خان على رأس الخانية العظمى،قرر منكو خان أن يعهد بإدارة فارس إلى أخيه هولاكو،وقد بذل منكو خان من النصائح لأخيه ما أهله لإدارة المنطقة،صحيح أن هولاكو كان يتمتع بقدرات حربية كبرى إلا أنه كان يحتاج إلى نصائح سياسية قد تساعده في إدارة الدولة،وقد لخصت تلك النصائح فيمايلي:

ضرورة إستعمال القوة والشدة ضد كل من يعارض سياستك،وفي المقابل،عليك بالمعاملة الطيبة،وبذل مظاهر العطف لكل من أعلن الطاعة والولاء يمكن أن تلخص هذه السياسة كما يلي"كل من يعلن الخضوع والطاعة لأوامرك ،فليق منك المعاملة الطيبة،ولتغمره بكل مظاهر العطف،وكل من يعصى أوامرك،فلتشتد في إذلاله"[2].

وكان من المستفيدين من مثل هذا الخطاب،ملك أرمينيا[3] هيثوم الأول[4]،ومن جهة أخرى صهره بوهيمند السادس أميرأنطاكية،اللذين قبلا فيما سبق السيادة المغولية،وأعلنا سلفا عن تحالفهما مع المغول.

الأمر الأخر الذي يجب الإشارة إليه هوأن طقز خاتون زوجة هولاكو حظيت بتوصية خاصة من منكو خان الذي إشار على أخيه أن يستأنس برأيها،وأن يسمع نصحها وأن ينزلها منزلة تليق بها،فهي حفيدة ملك الكرايت وانج خان،وهي لم تختلف عن قومها في التعلق بالمسيحية، وقد وكان

[1]- العراق العربي ،يطلق على القسم الأسفل لما بين النهرين"البصرة بالعراق"،تميزا عن عراق العجم،يمتد ما بين حديثةالموصل إلى عبادان طولا،حتى القادسية إلى حلوان عرضا،أنظر:

القزويني ،**أثار البلاد وأخبار العباد**،ص،419..

[2]- الباز العريني،**مرجع سابق**،ص،208.

[3]- تقع في منطقة القوقاز في أوراسيا،وتحديدا عند نطقة تلاقى الغرب الأوربي مع الشرق الأسيوى.

[4]- هيثوم بن قسطنطين ينتمى إلى أسرة حكمت أرمينيا الصغرى،بين عام623هـ،743هـ/1226م،1342م.،تزوج إيزبيلا بنت ليو الثانى ،فلما هلك أبوها ورثت عرشه.

من نتائج ذلك أن غمرت أهلها بكل مظاهر العطف والرعاية من خلال إنشاء الكنائس والمدارس المسيحية،وقد نعم المسيحيون في حياتها بكل مظاهر الأمن والإستقرار[1].

أصبحت إيلخانية إيران من نصيب أحفاد جنكيزخان من أصغر أبناءه تولي،وظلت المنطقة من أكثر المناطق التي إستطاع النصارى أن يتغلغلوا فيها بشكل واضح،خاصة في عهد هولاكو وعض خلفاء من أمثال أبغا وارغون ورغم أنه كان معتقدا بتعاليم البوذية[2]،إلا أنه كان منحازا بشكل واضح إلى النصارى،وقد لعبت أمه المسيحية وزوجته دورا كبيرا في ذلك الأمر،وكانت لهاتين المرأتين الدور الأبرز في معظم القرارات السياسية والعسكرية،يضاف إلى هذا دور المستشارين النصارى من الكرج والأرمن الذين عملوا كل ما يجب من أجل تنامي الحقد ضد المسلمين،وكما أشرت سابقا فإن ملوك الأرمن لعبوا دورا مميزا في التأثير على البلاط المغولي في إيران، مستغلين حالة التعاطف التي ابداها البيت المغولي في إبداء النصرة والتأييد للصليبينوكانت زيارة هيثوم الأول إلى بلاط هولاكو وهو عائد إلى بلاده بعد زيارة الخان الأكبر في قراقورم بمثابة المؤشر القوي على مدى تعاطف مغول إيران مع النصارى[3].

بذل النصارى من الواقف والهدايا ما يكفي من أجل إستعطاف المغول،وكان نتائج ذلك دخول الأرمن في تحالف مع المغول،نتج عنه إعفاء كنائسهم في الإمبراطورية المغولية من دفع الضرائب[4].

شعر النصارى في غرب أسيا بعواطف المغول الميالة إليهم،في ظل التسامح الواضح معهم،لذلك زادوا من حدة التقارب معهم،وكان الحلم الأكبر بالنسبة لهم هو الإستفادة من دعم المغول السياسي والعسكري الذي يمكنهم في إسترجاع أملاكهم المقدسة في فلسطين،وهو أمر حيوي ظل على رأس الطموحات والأهداف الأساسية في سياسة النصارى[5].

---

[1]- الباز العريني،**مرجع سابق**،.208

[2]- عبد السلام عبد العزيز فهمي،**تاريخ الدولة المغولية في إيران**،د المعارف،القاهرة،1981م،ص،133،وبعدها

[3]- إسماعيل عبد العزيز الخالدي،**العالم الإسلامي والغزو المغولي**،ط1،مكتبة الفلاح،الكويت،1404هـ،1984م،ص،173

[4]- الباز العريني،**مرجع سابق**،ص،282.

[5]- محمود سعيد عمران،**المغول وأوربا**،الدارالجامعية،الاسكندرية،1967م،ص،60.

من هنا ظهر دور إمارة أرمينياواضحا في دعم التحالف المغولي النصراني من أجل الوصول إلى تحقيق ذلك الهدف،وقد أثبت الأرمن ومعهم الكرج عبر فترات التاريخ المختلفة مدى حرصهم على تحقيق هذه الغاية،وشدة عدائهم للمسلمين،وما يدل على ذلك أن جيش هولاكو الذي زحف على بغداد،كان فيه طوائف متعددة من النصارى،من النساطرة،والأرمن،والجورجيين ،وكانوا لايقلون وحشية وعنفا عن المغول[1].

عند دخول المغول إلى بغداد لم يسلم من سكانها حسب رواية بعض المؤرخيين ،سوى الأرقاء والنصارى الذين تحصنوا بكنيسة الثلاثاء،بأمر من هولاكو و البطريق النسطوري مكيخا الثاني[2]، ومنع المسلمون من دخول الكنيسة من أجل الحماية نظير أموال كثيرة دفعوها ويذكر الكثير من المؤرخين أن هولاكو لما دخل بغداد أنعم على البطريق مكيخا الثاني وأنعم عليه،وينقل البعض في ذلك ما يلي:"أنعم هولاكو خان على هذا الأب،وأعطاه دار الخليفة،المعروفة بدار الدويدار التي على دجلة حتى يسكنها،وعمر فيها البيعة الجديدة.[3]

عبر المسيحيون في الشرق كما في الغرب عن مشاعرهم الحقيقية عندما سقطت بغداد بيد المغول،وكان أكثرهم إبتهاجا الأرمن،وإذا عدنا بشكل سريع إلى مافعله المغول،بإفراد الأسرة العباسية،فإننا نقف عند أبشع صور الوحشية التي إرتكبت في حق المسلمين عامة وبيت الخلافة خاصة[4].

يذكر المؤرخون أنه لم ينج من عملية القتل إلا أصغر أبناء الخليفة،وهو أبي المناقب مبارك،وكان ذلك رغبة من زوجة هولاكو قطز خاتون وبطلب منها،وقد أرسل إلى الشرق،وتزوج بعدها إمرأة مغولية،وإحدى بنات الخليفة التي أرسلت إلى منكوخان،ويروى أن تلك الأميرة لما وصلت

1- عبد السلام عبد العزيز فهمي،**مرجع سابق**، ص،131-

2- ميكيخيا الثاني،لعب هذا البطريق دورا كبيرا في تحريض المغول خاصة هولاكو ودفعه الى إحتلال بغداد،وكان المستفيد الأكبرمن سقوط مدينة بغداد،بعد أن منحه هولاكو الكثير من الآملاك.

3- مرعي فرست ،**التحالف النصراني المغولي ودوره في سقوط بغداد**،مجلة البيان،عدد،300،دت،ص،80.

4-جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي،**تاريخ الخلفاء**،تح،أحمد إبراهيم زهوة،سعيد بن أحمد العيدروسي،دط،دار الكتاب العربي،دار الاصالة الجزائر،1426هـ،2005م،ص،360.

إلى سمرقند،طلبت من مرافيقها زيارة قبر قثم بن العباس،الذي إستشهد في سمرقند سنة 57هـ،776م ،في إحدى الغزوات التي سارت من أجل فتح بلاد ماوراء النهرتقول الروايات أن كل الجنود الذين جاؤوا معه قتلوا،إلا هو نجا بأعجوبة،وإختفى،ويعتقد الناس أنه على قيد الحياة، وظل يلقب عند أهل المنطقة بالملك الحي[2].

ربما هذه الأميرة المفجوعة في بلدها وأهلها أرادت أن تتبرك بهذا القبر،وأجاب مرافقيها طلبها ولما وقفت على القبر وقالت"ربي إذا كان لقثم بن العباس عندك قدر،فأقبض عبدتك إليك،ونجها من أيدي هؤلاء الناس،وسقطت على القبر ميتة"[3].

كتب بعض المسيحيين في سقوط بغداد ما يظهر أنه تشفى فى حال المسلمين والخلافة التي كانت عامرة فحولها المغول إلى ركام ورماد،يقول البعض منهم في سقوط بغداد:كانت بغداد في مدة حيازتها الملك،أشبه بعلقة،تمص الدماء،إبتلعت العالم كله...ولما طفح كيل مظالمها،قدام الرب،عوقبت على ما أراقت من دماء وما عملت من شرور[4].

يمكن أن نضيف إلى مشاعر النصارى المبتهجة ما كتبه الرحالة الإيطالي ماركو بولو،ورأينا سلفا مدى حماسه في إثارة عواطف المغول نحو المسيحية من خلال رحلته الشهيرة إلى البلاط المغولي،يقول

---

[1]- نومكين فيتالي،**سمرقند**،تر،صلاح صلاح،ط1،مكتبة نبراس الصفا التاريخية،منشورات المجمع الثقافى،1996،ص،20.

[2]- في الثقافة الشعبية عند شعوب أسيا الوسطى،يحظى قثم بن العباس وهو إبن عم الرسول،بحالة تشبه التقديس،إذ يطلق عليه عند هذه الشعوب في اسيا الوسطى الملك الحى،أما ماجاء به صاحب كتاب الدولة المغولبة في إيران فيما يتعلق بالناجين من الغزو المغولي من أبناء الخليفة العباسي،وأيضا ما أورده دوسون في كتابه تاريخ المغول الجزء الثالث طبعة 1834م، في نجد أن بعض المراجع وإعتمادا على مصادر فارسية،كالجويني والطوسي والهمذاني،تذكر أن عائلة الخليفة تم القضاء عليها كلها،أنظر:

---عبد السلام عبد العزيز فهمي،مرجع سابق،ص،136.وأيضا،-

محمد سهيل طقوش،**تاريخ الحروب الصليبية،حروب الفرنجة في الشرق**،489هـ،690هـ،1096م،1291م،ط1،دار النفائس،1432 هـ،2011م

[3]- عبد السلام عبد العزيز فهمى،**مرجع سابق**،ص،136.

[4]- مرعى فهرست،مقال سابق،81.

في سقوط بغداد:"وأظن أن ربنا أراد الثأر لنصاره،الذين كان الخلفاء العباسيون يكرهونهم أشد الكره"[1].

تعاظمت مظاهر الأسى والحزن عند النصارى لما توفي هولاكو في 8 فيفيري 1265م 664ه، بالقرب من مراغة ولحقت به زوجته طقز خاتون في صيف نفس العام،وقد شمل المسيحيين في كل العالم حزنا شديدا على وفاة هذين النبراسين العظميين،المعززين للدين المسيحي،حتى أن البعض من المسيحيين،يشبهان دورهما في مساندة المسيحية ،كما فعل قسطنطين مع هيلينا[2].

لم يثن موت هولاكو المسيحيين من مواصلة زيادة التقارب مع المغول،خاصة وأن خليفة هولاكو أباقا خان[3]إعتمد سياسة والده المتمثلة في مساندة المسيحيين ،وكان ثمار هذا التقارب،تلك المصاهرة التى نتج عنها أن تزوج آباقا خان،بدسينا خاتون إبنة إمبراطور القسطنطينية باليوجوس ميخائيل الثامن[4]،وزادت هذه المصاهرة من تمتين الروابط بين المغول في إيران والبزنطيين،لمواجهة العدو التقليدى بالنسبة لهما.

لم تكن مثل هذه الزيجات أمرا جديدا في تاريخ المغول،إنما سياسة عرفت عبر كل فترات التاريخ وظل الهدف منها ،إيجاد حلفاء جدد ،يمكن أن يساعدوا في مواجهة الخصوم،خاصة إذا كان الهدف واحدا،وهو ما حدث وبشكل جلى في تاريخ العلاقات المغولية الصليبية،إذ تقاطعت الآهداف،بين حلفاء كان همهم الآكبر القضاء على المسلمين.

---

[1]- نفسه،ص82

[2]- نفسه،82.

[3]- رشيد الدين،**جامع التواريخ**،مج2،ج1،ص،224.-

[4]- محمود سعيد عمران،**المغول وأوربا**،،ص،67.

عمل أباقا خان على إنتهاج سياسة داخلية تعتمد على نشر العدل والإنصاف،في بلاد إيران[1]، كما شهد عصره بروز شخصيتين هامتين في البلاط المغولي وها الأخويين الجويني[2] اللذين كان لهما دور بارز في إزدهار عهد أباقا خان، أما عن علاقته بالمسيحيين فظلت محافظة على نفس المكانة،ورغم أن أباقا كان مثل أبيه بوذيا ،إلا أنه بقى محافظا على سياسة العطف إتجاه المسيحيين،من أمثال الأرمن كما ظل حاميا ونصيرا لبطريق النساطرة و متعاطفا مع طائفة اليعاقبة.

شهد عهد أباقا كثير من المشاكل الخارجية خاصة مع بني عمومته في القبيلة الذهبية[3]،وبدرجة أقل مغول تركستان،صحيح أن الصراع بين أبناء العمومة حركته بعض الأسباب السياسية، إلا أن السبب الديني ظل قائما في مختلف الصراعات بين مختلف العناصر المغولية،وهنا لابد أن نشير إلى أبرزها خاصة الصراع مع مغول القبيلة الذهبية، إذ ظل أباقا حريصا على تصفية الحرب التى شنها هولاكو ضد إبن عمه بركة خان،والذي يعتبر أول من إعتنق الإسلام بين مغول القبيلة الذهبية،وقد يكون السبب الديني وراء زيادة حدة التوتر بين مغول القبيلة الذهبية،ومغول إيران المدعمين من مختلف الطوائف والإمارات المسيحية،بغية تحقيق ما عجزوا عنه فيما مضى،و تصحيح بعض الأخطاء التى وقعوا فيها في عهد هولاكو[4].

---

[1]- الهمذاني،**مصدر سابق**،ص23.

[2]- عائلة الجويني،أشهرهما شمس الدين وعلاء الدين ملك عطا إله الجويني ينحدران من أسرة عريقة كان لها دور كبير في عهد السلاجقة ،وسلاطين خوارزم،والمغول،وقد عرفت هذه الأسرة في التاريخ باسرة صاحب الديوان،وهي من الوظائف الإدارية الجليلة تخلع على صاحبها البهاء والقوة،تشبه في العصور الحالية وزير المالية،أو رئيس الوزراء،إلا أن شهرة أل الجويني تعود إلى عطا الله الذي ألف نمؤلفه الشهير تاريخ جهانكشاى،أنظر:

-عبد السلام عبد العزيز فهمي،**مرجع سابق**،ص،153

[3]- نفسه،ص،165

[4]- أحس هيثوم ملك أرمينيا الصغرى،وبوهيمند السادس أمير أنطاكيه بالخزي والخجل نظير الموقف الذى لجا إليه سنة 1263م،المتمثل في إختطاف إيثيموس بطريق الأرثوذكس في أنطاكية،والذي أصر هولاكو سنة 1260م،على إقامته وتنصيبه في أنطاكية.

توفيأباقا خان سنة680ه،1282م،نتيجة إصابته بالحمى وإفراطه في الشراب[1]،دون أنيحقق أهدافه،خاصة الإنتصار على بنى عمومته.

خلف أباقا على عرش الإيلخانية أخيه تكودار، والذي كان مسيحيا في بداية حياته،إذ عمد على المسيحية وفق المذهب النسطوري بإسم نيقولا[2] ،إلا أن أسباب متعددة أججت الصراع داخل البيت الإيلخانى،ومنها رغبة أرغون خان بن أباقا خان في أن يكون على رأس الخانية،وهو أمر لم يكن سهل المنال في ظل القوانيين الصارمة التي ضبطتها إلياسا[3]،والتي تنص صراحة على أن يتولى العرش أكبر الأمراء سنا.[4]

عرف تكوادر بميله إلى الإسلام،وكان من نتائج ذلك أن إعتنق الإسلام ،وتبعته في ذلك طائفة واسعة من أمراء المغول،وتسمى بإسم أحمد تكودار وحاول أن يتقرب من المسلمين،كما أمر ببناء المساجد والمدارس،والأوقاف،وتجهيز الحجيج،و أظهر في رسائله إلى بغداد أنه حامى الإسلام وتابع شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم[5]،ودعا أهل بغداد إلى السير وفق الشريعة الإسلامية،وإظهار الشعائر الإسلامية.

[1]- عبد السلام عبد العزيز فهمي،**مرجع سابق**،165.

[2]- الباز العرينى،**مرجع سابق**،ص،302.

[3]- الياسا او الياساق، مجموعة القوانيين التى أقرها جنكيزخان،والتى أخضع بموجبها القبائل المغولية،وهو قانون مبني على الصرامة والطاعة العمياء،ويهدف الأنون إلى تحقيق النظام بين المغول ومعاقبة فاعل السوء للمزيد عن تفاصيله ومحتواه أنظر:

الباز العرينى،مجع سابق،ص،ص،61،62.

-الحافظ عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن كثير،**البداية والنهاية**،راجعه محمد تامر وأخرون،ج2،دار البيان العربي،دت،ص169.وأيضا:

محمد أسد الله صفا **جنكيزخان الوحشى النابغة**،ط1، ج1400،1ه،1988م،ص،ص،312،313.

[4]- عباس إقبال،**تاريخ إيران**،ص448—

[5]- نفسه،ص،449..

كما أمر أن تترك لهم حرية العمل بسائر الشعائر الدينية حسبما إعتادوا في عهد بني العباسوهو إجراء يعبر بكل وضوح على مدى صدق إسلامه،وحبه لدينه الجديد.[1]

أما عن علاقته مع المماليك فأراد أن يتقرب منهم ،وتصحيح مع فعله من سبقوه الذين كانوا أكثر ميلا إلى النصارى الحاقدين على الإسلام بصفة عامة والمماليك بصفة خاصة، وكان من نتائج هذا التقارب أن راسل أحمد تكودار السلطان المملوكي المنصورقلالاون،وكان ذلك في جمادى الأولى 681هـ،1282م،وقد حمل الرسالة رسولين هما قطب الدين محمود الشيرازي قاضي سيواس[2] وأتابك السلطان مسعود سلطان سلاجقة الروم[3]،أما عن محتوى الرساله فيمكن القول أنها كانت تعبر عن حسن النية في تحسين العلاقة بين مغول إيران والمماليك،وإخماد الفتنه،وبناء بلاد المسلمين التي تعرضت للخراب والدمار،وأن تغمد السيوف وتخلص رقاب المسلمين من إغلال الذل والهوان[4].

لقيت رسالة أحمد تكودار لدى السلطان قلاوون كل الترحاب،ورد عليها في رمضان سنة68هـ،1282م،هناه فيها على إعتناق الإسلام،الذي أذاب الأحقاد وأزال الجفاء والعداء بين المسلمين،وقد رد أحمد تكودار برسالة مماثلة سنة683هـ،1284م،يحث فيها السلطان المملوكي على عقد معاهدة بينها[5].

بدا هذا التقارب بين المغول والمماليك في نظر البعض غير طبيعى وغير مرغوب فيه،خاصة من طرف البوذيين والنساطرة والبزنطيين،لذلك سعوا الى الإحتجاج لدى الخان الأكبر قوبيلاي خان.

---

[1]-Henty.howorth. **History of mongogl .from the 9th to19thcentury..centuryto19thcentury..century**.london.1880.p.159**to19thcentury..centuryto19thcentury..century**.london.1880.p.159

[2]-رجب محمد عبد الحليم، **إنتشار الإسلام بين المغول**، د ط،دار النهضة العربية،القاهرة،1976م،ص،180.

[3]- تقى الدين ابو العباس احمد بن عليالمقريزي،**السلوك لمعرفة دول الملوك**، حقيق محمد عبد القادر عطا،ج3،،ط1،مكتبة مدبولي،1997م،ص،378،وما بعدها.

[4]- عباس إقبال ،**تاريخ إيران**،ص،450.

[5]- فايد حماد ،**العلاقات السياسية بين المماليك والمغول**،د ط،دار المعارف،1976م،112.

رأى أحمد تكوادر أن الأمر هو تدبير بعض النساطرة،وبطريق الكنيسة،ونتج عن سلوك أحمد تكودار أن إلتف الساخطين عليه حول إبن أخيه أرغون بن أبقا الذي لم يهضم إنتقال الحكم إلى عمه،وعلى حد تعبير الأستاذ العريني كان هذا الأمر بمثابة إختبار،هل فعلا تحولت فارس إلى مملكة إسلامية أم مازالت محافظة على هويتها المغولية؟[1]،ورغم أن الحرب التي قامت في خراسان كانت كفة الغلبة فيها لصالح أحمد تكودار إستسلم خلالها أرغون في 4ماي 1284م،إلا أن قادة القصر دبروا فتنة بالقصر،إنتهت باعدام أحمد تكودار في 26جمادى الأولى 683ه،10أوت 1284م،وتولى على إثرها أرغون الإيلخانية[2].

أجابت نتائج الصراع في البيت الإيلخاني أن نفوذ القوى غير الإسلامية داخل البلاط المغولي مازالت تملك أكثر من وسيلة للمحافظة على نفوذها،والإشارة واضحة هنا بطبيعة الحال للقوى المسيحية بكل عناصرها المتنفذة في البلاط الإيلخاني[3].

كان عهد أرغون إشارة قوية لعودة الوضع إلى ماكان عليه قبل أحمد تكودار،إذ عمل أرغون على منع خانية فارس من الدخول إلى الإسلام،والواضح أنه كان حريصا على بوذيته مثل أبيه أباقا وجده هولاكو ومدعما بشكل واضح من الخان الأكبرفي قراقورم، وظلت سياسته الداخليه تعتمد أداة الضغط على العناصر الإسلامية في إيران،أما على المستوى الخارجى فسعى إلى عقد عدة تحالفات مع

---

[1] - البازالعرينى،**المغول**،ص303.

[2] - قبل أن يحكم أحمد تكودار كان أباقا يميل إلى إبنه أرغون،ولكن هذا الميل يخالف أحكام إلياسا التي تقر أن الذي يحكم و يتولي السلطة هو أرشد الأمراء، وأكثر قوة وكان الأمر بذلك مهيأ لأحمد تكودار،إلا أن مقتله أتاح لأرغون أن يعلن نفسه إيلخان في بلاد إيران،بعد أن إلتف حوله الأمراء ودعمه المسيحيين.أنظر:

عباس إقبال،**تاريخ إيران**،ص،450.

[3] - محمد أحمد محمد، **إسلام الإيلخانيين**،ط1،القاهرة،شركة ألفا للطباعة والنشر والتوزيع،1989م،ص،60.

الصلبيين لضرب المماليك[1]وإعادة العلاقة بين المغول والمماليك إلى حالة عداء وتوتر وهو ما كانت تطمح إليه مختلف القوى المسيحية المعادية للمماليك.

بعد أن فشلت معظم مساعيه قرر في محاولة فاشلة التفكير في حملة عسكرية لمهاجمة الحرمين الشريفين في سنة690هـ،1291م،وتحويل الكعبة إلى معبد بوذي[2]،لكنه أصيب بالمرض وتوفي في نفس العام[3]،يقول رينسمان معتمدا على ماذكره شبولران الهدوء عم الحدود بين مغول إيران والمماليك في تلك الفترة[4]،لكن ماهو مؤكد أن عداء أرغون للمماليك ظل قائما لكن ربما لم يستطع أن يجد في تلك الظروف حلفاء يساعدونه في غايته رغم المراسلات والسفارات التي بعث بها إلى مختلف ملوك أوربا وبابا الكنيسة،ومن تلك السفارات رسالة إلى البابا هنوريوس الرابع،ومنها سفارة إلى ملك فرنسا فيليب الرابع.

لكن يجب الإشارة إلى تأثير عنصر قوى في عهد أرغون وهودور العنصر اليهودي من خلال سعد الدولة اليهودي[5]،الذي دخل البلاط الإيلخاني بعد أن عالج أرغون من مرضه وساعده على

---

[1]- أرسل أرغون عدة سفارات منها السفارة التي أرسلها سنة 683هـ،1285م إلى البابا هنوريوس الرابع،وسفارة أخرى إلى الإمبراطور البزنطياندروينكوس سنة685هـ،1287م،كما أرسل سفارة إلى ملك فرنسا فيليب الرابع،ثم سفارة أخرى إلى البابا وملك فرنسا سنة688هـ،1289م،ثم سفارة ثالثة سنة690هـ،1291م،ف قراءة سريعة نجد أن هذه السفارات على تنوعها لم تف بالعرض المطلوب لا من البابا أو ملوك أوربا،ولم يجد تعاونا حقيقيا خاصة خاصة بعد سقوط عكا الخر المعاقل الصليبية بيد السلطان المملوكي الاشرف خليل بن قلاوون سنة690هـ،1291م،أنظر:

شبولر ،**العالم الإسلامي في العصر المغولي**،تر،خالد أسعد عيسى،ط1،مطبعة الرسالة،1986م،ص،70.و

Polo marco.op.cit.p.130.

[2]- شبولر ،**العالم الإسلامي والغزو المغولي**،ص،70

[3] -Saunders juvaini.the history of mongol conquers.london.1971.p9..

[4]- ستيفن رينسمان،**تاريخ الحروب الصليبية**،تر،الباز العريني،ج3،دار الكتاب اللبناني،بيروت،1969.ص،673-676

[5]- هو إبن الصفى الموصلى والمعرف ايضا ابن صفي الدين الابهري،كان عالما بالحكمة ومجتهدا في الطب،وقد اصبح اشهر الاطباء اليهود في البلاد ،فضمه ارغون الى بلاطه،وزدات شهرته لما مرض ارغون فاعطاه دواء ازال عن المرض،واظر في بداية حكمه ولائه للاسلام،حيث امر ان تجرى الاحكام وفق الشريعة،حتى شعر الناس بالامان والاستقرار،الا ان علو نفوذه جعله يستبد بالناس خاصة بعد ان احاط نفسه بكبار الموظفين من اليهود،وظلت نقمته على المسلمين كبيرة،وقد شعر الآمراء المغول بخطورته لما أعطاه أرغون تقريبا كل الصلاحيات،فكانت نهايته على أيديهم،بعد أن قتلوه سنة690هـ،1391م.

الشفاء[1]،وإستطاع مع مرور الوقت أن يكسب ثقة الإيلخان أرغون إلى أن نال ثقته وترقى إلى منصب الوزارة[2]،ورغم أن نجح في تحقيق بعض الإصلاحات إلا أن شخصيته ظلت غامضة،رجل يمتاز بالذكاء والمكر،يكره الإختلاط مع الناس،لاأحد يعرفأسراره،وبطبيعة الحال ما يعنينا هنا دوره إتجاه المسلمين،لقد أظهر للناس في بدايةحكمه،أنه شخص قادر ومتمكن ،عادل مع كل الطوائف الموجودة في إيرا ،لكنه مع مرور الوقت ،أثبت بما لايدع مجالا للشك مدى حقده إتجاه المسلمين،وظلت سياسته تعتمد على دعم الوجود اليهودي في البلاط الإيلخاني،و طرد المسلمين من الوظائف من إدارة الشؤون المالية والقضاء،كما حرم عليهم الظهوروالمثول بين يدي ألان في بلاطه[3].

مارس سياسة مصادرة الأملاك خاصة ضد المسلمين،وضيق على العلماء،وزاد تطاول اليهود على الإسلام والمسلمين،وقد إستغل بعض اليهود الفرصة حيث كتب بعضهم مؤلفات للنيل من الإسلام،وكان أبرزهم عز الدولة سعد بن منصوربن سعد بن الحسن بن هبة الله المشهور،بإبن كمونة الإسرائيلي،توفي سنة683ه،1285م،الذي كان بارعا في الأداب والرياضيات وغيرها،وصار الناس يقصدونه للإستفادة منه[4].

لم يخلص المسلمين منه الإ بعض أمراء المغول الذين رأوا فيه خطرا عليهم وعلى إمتيازاتهم،خاصة لما أصدر الخان أرغون قرارا،بأن لا يعرض عليه الأمراء أمرا إلابعد أخذ مشورة سعد الدولة،كما فوض إليه إدارة جميع مصالح الأقاليم والولايات،فقام هذا الوزيربظلم الأقاليم والولايات بدرجة فظيعة[5].

كان لمقتل سعد الدولة اليهودي في صفر سنة 690ه،1291م،رنة فرح لدى المسلمين الذين ضاقوا ضرعا من خلال تصرفاته،وقد ثار المسلمين ضد اليهود في مختلف المدن الإيرانية،كتعبير،أو

---

[1]- حبيب لؤي،**تاريخ يهود إيران**،دط،ج3،دار صادر،دمشق،1985م،ص،85.

[2]- نفسه،ص،86.-

[3]- رشيد الدين،**جامع التواريخ** ،ج2،ص،124.

[4]- يوسف رزق غنيمة،**نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق**،ط1،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،2001م،ص،152.ص،153

[5]- شبولر ،**العالم الإسلامي والغزو المغولي**،ص،70..

إنتقام لما فعله الوزيرنولم يسلم من ردة الفعل هذه سوى يهود شيراز،حيث كان على إدراتها شخص يدعى سمس الدولة،والذي كان يسلك مع الأهالي سياسة الرفق واللين،فحاز بذلك ثقة الأهالي،فسلم يهود شيرازمن القتل والإغارة على دورهم ومتاجرهم[1] .

وتعقيبا على ما حدث في عهد أرغون ،فيمكن القول أن حالة العداء ظلت متسمرة ضد المسلميين،فإذا كان المسيحيون قد تراجع دورهم نسبيا نتيجة ظروف سياسية وعسكرية،فإن إعطاء كل هذا الدور لليهود من خلال الوزير سعد الدولة إنما يلخص درجة الحقد الذي ظل أرغون يحمله للمسلمين،مستغلا كل فرصة لينتقم منهم.

لم تكن الفترة التي أعقبت موت أرغون مستقرة،إذ غلب عليها الصراع داخل البيت المغولي، خاصة وأن كيخاتو الذي خلف أرغون كان مسرفا يقضى معظم أوقاته في الشراب واللهو والمجون[2]،وهو أمر لم يرق بعض أمراء المغول الذين تمردوا عليه،وكان يتزعم حركة التمرد الأمير بايدو حفيد جنكيزخان،وأعدم كيخاتو خنقا في جمادى الأولى سنة694هـ،21 أفريل 1296م[3]،لكن بايدولم يهنا بالحكم حتى ثار عليه غازان بن أرغون،والذي تولى إدارة البلاد من 964هـ،703هـ،1294م،إلى 1303م.

شهد عهد غازان تحولا كبيرا في تاريخ إيران الإسلامية،إذ أسلم غازان سنة694هـ،1295موكان إسلامه حدثا عظيما،وكان بذلك أول من دعى إلى نشر الإسلام بين المغول،وقام بعدة أعمال،كبناء المدارس والمساجد ودور الأيتام،وحاول نشر العدل بين رعاياه[4] .

[1]- عبد السلام عبد العزيز فهمي،**مرجع سابق**،ص،177.
[2]- نفسه،ص،ص،182،183.
[3]- نفسه،ص،186.
[4]-نفسه،ص،186.

وكان إسلامه حدثا عظيما،وكان بذلك أول من دعى إلى نشر الإسلام بين المغول،وقام بعدة أعمال،كبناء المدارس والمساجد ودور الأيتام،وحاول نشر العدل بين رعاياه[1].

فرض غازان على غير المسلمين لباسا خاصا حتى يعرفوا،وفي عهد زال تقريبا الإرتباط بين الإيلخانات في إيران والخان الأكبر في قراقورم،بصفة عامة يمكن القول أن مغول إيران منذ نهاية القرن الثالث عشر الميلادي،صاروا أكثر ميلا للإسلام،وإندمجوا بشكل تدريجى في المدنية الإيرانية وصاروا من بناتها[2].

أما عن علاقة قازان بالمماليك،فتحولت إلى صراع أخذ هذه المرة طابعا مختلفا يتمثل في الصراع حول الزعامة وقيادة العالم الإسلامي[3]،وهو موضوع أخر ليس مجال هذا البحث،هكذا إنتشر الإسلام بين مغول إيران رغم كل ما فعله النصارى والصليبيين وحتى اليهود، من تحريض وقتل ومكر ضد المسلمين،إلا أن الإسلام بتعاليمه السمحاء،وحيوية رجاله، إستطاع أن يصل إلى قلوب المغول وتلك هي عظمة الإسلام والمسلمين.

2-2إنتشار الإسلام بين مغول القبجاق أومغول القبيلة الذهبية:

يضم الجزء الغربي من الإمبراطورية المغولية معظم الأراضي الروسية وبلاد الفولغا والبلغار،وهو القسم الذي يطلق عليه إسم مغول القفجاق أو مغول القبيلة الذهبية،خضع هذا الإقليم لترتيبات عسكرية كبيرة،إذ أنه في سنة624ه، 1235م،أعد أوكتاى ثلاث جيوش لموا صلة العمليات العسكرية،منها الجيش الثالث والذي يتألف من أكثرمن خمسة عشر ألف جندى،والذي أوكلت له مهام مواصلة العمليات الحربية في الجزء الغربي من الإمبراطورية المغولية.

[1]- ولد غازان سنة 670ه،24 ديسمبر 1251م،وعندما بلغ العاشرة من عمره عينه أبوه حاكما على خراسان،تحت وصاية الأمير نور وزبك،,هو أحد كبار أمراء المغول،تولى العرش الإيلخاني بعد وفاة بايدو خان،توفى غازان سنة703ه،1303م.

[2]- فؤاد عبد المعطى الصياد،**محمود قازان وإعتناقه الإسلام**،ط1،القاهرة،1979م،413.

[3]- صبحى عبد المنعم،المغول **والمماليك السياسة والصراع**،دار الفكر العربي،2000م،ص،33،وما بعدها

خضعت قيادة الجيش من الناحية الإسمية لباتو خان،إلا أن القيادة الفعلية كانت لسوبتاى أشهر القادة العسكريين في تاريخ المغول والذي قاد عدة عمليات عسكرية سابقا في فارس وروسيا والصين،وإلتف حوله العديد من الأمراء المغول[1]،وقد إستطاعت الجيوش المغولية أن تعبث في المنطقة وتسقط مملكة البلغار وتدمر حاضرتها التجارية الواقعة بالقرب من نهر الفولغا،كما إستطاعت العمليات العسكرية السيطرة على البراري الروسية،التي تعرف عند المسلمين بالقبجاق،ويطلق عليها المجريون والبزنطيون إسم الكومان،في حين تعرف عند الروس باسم بولفستي[2]،كان من نتائج هذه الحملات العسكرية أن أعلنت هذه القبائل الخضوع لسيطرة المغول.

بعد إستكمال عملية إخضاع مختلف فروع القبيلة الذهبية خاصة مع نجاح حملة بر كة خان سنة628هـ،629هـ، 1239م،1240م، و التي كان من نتائجها سقوط مدينة مغاص أو منقاص حاضرة اللان[3] .

أصبحت المنطقة خاضعة لسلطان بيت جوجي.ظل باتو خان يلعب الدور الأبرز كشخص يتمتع بقدرات تجعله عادلا مع كل الطوائف الموجودة بين مغول القبيلة الذهبية،ومع مرورالوقت،صار يلعب ،دورا موثرا في سياسة الإمبراطورية المغولية،كما كانت خانية القبجاق أقوى خانية مؤثرة في سياسة الإمبراطورية المغولية من خلال الوضع الإستثنائي الذي حظيت به،فباتو خان كان يتمتع بوضع شبيه للخان الأكبر في قراقورم[4].

ظهر دور مغول القبيلة عامة وباتو خان خاصة من خلال بعض المواقف المؤثرة في تاريخ الإمبراطوية ،ويمكن هنا ذكر الدور الذي لعبه باتو خان في تعيين منكو خان على رأس الخانية العظمى في قراقورم،وهو الذى عمل على إنتقال الخانية من بيت أوكتاى إلى بيت تولي،كما وحسب

[1]- كان من بين الذين شاركو في هذه الحملة تقريبا كل فروع أسرة جنكيزخان،من فرع جوجى نجد أوردا وبركة وشيبان،وكيوك وقدان وولدي أوكتاي،وقايدو حفيد أوكتاي وغيرهم.

[2]- الباز العريني ،**مرجع سابق**،ص،ص،179،178.

[3]- نفسه،ص،179.

[4]-ROUbrouk.wi،op.cit.p.p.20.21

بعض المصادر دفع منكو خان إلى تأجيل غزو بغداد،الذي لم يتم إلا بعد وفاته،وقد نقل وليم روبروك في رحلته إلى بلاد المغول،ما يفيد بان باتو خان كان على قدم المساواة مع الخان الأعظم في قراقورم.

من الناحية الدينية حسم الأمر في هذه الخانية مبكرا لصالح الإسلام،بإعتبار أن الصراع إقتصر فيها بين الإسلام والمسيحية،أما التأثير الوثني فيها كان ضعيفا ومحدودا،وكان أول من أسلم من المغول كلهم وليس مغول القبيلة الذهبية،هو إبن جوجي بركة خان سنة 650 هـ،1257م [1]وقد أشرنا فيما مضى إلى بعض العوامل التي أدت الى إسلامه والتي منها تأثير زوجة أبيه رسالة خوارزم شاه.

زاد تأثير بركة خان في مغول القبيلة الذهبية إذ تبعه الكثير من المغول خاصة بعد أن صارحاكما لها خلفا لأخيه باتو خان،وكان عهده فرصة لتمتين العلاقة بين مغول القبيلة الذهبية والمسلمين عامة والمماليك خاصة،ونتج عن ذلك بناء علاقة قوية خاصة بين بركة خان والظاهر بيبرس.

نتج عن هذا التقارب زيادة التوتر والصراع بين المسلمين المدعمين من مغول القبيلة الذهبية والمسيحيين والنصارى المدعمين من مغول إيران،لاسيما في عهد هولاكو و إبنه أبااقا خان وهما اللذان عاصرا بركة خان.

لعل من الأسباب التي ذكرها المؤرخون وكانت سببا في زيادة التوتر بين أبناء العمومة من المغول،تلك العلاقة القوية التي توطدت بين الظاهر بيبرس وبركة خان ،وقد سجلت الكثير من المراسلات بين الطرفين خاصة تلك التي كن يبعثها الظاهر بيبرس إلى بركة خان تبارك إسلامه وتحفزه لمحاربة هولاكو،نظير أعماله البشعة في حق المسلمين بدعم من زوجته النصرانية[2]،تذكر المصادر أن هزيمة هولاكو أمام بركة خان سنة661هـ،1263م وفرار بعض جنده إلى مصر والشام ودخولهم الإسلام أصاب هولاكو بالصدمة،وبمرض الصرع الذي توفي على إثره في جمادى الاولى سنة663هـ،1265 كما تطور الصراع في عهد أباقا وبركة خان إلى أن توفي بركة خان

[1]- الرمزي،**مصدرسابق**،ص،414 وما بعدها.

[2]- محمود شاكر ،**التاريخ الاسلامي ،العهد المملوكي**،ج7،ط1421،5هـ،2000م،ص،14-

سنة،665هـ،1267م وهو في طريقة لمواجهة إبن عمه إنتقاما لهزيمة أقرب مساعديه نوغاى الذي فقد إحدى عينيه في مواجهة أباقا[1].

ما يمكن إستنتاجه أن الإنتشار المبكر للإسلام بين مغول القبيلة الذهبية،أجج الصراع بين أبناء العمومة من المغول وقد لعبت عدةعناصر دورا كبيرا في زيادة حدة التوتر والصراع، خاصة الآطراف المسيحية التي ظلت تحرض المغول على الحرب ضد المسلمين ،ولكن الحقيقة المؤكدة أن الإسلام إستطاع في هذه المنطقة أن يتغللإلى النفوس تحت تاثير عوامل مختلفة بشكل سريع ومؤثر.

2-3إنتشار الإسلام بين مغول الجغطاى:

يقصد بها المنطقة التي حكمت فيها سلالة جنكيزخان من إبنه جغطاى[2]،وهي من الناحية الجغرافية منطقة البراري التي خضعت لإمبراطورية الخطا،وتشمل بلاد الأيغور وكاشغر وبلخ وبلاد ما وراء النهر،أطلق عليهم المؤرخين مغول تركستان.

خضعت هذه المنطقة وفق التقسيم الذي أقره جنكيزخان إلى إبنه جغطاى،الذي حكم المنطقة من 624هـ،640هـ،1227م،1242م،ظلت هذه الخانية من الناحية الثقافية والإجتماعية والإقتصادية أكثر الخانات بداوة وتخلفا إذا ما قورنت بمغول إيران ومغول القبيلة الذهبية،رغم ما تمثله كجسر للتواصل بين أجزاء الإمبراطورية المغولية،أما من الناحية الدينية فظل التأثير الوثني فيها قويا،خاصة إنتشار التعاليم الشامانية والبوذيه،ويبدو الأمر هنا واضحا في ظل تأثيرات القوية القادمة من الصينعبر عصور مختلفة[3].

أما من الناحية الدينية فظل التأثير الوثني فيها قويا،خاصة إنتشار التعاليم الشامانية والبوذيه،ويبدو الأمر هنا واضحا في ظل التأثيرات القوية القادمة من الصين،لذلك كان الصراع في هذه الخانية مقتصرا تقريبا بين الإسلام والديانات الوثنية كالبوذية والشامانية،خاصة في ظل الإنحياز

1- نفسه،ص،18.

2-في هذه المنطقة تحديدا قامت إمبراطورية تيمورلنك.

3- أبي يزيد السيرافي،سليمان التاجر،**أخبار رحلات العرب والفرس إلى الهند والصين**،عدد،164،منشورات معهد العلوم العربية والإسلامية،فرانكفورت،1414هـ،1994م..

الواضح للأمراء الجغطائيين إلى الشامانية والبوذية، وقد كان أكثرهم جغطاى الذي لم يكن يحب الإسلام والمسلمين،وكانت أكثر فعاله عدائية ضدهم،أما عن التأثير المسيحى فيمكن القول أنه كان محدودا رغم أن المنطقة ظلت معبرا دائما لمختلف البعثات الدينية المسيحية نحو قراقورم[1] .

كان الجغطائيون وفي مقدمتهم جغطاى أشد الأعداء المسلمين،تؤكد المصادر التاريخية أن جغطاى كان يكره الإسلام والمسلمين،ومن شدة عدائه للإسلام، لم يكن يحب أن ينطق أحد بكلمة مسلم في حضرته،إلا إذاكان يراد منها التحقير والحط من قيمة الإسلام والمسلمين[2].

ينقل بعض المؤرخيين ومنهم بارتولد عن الجوزجاني[3]،أن جغطاى أمر بعدم ذبح الحيوانات،وتحريم الوضوء،ومعاقبة كل من يفعل ذلك،لأن ذلك في نظره يتناقض مع طبيعةالحياة الإجتماعية للمغول،الذين كانو لايستحمون إلا مرة واحدة في السنة،ينقل هوراث في باب الحديث عن الحياة الإجتماعية للمغول ما يفيد أنهم لم يعطوا للنظافة حقها ،ومن جهة أخرى يظهر أن جغطاى ظل متمسكا بالتقاليد المغولية بشكل صارم،لذلك لم يمنحه ربما جنكيزخان مقاليد الحكم بعد وفاته إدراكا منه أن تشدده لا ينفع للمغول.

عرفت خانية الجغطاي نوعيين من الصراع الأول ديني بين الوثنية ومعتقداتها مع الإسلام،أما الأمر الثاني،فهو الصراع حول السلطة بين أحفاد جغطاي وأحفاد أوكتاي،وقد أبدى الخان الأكبر إنحيازا لبيت أوكتاى،نتج عنه إصدار الخان الأكبر في قراقورم قرارا بتعيين إبن عمه براق[4] ليكون لمبارك شاه شريكا في الحكم،فلما وصل هذا الأخير شعر أن مركز مبارك شاه قد وصل إلى حد

---

[1]- الرمزى،**مصدرسابق**،ص،442.

[2]- رجب عبد الحليم،**إنتشارالإسلام بين المغول**،د ت،دار النهضة العربية،ص232 .وأنظر أيضا:

أرنولد توماس ،**الدعوة إلى الإسلام**،ص،ص،267،266.

[3]- بارتولد،**تركستان**،ص،707.

[4]- يذكر بعض المؤرخين ومنهم أرنولد وبارتولد نقلا عن مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين أن براق خان أسلم قبل وفاته سنة668ه،1270م،وتسمى بإسم غياث الدين،أنظر:

-بارتولد،**تاريخ الترك في اسيا الوسطى**،تر،احمد السعيد سليمان،دط،الهيئة المصرية للكتاب،1996م،ص،180،180.

- أرنولد توماس ،**الدعوة إلى الإسلام**،ص،266.

الثبات،وصارمتحكما في السلطة ففضل براق خان أن يشعر إبن عمه،أنه جاء لاجئ لاشريكا في الحكم[1]، حكم مبارك شاه فترة قصيرة لاتتعدى سنة664هـ،1265م ويظهر من خلال إسمه أنه كان مسلما، يقول بارتولد أن أمه أرغانة"يشير إليها البعض بإسم أركنة خاتون"،كانت مسلمة فربت إبنها على الإسلام[2]،إلا أن عهد مبارك شاه في الحكم كان قصيرا،لذلك لم يكن دوره بارز في نشر الإسلام في بلاد الجغطاى.

عرفت الفترة مابين عهد مبارك شاه وظهور الخان ترما شيرين[3] تجاذبات عديدة بين المناصرين للإسلام والمعارضين له،فكان يحكم مرة خان مسلم ثم يأتي بعد خان وثنى إلى غاية النصف الأول من القرن الثامن الهجري،الرابع عشر الميلادي حيث بدأ تأثير الوثنية منذ هذا العهد يتراجعبشكل ملحوظ في بلاد الجغطاى،وبدأ الإسلام ينتشر على نطاق واسع،خاصة وأنه بذل جهد كبيرا في ذلك وإتصف بكل صفات المسلمين من إلتزام وعدل ونشر المساواة بين الناس ساعيا إلى تثبيت أركان الإسلام فى تلك البلاد.إلا أن سياسته لقيت معارضة شديدة من الوثنيين،وبعض الأمراء المغول.

كان من بين الأسباب التي سيقت في إتهام الخان ترماشرين وعزله،أنهم أنكروا عليه شريعة جنكيزخان،أي عدم إلتزامه بالسياق كمصدر أساسي لنظام الحكم،إضافة لعدم إلتزامه بالإحتفالات المغولية ومنها يوم الطوى،وهويوم مغولي يجتمع فيه الأمراء والسادة والأميرات من أطراف البلاد كلها مرة في العام،يحاسبون فيها الخان على مدى إلتزامه بالياساق ويعزلونه إذا ثبت ذلك،كما جرت عليه عادة المغول[4]،وكما مر معنا فإن مؤسس الخانية جغطاى كان أكثر الأمراء تقيدا بها،وقد ورث أكثر خلفاءه هذه العادات .

---

[1]- رجب محمد عبد الحليم،**مرجع سابقً**،،233.

[2]- بارتولد، **تاريخ الترك في أسيا الوسطى**، ،ص،219.

[3]- يعد أشهر خانات المغول في بلاد الجغطاى حكم من 726هـ،734هـ،1326م،1334م،تم عزله من طرف الأمراء المغول ،حكم بعده إبن أخيه جنكشي بين734هـ،335هـ،1334م،علا في عهده شأن البوذية والمسيحية،من خلال مستشاريه الوثنيين،كم تم بناء بناء الكنائس ومنها تلك التي بنيت في العاصمة المااليق .

[4]- إبن بطوطة ،**مصدر سابق**، صً،148.

أما السبب الأخيريكمن في إتهام ترماشرين بالإقامة في بلاد ما وراءالنهر دون العاصمة الماليق،لأن أمراء المغول في هذه المنطقة كانوا أكثر تحمسا لهذا الدين الجديد[1].

من جهة بوذيا ومتعاطفا مع المسيحيين وبنيت في عهده كنيسة بالماليق،ثم جاء بعده يوزون،مابين 735هـ،739هـ،1335م،1339م،إلا أنه لم يعتقد بالإسلام وكان متظاهرا به على حد قول فامبري[2]،قرب النصارى واليهود لذلك كرهه الناس،أما إبن بطوطة "فيقول عنه إنه كان مسلما فاسد الدين سيئ السيرة[3].

كما نشطت بعض العناصر الكاثولكية وزادت قوتها خاصة في العاصمة ألماليق،من خلال النشاط التبشرى،لكن الوضع لم يستمر طويلا نتيجة قيام ثورة مضادة للعناصر المعاديةللإسلام،تزعمها

أمير مغولي يدعى السلطان خليل[4]بمساعدة الملك الخراساني معز الدين ال كرت[5]،ونجح في القضاء على هذه الحركة،وفقدان مدينة الماليق دورها السياسي كعاصمة،وبروز مدينة سمرقند.

1--saunders.op.cit.p.p.172.173

أورد الكثير من المؤرخين بعض خصال ترماشرين ومنهم إبن بطوطة وغيره،أنظر:

إبن بطوطة ،**مصدرسابق**،ص،250.

2- أرمينيوس فامبري ،**تاريخ بخارى**،ص،212..

3- إبن بطوطة،**مصدر سابق**،250

4- أورد الكثير من الؤرخين بعض خصال ترماشرين ومنهم إبن بطوطة وغيره،مبرزين دوره وتواضعه وعدله،ينقل إبن بطوطة أنه التقي ترماشرين في إحدى الصلوات وكانت صلاة الفجر،وحدثه عن أمور المسلمين،ففي إحدى الصلوات تأخر ترماشرين فإذا بغلامه يضع السجادة في المكان الذي ألف أن يصلى فيه ،إلا أن الإمام ويقال له حسام الدين الياغي قام للصلاة دون أن ينتظر السلطان قائلا "الصلاة لله أم لترماشرين.

-يعرف بالسلطان خليل بن دوا بن براق خان حكم من 743هـ،744هـ،1342م،1343م،يذكر بارتولد أن هذا السلطان كان مرشدا روحيا لبهاء الدين النقشبندي البخارى،الذي عاش بين،(718هـ،782هـ)،1318م،1389م،وبعد وفاة السلطان خليل =إقتنع بهاد الدين أن الدنيا لا خير فيها وإنقطع لحياة الزهد والعبادة،ونتج عن نشاطه ظهور واحدة من أكبر الطرق الصوفية في بلاد ما وراء النهر عرفت بالطريقة النقشبندية،وقد كان لهذه الطريقة دورا كبيرا في الحياة الدينية للتيموريين خاصة تيمورلنك وإبنه شاهرخ،ويمكن العودة إليها في ثنايا العمل..

5- تنحدر عائلة أل كرت من سلالة السلاطيين التي حكمت هراة وما حولها،ين فترة الغزو المغولي حتى قيام إمبراطورية تيمورلنك.

لم يتحقق الإنتشار التام للإسلام في بلاد الجغطاى ،إلا في عهد تغلق تيمور الذي حكم الفترة الممتدة بين،748ه،756ه، 1348م،1363م ،تقول بعض المصادر والمراجع أنه إعتنق الإسلام على يد رجل فارسي قدم من بخارى يدعى جمال الدين،أورد رجب محمد عبد الحليم في كتابه إنتشار الإسلام بين المغول[1]،وأرنولد توماس في كتابه الدعوة إلى الإسلام،تفاصيل ورواية دخوله الإسلام.

تقول الروايةّ "أن مجموعة من التجار وكان بينهم الشيخ جمال الدين وفي طريقهم إعتدوا على بعض الأراضي التي خصها ذلك الأمير للصيد،فأمر من حراسه أن توثق أيديهم وأرجلهم،وأن يمثلوا أمامه،ثم سألهم في غضب،كيف جرأتم على دخول هذه الأرض؟.

أجابه الشيخ أنهم غرباء ولايعلمون بأنهم يجوبون أرضا محرمة،ولما علم الأمير أنهم من الفرس،قال لهم أن الكلب أغلي من أي فارسي،فأجاب الفارسي نعم كنا أخس من الكلب،وأبخس ثمنا منه،لو أننا لم ندن بدين الحق،وطالب الأمير حراسه بإحضاره وفور عودته من رحلة الصيد،ولما عاد من رحلته خلا به الشيخ وشرح له مبادئ الإسلام،فأعجب بها،ووعده أن يخدل الإسلام أن عادت له مملكة أجداده[2].

كانت المناطق الشرقية من خانية جغطاي منفصلة إنفصالا سياسيا تاما عن بلاد ما وراء،والتي تحكم أهلها في زمام الأمور ومنها خرجت الشخصية القوية على حد تعبير بارتولد[3]،إلا أن بارتولد نفسه يعيد ويذكر بأن لا توجد معلومات مؤكدة عن إنفصال الماليق عن بلاد ما وراء النهر[4].

[1]- محمد رجب عبد الحليم،**مرجع سابق**،ص،ص،242،241.وأيضا:
توماس أرنولد ،**مرجع سابق**،.266.
[2]- محمد رجب عبد الحليم،**مرجع سابق**،ص،ص،242،241.وأيضا
- توماس ارنولد ،**مرجع سابق**،ص،ص،267،266
[3]- بارتولد،**تاريخ الترك في اسيا الوسطى**،ص،130.
[4]- نفسه،ص،131.

سواء كانت الرواية صحيحة أو لا فإن الحقيقة المؤكدة أن تغلق تيمور نجح في توحيد مملكة الجغطاي،وكان الشيخ قد توفي خلال عودته إلى بلاده،لكنه أوصى إبنه رشيد الدين أن يذكر الأمير بما وعد به،وقد فعل الإبن ذلك بعد عدة محاولات متكررة[1].

قدر الله أن تحقق الوحدة الدينية والسياسية في مملكة جغطاي،وأن يعتنق تغلق تيمور الإسلام،وكان من نتائج ذلك دخول إقليم تركستان عهدا جديدا،بدأ فيه الإسلام ينتشر على نطاق واسع ويتجذر في المنطقة، صحيح أن الأمر ظل متاخرا إذاما تمت المقارنة بين ما حدث في بقية المناطق التي دخلها المغول،ولكن التأثيرات القوية للنفوذ الصينى والديانة البوذية،أجل إنتشار الإسلام في تلك المنطقة،وقد إتخذ تغلق تيمور من أحد أبناء تلك البلاد وزيرا له،وكان تيمورلنك هو ذلك الوزير[2]،الذي سيعظم دوره و سيكون له دورا هاما في بلاد ماوراء النهر خاصة،ومعظم أجزاء إمبراطورية جنكيزخان،كما سيكون له دورا بارزا في تاريخ العالم الإسلامي،حيث صار من أكبر الأمراء والحكام قوة وجبروت[3].

---

[1]- نفسه،ص،242

[2]- ارمينيوس فامبري،مرجع سابق،ص،209.

[3]- نفسه،ص،210.

الفصل الأول تيمورلنك

يعتبر إنتشار الإسلام بين المغول من أهم الإنجازات الكبري التي حققها المسلمين،خاصة في ظل الصراع الحاد بين الوثنية والمسيحية من جهة ،والإسلام من جهة أخرى ، لقد تركت الصورة المروعة التي دخل بها المغول بلاد المسلمين أثرا بالغا في النفوس،حتى عندالمتأخرين منهم ، فكان ذكرهم في كل العصور مرادفا للهمجية والتدمير والتخريب و الدمار ، وتعدد ذكر مجازرهم في ثنايا صفحات الكتب،فكم من المدن التي خربت والأرواح التي زهقت،لكن الضعفاء من المسلمين علماء ودعاة وتجارا إستطاعو أن يحولوا المغول الى عنصر هام من عناصر بناء الحضارة الإسلامية.

تحققت قدرة الله في خلقه،إذ أخرج من نسل المغول من يعبد الله ولا يشرك به،ففي إيلخانية إيران وفارس والعراق تحول المغول من نسل هولاكو إلى الإسلام،وكان هو العدو الأول له،وجاء من أحفاده من يعبد ويؤمن بمحمد عليه الصلاة والسلام.

أما في بلاد الجغطاي والتي كانت أكثر الإيلخانات وثنية وعداءا للاسلام، ورغم ذلك فجاء من نسل جغطاي من يعبد الله ويوحده،كالسلطان ترما شرين،وبعده تغلق تيمور،الذى وحد إقليم مغولستان، رغم أن جده جغطاي كان من ألد أعداء المسلمين ،وفي مغول القبيلة الذهبية أسلم بركة خان ،وكان أول مغولي من كبار الأمراء الذي يعتنق الإسلام، وكان له دور كبير في نشره،ومقاومة مغول أبناء عمومته إيران،ولم يتحق نصر الإسلام إلا بين مغول الصين فقط.

في هذه البيئة السياسية والدينية،ظهرت شخصية تيمورلنك،ودولة التيموريين،بعد مئة سنة من زوال إمبراطورية جنكيزخان.

شكل جنكيزخان واحدة من بين أكبر الإمبراطوريات في التاريخ،إمتدت أراضيها من البحر الأصفرفي آسيا الشرقية شرقا،إلى روسيا غربا،وشملت خلالها أجزاء واسعة من العالم الإسلامي،جامعة معظم الأقوام والأمم المغولية والتركية في دولة واحدة[1].

حافظت الإمبراطورية على قوتها وإتساعها مؤقتا خاصة بعد أن مد هولاكو جفيد جنكيزخان في مساحتها بعد أن أسقط الخلافة العباسية سنة656هـ،1258م،إلاأنها سرعان ما بدأت تفقد وحدتها وتماسكها الجغرافي والسياسي،تحت تأثير عوامل شتى ومنها بالخصوص،كثرة الصراعات الداخلية بين الإمارات المغولية،وميل كثير من حكام المغول إلى الحياة الرغدة في بكين[2] وتبريز[3]،أفقد المغول الكثير من السمات التي طبعوا عليها،كالباس والجلد،وهي قيم زرعتها الطبيعة القاسية في منغوليا ،إضافة إلى صرامة القوانيين المغولية.

كما أن إنتشار الإسلام بين مختلف العناصر المغولية،جعل هؤلاء يندمجون في الحياة الجديدة بعيدا عن ما ألفه أسلافهم،معتقدين بقيم جديدة بعيدة عن ما ألفه الإنسان المغولي.

عمل إنتشارالإسلام بين المغول على زيادة حدة الصراع بين مختلف الإمارات المغولية التي دخلت الإسلام ،وتلك التي بقيت على وثنيتها وخاضعة للتأثيرات المسيحية، متمسكة بالتعاليم البوذية،وهنا يمكن أن نذكر الصراع الذي حدث بين مغول إيران ومغول القبيلة الذهبية،وهو الأمر نفسه الذي عرفته مملكة جغطاي ،إذ إشتد الصراع فيها بين بيت أوكتاي وبيت جغطاي،وأحيانا ما كان الصراع الديني بين المسلمين والوثنيين قائما كما حدث في عهد الخان مبارك شاه.

---

[1]- فؤاد عبد المعطي الصياد،**المغول في التاريخ**،ص39.

[2]- صارت بكين عاصمة المغول بعد أن أسقط قوبيلاي خان امبراطورية سونج،انظر: الصياد ،المغول في التاريخ،ص،23

[3]- تبريز بكسر اوله،وسكون ثانيه،وكسر الراء اشهر مدن اذربيجان،مدينة عامرة ذات أسوار محكمة،إتخذها الإيلخانيون عاصمة
لهم،أنظر:
أبو العباس احمد بن علي القلشقندي،**صبح الآعشى في صناعة الإنشا**،تع،محمد حسين شمس الدين،ج4،بيروت،1407هـ،1987م،ص،357.

أما بالنسبة لمغول الصين فان الامر بقي على حاله ،خاصة وان التاثير الوثني في تلك المنطقة ظل قويا وفعالا في البيت المغولي ،رغم المجهود الكبير الذي بذله بعض المستشارين المسلمين.

إذا عدنا إلى النصف الأول من القرن الثامن الهجري،الرابع عشر الميلادي،يكمن القول أن خانية إيران القوية التي ورثها أحفاد هولاكو،ظهرت فيها أربع دول بعد وفاة الخان أبي سعيد الإيلخاني[1] الذي يعد آخر أقوى الإيلخانات في إيران.

تقاسمت هذه الدول النفوذ في خانية إيران،فحكم الجلائريون مناطق توريز وبغداد وعاصمتهم توريز ،في حين حكم آل مظفر فارس وعراق العجم وكرمان وعاصمتهم يزد،أما قبائل الكرت فحكموا المناطق الشمالية من إيران وعاصمتهم هراة،في حين إمتد نفوذ السربداريون على أجزاء واسعة من خراسان.

اذا تمعنا في هذا الانقسام نانما هو تعبر مؤكد على حالة الضعف والانقسام والتشتت التي وصلت اليها الممتلكات المغولية،مما اضعف دورها وقوتها،وجعلها فريسة لاطماع القوى الخارجية.

ساعد هذا الإنقسام على تشتت القوى بعد أن دخلت تلك الدول في صراع مرير بينها،مما جعل المنطقة تفقد تأثيرها السياسي والعسكري،أما الدولة الإيلخانية التي صارت لاتحمل إلا الإسم،تعاقب على سلطتها الكثير من الأمراء كان آخرهم،أبو شيروان العادل[2]،الذي توفي سنة756ه،1355م،وبذلك إنقرضت دولة المغول في إيران[3]،أما القبيلة الذهبية فلم تحافظ على قوتها وإستقرارها وكانت مثار حروب وفتن داخلية،وأطماع خارجية،ورغم فترة الإستقرار النسبي الذي عرفته في عهد أوزبك خان،إلا أن عهد خليفته محمد عرف الكثير من الإضطرابات،خاصة فيالبيت

---

[1]- سابع أمراء المغول الإيلخانيين حكم إيران بين 716ه،736ه،1316م،1335م،في عهده تم الصلح مع مصرسنة 726ه،1325م،يقال أنه مات مسموما من طرف إحد ى زوجاته ،أنظر:

شعبان طرطور ،**الدولة الجلائرية**،دط،دار الهداية،1407ه،19887م،ص،14.

[2]- عبد السلام عبد العزيز فهمي،**مرجع سابق**،ص،239..

[3]- أنظر:محمد سهيل طقوش،**تاريخ المغول العظام الإيلخانيين**،ط1،دار النفائس،2007.

الحاكم إذعمد الخان محمد إلى قتل إخوته[1]،مما فتح المجال واسعا أمام الصراعات الداخلية،والأخطار الخارجية المحدقة بالبلاد[2].

أمام الخطر الروسي الذي ظل يحدق بمغول القبيلة الذهبية،خاصة وأن روسيا ظلت لتاريخ طويل تحمل شعار الدفاع عن مصالح الشعوب السلافية المتمسكة بالقيم المسيحية الارثوذكسية[3]،وتغطى كثير من حملاتها العسكرية بغطاء ديني حتى تجند الكثير من المتعاطفين معها من القوى الأوربية خاصة في الجزئ الشرقي لأوربا،إضافة إلى كسب تاييد الصليبيين المتأثرين بالهزائم العسكرية التي لحقت بهم في بلا د الشرق.

أما مملكة جغطاي فظلت هي الأخرى محل صراع وتنازع ،بين الإسلام والوثنية[4]،محافظة على روح البداوة ،مختلفة عن شعوب المغول في الصين وإيران،وبصفة عامة يمكن القول إن إمبراطورية جنكيزخان لم يبق منها سوى إمارات ودول متنازعة فيما بينها،طبعتها تحولات كبرى سياسيا وإقتصاديا ودينيا،في ظل هذا الوضع السياسي والاقتصادي والديني ظهرت شخصية تيمورلنك خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري،الرابع عشر الميلادي.

[1] - الرمزي،**مصدرسابق**،ص،531

[2] - نفسه،ص،531.

[3] --شنت روسيا عدة حملات عسكرية على مغول القبيلة الذهبية،الاولى سنة780ه،1378م،والثانية سنة782ه،1382م،الحق خلالهما هزيمتين معتبرتين بمغول القبيلة الذهبية،وكان الهدف هو الترمن سيطرتها التي فرضت عليها منذ عهد باتو خان سنة 635ه،1238م،وقد رد الخان توقتمش على تلك الحملات بحملة عسكريية ناجحة سنة 783ه،1382م،أنظر :
أحمدحطيط،**حروب المغول**،ط1،دار الفكر العربي،لبنان،1994،ص،67

[4] - إشتد الصراع بشكل حاد في مملكة جغطاى،في ظل انحياز الخان الاعظم في قراقورم الى بيت اوكتاى،و والذي لم يكن راضيا على إعتلاء مبارك شاه الحكم و الذي يبدو من خلال إسمه أنه كان مسلما،انظر:
بارتولد،تركستان،**مرجع سابق**،ص،707.

1-نسبه وتسميته

الحديث عن تيمورلنك[1]،هو الحديث عن مؤسس الدولة المغولية الثانية في العصور الوسطى،والتي أطلق عليها المؤرخيين دولة التيموريين،تعبيرا عن تيمورلنك وخلفاء من بعده،ولد تيمورلنك في منطقة كش داريا[2] القريبة من مدينة سمرقند[3] في بلاد ما وراء النهر.

أما عن نسبه وتاريخ ميلاده فهناك تباين بين المصادر العربية والفارسية،ففي المصادر الفارسية المتعددة التي إهتمت بسيرة تيمورلنك[4]،

يذكر نسبه ،أنه الأمير تيمور كوركان بن الأمير ترغاي بن الأمير بركل بن ايلنكير نويان بن الأمير إنجل بن قراجار بن نويان بن الأمير سوغوجين بن ايرزمجي بن قاجولي بهادربن تومنة خان بن

---

[1]- تعنى كلمة تيمور الحديد باللغة التركية ،أما اللنك فتعني بالفارسية الآعرج،وهي عاهة جسدية أصيب بها تيمور،ونستعمل في هذا العمل كلمة تيمورلنك،للمزيد أنظر:

BERTOLD ;SUPLER ;**LES MONGOLES DANS L HISTOrie** paris.1961.p.102.

[2]- تقع كش داريا على نهر كشكا داريا في اقليم ما وراء النهر،تبعد حوالى ثلاث عشرة كلم عن مدينة سمرقند ،ذكرت في العديد من المصادر الجغرافية،منطقة حصينة،تدرك بها الثماراسرع من كل بلاد ما وراء النهر،اطلق عليها في العصور الوسطى(مدينة شهرزاب او المدينة الخضراء،أنظر:

زكريا محمد بن محمود القزويني ،**أثار البلاد وأخبار العباد**،دط،بيروت للطباعة والنشر،1404هـ،1984م،ص،554.:

-كي لسترينج،**بلدان الخلافة الشرقية**،بر،بشير فرنسيس ،كوركيس عواد،مطبعة الرابطة،بغداد،1373هـ،1954م،ص،ص 512،513،.

[3]- يشار الى مدينة سمرقند بالتفصيل في هذا العمل انظر ص وما بعدها..

[4]- هناك الكثير من المصادر الفارسية التي تحدثت عن تيمورلنك وسيرته وذكرها الكثير من المراجع الا انني لم اتمكن من الاطلاع على محتواياتها بشكل مباشر، الا من خلال الاطلاع على بعض المصادر والمراجع العربية التي اشرت الى محتواها او العودة الى بعض الكتب المترجمة من اللغة الفارسية الى اللغة الفرنسية او الانجليزية ،كم هو الحال بالنسبة للترجمة الفرنسية لكتاب ظفرنامة ،للمؤخ الفارسي شرف الدين علي اليزدي،كاتب سيرة تيمور وقد بترجمته الى اللغة الفرنسية المستشرق الفرنسي بتتى دولا كروا،وهناك بعض الرسائل الجامعية في بعض الجامعات العربية التى تطرقت الى تلك المؤلفات،ومؤرخي سيرة تيمور،ومنها رالة دكتوراه في جامعة ام القرى بالسعودية،لمحمد سالم بكرباعامر سنة 1993م،بعنوان صلة الدولة التيمورية بالعالم الاسلامي.

باديسنقربن يوزنجر قان بن الأنقو قيات،والذي يصل إلى يافت بن نوح عليه السلام[1].

أما في المصادر العربية فإن الكثير منها نقل عن بعضها البعض،فنجد يوسف بن تغر ى بردى في المنهل الصافى يذكر نسب تيمورلنك كمايلي فيقول "تمر وقيل تيمور وكلاهما يجوز بن إيتمش قلنغ بن زنكى سنيبا بن طارم طرا بن طغريل بن قليج بن سنقوز بن كنجك بن طغر سبوقا بن التاخان الطاغية تيموركوركان،وكوركان باللغة العجمية صهر الملوك[2]،وقد نقل الكثير من المؤرخيين الذين جاؤوا بعد إبن تغرى بردى ذلك النسب[3].

إذا قمنا بمقارنة بسيطة بين ماكتبه مؤرخو الفرس والعرب حول نسب تيمورلنك نجد بشكل واضح إختلافا في نسبه بين المصادر العربية والفارسية،وقد شمل هذا التباين الإختلاف إلى تاريخ ميلاده،ففي المصادر الفارسية نجد أن تاريخ ميلاده كان ليلة الثلاثاء الخامس والعشرين من شعبان سنة 736هـ،1326م[4]،وهي السنة التي توفي فيها آخر الإيلخانيين أبي سعيد بهادر خان،في حين أن

---

[1]- ذكر هذا النسب الطويل في المصادر الفارسية،خاصة شرف الدين علي اليزدي في كتابه ،**ظفرنامة**،تصحيح وتحقيق مولوى محمد، طبعة كلكتا سنة 1877م،الجزء الاول ،ص،730،اما الكتاب الثاني فهو **حبيب السيرفي اخبار البشر** للمؤرخ خوانمير غياث الدين بن همام،طبعة 1283هـ،وقد نقل عنهما الاستاذ محمد سالم بكر باعامر في رسالة الدكتورة التي انجزها سنة 1993م،بجامعة ام القرى المملكة العربية السعودية،انظر:

محمد سالم بكر باعامر،**صلة الدولة التيمورية بالعالم الاسلامي في عهد تيمورلنك**،رسالة دكتورة،إشراف محمد جبر ابو سعد جامعة ام القرى،المملكة العربية السعودية،1413 هـ،1993م،ص،1.

[2]- جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغرى بردى ت874هـ،**المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**،تح،محمد محمد امين .، دط،ج4،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1986م،ص،103.

جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغرى بردى ت874،**النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**،تق،تع،محمد حسين شمس الدين،ط1،ج12ندار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان،1413هـ،1992م،ص،172

[3]- من المؤرخين الذين نقلوا نقلا حرفيا عن ابن تغرى بردى،ابن العماد الحنبلى المتوفي سنة 1032هـ،انظر:.

ابن العماد الحنبلي،**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**،،تح،عبد القادر الارناؤوط،محمود الارناؤوط،ط1،ج9،دار ابن كثير دمشق،1413هـ،1993م،ص،ص،97،96.

[4]- محمد سالم بكر باعامر،**مرجع سابق**،ص،2.

-عباس إقبال ،**تاريخ إيران**،ص،ص،496،495..

المصادر العربية تذكر تاريخا مغايرا وهو سنة728ه[1]،أما الغياثي فأخطأ في تاريخ ولادته[2] إذ ذكر سنة 807ه،وهو الحقيقة تاريخ وفاته.

وفي حقيقة الأمر فإن الكثير من المؤرخين يميلون إلى التاريخ الأول[3] الذي ذكر في المصادر الفارسية وتناقلته الكثير من كتابات المستشرقين فيما بعد.

وربما أن هذا التباين في ماكتبه العرب والفرس إنما يعود إلى تباين الموقف من شخصيته وفعاله،فأغلب المصادر العربية خاصة المؤرخين الذين كانوا على علاقة جيدة مع المماليك،أو من خدمهم أخذوا موقفا معاديا لتيمورلنك غلب عليه أحيانا الموقف الشخصي على الحقيقة التاريخية مصورين إياه بمختلف النعوت ويمكن أن نثير بعض هذه النقاط إنطلاقا مما يأتي في غضون هذا العمل،وفي المصادر العربية نجد رأيا مختلفا فيما جاء به إبن خلدون متحدثا عن تيمورلنك وأظهر ما يمكن أن نعتبره إعجابا بهذه الشخصية ،مما جعل بعض خصومه يتهمونه بالتملق لتيمورلنك،أما عن حياته وطفولته فإن المصادر التاريخية، لم تزودنا بكثير من التفاصيل،إلا أن ماوجد في بعضها على تناقضه لا يفى بالغرض، خاصة فيما يتعلق بمنصبه السياسي والعسكري ودوره في بلاد ما وراء النهر،خاصة أن معظم المصادر التاريخية تشير إلى أن نسبه لا يرقى إلى أسرة عريقة،توراثت الحكم،إنما ينتمي إلى قبيلة برلاس،وهي من القبائل التي كانت تحكم في منطقة كش داريا بإسم سلالة الجغطائيين

---

[1]- إبن تغرى بردى،**النجوم الزاهرة**،ص،172

-إبن تغرى بردى،**المنهل الصافى**،ص،103،

إبن العماد الحنبلي،**مصدرسابق**،ص،96

[2]- عبد الله بن فتح الله المعرف بالغياثي،**تاريخ الدول الاسلامية في الشرق**،تح،طارق نافع الحمداني،دار ومكتبة الهلال ،ط2010،1،ص، 181

[3]- الغياثي،**مصدر سابق**،هامش،ص،182.

-محمد سالم بكر باعامر،**مرجع سابق**،ص،4.

في بلاد ماوراء النهر،أما عنمراحل طفولته فيمكن العودة إلى مذكراته ،التي روى فيها سيرته[1]،ويمكن ذكر بعض ما جاء فيها على لسان صاحبها،فيقول عن تسميته بتيمور أن والده طرقاي أخبره قائلا:على أثر ولادتك إصطحبت أمك الفاضلة لتقدم فروض الطاعة والولاء للولي الشيخ شمس الدين،ولما دخلنا داره،وجدناه يتلو بصوت مرتع السورة السابعة والستين من القران الكريم،ويردد الآية"ءامنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض وهي تمور"[2]،وعندها توقف الشيخ وقال لقد سمينا إبنكم تيمور[3].

يقول أيضا أنه عند السابعة من عمره بدأ في تعلم القراة،وعند التاسعة بدأ في تعلم الشعائر الدينية التي تقام في المسجد،ويضيف متحدثا أنه في السادسة عشر من عمره أخذه والده طرقاي إلى الخانقاه التي يقيم بها،ويقول أنه حدثني عن تاريخ أسلافي وأجدادي،ويفهم من محتوى ذلك النقاش أن تيمورلنك كان على علاقة قوية مع والده،كما أن تيمورلنك يعترف تليمحا فيما يبدو بأصوله المغولية،أما عن محتوى ما كتب في هذه المذكرات فيمكن أن ننقل بعض المعلومات أكثرها على لسان الوالد وهو يحدث إبنه ناصحا وموجها قائلا:كان مكتوب في التاريخ التركي أننا ننحدر من يافت أغلان الملقب بأبي الأتراك،وحين إرتقى ولده الخامس التجه خان العرش رزقه الله تعالى والدين أطلق

---

[1]- مذكرات تيمورلنك التي كتبت باللغةالجغائية وترجمت الى الغلة الفارسية من طرف ابو طالب الحسينيوتم ترجمتها الى اللغة الانجليزية من طرف تشارلز ستيورات،وتم ترجمتها الى اللغة العربية من طرف دينا الملاح،وقد اثير جدل كبير حولها خاصة وان تيمورلنك لم يكن يعرف القراءة والكتابة،الا ان القارئ لتلك المذكرات يشعر وان تيمورلنك كان يعرف القراءة والكتابة بما فيها اللغة العربية،الا ان كثير من الحوادث التاريخية تشير الى عكس ذلك ،ومن مثل ذلك ما حدث خلال دخول تيمورلنك الى حلب ودمشق وعند لقاءه ابن خلدون وجد من يقوم بعملية الترجمةنولكن ما يجب التنبيه اليه ان هذه المذكرات تتفق مع ما ذكره بعض مؤرخي الفرس عن تيمورلنك،الا انها احيلنا تتناقض مع ما كتبه المؤرخون العرب،ورغم كل هذا يمكن الاشارة الى ان الدارس لابد علية ان يتوخى الحذر وهو يقرا هذه المذكرات أنظر:

تيمورلنك،**مذكرات تيمورلنك**،وضعت باللغة الجغطائية،تر،أبو طالب الحسيني إلى الفارسية،تر،تشارلز ستيورات إلى الآنجليزية،تر،دينا الملاح إلى العربية،ط1،مكتبة مؤمن قريش،2014م.

[2]- سورة الملك، الآية 16.

[3]- مذكرات تيمورلنك،**مصدرسابق**،ص،41.

على أحدهما إسم تتار والآخر مغول...إلى أن تنتهى القصة[1]،ويفهم من القصة أن أصل التيموريين والجتكيزخانيين هو واحد وهو العنصر التركي،ولذلك نجد أن المصادر ترى أن المغول والتتار والأتراك هم من أصل واحد[2]،ومن هنا نجد أن أغلب الذين كتبوا عن تيمورلنك يصفونه بالمغولى،أما لهذا النسب الذي أشرنا إليه أو نتيجة تغلبه على بني جغطاي وهم من سلالة المغول[3].

يضيف تيمورلنك في هذه المذكرات ،أنه كان جل وقته في قراءة القرآن ،ولعب الشطرنج ، والإنشغال في الأعمال الخيرية،وإلتماس البركة من النساك والدراويش،وإذ إستثنينا الأمر الأول وهو قراءة القرآن بإعتبار أن كل المصادر أكدت أن تيمورلنك لم يكن يعرف القراءة والكتابة،إلا أن ما تبقى مما ذكر فهو مؤكد في جل المصادر العربية والفارسية،خاصة إتقانه لعبة الشطرنج التي كان بارعا فيها،أم عن علاقته بالنساك والدراويش فلا يعد أمرا مستبعدا نظرا لأن الطرق الصوفية كان تأثيرها في هذه البلاد قويا ،خاصة الطريقة النقشبندية[4] التي وجدت التأييد والمساندة من تيمورلنك وحتى من خلفاءه من بعده.

---

[1]- مذكرات **تيمورلنك**،ص،ص،47،46.

[2]- الرمزي،**مصدر سابق**،ص،333.

[3]- يؤكد المؤرخون الفرس ان تيمورلنك من نسل المغول معللين ذلك بقولهم ان نويان خان يعتبر الجد الرابع لجنكيزخان والجد التاسع لتيمورلنك،كما هو عند اليزدي وخواند مير اللذين نقل عنها صاحب الصلة،اما المؤرخون العرب ذكروا ان لتيمورلنك نسب يصل الى جنكيزخان من جهة الام،ام ابن خلدون يقول انه من غير نسبهم انما هو متغلب على صبي من اعقاب ملوكهم اسمه طقتمش،وان كان الدارس يتعسر عليه تاكيد او نفى ذلك ،ولكن ما هو مؤكد ان معظم المؤرخين وحتى المسبشرقين منهم غالبا ما استعملوا اسم المغول للدلالة على التيموريين،كما استعمل مصطلح المغل على التيموريين الذين حكموا الهند،وكان اشهرهم ظهير الدين محمد بابر،كما يشير الكثير من المؤرخين الى الاصل المشترك للمغول والترك< ،والى تداخل اللغتين المغولية والتركية،وان ثلاثة ارباع الالفاظ في اللغتين واحدة،وان اللسان المغولى هو احد السنة الترك،انظر:

رائد عبد الرحيم،**ألفاظ مغولية في أدب العصر المملوكى وكتب مؤرخيه**،648ه،803ه،مجلة جامعة النجاح للابحاث والعلوم،مج22،عدد2008،4م.

[4]- أنظر الصفحة من هذا العمل.

5-تستعمل كثير من الآلفاظ التركية والمغولية المشتركة،مثل إيلخان،خاتون،الطقزات،بهادر،الخاقان،وغيرها،أنظر:

رائد عبد الرحيم،**مقال سابق**،ص،1306،وما بعدها.

في كتابات المتأخرين عن تيمورلنك نجد أن الكثير منهم أكد على مغوليته، سواء من حيث إستعمال المصطلح المغولي،لأن أغلب المراجع تستعمل كلمة المغولى أما تأكيدا للنسب،أو ربطا للأفعال التي شابه فيها تيمورلنك جنكيزخان. فهو ليس بالتتري لأن التتر إنتهوا بعد ظهور جنكيزخان الذي تغلب عليهم،وهو في نفس الوقت ليس بالتركي لأنه كان مغوليا أكثر منه تركيا،ولأن التسمية بالتركية لا تصح إلا بالنسبة للسلاجقة والعثمانيين[1].

بدأ حياته بإسم تيمور،ولم يعرف بتيمورلنك إلا بعد أن أصابه العرج،ومعنى اللنك في اللغة الفارسية هو الأعرج وهنا أيضا تتناقض الروايات التاريخية حول سبب ذلك ،فالمصادر العربية تذكر أن تيمورلنك كان في بداية حياته يتجرم ويمارس اللصوصية،ففي إحدى الليالي سرق غنمة وحملها،فضربه الراعي بسهم في كتفه وألحقه بآخر فأصاب في فخذه،ومن ذلك اليوم أصيب بالعرج،وهي رواية يذكرها إبن عرب شاه،وغيره من المؤرخين العرب[2]،ويضيف إبن عرب شاه قائلا :

إن الراعي حمله إلى سلطان هراة المسمى حسين،حيث ضرب وأمر السلطان بصلبه،إلا أن إبن السلطان المدعو غياث الدين شفع فيه عند أبيه ،فقال له جغطائى حرامي أن بقى أهلك البلاد والعباد،فقال له إبن السلطان ما عسى أن يصدر من نصف أدمى [3]،أن صحت رواية إبن عرب شاه ومن أخذ برأيه فإن تيمورلنك قد عاش حياة صعبة في طفولته ،جعلته يسلك طريقاغير صحيح هو أقرب إلى الإنحراف واللصوصية، وقد يكون ما ذكره إبن عرب شاه مجرد إفتراء خاصة وأنه أكثر المؤرخيين العرب قسوة معه وقد ذهب الكاتب الإيطالي دي مخائلنى في إتجاه إبن عرب شاه[4]،إلا أنه في نفس الوقت يشير إلى رواية أخرى تنسجم مع ماذكره بعض مؤرخي الفرس، خاصة فيما يتعلق

---

[1]- محمد أسد الله صفا،**تيمورلنك**،ط1،دار النفائس،1410ه،1990م،ص.6،

[2]- إبن عرب شاه،**المخطوط**،ص،9.

إبن العماد الحنبلي،**مصدر سابق**،ص،97.

[3]- إبن عرب شاه،**مصدر سابق**،ص،9

[4]- أحمد عبد الكريم سليمان،**تيمورلنك و المماليك الجراكسة،مع ترجمة مقال دي مخائلنى حول تيمورلنك**،ط1،دار النهضة العربية ،1405ه،1985م،ص،43.

بعض صفاته الجسدية والعسكرية،خاصة فيما يتعلق بشجاعته وجبروته وأفعاله الحربية التي لم تكن تختلف إطلاقا عن جنكيزخان.

إختلف المؤرخ الفارسي عباس أقبال،في كتابه تاريخ إيران عنهم،فيورد رواية مختلفة تنسجم مع ما ذكره المؤرخون الفرس،فيذكر أنه خلال حربه مع تغلق تيمور خان بلاد ما وراء النهر،هرب تيمور رفقة الأميرحسين[1] إلى معز الدين كرت في مدينة هراة،لكن تغلق تيمور طلب منه تسليمهما،ففرا إلى قندهار[2]،إلا أن والي سيستان[3] إحتال عليهما،وهاجمهما وأثناء القتال أصيب تيموربعدة طعنات منها في عقب قدمه وكتفه،وفقد إصبعين آخرين من كفه اليمنى،وأصيبت رجله اليمنى بضربة لم ترجع بعد ذلك إلى حالتها الطبيعية،فظل يمشى طوال حياته أعرجا[4]،فأطلق عليه تيمورلنك ،واللنك كما مر معنا كلمة فارسية تعنة الأعرج،وبين ما ذكر في المصادر العربية ،وما تناقله المؤرخون الفرس حول هذه الحادثة يبدوا التباين كبير جدا،ولايستبعد أن يمتد هذا التباين إلى بعض ،الحوادث التاريخية، إذ كثير ما يسجل عدم تطابق تام بين مختلف المؤلفات التاريخية.

2-طفولته:

لا نجد في كتابات المؤرخين إشارات واضحة لطفولته،إلا بشكل مقتضب ،ولا نجد إيضاحات مفصلة في إلا في مذكراته التي فصل فيها عن طفولته وشبابه،إذا أخذت بها إلاأننى أحيانا أجد تناقض فيما وجد في تلك المذكرات وفيما كتبه بعض المؤرخين عن طفولته،يذكر الغياثي

---

[1]- الآمير حسين هو حفيد كازغان أخر الإيلخانات في بلاد ما وراء النه،تقرب منه تيمور وصار صديقه،بعد ان تحالفا لمواجهة الخطر المشترك الذي يمثله تغلق تيمور،ثم تزوج تيمور أخت السلطان حسين،بعد أن عظم شأن،وأصبح يطلق عليه اسم كوركان أي صهر الملوك،الإ ان العلاقة سرعان ما ساءت بعد ذلك

[2]- قندهار:تقع قندهار جنوب أفغانستان،يرجع تاريخها إلى أكثر من 3000سنة قبل الميلاد،ظلت في معظم فترات التاريخ هدفا للامبراطوريات ،نظرا لموقعها الإستراتيجي.

[3]- سيستان،منطقة تاريخية تقع في شرق إيران،ويقع جزء منها في أفغانستان،كانت في معظم فترات التاريخ جزءا من الإمبراطورية الفارسية،ومنها جاء الصفاريون الذين حكموا إيران من القرن التاسع إلى غاية القرن الحادى عشر الميلادى

[4]- عباس إقبال،**تاريخ إيران**،ص،593.

عنتيمورلنك، بأن أبوه كان فلاحا،ونشأ تيمور هذا خاملا[1] ،وفي هذا المعنى لا نجد مايشير إلى ذلك النسب العريق،وهنا أيضا يذكر الغياثي حادثة إصابته بالعرج وينسبها إلى نفس الرواية التي سار عليها إبن عرب شاه وغيره من المؤرخين العرب،وهي قضية السرقة والتجرم[2]،إلا أنني في مذكراته لاأجد مثل هذا الكلام،بطبيعة الحال هنا مقام المقارنة غير دقيق،لأن من يكتب عن نفسه لا يمكن أن يذكر ما من شأنه أن يسيئ إليه،وحتى لا أخوض في هذا الموضوع دون أدلة كافية ،يمكن الإستناد إلى مذكراته إذ يتحدث فيها بشكل مفصل عن مراحل حياته،على أن أقدم ما يمكن أن يكون منافيا لتلك المعلومات.

نشأ تيمور مع أمثاله،وترعرع على عادة كل الشعوب البدوية على الفروسية والصيدوركوب الخيل،كان شغوفا بالصيد،محبا للألعاب الحربية،وكثيرا ماكان يتفوق على أقرانه في إستعمال الأسلحة[3]،ورغم أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة كما ذكرت أغلب المصادر والمراجع[4]،إلا أن في مذكراته يستوحى ما يفيد أنه يعرف ذلك وأنه في سن السابعة من عمره إلتحق بمدرسة الملا علي بك،وقد تعلم هناك الكتابة بالحروف العربية.

في موضع آخر من المذكرة يتحدث تيمورلنك على أنه حظى بتأييد إلهي،ويسرد هنا رواية طويلة نختصرها فيما يلي:يقول في سنة 771هـ،1378م،وهو التاريخ الذي صارفيه حاكما على كل بلاد ما وراء النهر،إلتف حوله العلماء والدعاة والدراويش مبتهلين وفرحين يدعون له،إلا رجل يقال له الخواجة عابد،الذي خاطب القوم قائلا:كيف تدعون لهذا القاتل المتوحش،المتعطش للدماء[5]،وفي تلك الللية رأى الخواجا عابد في الحلم النبى صلى الله عليه وسلم،وأمره أن يقوم بتأييد تيمورلنك،وفي الأخير

1- الغياثي ،**مصدر سابق**،ص،182.

2- إبن عرب شاه، **المخطوط**،ص،9.

3- أسد الله صفا،**تيمورلنك**،ص،30.

4- يذكر المستشرق فامبرى رأيا مختلفا عما إتفقت عليه مختلف المصادر والمراجع،قائلا في ذلك:وكان تيمور يكتب في أسلوب تركى رصين فصيح،أنظر :
فامبرى،**مرجع سابق**،ص،255.

5- مذكرات **تيمورلنك**،ص،40.

يمكن أن نذكر أخرى ذكرها تيمورلنك يشير فيها على أنه يحظى بالتأييد،يقول في ذلك "من البشائر الحسنة التي تنبئ بعظمتفي المستقبل أنني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في الحلم،فهنئني وقال لي ،نتيجة لما قدمته لأحفادي من الدعم والمساندة،فقد قضى الله تعالى أن يتربع إثنان وسبعون من ذريتك على عرش السيادة[1].إن الدارس المتمعن لحوادث التاريخ كلها قد يجد نفسه محاطا بكثير من المعلومات التي جاءت في هذه المذكرة وكأنها أساطير،لذلك يميل جزء واسع من المؤرخين على أن هذه المذكرات هي من نسج خيال بعض المؤرخين الفرس،لأنه وبكل بساطة قد لا يستوعب العقل كل ما ذكر حول كل هذه الكرامات ،خاصة وأن الكثير من الفقهاء والمؤرخين إتهموه بالكفر والبعد عن الدين[2].

3-صفاته

رغم أن المؤرخين إختلفوا في ما كتبوه عن تيمورلنك،إلا أن الكثير منهم أجمع على بعض الخصائص التي إشتهر بها والتي جعلته يملك الريادة والسيادة في بلاد ما وراء النهر،وفي عموم العالم الإسلامي،يعتبر إبن عرب شاه من أشد خصوم تيمورلنك ،وقد وصفه في كتابه بكثير من الصفات الذميمة ومنها الخسيس،اللعين والجان[3] ،إلا أنه في مقابل ذلك يعترف له بمكره وقدرته العسكرية،وشجاعته في ميدان الحرب وساحة الفروسية،وقد إستطاع في كثير من محطات التاريخ الحاسمة أن ينجو بنفسه،ويحول الهزيمة إلى نصر،وهي صفة شهد بها خصومه قبل أصدقائه،يقول عنه إبن عرب شاه كان فارسا في الخيل يعرف خصائصها وسماتها،ويعرف هجائها وهجينها[4] ،شديد الذكاء ،بارع في الحيل والمكر،يستشير أصحابه وفي الغالب لا يأخذ برأيهم،وكان مولعا بالشطرنج.وقد

1- نفسه،ص،30.

2- يشير بعض المؤرخين إلى أن بعض الفقهاء أفتوا بتكفير تيمورلنك،أنظر:
=زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري الحنفى،(ت 930هـ)،**نيل الآمل في ذيل الدول**،،تح،عمر عبد السلام تدمري،ط1،ق3،ج1،801هـ،830هـ،المكتبة العصرية ،صيد،بيروت،1422هـ،2002مَ،114.،

3- إبن عرب شاه،**مصدر سابق**،ص،167.

4- يعرفها من خلال صوتها ويستطيع أن يحدد سلالتها

أشار إبن خلدون[1] إلى بعض تلك الصفات بعد أن حظى بلقاء تيمورلنك في بلاد الشام،ويصف ذلك اللقاء قائلا:"ودخلت عليه بخيمة جلوسه،متكئا على مرفقه،وصحاف الطعام تمر بين يديه تشريها إلى عصب المغل،جلوسا أمام خيمته حلقا حلقا،فلما دخلت عليه،فإنحنيت بالسلام وأوميت إماءة الخضوع،فرفع رأسه ومد يده إلى فقبلتها،وأشار بالجلوس،فجلست حيث إنهيت،ثم إستدعى من بطانته الفقيه عبد الجبار بن النعمان من فقهاء الحنفية بخوارزم فأقعده يترجم بيننا"[2]،وقد وجده ملما بالحوادث والتواريخ،مولعا باشطرنج،ويقول إبن خلدون بعد أن سلمت المدينة صرفهم وإستبقاه حينا ،ثم إنصرف وإشتغل أياما بكتابة رسالة في وصف بلاد المغرب حتى أتمها،وبلغت إثنتي عشرة كراسة صغيرة،ثم قدمها إلى تيمورلنك الذي أمر بترجمتها إلى اللغة المغولية[3].

يفهم مما ذكره إبن خلدون أن تيمورلنك كان يجل العلماء ويحاول أن يأخذ منهم المعارف،والدليل في ذلك أنه طلب منه أن يكتب له عن بلاد المغرب حتى يصفها له،كما أن إبن خلدون أخبره أنه كان يسمع به و ظل يتمنى لقاءه منذ أربعين سنة[4].

---

[1]- تعريف إبن خلدون هو ولى الدين عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمان بن خلدون الحضرمى،ولد سنة735هـ،1332م،تولى عدة مناصب منها كاتب سر السلاطين في غرناطة،كما تولى القضاء في مصر،إمتاز بسعة الإطلاع،والقدرة على التحليل والجرأة في المناقشة،والمناظرة،يعتبره الكثير واضع علم الإجتماع ،حيث كانت له افكار واضحة في العمران البشؤى،ودور العصبية في بناء المجتمع،حدد فيها أسباب نهوض وسقوط الدول،وبذلك سبق نظرية الفيلسوف الفرنسى كانت،ومن الحوادث التاريخية التي ظلت راسخة في التاريخ لقائه الغازى المغولى تيمورلنك في دمشق اثناء سقوطها،إذ وصف تيموررلنك وقدم وصفا دقيقا له وبعتبر إبن خلدون المؤرخ الوحيد بين مؤرخى عصره الذي ذكره بالسلطان تمر،توفي إبن خلدون سنة 808هـ،1405م،تقريبا في نفس الفترة التي توفي فيها تيمورلنك.للمزيد أنظر: محمد عبد الله عنان،**إبن خلدون حياته وتراثه الفكري**،دط،مؤسسة مختار للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،1991م،ص،90.

[2]- إبن تغرى بردى ،**المنهل الصافى ج4**،،ص،104.

[3]- نفسه،ص،91.

[4]- نفسه،ص،90.

أما عن صفاته الجسدية[1] فان ابن عرب شاه قد اعطى وصفا. ذكر عند معظم المؤرخين،الا القليل منهم،فيصفه كما يلي"كان تيمور طويل النجاد ذا قامة شاهقة كانه من بقايا العمالقة،عظيم الجبهة والرأس،أبيض اللون مشرب بحمرة،عريض الأكتاف مسترسل اللحية[2]،ويضيف قائلا:شديد الباس والقوة،لا يهاب الموت ،لا يحب المزاح والكذب،لا يستهويه اللهو واللعب،ينقل بعض المؤرخين عن إبن إياس في كتابه بدائع الزهور في وقائع الهور،صفات غير تلك التي ذكرها ابن عرب شاه،فقال:كان تيمورلنك مع هذه السطوة العظيمة أعرج اليمنى،قصير القامة،غليظ الجسد،وقد وكز الشيب رأسه،ولم يكن ينتسب إلى شجاعة وفروسية،ولكنه كان كثير الحيل والخداع"[3].

4–إسلامه

سؤال كثير ما طرحه المؤرخون حول عقيدة تيمورلنك،هل كان مسلما أمالا،وإن كان مسلما فأي مذهب إتبعه،تساؤلات كثيرة عجز أحيانا المؤرخين عن الإجابة عنها تاكيا أو نفيا،لأن الطبيعة المتناقضة لتيمورلنك،وتباين مواقفه ظلت لبعض عن موقف ماسرعان ما تتغير النظرة ،إنطلاقا من مواقف وظروف أخرى،خاصة علاقته بالشيعة وموقفه منهم،وحروبه الكثيرة مع أهل السنة ،وهنا يصعب على الدارس الإجابة تأكيدا أو نفيا لإسلامه من عدمه،خاصة في ظل آراء المؤرخين المتناقضة.

يذكرتيمورلنك في البند التاسع والعاشرمن وصايا لخلفاءه ما يفيد بأنه ملتزم بالدين الإسلامي محبا له ولرسوله،وساعيا لنشر الإسلام في كل الأراضي التي خضعت له،ففي البند التاسع من وصاياه يخاطب خلفاءه قائلا:كنت أعد طاعة الله ،متمثلة في طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم،ولذلك سرت على نهج محمد صلى الله عليه وسلم،ولم أفعل شيئ مخالفاللسنة النبوية وإعتبرت دوما نسل

---

[1]– الملحق رقم واحد وإثنان،الصفحة،296،297. يجسدان بعض صفات تيمورلنك،من خلال التمثال الذي رسم له في مدينة سمرقند،والطابع البريدي الذي أصدرته حكومة أوزبكستان في 2007م،للتذكير ببطولة هذا الرجل وأثره في تاريخ البلاد على وجه الخصوص.

[2]– إبن عرب ،شاه،**مصدر سابق**،ص،16.

[3]– أحمد عبد الكريم سليمان،**تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة**،ص39.

محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته أصدقائي،وأظهرت لهم مودتي[1]،ويضيف في البند العاشر قائلا:نشرت عقيدة الإسلام في كل الأراضي الخاضعة لسلطاني ،وأيدت الدين،وبذلك جعلت حكومتي مستقرة،إذ تناهى اللى سمعي ان الدين والدولة صنوان،وأن كل سلطة عليا غير مؤيدة بالدين سرعان ما تفقد ما لديها من قوةوسلطة ولا تطاع أوامرها،وبذلك سيتجرأإنسان سواءا كان جديرا بالتقدير أم لا على التخل فيما لايعنيه[2].

في مصادر أخرى غير مذكرته نجد ما يفيد أنه كان مسلما مهتما بالإسلام مقيما للشعائر وقارئا للقرآن،ويتحدث عن نفسه في ذلك قائلا :أخذت منذ الثامنة عشر من عمري إستوعب كتب الحكمة العالية والقوة الخارقة،كما حملت نفسي على الآباءوالرزانة بازاء من حولي،وحين بلغت الثانية عشرة من عمري كنت شديد الإعتزاز بما بلغته من المهارة في الصيد وألعاب الفروسية،كما كنت أمضي وقتي في قراءة القرآن الكريم ولعب الشطرنج وهوايات أخرى مختلفة[3].

ما جاء في مذكرات تيمورلنك أن صحت بطبيعة الحال يقابله وجهة نظر مختلفة لكثير من المؤرخين،فمنهم من أيد إسلامه ومنهم من كفره،ولكل طرف من الأطراف حجته،رغم أن تيمورلنك ولد في بيئة مسلمة تختلف عن بيئة سلفه جنكيزخان،إلا أن بعض العلماء ينفون عنه صفة الإسلام،وتصل عند البعض إلى درجة التكفير[4]،وربما إرتبطت هذه المواقف بحجم الخراب الذي أصاب البلاد الإسلامية.

يرى أنصار تيمورلنك أن الذين إتهموه بالكفر أكثرهم إنطلق من مواقف سياسية، لا تعتمد على الدليل الشرعي خاصة أن الكثير منهم كانوا على توافق مع المماليك،أما عن إبن عرب فيقولون

---

[1]- **مذكرات تيمورلنك**،ص،24

[2]- نفسه،ص،24.

[3]- أبي العباس شهاب الدين احمد بن محمد الدمشقى ابن عرب شاه،ت 852هـ،**عجائب المقدور في نوائب تيمور**،تح،احمد فايز الحمصى،ط1،مؤسسة الرسالة،1407هـ،1986م،ص،ص،498،487

[4]- كثير من المؤرخين ساروا على هذا الرأى ومنهم،إبن عرب شاه،**مصدر سابق**،305،وأيضا: أبن تغري بردي،**المنهل الصافى، ج4**،ص،ص،132،131،وغيرهم..

أن المحنة التي مر بها في دمشق هي التي جعلته يأخذ هذا الموقف،أما عن القتل والتخريب والإغتصاب والسبي فقد مارسه خصومه على نطاق واسع.

هناك وجهة نطر أخرى تذكر أن تيمورلنك كان مسلما ولكنه كان على المذهب الشيعي،في روايتين ذكرهما إبن سباط في كتابه تاريخ إبن سباط[1]، وإبن عرب شاه،مبررا إسلام تيمورلنك وتشيعه من حادثة حدثت خلال غزو تيمورلنك لبلاد الشام.

يقول إبن سباط،أنتيمورلنك أحضر أحد القضاة وسأله على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه،ومعاوية إبن أبي سفيان وما كان بينهما في السنين الماضية،فكان جوابه أن علي كرم الله وجهه أصاب وله أجران،وأن معاوية إجتهد وأخطأ، فله أجر،فقال له تيمورلنك أتجعل لمعاوية أجر فقتله[2].

أما رواية إبن عرب شاه فهي قريبة في السياق مع ما ذكره إبن سباط إلا أنها تختلف في بعض التفاصيل،إذ يذكر أنه خلال حملة تيمورلنك على بلاد الشام،في إحدى مجالسه جمع علماء وفقهاء الشام وسألهم،ما تقولون في علي ومعاوية ويزيد،فقال أحدهم كلهم مجتهدونفغضب تيمور لهذ الرد غضبا شديدا.،وقال علي على حق،ومعاوية ظالم،ويزيد فاسق[3].

وتعليقا على ماذكره إبن عرب شاه،يمكن القول أنما ذكره عن إسلام تيمورلنك من عدمه ليس موقفه الشخصى،لذلك أورد الروايتين،التي تنفي عنه الإسلام،وتلك التي تقول أنه مسلم على المذهب الشيعي.

إجمالا لايتسطيع الدارس أن يحدد بشكل يقيني ما يؤكد أن ينفي تلك الروايات المتناقضة ليس فقط حول إسلامه،إنما حول شخصيته بصفة عامة،ففي الوقت الذي نجد فيه من يذمه ويحتقرهويصفه بكل النعوت التي تقل من شأنه، وتنزل من قيمته،نجد في المقابل من يرسم صورة أخرى مغايرة[4].

---

[1]- حمزة بن إحمد العربي بن سباط،**تاريخ ابن سباط**،تح،عمر عبد السلام تدمري،ط1،دم،1413هـ،1993م

[2]- نفسه،766.

[3]- إبن عرب شاه،**المخطوط**،ص،133.

[4]-إبن تغري بردي،**المنهل الصافي**،ج4،ص،131.

في المصادر العربية التي مر ذكرها منعنا،كإبن عرب شاه،وإبن تغري بردى وغيرهم،وصف تيمورلنك بأحقر الصفات،وكثير ما كان ذكر إسمه مقرونا باللعنة،خاصة عند إبن تغري بردي،أما إبن عرب شاه فكثيرا ما وصفه باللعين والخسيس والحقير[1].

على النقيض نجد في بعض المصادر العربية الأخرى صورة مغايرة عن تيمورلنك، رسمها المؤرخ المغربي عبد الرحمان بن خلدون الذي عاصر تيمورلنك وحظي بفرصة لقاءه خلال سقوط مدينة دمشق [2]، إذيرسم للقارئ صورة أخرى لتيمورلنك يحيط بها التقدير والإجلال والإعتراف بعبقرية هذا الرجل[3] ،حتى أنه عندما يذكره إلا وكتب السلطان تمر،ولا يذكر صفة الأعرج،التي عادة ماكان يذكرها خصومه للتقليل من قيمته بين الناس.

أما المصادر الفارسية التي كتبت عن تيمورلنك وعن أحفاده من بعده[4]،والتي نقل عنها بعض المستشرقين،لا تصف تيمورلنك إلا بالسيد،وصهر الملوك كوركان، والأمير المعظم،وهي ألقاب تدل على العظمة والنسب العريق،والمكانة المرموقة،حتى أن البعض منها نسج حوله الكثير من الأساطير خاصة شرف الدين علي اليزدي صاحب كتاب ظفرنامة،الذي يروى سيرة تيمورلنك،وربما قرب

---

[1]-إبن عرب شاه،**المخطوط**،ص،167.

[2]-المقصود هنا بطبيعة الحال المؤرخ عبد الرحمان إبن خلدون الذي إلتقى تيمورلنك وكان من بين أعضاء الوفد الذي قابل تبمورلنك،وقد روى إبن خلدون قصة ذلك اللقاء الشهير،وقد تبادل الرجلان الإعجاب،أنظر:

=ولي الطين ابي زيد عبد الرحمان بن محمد بن خلدون،،**العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الآكبر**،ط1،مج،7دار الكتب العلميةنبيروت ،لبنان،1413هـ،1992م.

[3]-يقدم محمد عبد الله عنان في كتابه،إبن خلدون حياته وتراث الفكري،صورة واضحة عن ذلك اللقاء الذي تم بين إبن خلدون وتيمورلنك ،اذ قدم إبن خلدون لتيمورلنك هدية وهي عبارة عن"مصحف راق،وسجادة انيقة،ونسخة من البردة،واربع علب من حلاوة مصر الفاخرة" ويقو ابن خلدون انه وضع المصحف فوق راسه لما علم انه القران الكريم،ويفصل في طبيعة الحوار الذي دار بين الرجلين،وقد وجد إبن خلدون تيمورلنك ،ملما بالتواريخ عارفا للقران
الكريم،حتى انه يذكر ان طلب منه ان يكتب له عن بلاد المغرب،أنظر:
عبد الله عنان،**مرجع سابق**،ص،91،وما بعدها.

[4]- أشرت في هذا العمل إلى بعض المصادر الفارسية التي اعتمدت على محتواها ليس بشكل مباشر إنما بالإعتماد على مراجع مهمة إعتمدت عليها واخص هنا بالذكر محمد بكر سالم باعمر في رسالته حول العلاقات بين تيمورلنك والعالم الإسلامي وغيره.

تيمورلنك من الثقافة الفارسية ومن العناصر الفارسية المنتشرة في بلاط التيموريين هي جعلت المؤرخين الفرس ينزلون تيمورلنك هذه المنزلة[1].

عادة ما يطلق على تيمورلنك في الكتابات الغربية إسم" تمرلان"،ويعد السفير الاسباني غنزالس دي كلافيجو مبعوث ملك قشتاله هنري الثالث[2] إلى سمرقند أول من نقل صورة عن تيمورلنك من خلال زيارته إلى سمرقند[3] ،وإلتقى تيمورلنك بعد عودته المظفرة من إنتصاره على العثمانيين في معركة أنقرة،وقتل السلطان العثماني بايزيد ،وحضر كثير من الإحتفالات وأفراح الزواج وحلقات اللهو والسمر التي جرت هناك،وشاهد بعنيه ذلك التطور الذي عرفته المدينة من خلال مظاهر الإحتفالات الكبيرة التي شاهدها،كتب كلافيجو كتابه" الطريق إلى سمرقند"،ومنه أخذ المؤرخ الإسباني بيرو ميخيا مواطن كلافيجو نصا آخر عن حياة تيمورلنك وحوله إلى أسطورة،وهذا النص هو الذي صار أكثر تداولا بين المثقفين والدارسين،وقد نقله الكاتب المسرحيالانجليزي كريستوفر مارلو سنة 1590م إلى نص شعري تحت عنوان "تمرلان العظيم"،ومنذ ذلك الوقت صار تيمورلنك مصدر الهام كثير من الكتاب الغربيين،أما في العصور الحديثة،فان الكاتب والشاعر الامريكي إدغارألان بو،إهتم بشخصية تيمورلنك من خلال المجموعة الشعرية الأولى التي كتبها سنة 1827م وهو في عمر الثامنة عشرة،"تمرلان وقصائد أخرى"،ويظهر من خلال العنوان أن قصيدة تمرلان تعتبر الأهم من بين قصائده،وهي عبارة عن إعترافات حميمة لرجل الحرب وهو في خريف عمره.

---

[1]-يرى فامبري أن كاتب سيرة تيمور ،ويقصد بطبيعة الحال شرف الدين علي يزدى،الذي وصف تيمور بكل سمات الجمال الإيراني،مصوره كبطل ،فهو يصفه ،ذو لحية طويلة،نظر البشرة،رقيق الجلد،في الواقع حسب فامبري لم يكن له من مظهر الإيرانيين أو أهل أسيا الغربية إلا ثيابه،أنظر :

فامبري،**مرجع سابق**،ص،240.

[2]-هنري الثالث ملك قشتالة وليون ولد في 04اوت 1379م،وتوفي في ديسمبر1406م،خلف والده على الملك سنة 1390م،وكان غنزالس دو كلافيجو مبعوثه إلى بلاط تيمورلنك في سمرقند.

[3]-فامبري،**مرجع سابق**،235.

أما الصورة الأخرى عن تيمورلنك هي تلك التي نقلها الكاتب الإيطالي ليوناردو دي مخائلني عنه في العصور الوسطى من خلال المقال الذي كتبه عن تيمورلنك تحت عنوان :حياة تمرلان"[1]،وقد عاصر دي مخائلني تيمورلنك،وخاصة وأنه كان قريبا أثناء هجومه على بلاد الشام وتدمير حلب ودمشق،إذ يصفه بالشرير،ومن أكثر الناس شرا في أقاليم سوريا وتركيا،وأحيان يصفه بعبارة الشيطان،ويقول عنه أنني كنت قادرا على أن أراه،إلا أنني لم أرغب في ذلك[2].

في حقيقة الأمر ورغم تباين الكتابات التاريخية عن تيمورلنك سواءا في المصادر والمراجع الإسلامية،أو بعض كتابات الأوربيين،إلا أنه لابد من الإعتراف بأن تيمورلنك يعد ظاهرة عسكرية مهمة في تاريخ البشرية،إستطاع فيها أن يعيش الجزء الأكبر من حياته على صهوة جواد،منتشيا بروحه العسكرية وطباعه الحربية التي ورث جزء كبيرا منها من أسلافه،وهو في نفس الوقت شخص غريب الأطوار إختلطت صورته في العقل العربي دائما مع صورة هولاكو محطم ومدمر الخلافة العباسية.

[1]- كتب هذا المقال حياة تمرلان من طرف الكاتب الإيطالي دي مخائلني ،بطلب من اصدقائه كما يقول وكان ذلك سنة 1416م،واصفا فيه ما حدث في بلاد الشام خاصة حلب ودمشق،خاصة أنه كان موجودهناك عند غزو تيمورلنك لهذه المناطق،وقد ترجم المقال من اللغة اللاتينية إلى الإنجليزية ،وترجمه أحمد عبد الكريم سليمان إلى اللغة العربية في القسم الثاني من كتابه تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة

[2]- أحمد عبد الكريم سليمان،**مرجع سابق**،قسم2،ص،7.

5-وصول تيمورلنك إلى السلطة

لم يكن تيمورلنك سليل أسرة عريقة،أو حاكمة في بلاد ما وراء النهر توراثت الحكم فيها،إنما ينتمي إلى قبيلة بسيطة هي قبيلة البرلاس، وحسب ما جاء في مذاكرت تيمورلنك،أن قراجار أحد أجداده كان أول من إعتنق الإسلام من أسلافه[1]،وهو الذي جاء بقبيلة البرلاس إلى سهل كش في واد كشكا داريا وهي منطقة خصبة غنية بالمياه[2].

تباينت المرتبة الإجتماعية لوالده طرقاي في كتابات المؤرخين ،فالغياثي يقول أن والده كان من الفلاحين[3]،في حين أن إبن تغرى بردي في المنهل[4] ،والعماد الحنبلي في الشذرات[5]، يقولان أن والده كان إسكافا،وقيل أنه كان أميرا عند السلطان حسين صاحب بلخ[6]،والبعض الآخر يرى أنه لم يكن إلا أحد وجهاء قبيلة البرلاس في مدينة كش .رغم تباين الروايات التاريخية حول مركزه السياسي والإجتماعي،إلا أن المؤكد في كل ذلك أنه كان يتمتع بمؤهلات حربية وطموح كبير جعلته يلفت الأنظار ليس بين أقرانه فقط،إنما في كل المحيط الذي كان يعيش فيه خاصة عند بعض الأمراء والحكام.

---

[1]-**مذكرات تيمورلنك**،14.

--تقع مدينة كش على نهر كشكا داريا في اقليم ما وراء النهربيعد حاليا ثلاث عشرة كلم عن مدينة سمرقند،وهي منطقة خصبة على حد وصف الجغرافيين،قال عنها الاصطخري،ان الثما ر تنضج بها اسرع من كل بلاد ما وراء النهر،اطلق عليها في العصور الوسطى،شهرزاب او المدينة الخضراء،انظر:

زكرياء محمد بنمحمود القزويني،**أثار البلاد في أخبار العباد**،دط،بيروت للطباعة والنشر،1404هـ،1984م،ص،554.

Grousset.opcit.p.486.

[2]-كي لسترنج،**بلدان الخلافة الشرقية**،تربشيرفرنسيس،كوركس عواد،دط،مطبعة الرابطة بغداد،1373هـ،1954م،1ص،ص،513،512.

[3]-الغياثي،**مصدرسابق**،ص،182.

[4]-إبن تغري بردى ،**المنهل الصافي** ،ص،104.

[5]-إبن العماد الحنبلى،**مصدرسابق**،ص97،

[6]- مدينة بلخ احدى مدن افغانستان الحاليةتقع قريبا من منطقة مزار شريف،وهي مدينة تاريخية عريقة،تعتبر أهم حواضر إقليم خراسان قديما،يقال أنها بنيت في عهد الإسكندر،وفتحت في خلافة عثمان بن عفان بقيادة الآحنف بن قيس،وإليها ينسب الكثير من العلماء،ومنهم أحمد بن سهل البلخى ،مؤلف كتاب شرائع الآديان،وغيرهم.

قبل ميلاد تيمورلنك بقليل جلس على عرش بلاد ما وراء النهر قازان سلطان خان الذي يعد آخر الخانات من نسل جغطاي[1]،وكان ذلك سنة 733هـ،1332م،إلا أن سوء تصرفه مع الرعيةونقمة الأمراء عليه،صعبت عليه مهمة تسيير البلاد،وحسب ما يذكر المؤرخون إستنجد بأحد رجالات قبيلة برلاس يدعى قزغن وإتخذه وزيرا له.

عرف عن هذا الوزير الشجاعة والجرأة وحسن التدبير،فأطلق عليه المؤرخون صانع الملوك[2]،وكان أول من تصد للسلطان قازان بعد أن جمع الأمراء والقواد حوله،وإستطاع قازان أن يكسب المعركة الأولى التي جرت بين الطرفين سنة 744هـ،1343م[3].

ورغم النجاح العسكري المؤقت إلا أنه إضطر إلى الرجوع إلى مدينة قارشى[4] فأمضى الشتاء بها،فكان لبرودة الطقس والثلوج الكثيفة أثرا بالغا على الجند والدواب والخيول،إذ فقد الكثير من قدراته العسكرية، سمحت الظروف للأمير قزغن أن يجمع قوته ليعيد المعركة معخصمه، وإلتقى الطرفان في معركة ثانية فاصلةسنة747هـ،1346م،عند مدينةقارشى،قتلخلالها قازان الذي إستمرحكمه أكثر من أربعة عشر سنة[5].

عند هذه الحوادث كان تيمورلنك شاب معروفا بين أفراد قبيلته وأقرانه من الفرسان،فإستدعه الوزير قزغن ،فأعجب به وبفروسيته،وقربه منه ثم زوجه إحدى حفيداته[6]،بهذا النصر الكبير الذي

---

[1]- هو قازان بن يسو أغلان،حكم أكثر من اربعة عشرة سنة،أنظر :
الغياثي ،**مصدر سابق**،هـ4،ص،184.1.

[2]- فامبري،**مرجع سابق**،ص،201.

[3]- لم يعط المؤرخون تاريخا محددا لتلك المعركة،فامبري ذكر سنة744هـ،1343م، ثم يضيف أوبعد ذلك بسنتين نقلا عن المؤرخ الفارسي مير خواند،والبعض الآخر يذكر سنة 746هـ،1345م،وقد اصيب قازان في هذه المعركة وإتلفت إحدى عينيه.

[4]- قارشى،مدينة قريبة من كش يطلق عليها اليوم نسف.

[5]- فامبري،**مرجع سابق**،ص،201.

[6]- هارولد لام،**مرجع سابق**،ص31،
Parudin.michael.l.**empir mongol et tamerlaan**.payot.paris.1937.p.414.

حققه قزغن أصبحت بلاد ما وراء النهر تحت سيطرته الفعليه،فكان ينصب الخان ويخلعه،ولم يكن يمسك بزمام الحكم مباشرة،ولذلك سمى بصانع الملوك[1].

زاد إعجاب قزغن بتيمورلنك بعد النجاحات العسكرية التي حققها شرقا وغربا،وفي سنة 759ه،1358مقتل الأمير قزغن في رحلة صيد وكان ولعا بهذ الأمر،إلا أن خلفه عبد الله لم يكن على نفس الكفاءة والمقدرة[2]،وعمت الفوضى البلاد ،وإنفرد الأمراء بحكم الأقاليم كل حسب قدراته العسكرية وعدد أنصاره،وكان تيمورلنك أكثرهم الذي جمع عددا معتبرا من الأنصار والمؤيدين،خاصة أمراء القبائل القوية والمؤثرة في بلاد ما وراء النهر[3].

في ظل الفوضى التي عرفتها بلاد ما وراء النهر ظهر خان مغولستا ن تغلق تيمور الذي عمل جاهدا على القضاء على الفوضى السياسية والعسكرية وتوحيد إقليم مغولستان،متعهدا لأحد الشيوخ أنه إذا نجح في ذلك سيعتنق الإسلام[4].

إستقبل تغلق تيمور في بلاد ما وراء النهر بمواقف مختلفة،ففي الوقت الذي قدم بايزيد جلاير فروض الطاعة والولاء،أمام تيمورلنك حاجى برلاس فحاول أن يشتنهض الهمم،إلا أنه سرعان ما تراجع عن ذلك وفر إلى إقليم خراسان[5]،وبعث برسالة إلى إبن أخيه يعلمه أنه غير قادر على

[1]– بعد قتل السلطان قازان نصب الآمير دانشمنجد اوغلان ثم خلعه بعد عامين من الحكم،ثم أجلس بعده الآمير بيا نفلى ذكره فامبري،في الصفحة 202،الإأن ميشال باردين في كتابه إمبراطورية المغول وتمرلان الصفحة 414. يعطى إسما أخر وهو بيان أوغلي بن سورغدو بن دوا خان،ويقول ان ظل على العرش عشر سنوات سمحت لقزغن ان ينظم شؤون الدولة ويهتم بالرعية الى ان قتله صهره تغلق تيمورسنة 759ه،1358م وهو في رحلة صيد وكان صهره طامعا في منصبه وجاء بعده ابنه عبد الله

[2]– في كش كا داريا وضواحيها حكم تيمورلنك رفقة عمه حاجى برلاس،وحكم بايزيد جلاير في منطقة خجندة،أما الآمير حسين حفيد قزغن إمتد سلطانه الى مدينة بلخ.

[3]- crousset.op.cit.p.409

[4]–أنظر،الصفحة رقم 64،وما بعدها من هذا العمل.

[5]– حاجى برلوس أو برلاس هو عم تيمورلنك فر من مواجهة قوات تغلق تيمور الزاحفة على بلاد ما وراء النهر،إلا أن قتل من طرف بعض قطاع الطرق في طريقه إلى إقليم خراسان.

مواجهة جنود تغلق تيمور،أما تيمورلنك ففضل عدم المواجهة وإستقبل الجنود بالترحاب وبذل الهدايا الأموال من أجل كسب جانبهم[1].

يذكر المؤرخون أن تغلق تيمور وثق في تيمورلنك وسلمه ختما رسميا،أصبح بموجبه يتمتع بكل السلطة ،وعينه قائدا برتبة تونمان،وهي رتبة مغولية تعنى قائد العشرة الاف جندي[2].

لم تهدأ الأمور في بلاد ما وراء النهر، مما إضطر تغلق تيمور أن يقوم بحملة ثانية إلى بلاد ما وراء النهر قتل فيها الأمراء والعناصر المفسدة التي أشاعت الفوضى في البلاد، و يبدو أن تيمورلنك نجا من الأمر بأعجوبة بعد شفاعة أحد أصدقاء والده.

بعد أن أخضع تغلق تيمور بلاد ما وراء النهر،عين إبنه إلياس خواجة حاكما عليه،مدعما بجيش قوي ،وبمساعدة تيمورلنك، من أجل إعادة الإستقرار إلى المنطقة التي ظلت تثور بين الحين والآخرورغم المكانة التي حظى بها عند تغلق تيمور ألا أن تيمورلنك لم يرض أن يكون تابعا لإلياس خواجة،كما أنه لم يكن محل رضى بعض الأمراء الذين نزلو في الأهالي نهبا وسلبا،وهي أفعال لم ترقه،ويبدو أن هذه الفوضى وعدم الإستقرار هي التي جعلت طموحه يكبر وأحلامه تزداد يوما بعد يوم[3].

إعتمد تيمورلنك في تجسيد أهدافه وطموحاته السياسية،إنطلاقا من أفكاره وما كان يؤمن خاصة فكرة أن العالم يحكمه رجل واحد ،يقول في ذلك "إذا كان هنالك إله واحد،فلا يجب أن يكون على الأرض إلا رجل واحد"[4]،ولذلك تعززت لديه فكرة إبعاد منافيسه،وتحت هذه الفكرة المسيطرة وغيرها توترت العلاقة بينه وبين إلياس خواجة،فإضطر إلى الفرار إلى السلطان حسين

[1]- ذكر تيمورلنك في مذكراته انه كتب الى شيخه السيد بركة يستفسره في الذهاب إلى الخان من عدمه،وقال كنت اقرا القرآن وتفاءلت لما جاء في سورة يوسف،وفضلت أن أسير إلى جنود الخان وأستقبلهم.

[2]- هارولد لام،**مرجع سابق**،ص،29.

[3]- نفسه،ص،40.

[4]-أكرم حسين الحلبي،**تيمورلنك وحكايته مع دمشق**،ط4،دار المأمون للتراث،1407هـ،1987م. ،ص،58..

حفيد قازان خان[1]،وترقى عنده في الوظائف السياسية والعسكرية،حتى أن السلطان زوجه أخته دليلا على تلك العلاقة القوية[2].

جمعت بين الرجلين طموحات سياسية ،فالسلطان حسين كان يسعى لإسترداد أملاك أجداده ،وتيمورلنك كان مضطر لاجادحلفاء حتى يحقق طموحه،فكان كلا منهما يبحث عن رداء يحتمى به ، ونجح الإثنان في جمع قواتهما لمحاربة إلياس خواجة ،لكنهما لم ينجحا في إلحاق الهزيمة به،وفراهربا إلى اقليم خراسان الذي كان يحكمه معز الدين آل كرت [3]،لكن تغلق تيمور ظل مطالبا بهما ففرا مرة أخرى إلى قتدهار،ومنها إلى سيستان،إلا أن واليها إحتال عليهما ودخل في حرب ضدهما،يذكر بعض المؤرخين،خاصة منهم الفرس، أنه تيمورلنك أصيب في هذه المعركة،ونتج عنها اصابته بالعرج[4]،ومن يومها سمى بالأعرج أو اللنك[5].

في ربيع سنة766هـ،1365م،عادت قوات إلياس خواجة إلى بلاد ما وراء النهر،إتجه خلالها الأميران تيموروحسين في جيش مؤلف من ثلاثين ألف من المشاة والفرسان،لصد القوات الزاحفة،وإلتقت قرب مدينةشيناز على الطرف الجنوبي من مدينة طشقند،وجرت معركة صعبة بين الطرفين ، وفي غرة رمضان ،الثاني والعشرين ماي من نفس السنة،وتحت أمطار غزيرة حولت ساحة المعركة إلى وحل راح ينغرس فيه المتقاتلون وخيولهم مما أثر على سير المعركة ونتائجها[1].

1-نفسه،58..

2-إبن تغرى بردى ،**المنهل الصافي**،ج4،ص،105

3-معز الدين أل كرت،ينتمى إلى إحدى القبائل التاجكية التي نجت من الإ جتياح المغولى،وال كرت من بقايا السلاطين الغوريين الذين حكموا إيران الشرقية،واستقر هؤلاء في مدينة هراة التي ظلت عاصمة ملكهم مدة قرنيين من الزمان تقريبا،وتمثل هذه الاسرة الفترة الفاصلة بين الحكم المغولي والحكم التيموري ،وكان أخرهم معز الدين أل كرت الذي عاصر تيمورلنك.،أنظر: خليل الله خليلى،**مرجع سابق**،ص،24.

4-أشرت في هذا العمل الى تباين أراء المؤرخين في إصابته،ففي المصادر العربية كإبن تغرى بردى وإبن عرب شاه ومن نقل عنهما،أن اصابته سببها ان أحد الرعاة اصابه بسهم لما أراد أن يسرق غنمة من غنمه،في حين ان بعض المؤرخين الذين نقلوا عن ميرخوند وخواندمير وحافظ ابرو وغيرهم من المؤرخين الفرس ،يرجعون السبب إلى إصابته في معركة سيستان،ويبدو أن السبب فيأن بغض المؤرخين العرب بالغوا في ذمه،وبعض المؤرخين الفرس ايضا بالغوا في مدحه،وقد تصنف تلك الكتابات في خانة المنافسة التي ظلت قائمة بين العرب والفرس،والتي إمتدت بعض أثارها الى يومنا هذا.

5-عباس إقبال،**تاريخ إيران**،ص،593.

كان من نتائج المعركة إنسحاب تيمورلنك وماتبقى من قواته إلى مدينة قارشى،بينما إتجه الأمير حسين إلى أبعد من ذلك إلى مدينة بلخ،فاسحين المجال أمام إلياس خواجة الذي دخل مدينة سمرقند وقصرها وقتل الخان قابول شاه،ورغم هذا الإنتصار إلا أن قوات إلياس خواجة لم تستطع التثبت في المدينة أمام المقاومة الشرسة لأهلها خاصة السربدايون طلاب مدرسة مولانا زادة،مما إضطره إلى رفع الحصار عن المدينة،وهنا ظهر السبدايون كقوة جديدة في المدينةفي سنة 766هـ،1367م عاد الحليفان إلى مدينة سمرقند،حيث نجح الأمير حسين في إستمالة الأمراء السربدايون ودعاهم إلى معسكره،وأطبق عليهم هناك وأمر بقتلهم على الفور،لتقع المدينة في قبضة الحليفين من جديد[2].

اعقد أثرها مجلس القوريلتاى أو مجلس الأمراء الذي عين الأمير حسين أميرا على بلاد ماوراء النهر،وعين حليفه تيمورلنك ساعدا أيمنا له،ويبدو إنحياز المجلس للأمير حسين بإعتباره أقوى من تيمورلنك ،إضافة إلى نسبه العريق،كحفيد للسلطان قازخان[3]،كما أنه يملك أراضي واسعة ويحظى بتأييد معظم العشائر وزعماء القبائل في بلاد ما وراء النهر.

حالة الوفاق لم تعمر بين الرجلين طويلا،ويبدو أن الخلاف بين الرجلين كان في أعماق كل منها،ولما جاءت الفرصة عبر كل طرف عن طموحه،ويذكر المؤرخون أن بداية الخلاف كانت عندما إنهزما في معركة سنة766هـ،1365م أمام إلياس،إذ إتهم تيمورلنك حليفه ،بالتقاعس،ثم حالة العداء زادت بعد أن قتل تيمورلنك زوجته أخت الامير حسين[1].

---

[1]– لا يوجد سبب واضح في قتل تيمورلنك لزوجته،الا ان ابن تغرى بردي يشير إلى أن زوجته عيرته بما كان عليه في الماضى من سوء الحال،ففر هاربا واعلن العصيان على صهره وحليفه السابق،أما عباس إقبال في كتابه تاريخ إيران، يفهم مما كتبه ن زوجة تيمورلنك أخت السلطان حسين ماتت موتة عادية،أنظر :

إبن تغرى بردى،**المنهل الصافي**،ج4 ،ص،105.

إبن تغرى بردى ،**النجوم الزاهرة**،ج12،256.

–عباس إقبال،**تاريخ إيران**،ص،593

رغم أن بعض العلماء سعوا إلى تحسين العلاقة بينهما،إلا أن الخلافات العميقة وطموح كل منهما أفسد كل محاولات الصلح،وبقي الحال هكذا إلى غاية سنة771هـ،1370م،حيث عقد مجلس الأمراء في غياب تيمورلنك،عين خلاله عادل خان سلطانا على ماوراء النهر والأمير حسين نائبا له.

هاجم تيمورلنك خصمه المتحصن بمدينة بلخ في شهر شعبان من نفس السنة،ثم أخذ الأمير أسيرا ثم أمربقتله في الرابع عشر من رمضان 771هـ،العاشر من أفريل 1370م،قتله رجل كان له دم على السلطان حسين[1]. لكن هناك تباين في الروايات التاريخية حول نهاية السلطان حسين،أشرس منافس لتيمورلنك في بلاد ما وراء النهر،والغاية من ذلك ليس التشكيك في تلك الكتابات ولكن إبراز مدى تداخل الأحداث في المنطقة،وهنا يمكن أن نذكربعض آراء المؤرخين حول ما كتب عن النهاية بين رجلين جمعت بينهما ساحة المعركة كحليفين أكثر من مرة يفهم فيما كتبه عباس أقبال في كتابه تاريخ إيران يذكران السلطان حسين كان بعيدا عن تيمورلنك في ضواحي مدينة بلخ وقتل في بداية رمضان 771هـ،1370م[2].

أما محقق كتاب الغياثي فيرى أن الأمراء الذين خرجوا عن السلطان حسين هم الذين إضطروا تيمورلنك إلى تسليمه ثم قتله[3] وكان ذلك في شهر شعبان،ويفهم من ذلك أن السلطان حسين كان بين أيدي تيمورلنك.

أما فامبري فيقول نقلا عن المؤرخ الفارسي مير خواند حين سقطت مدينة بلخ وهي إحدى أهم معاقله،إنحدر من أسوارها إلى معسكر تيمورلنك،متضرعا إلى خصمه،على أن يفسح له المجال للذهاب إلى البيت الحرام،مستغفرأونادما[4]،وربماعزم تيمور على العفو عليه،لما كان بينهما من قربة

[1]- الغياثي ،**مصدر سابق**،ص،189

[2]- عباس إقبال،**تاريخ إيران،ص،594**.

[3]- **الغياثي،مصدر سابق**،،ص،189.

[4]- فامبري،**مرجع سابق**،ص،213.

وصحبة ومحنة،وقد ورد ذلك عند الغيتاثي أيضا[1]،إلا أن بعض الأمراء أصرواعلى قتله نظير ما لحقه من إهانات،فأنزل من برج كان متحصن به وسيق إلى الموت.

مهما تعددت الروايات التاريخية حول نهاية السلطان حسين أقوى منافس لتيمورلنك من حيث قوته وخبرته العسكرية،وأيضا من خلال نسبه،فهو حفيد سلالة حاكمة،ظل يتمتع بين قومه وفي المناطق التي كانت تحت إمرته بمكانة كبيرة، إلا أن منافسه تيمورلنك صار الرجل القوى في بلاد ما وراء النهر،بعد أن إستطاع أن يكسب ود الناس،إضافة إلى تلك النجاحات العسكرية الكبيرة التي كسبها في ساحات الحرب،كما أن فطنته ودهاءه ومقدرته الكبيرة جعلته يجمع الأمراءوالناس حوله،خاصة بعد أن أخذ الشرعية الرسمية من مجلس القوريلتاي،الذي عقد مدينة بلخ[2]،وفي يوم الأربعاء الثاني عشر من رمضان 771ه،الرابع عشر من أفريل 1370م،دخل تيمورلنك مدينة سمرقند،متخذا منها عاصمة له،وأقيمت الإحتفالات لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ بلاد ما وراء النهر.

إستعمل فيها تيمورلنك الأساليب العسكرية المبتكرة،وكان سلاح تيمورلنك الفعال،هو الجوسسة والمخابرات التي كانت تهل عليه فتح البرد باقل الخسائر،وكان يقوم على هطا الجهاز ما يربو عن ثلاثة ألالف شخص،حتى أن أحد المؤرخين الآوربيين،وصفه بقوله أنه أحكم جهاز مخابرات في العالم،حتى إكتشاف السكة الحديدية،وكان المخبرون يكتبون له كل شئ ،خاصة عن حالة الطرق والسهول والجبال،حتى يأخذ الحيطة والحذر،ويقول في ذلك من كتبوا عن سيرته،أنه

---

[1]- الغياثي،**مصدر سابق**،189

[2]- ضم المجلس خيرة الآمراء أعيان الدولة الجغطائية السابقة وأقران ورفاق تيمورلنك،ومنهم الشيخ محمد بايان من بيت سولدز،والامير الجاتتو،والامير كيخسرو من بيت ختلان،والامير داود من قبيلة وغلات،والامير سربغاي من بيت جلاير،والامير جاكو من قبيلة برلاس،والامير زنده هشم امير شبورغان الذي ثار على تيمورلنك عدة مرات،ورغم ذلك أكرمه تيمور وصار من أخلص أتباعه،وقد وعظ في الناس السيد بركة وهو من أعلن أن تيمورلنك صار اميرا على بلاد ما وراء النهر وكان ذلك في العاشر من رمضان771ه،الثامن من أفريل 1369م،أنظر:
إبن عرب شاه ،**عجائب المقدور،فايز الحمصي**،ص،504،و أيضا
فامبري،**مرجع سابق**،213..

عندما يدخل بلدا ،إلا ويشرع في سؤال أهلها،وعادة ما كان يفاجئهم بأسئلة تخص كثير من القضايا،حتى يشعرهم بالرعب وأنه مدرك لكل احوال المنطقة اما عن دهائه السياسي الماكر فكان مضرب المثل،وفي هذا الجانب يمكن أن نذكر أمرا واحدا يعبر على تلك الموهبة التي تمتع بها وجعلته يصل إلى تحقيق أهدافه،إذ أنه لم يلقب نفسه بالسلطان،ولقب أحد الأمراء الجغطائين بذلك وهو سيور غتمش،الذي صار تيمورلنك يحكم بإسمه منذ سنة771هـ،1370م[1]. إلى غاية تاريخ وفاته، في مدينة أترار في السابع عشر من شعبان 807هـ،السابع عشر من فيفري 1405م[2].

6–خلفاءه.

خلف تيمورلنك وراءه إمبرطورية واسعة الأرجاء لا تضاهيها إلا إمبراطورية سلفه جنكيزخان،إعتمد في تسيرها على القوانيين الصارمة وخاصة قانون الياسا الذي سارعليه أسلافه، وكان بالرغم من غيرته الإسلامية البالغة ،يعجب أشد الإعجاب بقوانيين جنكيز[3]،ولذلك حرص تيمور حرصا بالغا على التمسك بإلياسا تمسكا شديدا،وأصر عليها بالرغم من معارضة شيوخ المسلمين[4].

لم يكتب لإمبراطوريته أن تصل إلى حدود الصين نظرا لأن حلم تيمورلنك توقف عند حدود مدينة أترار[5] في حملة عسكرية كانت قليلة العدد،ولكنها جيدة الأعداد،إنطلقت شتا ء سنة

[1]– بدأ بذلك تاريخ الدولة التيمورية والتيموريين الذين حكموا أجزاء واسعة من القارة الآسيوية بين توسع وإنحسارحتى إنتهت أخر دولها بالهند سنة1274هـ،1858م،على يدى القوات الآنجليزية

[2]– لقد شملت حدود الدولة التي أنشاها تيمورلنك أجراء واسعة من العالم خاصة تلك المناطق التي كانت تحت سلطة المغول،يضاف اليها الهند التي احتلها تيمورلنك ،ولم بتحقق سلطان تيمورلنك الإ على الصين التي حاول ان يغزوها الا ان حلمه إنتهى عند حدود مدينة أترار،عن حدود الدولة التيمورية والتيموريين أنظر الملحق رقم 03،ص،260.

[3]–إبن عرب شاه،**عجائب المقدور في نوائب تيمور**،تح،فايز الحمصى،ص،504.

[4]– نفسه،504.

–ابن تغري بردي،**المنهل الصافي**،ج4،ص،133.

[5]– أترار،تقع على نهر حيحون تعتبر مفتاح اقليم ما وراء النهر،تشتهر بانها مهدت لبداية سقوط اقاليم اسيا الغربيةنخاصة وانها عرفت حادثة التجار الشهيرة التي شكلت بداية الصراع بين جنكيز خان والخوارزمية وأنتهت بسقوط العالم الإسلامي في الشرق على أيدى المغول،كما عرفت هذه المدينة نهاية تيمورلنك في حملته العسكرية على الصين سنة807هـ،1405م.

807هـ،1405م عبر خلالها نهر جيحون المتجمد، وإشتدت عليه وعلى الجند الرياح والثلج،وهلكت الدواب وهو يعاني من نزلة برد إشتدت عليه فيما بعد،فأمر أطبائه أن يستقطرون له الخمر حتى يستعمله بأدوية حارة ليخفف به الحرارة،وعمل له ماأراد وبقي على ذلك الحال ثلاثة أيام،فتلفت كبده،وصار يضطرب،ولونه يحمر إلى أن هلك[1].

كانت الحملة غير الناجحة على الصين والتي لم تكتمل هي الاخيرة في مسيرة رجل عاش طوال حياته،يتنقل على صهوة جواد من حرب الى اخرى،زارعا الرعب بينخصومه،فابتهج خصومه لموته.

لم يضع تيمورلنك أسس صحيحة لإستمرار دولته كما فعل سلفه جنكيز خان الذي قسم الإمبراطورية بين أبناءه في حياته حتى لا تكون عرضة للصراع والنزاع، فإستكملوا عظمتها وتوسعها ولذلك إستمرت قوية لبعض الوقت،في حين أن تيمورلنك قام ببناء دولة وصل بقوتها ومداها إلى الذروة على حد تعبير فامبري[2]،إلا أن أبناءه من بعده،لم يزيدو في قوتها بل ساهموا في ضعفها من خلال الحروب التي دارت بين خلفاءه،من الأبناء والأحفاد.

إختار تيمورلنك في وصيته حفيده بير محمد ليكون خليفته على رأس الإمبراطورية[3]،خاصة وأنه كان يحظى بثقة جده،كما أنه في شبابه خاض أعنف المعارك الحربية،وكان جده يثق فيه وفي قدراته العسكرية،إلا أنه في كهولته إتجه نحو اللهو والترف،وترك أمرالحكم بيد غيره،وهو ما فتح الفرصة أمام

---

[1]-إبن تغري بردي،**المنهل الصافي** ،ج4،130.،وأيضا
إبن العماد الحنبلي،**مصدر سابق**،ص،101

[2]- فامبري،**مرجع سابق**،ص،259.

[3]- يذكر إبن عرب شاه في النسخة التى حققها فايز الحمصى أن تيمورلنك في اللحظات الآخيرة من حياته،وهو محاط ببعض نساءه وأحفاده ورفقائه،أوصى الجميع بالشجاعة والإتحاد والتألف والطاعة لبير محمد الذي أوصى أن يكون خليفته،وسأله الجميع إن كان بإستطاعتهم إستدعاء السلطان خليل وبعض الآمراء إلا أنه إعتذر عن ذلك،مبديا أسفه على عدم رؤية إبنه الآصغر المحبب شاهرخ،وطلب من مرافقيه أن يغسله هبة الله وأن يقرأ عليه القران،وأن يدفن في قبر سيده الشيخ بركة ،وهو الشيخ الذي تنبأ له بمستقبل زاهر وهو في بداية شبابه،للمزيد أنظر:
إبن عرب شاه،**مصدر سابق**،تحقبق فايز الحمصى،ص،ص،524،523.

خليل بن ميرانشاه ،ليتمرد على وصية جده، وأعلن نفسه حاكما لإرث جده تيمورلنك،رغم معارضة بعض من القادة والأمراء[1].

إستطاع خليل بمكره ودهائه،ومما بذله من عطايا كسب الكثيرين في صفه،خاصة وأنه إستحوذ على كنوز كبيرة وثروة طائلة مما تركه جده،إلا أنه لم يهنئ بالحكم طويلا،خاصة وأنه ظل متعلقا بجاريته شاد ملك"بهجة الملك"،وقد تزوج منها السلطان خليل بعد أن إعتلى العرش،وكان تيمورلنك في حياته رافضا لتلك العلاقة،محاولا وضع حد لغرام حفيده الخاطئ وقد قررقتل الجارية ولكنها فلتت منه[2]،وفعلا صارت تلك المرأة تحكمة فيزوجها،وإشعلت بسياستها كثير من الخصومات،ولم يلبث أن خلعه إمرائه سنة 812ه، 1410م،وترك الأمر بعد ذلك إلى عمه شاهرخ إلى أن توفي سنة 814ه،1412م.

---

[1]- إختلفت روايات المؤرخين حول السلطان خليل بن ميرانشاه،يرى الحنبلي في كتابه شذرات الذهب صفحة 101،ان السلطان خليل كان رفقة جده حين وفاته المنية في اترار وتمكن اذ ذاك في الاستيلاء على خزائن جده،الا ان فامبري يري عكس ذلك ويقول انه كان في طشقند وعندما سمع بموت جده ذهب الى سمرقند الصفحة،260،اما عن وصيته بان يكون حفيده بير محمد خليفته،فيفهم مما كتبه ابن عرب شاه انها جاءت خلال اللحظات الاخيرة من حياته وهو على فراش الموت باترار،الصفحة،524.،اما الغياثي فيفهم منه ان ماجاء في الوصية بحيث ان الخلافة لبير محمد والجيش الذى كان متجها الى الصين للسلطان خليل،أنظر:

الغياثي،**مصدر سابق**،ص،229،وفي سنة 809ه،إتفق الرجلين أن يكون لكل منها ما في يده،إلا أن بير محمد سرعان ما قتل من طرف وزيره علي تاز.

[2]- يذكر فامبري وغيره أن هذه المرأة في حياة تيمور كانت تعيش حياة متواضعة مما جعلها تكون موضع سخرية من الحريم،وعندما صارت على العرش بعد زواجها من السلطان خليل بدأت تنتقم من الجميع وتدفع زوجها إلى سلوك خاطئ إنتهى بالتمرد عليه،أنظر:

فامبري،**مرجع سابق**،ص،261.

أنجب تيمورلنك من الأبناء الذكور أربعة[1] ،وبنت واحدة تدعى ،وعدد كبير من الأحفاد كان لبعضهم دور كبير في الحضارة التيمورية في جوانبها الفكرية والأدبية والعلمية،خاصة أولئك الذين خلدت كتب التاريخ دورهم في رعاية العلم والعلماء وكل فنون المعرفة.

إن المجال لا يتسع لذكر كل هؤلاء،إلا أنه إنصافا للتاريخ ولجهود هؤلاء، لابد من الإشارة إلى بعضهم خاصة أولئك الذين إرتبط ذكرهم بهذ العمل مباشرة،وهنا بطبيعة تجب الإشارة إلى أربعة منهم ولو بشكل موجز،لأنه سيتم ذكرهم نظرا لإرتباطهم الوثيق بالجوانب الحضارية التي أسهم فيها التيموريين.

يأتي في مقدمة هؤلاء السلطان معين الدين شاهرخ،وهو الوحيد الذي عاش بعد أبيه رفقه أخيه ميرانشاه كما أشرت سلفا،لأن بقية الأبناء ماتوا في حياة أبيهم،إعتبرت المصادر التاريخية شاهرخ الإبن المحبوب لتيمورلنك،خاصة بعد أن فقد أبناءه،وعلى رأسهم الإبن البكر محمد جهانكير،حتى وهو على فراش الموت وفي لحظاته الأخيرة،ظل يمنى النفس برؤية ولده شاهرخ،لكن الموت كان أسرع من تحقيق تلك الأمنية[2].

أعقب موت تيمورلنك الصراع بين بير محمد الذي أوصى له جده بخلافته من بعده والسلطان خليل بن ميرانشاه،لكن كل ذلك الصراع إنتهى،بعد وفاة المتصارعين بيرمحمد سنة 809ه،والسلطان خليل سنة814ه ،وأصبح شاهرخ هو السيد على أملاك أبيه،وكانت النتيجة الأولى لهذه الإضطرابات أن أصبحت هراة سريعا عاصمة التيموريين بدلا من مدينة سمرقند[3].

---

[1]- تذكر المصادر التاريخيةأن تيمورلنك انجب من الآبناء الذكور أربعة،توفي ثلاثه في حياة تيمورلنك،وهم غياث الدين جهانكير،ومعز الدين عمر شيخ،وجلال الدين ميرانشاه،وعاش معين الدين شاهرخ فترة طويلة إستتب له الحكم في مدينة هراة ،وكان من بين أعظم الامراء التيموريين،عن شجرة التيموريين أنظر:

الملحق رقم 4،مكرر،ص،.300،299.

[2]- يذكر إبن عرب شاه أن المحيطين بتيمورلنك في لحظاته الاخيرة ،طلبوا منه إستدعاء شاهرخ،ولكن رفض لآنه كان يدرك ان ذلك لن يتحقق،**ابن عرب،شاه،فايز الحمصي**،ص،382.

[3]- ما قراه بارتولد من نتائج بعد نهاية تيمورلنك، إعتبر إنتقال العاصمة من سمرقند إلى هراة أول نتائج هذا التحول.،أنظر: الغياثي ،**مصدر سابق**،235

وصفته المصادر التاريخية من بين أكثر التيموريين عدلا وحلما،وقد حكم فترة طويلة إمتدت إلى غاية 850هـ،1347م،يصفه بعض المؤرخين بحسن سيرته وتواضعه يقول عنه المؤرخ السخاوى،كان ضخما وافر الحرمة،نافذ الكلمة على نحو ما كان عليه أبيه،،ويضيف وكان عدلا ،دينا وخيرا ومتواضعا محببا في رعيته،محبا لأهل العلم والصلاح،مكرما لهم،قاضيا لحوائجهم،لايضع المال إلا في حقه،لذلك يوصف بالإمساك[2].

أما الشوكاني فكتب في وصفه قائلا:"كان متواضعا محبا لرعيته،مكرما لأهل العلم قاضيا لحوائجهم،لايضع المال إلا في حقه...يحافظ على الطهارة الكاملة ويجلس مستقبل القبلة والمصحف بين يديه[1]"،أما المؤرخ الإيراني عباس أقبال،يقول عنه،وفوق تقواه وتدينه،حبه للعلم وطلابه[2]،وإضافة إلى الإهتمام المتزايد الذي عرفته مدينة هراة في عهده عمليا وعمرانيا،بعد أن أصبحت عاصمة التيموريين،فإنه على المستوى الخارجي سعى إلى تهدئة العلاقات مع المماليك في مصر[3].

يعد بايسنغر من من بين أشهر الأمراء التيموريين،وهو أحد أبناء السلطان شاهرخ[4]،ولد سنة 799هـ،وصفه إبن تغرى بردى بأن أشجع أولاد شاهرخ،وأعظمهم أقداما وجبروتا[5]،حظى بحب كبير من أمه كوهر شاد،التي كانت تميل إليه أكثر من ولدها البكرألغ بك ،في الثانية عشرة من عمره شارك في إدارة الدولة من خلال الإشراف على أذربيجان وإقليم خراسان[6] ،وفي سنة 820هـ،عينه والده

1- شمسالدين بن محمد عبد الرحمان السخاوى،**الضوء اللامع لآهل القرن التاسع**،ج3،دط،دار الجيل،بيروت،دت،ص،298.

2- محمد علي الشوكاني،**البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع**،ج1،دط،دار الكتاب الاسلامي القاهرة،دت،ص،272.

3- رغم أن العلاقات التيمورية مع المملليك ظلت متوترة لبعض الوقت الا انها تحسنت في السلطان شاهرخ،والسلطان المملوكى الظاهرجقمق،حيث طلب شاهرخ من سلطان المماليك أن يسمح بكسوة الكعبة وكان له ذلك،أنظر:.

علاء محمود قداوى،**العلاقات التيمورية المملوكية بعد تيمورلنك،807هـ،856هـ،1405م**،1452م،أداب الرافدين،عدد،1429،50هـ،2008م-

4- عفاف صبرة،نجوى كيرة،**مرجع سابق**،ص،283.

5-إبن تغرى بردى،**النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة**،تح،علي إبراهيم طرخان،ج15،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1391هـ،1971م،ص195.

6- حكم في هراة بين 817هـ،838هـ،1414م،م 1433م،إضافة إلى مواصفاته كحاكم فإنه كان أكثر التيموريين شغفا بالفنون المختلفة ورجالها.

وليا للعهد،وهو ما يفسر أن كوهر شاد كان لها تأثير في إتخاذ هذا القرار حتى أنه لما مات باسنغر تعهدت أمه وتكفلت برعاية أبناءه.

أظهر بايسنغر منذ طفولته نزوعا إلى تزيين الكتب وتجليدها ،لذلك عرف هذه الحرفة من أصحابها ،فأخذ الصنعة من شيخه شمس الدين محمد بن حسام الهروى،ونبغ في الأمر حتى عد من بين الأساتذة الكبار في فنون الخط،وفي أيامه كتب المؤرخ حافظ أبرو كتابه زبدة التواريخ[1] .

أسس مدرسة فنية في مدينة هراة،جمع لها أكثر من أربعين بين خطاط ومذهب ومجلد،وله الكثير من الأعمال الفنية على ما تذكر المصادر ومنها ما كتبه على قبر جدته كوهر شاد،كما كت.ب أكبر مصحف ما تزال بعض صفحاته محفوظة بالمكتبات والمتاحف[2].

توفي بايسنغر وهو في الخامسة والثلاثين من عمره،وكان ذلك سنة 837هـ[3]،1334م،تعتبره المصادر التاريخ.ية أكثر الأمراء التيموريين حبا للعلم والفن والشعر.

ألغ بك بن شاهرخ ولد سنة 796هـ،سمي عند ولادته بمحمد ترغاي،وسمي أيضا بالأمير العظيم،وهولقب لم يسم به إلا جده تيمورلنك،أكثر الأمراء التيمورين شهرة،خلد إسمه كحاكم وعالم في تاريخ الدولة التيمورية خاصة والعالم الإسلامي عامة،حكم أكثر من أربعين سنة منها ثلاث سنوات كحاكم خلفا لأبيه شاهرخ المتوفى سنة850هـ،1347م.

وقد تعدد ذكره في المصادر العربية والفارسية،خاصة كتب الآدب والتاريخ،معترفة بالدور الذى لعبه في تركيز وتثبيت مختلف العلوم والفنون،والإجتهاد في بناء المدارس والمراصد الفلكية .

[1]- عباس العزاوى،**تاريخ العراق، ج1**،ص،21.

[2]- تذكر بعض المراجع أن هناك نسخة من القرأن مما كتبه بايسنغر محفوظة بالمكتبة السلطانية،ونسخة أخرى بالمكتبة الوطنية الإيرانية.

[3]- تباينت المصادر التاريخية في تاريخ وفاته،البعض يرى ذلك في جمادى الآولى 837هـ،أما أبن تغرى بردى ،في النجوم،يذكر يذكر العشر الآولى من ذي الحجة 838هـ،في حين أن السخاوي في الضوء اللامع يذكر ذي الحجة 839هـ،انظر:

-الغياثي،**مصدرسابق**،هـ4،ص،236.

إبن تغرى بردى ،**النجوم الزاهرة**،ج،15،ص،196.

لم يكن ألغ بك بارعا في السياسة والحرب كما كان في العلم والمعرفة،وجه ألغ بك إهتمامه للعلوم،ولكنه لم يهتم بالإدارة والحكم بنفس القدر الذي وجهه للعلوم[1] ،إذ أن فترة حكمه عرفت بعض الإضطرابات،خاصة الهجومات المتكررة لجند القفجاق وقبائل الأوزبك،حتى أن والده شاهرخ كان لايثق في قدراته العسكرية كثيرا،فبعث إليه إبنه أحمد جوكى[2] ليسانده في مواجهة الخطر .

أما الأمر الثاني يتمثل في صراعه مع إبنه عبد الطيف،الذي غلب عليه الغضب عندما رأى أباه يشيد بجهود أخيه عبد العزيز،وزاد من عضبه بعد أن إنفرد أبيه بغنائم المعارك التي شاركا فيها سويا،وبعد صراع بين الأب وإبنه وقع الأب في أسر إبنه عبد اللطيف،فقتله عبد فارسي يدعى عباس[3].

إذا كان ألغ بك لم يحظ بشهرة كبيرة كحاكم رغم فترة حكمه،إلا أن شهرته العلمية تعددت حدود الرقعة الجغرافية لدولته، فكان شاعرا وقارئا للقرآن[4] وعالما فلكيا،فظل لطول الوقت مهتما بالعلوم خاصة علم الفلك ،ولذلك بنى المدارس والمراصد ،وجمع خيرة علماء الهيئة والفلك في سمرقند،كما أنه بنى مدرسة في بخارى كتب على بابها "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"[5]،وعد من بين أعظم الأمراء الشرقيين المستنرين[6].

---

[1]- السخاوى.-**مصدر سابق** ،ج3،ص،2.

ظهير الدين محمد بابرشاه،**تاريخ بابرشاه وقائع فرغانة**،تر،ماجدة مخلوف،ط1،دار الآفاق العربية،1422هـ،2002

[2]-أحمد جوكي:هو أحمد بن شاهرخ المعروف بأحمد جوكى،مات في شهر شعبان سنة839هـ،وحزن أبوه عليه حزنا شديدا ،كان من الآمراء التيموريين،الولعين بمختلف الفنون،ونظم الشعر،للمزيد أنظر:

إبن حجر العسقلانى،**أبناء الغمر بإنباء العمر**،ج4،دط،تح حسن حبشى،القاهرة،1419هـ،1998م،ص،ص،24،25.

إبن العماد الحنبلى،شذرات الذهب،ج7،ص،230،حاشية1.

[3]- فامبري،**مرجع سابق**،ص،271.

[4]- رغم ذلك فان بعض علماء الدين يتهمون مثل الغ بك وغيره من التيموريين في الانغماس في الحرمات،بالاستماع الى المغنيات ،وإقامة الحفلات،وهذا يعكس في نظر بعض المؤرخين أن الحياة الإجتماعية في سمرقند في عهد تيمور لنك وحفيده ألغ بك كانت بعيدة عن أحكام الدين.

[5]- بارتولد،**تاريخ الحضارة الاسلامية**،ص،140.

[6]- فامبري،**مرجع سابق**،ص271.

لقد كان ألغ بك محبا للعلوم والفنون والوحيد بين التيموريين الذي ظل لفترة طويلة مقرونا بالإجلال[1]، خاصة عند المهتمين بالعلوم الفلكية والهندسية،وحتى عند الأوربين الذين نظروا إلى أعماله وكتاباته على أنها تمثل آخر ما كتب في العصور الوسطى،قبل أن يأخذ علم الفلك صورة جديدة في التاريخ الأوربي الحديث،إضافة إلى أن ألغ بك خلف عمائر كثيرة وفنون في بخارى وسمرقند[2]

آخرالتيموريين حكما وشهرةعلى رأس الدولة التيمورية،هو السلطان حسين بايقر،أحد أحفاد تيمورلنك من إبنه معز الدين عمرشيخ،ولد سنة 820هـ،1438م،فقد والدته في سن مبكرة،وعاش جزءا من حياته بين الفروسية وركوب الخيل، وكان يحكم حسين بايقرا بإقتدار في كل من خراسان وما حولها متخذا من سمرقند عاصمة له[3] إلا أنه منذ 873هـ،1469م،دخل في صراع مع خصومة الطامعين في العرش التيموري،خاصة بعد مقتل أبي سعيد التيموري،على يد إبنه محمد يادكار بالتعاون مع زعيم قبائل الاق قويلنو[4] حسن أوزون أو "حسن الطويل".

يعتبر عصره من بين أزهى العصور ليس في عهد التموريين بل في تاريخ الحضارة الإسلامية،حيث عرف عهده نهوض فكري وأدبي،مثل بحق مرحلة مضيئة في تاريخ التيموريين،وكان بحق صورة معبرة على تلك الفسيسفاء التي إختلط فيها الأبداع الأدبي والشعري،والفلسفي. والتاريخي،إستطاع خلالها التيموريين أن يزودو الحضارة الإسلامية،بمصابيح فكرية وعلمية ظل ذكرها في المؤلفات التاريخية محل إشادة وثناء.

جمع عهد حسين بايقرا أشهر رموز المعرفة والفكر والفن،ومنهم الشاعر الصوفي الكبير عبد الرحمان الجامي،والمؤرخ الفارسي خواند مير صاحب كتاب روضة الصفا الذي إعتمد فيه على جزء

[1]- رونالد ولبر،**إيران ماضيعا وحاضرها**،تر،عبد النعيم حسنين،ط2،1985م،ص،.79

[2]- يتم التفصيل في ألغ بك وأعماله الفلكية بشكل موسع في الفصل المتعلق،بالحياة العلمية في عهد التيموريين،أنظر الصفحة ،218وما بعدها.

[3]- بابرشاه،**تاريخ فرغانة**،ص،ص،16،17

[4]- قتل أبي سعيد على يد زعيم قبائل الاق قويلنو أو الشاه البيضاء ،سنة 873هـ،1468م.

كبير من تاريخ إبن الأثير،والرسام المبدع بهزاد،الذي بلغت في عهده مدرسة هراة في فن التصوير أوج تطورها ونضجها،ويضاف إلى أسباب النهضة العلمية والفكرية في عهد السلطان حسين بايقرا الى دور وموهبةالوزير علي شير نوائى،الذي عد أشهر من جمع بين الفكر والوزارة وأبدع في مجال الأدب خاصة الأدب التركي،ومن سخرية القدر أن هذا السلطان الذي كان راعيا للعلوم والفكر والفنون،عرف عهده نهاية حكم التيمورين الذي إمتد من 771هـ،911هـ،1370م،1506م[1].

إستطاع تيمورلنك أن يؤسس إمبراطورية واسعة ،شملت معظم منطقة أسيا الوسطى،واضاف لها أجزاء واسعة الأراضي التي خضعتلسلطة جنكيزخان،أضاف لها الهند وعجز عن ضم الصين،وإذ كان أغلب المؤرخين القدامىخاصة المصادر العربية،التي عاصرت تيمورلنك أوكتبت عنه،صورت ذلك الغازى بكل الأوصاف والنعوت القبيحة،الذامة والقادحة،إلا أنه من نسل هذا الغازى الكبير جاءالأبناءوالأحفاد الذين خلد التاريخ أسمائهم في سجل تاريخ الحضارة الإسلامية، معترفا بفضلهم ودورهم،وبغض النظر عن بعض الحقائق التاريخية التي يعجز المؤرخين عن نفيها أو تأكيدها،خاصة فيما تعلق بإسلامه وتشيعه[2].

[1]- مفارقة عجيبة من مفارقات التاريخ،بدات الدولة التيمورية بسلسلة من الحروب الدموية الطويلة التي قادها تيمورلنك،وإنتهت في عهد حسين بايقرا بكل ذلك التطور العلمي والفكري والآدبي الذي قل نظيره في العالم الإسلامي.

[2]-إذا ذكر إسم السلطان حسين بايقرا ،إلا وكان مقرونا بطائفة من الآدباء والشعراء والمؤرخين والمصورين الذين أبدعوا في تاريخ الحضارة الإسلامية،وكانت مجالس حسين يايقرا،لا تخلو من الوزير المثقف علي شيرنوائى،والآديب الشاعر الصوفي عبد الرحمان الجامى،والمؤرخين،مير خواند ،وخواند مير.

قد أجد نفسي عاجزا عن تأكيد ذلك ،ولكن ذلك الذي سمى أبناءه بأسماء الصحابة والخلفاء،لهو جدير أن يأخذ نصيبه العادل في التاريخ ،في قراءة أخرى تعتمد على المقارنة والإستدلال بعيدا عن المواقف السياسية والخلفيات العرقية.

لقد كان خلفاءه مسلمين رعاة للعلم والفنون والمعرفة[1]،وقد بذلوا كلهم جهدا كبيرا في إشاعتها عبر مختلف المدن التيمورية،وختم هذا العصربآخر السلاطين التيموريين،الذي قال عنه المؤرخ الفارسي عباس أقبال،يعد أشهر الأمراء التيموريين،لأنه فضلا عن حالة الأمن،والرخاء النسبية التي نعم بها أهل خراسان وهراة،مدة حكمه،فإن عصره هو ألمع عصور الحضارة في عصر تملك التيموريين[1]،فقد كان هو بنفسه فاضلا وشاعرا،إجتهد في جمع الفضلاء وأهل الفن،وأقام مكتبة ومدرسة كبيرة كان يدرس بها عشرة الآلاف طالب على نفقته الخاصة[2].

[1]- عن أبناء وأحفاد تيمورلنك انظر الملحق رقم 04 مكرر،ص،299-300.

[2]- عباس إقبال،**تاريخ إيران**،ص،621.

الفصل الثاني :

توسعات تيمورلنك شرقاوغربا

إعتمد تيمورلنك في توطيد أركان حكم الدولة على ثقافة التوسع وإنتهاج سياسة الحرب،إنطلاقا من الأفكار التي عاش يؤمن بها ويدافع عنها،متخذا سياسة أسلافه المغول منهجا خاصة في الأسلوب الحربي،لذلك كان يعتقد أن فكرة الحاكم الواحد هي التي تسود على الأرض،إنطلاقا مما كان يقول دائما أنه إذا كان هناك إله واحد فلابد أن يكون هناك على الأرض حاكم واحد[1] .

ظلت هذه الفكرة هي العنوان الرئيسي الذي إعتمد عليه في السياسة التوسعية، وفي محاربة خصومه ومنافيسه،رغم أنه كان يقدم في كل مرة المبررات تلو الأخرى من أجل إعطاء صفة الشرعية لكل ما يقوم به،ولذلك خاض حروب طويلة وفي كل المناطق،حتى أن نهايته كانت وهو في حملة عسكرية متجهة إلى الصين.

إن الحديث عن التوسعات العسكرية لتيمورلنك ليس لهدف إستعراض تلك الحملات العسكرية بالتفصيل،إنما إبراز عملية الإستفادة منها،وكيف عمل تيمورلنك على الإستفادة من علماء وثروات البلاد التي دخلها،حتى أن تحليلا بسيطا لتلك الحملات العسكرية يشير إلى أن أكثر الناجين من بطش وقتل تيمورلنك،أكثرهم كانوا العلماء والمهرة من أرباب الفنون والصناعة الذين كانوا سبيلا لبناء عاصمته كما سنرى في ثنايا هذا العمل.

1-حروب تيمورلنك في خوارزم

كان إخضاع خورازم[2] والسيطرة عليها من المخططات الإستراتجية في سياسة تيمورلنك لأن إخضاعها يعنى تأمين الحدود الغربية للدولة الناشئة في سمرقند،في تلك الفترة كانت تحكم عائلة أل صوفي والتي لاحظ تيمورلنك مدى عدائها له خاصة خلال حربه مع الأمير حسين، إذ إستغلت هذه

---

[1]- مذكرات تيمورلنك،ص،14.

[2]- أثرت أن اقدم تعريفا لهذا الإقليم تحديدا هنا،وصفه الجغرافيون بأنه إقليم واسع وشاسع ومشهور ،يشمل عدة مدن وقرى كثيرة،وقيل أن حدوده من الغرب بلاد الترك الغزية،ومن الجنوب إقليم خراسان،ومن الشرق بلاد ما وراء النهر،عاصمته الجرجانية،وفي هذا الإقليم ظهرت في اواخر عهد سلاجقة إيران الدولة الخوارزمية،كان أخر امرائها علاء الدين خوارزم شاه،والذي عرف عهد الغزو المغولي بقيادة جنكيزخان،بعد حادثة أترار الشهيرة،أنظر:
النسوي،**مصدرسابق**،ص،299.
-حسن الآمين،**الإسماعليون والمغول ونصير الدين الطوسي**،دط،بيروت،لبنان،1417هـ،1997م،ص،62،وما بعدها.

العائلة الظروف لتحتل بعض المناطق ومنها خيوه والكات،أما تيمورلنك فكانت رغبته قوية في إحتلال المدن المغمورة بالحضارة الأيرانية[1].

في بداية الأمر أبدى حاكم خوارزم نوعا من التودد إتجاه تيمورلنك،وظهرذلك من خلال تبادل الهدايا ورغب تيمورلنك هو الآخر في توطيد تلك العلاقة،إلا أن طموحه ظل أبعد من ذلك نظرا لأن إقليم خوارزم يمثل عمقا إستراتجيا لدولتة،لذلك بدا تيمورلنك يرفع من سقف المطالب إذ طلب من حاكم خوارزم،منحه الأقاليم القديمة التي كانت تابعة للدولة الجغطائية،متذرعا بأن الخان الجغطائي الذي كان يحكم فيما وراء النهر من نسل الجغطائين،و من حقه المطالبة بتلك الأقاليم،فكان رد حسين صوفى حاكم خوارزم"لقد إفتتحت تلك الأقاليم بالسيف وبالسيف تؤخذ مني"[2]،وكان هذا الرد كافيا لتوتر العلاقة بين الطرفين.

جهز تيمورلنك في سنة 773ه،1372م،حملة عسكرية على إقليم خوارزم،إلا أن الموت المفاجئ لحسين صوفى أبان الحصار جعل المعطيات تتغير،خاصة لما ألت السلطة إلى أخيه يوسف الذي عمل جاهدا على إسترضاء تيمورلنك[3]،إذا أعلن نفسه نائبا له على أقليم خوارزم،ويبدو أن الأمر لم يكن سوى مناورة من يوسف صوفى لتجنب بطشه،إلا أن تيمورلنك إكتشف أن خطوة يوسف صوفي ماهى إلا مؤامرة،لذلك جهز حملة ثانية على خوارزم سنة 774ه،1373م.

إضطر خلالها يوسف صوفى أن يطلب الأمان،ويعلن نفسه تابعا له كما أنه عمل على التقرب منه أكثر بعد تلك المصاهرة التي حدثت بينهما[1]،ورغم ذلك فإن عدم الإستقرارالذي عرفته خوارزم

---

[1]-بارتولد ،**تاريخ الحضارة الإسلامية**،ص، 130.

[2]-يقول الغياثى أن تيمورلنك جاءه لعدم دفعه الخراج توفي سنة 774 ه،1373م،أنظر:

الغياثي،**مصدرسابق**،ص،189،وأيضا:

-أرمينوس فامبرى،**مرجع سابق**،ص،،218

[3]-يذكرهإبن حجر العسقلانى في كتابهأنباء الغمر على أنه إبن حسين صوفى،لكن المصادر الآخرى تجمع على أنه أخوه،حاول في البداية إسترضاء تيمورلنك من خلال المصاهرة التي حدثت بينهما،أنظر:

أرمينوس فامبرى،**مرجع سابق**،ص،219..

جعل تيمورلنك يقوم بحملتين عسكريتن الأولى في عام 777هـ،1375م،ألحقت أضرار كبيرة بالمدينة،وقتل فيها عدد كبير من الناس[1].

أما الحملة الأخيرة والتي كانت سنة 780هـ،1379م،جاءت عقابا على ما قام به يوسف صوفى الذي إستغل غياب تيمورلنك عن سمرقند ليقوم بحملة عسكرية على مدينة بخارى،إلا أن رد تيمورلنك المفاجئ كان قويا ،بعد أن عاد من حملة عسكرية من بلاد الجغطاي،وقد شعر يوسف صوفى بالندم والحسرة،وتوفي بعد ذلك بقليل[2].

بهذا الإنتصار خضع إقليم خوارزم لسلطة تيمورلنك،وضمت إلى دولته أجزاء واسعة من مما كان يعرف بالإمبراطورية المغولية الجنكزخانية،أما مكن الإستفادة الحضارية من كل هذه الحملات العسكرية،وهوبطبيعة الحال ما يعنيني في هذا العمل،هومدى إستفادة تيمورلنك من الإرث الحضاري في مدن إقليم خوارزم المتأثر بشكل واسع بالحضارة الإيرانية،حيث إستولى على الكثير من الكنوز وثروة طائلة نقلها إلى مدينة كش،كما أخذ معه الكثير من العلماءو المهرة من الصناع وأرباب الحرف، خاصة في مجال العمران وبعض الفنون التي برع فيها الإيرانيون،كما شيد قصر مخلدا لإنتصارته،ثم أمضى الشتاء في حاضرته،طلبا للراحة والإستجمام[3]،مستفيدا من تلك الكنوز التي ظهرت أثارها جلية خاصة في مدينة سمرقند.

2–حروب تيمورلنك في بلاد الجغطاى

تعددت الحملات العسكرية في بلاد الجغطاي خاصة وأن تيمورلنك لم يستطع حسم الصراع في هذه المنطقة في ظل حركة التمرد التي ما إنفكت تقوم بين الحملة والأخرى،خاصة وأن أحد خاناتها

[1]– رضى يوسف صوفى أن يزوج إبنة أخيه خان زادة ،يذكرها فامبري بإسم سيوين،من الإبن الآكبر لتيمورلنك محمد حهانكير وكان ذلك سنة 775هـ،1374م،وجاءت إلى عريسعها باثاث فاخر،واقيم في سمرقند إحتفال كبير وفخم الإأن الآجل لم يمهل جهانكير اكثر من سنتين بعد الزواج،،وسرعان ما عاد الصراع بين الرجلين ورغم ان العلاقة الزوجية لم تدم طويلا ،الإإن هذه المصاهرة لعبت دورا كبيرا في تجنيب خوارزم الدمار في الحملات الآخرى

[2]– عملت خان زادة كل ما تقدر من أجل أن تجنب أهلها المزيد من الويلات،

–إبن عرب ،**المخطوط** ،ص،32

[3]– فامبري،**مرجع سابق**،ص،220..

ويدعى قمر الدين أبدى مقاومة شديدة ضد الغازى المغولي.

ما إن جاءت سنة792 هـ،1390 م،حتى قرر تيمورلنك حسم الصراع في هذه الخانية بشكل نهائي[1]، ليتفرغ لخصومه خانات القبيلة الذهبية،لذلك عمل على تجهيز حملتان عسكريتان كان على رأس واحدة منها إبنه عمرشيخ[2]،إنتهت بالسيطرة على بلاد الجغطاي،أما قمر الدين ففر إلى إيران[3]،حيت إحتمى بأحد أمرائها[4]،إذا كان إستفادة تيمورلنك من الناحية الحضارية من خانية الجغطاي ضعيفا ،بإعتبارها لم تتمتع بتطور حضاري واضح كالذي شهدتة الأقاليم الأخرى التي كانت تحت سيطرة المغول ،وقد أشرت في أكثر من موضع من هذا العمل أن خانية الجغطاي ظلت أكثر الإيلخانات تخلفا وبداوة،لذلك كان الهدف من إخضاعها هو القضاء على المنافيسين الطامحين في الحكم،أو الراغبين في إستعادة أملاك الجغطاي،الذين ظل تربصهم بالمنطقة مستمرا حتى قضى تيمورلنك على أحلامهم.

---

[1]-عرفت بلاد الجغطاى سبع حملات عسكرية،الحملة الأولى أولى،772هـ،1372م،الحملة االثانية(772هـ،773هـ)،1372م،1373،الحملة الثالثة 776هـ،1375م،الحملة الرابعة 777هـ،1375م،توقفت هذه الحملة لأن تيمورلند عاد إلى قاعدته في سمرقند،ليعود إلى خوارزم بعد أن أخل يوسف صوفى بالزاماته أمام تيمورلنك،ليعود في نفس السنة إلى المنطقة في حملته الخامسة،أما الحملة السادسة فكانت سنة775هـ،1383م،أما آخر حملة فكانت سنة792هـ ،1390م،والتي إنتهت بفرار قمر الذين إلى إيران،أنظر:

عباس العزاوى،**مرجع سابق**، ج2،ص،230

[2]-معز الدين عمر شيخ حكم في إيران بعد أن أسقط تيمورلنك أل مظفر في بغداد سنة 795هـ،إلا أن فترة حكمه كانت قصيرة،إذ توفي في العام الموالى سنة 796هـ،بعد أن أصيب بسهم طائش،ومن صلبه حكم آخر التيوريين في هراة وهو السلطان حسين بايقرا،أنظر:

العزاوي، **مرجع سابق**، ج2،ص،277.

عباس إقبال،**تاريخ إيران**،ص،611.

[3]-شعبان طرطور،**مرجع سابق**،ص،320.

[4]-نفسه،320.

3-حروب تيمورلنك في إقليم خراسان

بعد وفاة أبي سعيد بهادرخان سنة 736هـ،1336م[1]، سقطت دولة الإيلخانيين وتجزأت البلاد إلى دويلات صغيرة متصارعة،ونتج عن ذلك عدة دويلات متنازعة على العرش الإيلخاني،في بغداد وتبريز سيطر الجلائريون على أملاك الدولة الإيلخانية،خاصة وأن مؤسسس الدولة الشيخ حسن برزك الكبير إرتبط بالإيلخانيين بعلاقة مصاهرة قوية،وكان أحد أمراء السلطان أبي سعيد،ولما ضعفت دولة الإيلخانيين حاول أن ينفرد بالحكم،إلا أنه عجز عن ذلك فإنتقل إلى بغداد سنة،739هـ،1339م،وأعلن سيادته عليها ولا تذكر المصادر بالتحديد تاريخ ولادته.

منذ وفاة أبي سعيد بهادرخان صار الشيخ حسين برزك يبذل جهد ا كبيرا في تأسيس الدولة،خاصة أن البيت الإيلخاني لم يكن فيه من يملك القدرة على إدارة الدولة[2]،إستمر ينصب الأمراء ويعزلهم إلى غاية إنفراده بالحكم سنة 741هـ،1341م،عند بروز تيمورلنك على مسرح الأحداث في تلك المنطقة كانت الدولة الجلائرية تحت إمرة السلطان أحمد بن أويس،الذي سيدخل في صراع مريرمع تيمورلنك كما سنرى ذلك فيما بعد.

---

[1]- لقد كان الشيخ حسن برزك زوجا لبغداد خاتون وهي إبنة إحدى الأمراء في البلاط الإيلخاني يدعى جوبان،يف=قال أن السلطان أبي سعيد رآها وكان ذلك سنة 725هـ،فأعجب بها،فطلب من والدها أن يطلقها من زوجها حتى يتزوجها متذرعا بالقوانيين المغولية التي تسمح وتعطى الحق للسلطان أن يتزوج أي إمرأة حتى وأن كانت متزوجة،وتوترت بعدها العلاقة بين أبي سعيد وحسن كوجك الجوباني خاصة بعد أن قتل أحد أبناءه وهو دمشق خواجة الجوباني ،ثم تزوج دلشاد خاتون بنت دمشق خواجة الجوباني ،ويقال أن الغيرة حركت بغداد خاتون فسمته وقتل في سنة 736هـ،1336م،أنظر:

شعبان طرطور،**الدولة الجلائرية**،ص،9،وما بعدها.

[2]- تذكر بعض المصادر أن أبي سعيد أوصى بالحكم الى أربا خان لآنه لم يبق من نسل هولاكو من هو جدير بالسلطة،إلا أنه اتهم بالكفر،وعند دخول حسن كوجك الجوباني مدينة تبريز عاصمة الإيلخانيين، لم يجد فيها من هو جدير بالسلطة ،إلا الآمير ة ساتي بنت السلطان محمد خدابندة الجايتو وأخت السلطان أبي سعيد،وقد برر الذين وضعوها في الحكم بأنه لايوجد من سلالة هولاكو من الذكور من هو على قيد الحياة،وهكذا إرتقت ساتى إلى الحكم سنة 739هـ،وصار إسمها يذكر في الخطبة وينقش إسمها على السكة،وكان من بين وزرائها الوزير ركن الين شيخى الذي تعود أصوله الى الوزير رشيد الدين الهمذاني...

الدولة الثانية التي كانت موجودة في المنطقة ،هي الدولة المظفرية التي تعود أصولها إلى أسرة عربية،أسس الدولة أحد رجال الإدارة في العهد الإيلخاني وهو مبارز الدين محمد[1]،بدأ عهده بالإستيلاء على يزد التي إتخذها في بداية الأمر عاصمة دولته ثم إنتقل بعد ذلك في 1353م إلى مدينة شيراز،وكانت الدولة المظفرية على خلاف حاد مع الجلائريين،ودخلت الدولة بعدها في صراع مرير منذ ظهور الغازى المغولى تيمورلنك.

الدولة الثالثة،أل كرت"الكرتيون"،ينحدر آل كرت من الغوريين الذين كانوا قبل جنكيزخان،وإستمر وجودهم وتأثيرهم في مدينة هراة وما حولها من المدن الواقعة في خراسان الشرقية بعد الغزو المغولى،وقد حكمت الأسرة في المنطقة بقرار من الخاقان المغولي منكو خان،أما في عهد الإيلخانيين فكانت تتمتع بإستقلال داخلي،إلى غاية،732هـ،1332م،حيث أعلن معز الدين آل كرت إنشاء دولة مستقلة عن الإيلخانيين[2].

الدولة الرابعة وهي دولة السربداريون التي نشأت في خراسان الغربية ،حيث إستغل أحمد خواجة عبد الرزاق،وهو إبن أحد التجار الأثرياء ،الثورة التي قام بها الكرتيون،ليعلن عن قيام الدولة السربدارية في إقليم خراسان الغربي،ويدعى هؤلاء أنهم من نسل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

في قراءة بسيطة وسريعة لأحداث المنطقة في النصف الثاني من القرن الثامن الهجرى ،الرابع عشر الميلادر يمكن القول أن الظروف السياسية والعسكرية التي كانت تحيط بالمنطقة،إضافة إلى التمزق إلى إمارات ودويلات متصارعة،سهل على تيمورلنك إسقاط تلك الدويلات بشكل سريع.

بعد أن سيطر تيمورلنك على أملاك الجغطائيين،صار يرى في نفسه الوريث الشرعى لتلك الأملاك،كما أن فلسفته الحربية التي رسخها كمبدا من مبادئ توسعه العسكري، القائلة أنه من واجبه تخليص المناطق التي تعاني من إستبداد الحكام[2]،متخذا ذلك القول ستارا وذريعة لتبرير حملاته العسكرية،أما من الناحية الإستراتجية فكان يرى في إخضاع إقليم خراسان ضرورة حيوية ليجعل ما

---

[1]– أبو الحمد محمود فرغلى،**التصوير الإسلامى نشأته وموقف الإسلام منه،أصوله ومدارسه**،ط2،الدار المصرية اللبنانية،1421ع،2001م،ص،196.،

[2]–أكرم حسن الحلبي،***مرجع سابق***.ص،59.

تبقى من أملاك الإمبراطورية الجنكيزخانية تحت إمرته،بعد إخضاع بلاد ما وراء النهر،وخورازم وهزيمة الجغطائيين[1] .

إختلفت آراء المؤرخين حول تحديد الأسباب الحقيقية التي أعتمد عليها تيمورلنك في تبرير حملاته العسكرية في إقليم خراسان[2]،لكن بالعودة إلى ظروف المنطقة في تلك الفترة نجدها أكثر من ملائمة لتحقيق طموحاته خاصة حالة التمزق والتشتت التي كانت في كل حروبه مفتاح النصر،وقد أشرت فيما سبق أن المنطقة تجزات إلى عدة دول وطوائف متصارعة شجعته على تنفيذ مخططه.

الحملة الأولى سنة782ه،1880م

عرف إقليم خراسان في هذه الفترة إضطرابا شديدا شجعه على توجيه حملة عسكرية كبيرة رفقة إبنه ميراشاه،وكان أول من إستسلم هو معز الدين محمد حاكم سرخس،الذي دخل في طاعة تيمورلنك،ثم توجه بعد ذلك إلى هراة،ولما صار قريبا منهاحتى جاءه علي بك قرباني عارضا عليه مشاركته في فتح المدينة،حرص تيمورلنك في خطته العسكرية على هراة،أن يقطع كل سبل الدعم عنها من خلال إخضاع المناطق المحيطة بها .

إندفع تيمور لنك في إسقاط تلك الأقاليم الواحدة تلو الأخرى،ورغم الإستعدادت الحربية التي أبداها غياث الدين بير علي وريث الحكم في مدينة هراة،من خلال العمل على حفر خندق يحيط بالمدينة، حتى يضمن للمدينة الدفاع عن نفسها،كما عمل على تحفيز الناس ودفعهم للقتال، إلا أن المدينة في النهاية إستسلمت،لآن الإنتصارات العسكرية التى حققها تيمورلنك في بقية الآقاليم أفقدت الناس القدرة على المقاومة،كما أن جيش تيمورلنك إشتهر بين الناس بقوته وجبروته، من خلال تأثيره على معنويات الناس،وزرع الرعب فيهم، وتشتيت صفوفهم.

---

[1]-أحمد عبد الكريم سليمان،**تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة**،ص،14

[2]- يرى البعض أن من بين أسباب الحملة على خراسان أن تيمورلنك بعد إنعقاد مجلس الفوريلتاى سنة 781ه،1379م،أرسل رسل الىحاكم هراة غياث الدين بير علي ليحضر الاجتماع الا ان هذا الاخير تماطل رغم ان تيمورلنك بعث اليه بالامير حاجى سيف الدين،وعطل سفره متذرعا بإعداد الهدايا ومستلزمات السفر،لكن في الحقيقة كان منشغل بإعداد المدينة وتحصينها من أي خطر خارجى،أما الرآى الأخر هو القائل بأن علي بن أرغون هو الذي نصحه بذلك،لكن من خلال ما جاء في مذكرات تيمورلنك،أنه غالبا ما كان هو الذي يختار القرار الصحيح وفي الوقت الذي يريد ،رغم أنه كان يستشير من يحيط به.

رغم أن غياث الدين بير علي أبى الخضوع إلا أنه في النهاية إستسلم مبديا فروض الطاعة والولاء[1]،وما أن نال تيمورلنك من المدينة حتى حطم حصونها ونزع أبوابها المكتوب عليها أسماء أل كرت وأخذها إلى مدينة كش[2].

الحملة الثانية على خراسان كانت بإتجاه سنة784هـ،1382م، إذ بلغ تيمورلنك بعض الأخبار التي تقول أنه هناك مؤامرة تحاك ضده،وإندفع تيمورلنك في الهجوم على مدينة سبزوار،مدعما بقوات حاكم هراة غياث الدين بير علي،وإختتم تيمورلنك حملته الثانية على خراسان بتعيين أميرك بن تموركة حاكما على هراة،وقام بتوزيع الأملاك الجديدة على الأمراء،أما غياث الدين بير علي فعاد مع أولاده رفقة تيمورلنك إلى سمرقند[3].

الحملة الثالثة على إقليم خراسان كانت سنة 785هـ،1883م ، أما عن الأسباب فيمكن أن نوجزها في مايلي:

- رغبته في القضاء على الغوريين الراغبين في الإستيلاء على مدينة هراة،وقد نزل في المدينة قتلا ونهبا،ثم تقدم نحو مدينة سجستان، وقد تباينت آراء المؤرخين حول موقفأهالي المدينةمن تيمورلنك[4]،و سيطر خلالها تيمورلنك على كل المناطق المجاورة لسجستان ،كما إستولى على

---

[1]- أرسل غياث الدين بير علي وفدا التيمورلنك،تقوده أمه، سلطان خاتون،وإبنه الأكبر ملك بير محمد،،واحد أشياخ مازندران يدعى إسكندر شيخى بن افرو،وقد أكرم الوفد،مكلفا شيخ مازندران بالبقاء معه ناما باقى الوفد فنقل رسالة مفادها،أنه سيسقط المدينة بقوة السلاح إن لم يخرج غياث الدين،لكن هذا الأخير خرج في النهاية مستقبلا وخاضعا،وقد فعل المشايخ والأمراء والعلماء الأمر ذاته،إتقاء لهجماته المدمرة ،أنظر: Prawdin.op.cit.p.441.

[2]- محمد سالم بكر باعامر،**صلة الدولة التيمورية**،ص،143.-

[3]- نفسه،ص،147.

[4]- ترى بعض المصادر العربية أن تيمورلنك لما دخل المدينة طلب منه أهلها الأمان فمنحهم ذلك مقابل أن يمدوه بما عندهم من السلاح،فأعطوه الكثير من ذلك،فلما أيقن أنهم وضعوا معظم السلاح نزل فيهم قتلا دون تفريق بين شيخ وطفلا وحرقا المزارع وخرب البيوت حتى صارت المدينة أطلالا وخرابا،أنظر:

-الرمزي،**مصدر سابق**،ص،573،

-إبن عرب شاه،**عجائب المقدور ،المخطوط**،ص،25.

أما المصادر الفارسية،فتقول أن أهالي المدينة استبسلوا في الدفاع عنها،وخرجت منهم إعداد كبيرة للدفاع عن المدينة،إلا أن أنهم هزموا،وأسر اميرهم قطب الدين وتم ترحيله إلى سمرقند،أنظر،صلة الدولة التيمورية،ص،.151.

قندهار وقتل حاكمها ، وأمضى العام تقريبا هناك ،ثم رجع بعد ذلك إلى سمرقند.

الحملة الرابعة على إقليم خراسان كانت بين سنة 786هـ،787هـ،1383م،1384م، حيث أرسل تيمورلنك دعوات إلى حكام الإقليم،فلبى البعض، ورفض البعض الآخر دعوته،ومنهم شاه ولي حاكم مازندران،الذي عمل على تكوين جبهة لمحاربته[1]، ورغم أن الحرب ظلت بين الطرفين سجالا، إلا أن شاه ولي في النهايه إستسلم كغيره من الأمراء الذين سبقوه في مجاهرة العداء لتيمورلنك،وفر هاربا إلى تبريز مستجيرا بحاكمها أحمد بن أويس[2].

وفي المجمل يمكن القول أن الحملات العسكرية على إقليم خراسان ظلت قائمة بين الحين والآخر،سواءا بقيادة تيمورلنك أوأبناءه،خاصة بعد أن إتخذ ميرانشاه[3] من سرخس قاعدة لمراقبة كل التحركات في هذا الإقليم، ويعود ذلك إلى عدم الإستقرار والتمرد الذي كان يحدث بين الفينة والأخرى، إعتمد تيمورلنك في إسقاط هذه المناطق على أساليب مختلفة حسب طبيعة الخصم، فأحيانا كان يستخدم القوة المدمرة إذا شعر أن الخصم قوى وقادر على المقاومة ،وأحيانا يستعمل التهديد ليجير خصمه على الخضوع والإستسلام، خاصة إذا كان الخصم غير قادر على المقاومة، وفي كل ذلك كان الإعتماد على الجواسيس أمرا مهما[1] ،لمعرفة كل ما يدور في المناطق المحيطة به[4] ،وكثيرأما كان الجواسيس يستعلمون طرق التضليل للإيقاع بالخصوم،وفي النهاية مهد سقوط هذه المناطق الطريق أمام تيمورلنك ليتجه نحو بلاد فارس والعراق.

[1]- حاول شاه ولى حاكم مازندران أن يكون جبهة لصد الخطر التيموري،من خلال مراسلة شاه شجاع حاكم فارس وكرمان ،وأحمد بن أويس حاكم بغداد وأذربيجان،لكن دعوته لم تلق الصدى،وأكثر ما وجده شاه ولى إلا ملاذ عند أحمد بن أويس.-

[2]- قتل من طرف أكابر إمرائه تقربا من تيمورلنك،أنظر:

الغياثي،**مصدر سابق**،ص،191.

[3]- جلال الدين ميرانشاه حكم مع إبنه عمر خراسان والعراقيين وأذربيجان وديار بكر،إنتهت أسرته في مطلع القرن السابع عشر،بإستثناء ظهير الدين بابر شاه الذي بقيت أسرته تحكم الهند حتى منتصف القرن التاسع عشر،أنظر:

ظهر الدين محمد بابر شاه،**مصدر سابق**،ص،12.

[4]-أكرم حسن الحلبي،**مرجع سابق**،ص،ص،68،69.-

الحملة على إيران الغربية 786هـ،1386م

عرفت المنطقة الكثير من بوادر الضعف خاصة بعد أن دب الخلاف في الأسرة الحاكمة بين مبارز الدين محمد وأبنائه،حتى أنه هددهم بالقتل وكان هذا سببا في إشتعال الصراع بين الأب والأبناء،وكان من نتائج ذلك أن إتفق الآبناء الثلاثة[1] على التخلص من أبيهم،وتحقق مرادهم بعد أن أسروه، ثم أمر شاه شجاع بسمل عينى أبيه وأرساله إلى قلعة أسفيد[2]، التي بقي فيها إلى غاية وفاته سنة765هـ،1363م[3].

لم تستقر الأوضاع في البلاد خاصة بعد أن عاد الأخوة إلى الصراع فيما بينهم، إذ أرغم شاه شجاع أخوه أن يفر من ملكه إلى أصفهان،وبقى فيها إلى غاية وفاته سنة 776هـ،1375م،م،وبذلك إنفرد شاه شجاع بالحكم، وكان هذا الأخير على علاقة سيئة بالجلائريين،ودخل في حروب طويلة معهم،إلا أن العلاقة سرعان ما تحسنت بعد أن حكم أحمد.

بذل شاه شجاع كل ما في وسعه من أجل تمتين العلاقة بينه وبين تيمورلنك خاصة وأنه عمل على تقوية تلك العلاقة[4] من خلال إرسال الهدايا وعدم الدخول في صراع معه ، حتى أنه وقف موقفا محايدا من هجومات تيمورلنك على إقليم خراسان.

ساءت العلاقة بين الطرفين في عهد مجاهد زين العابدين الذي خلفه والده ،خاصة بعد أن عامل رسل تيمورلنك بالسوء، فأثار هذا العمل حفيظة تيمورلنك الذي قرر تأديب زين العابدين ومن جهة أخرى إستكمال عملية الفتح، خاصة في ظل حالة الإضطراب التي عرفتها بلاد المظفرين بعد

[1]–هم شاه شجاع وشاه محمود وشاه سلطان.

[2]–قلعة حصينة من قلاع شيراز،يطلق عليها القلعة البيضاء–

[3]–عباس إقبال ،تاريخ إيران،534

[4]– تدعمت العلاقة قوية بين الطرفين بعد أن تزوج حفيد تيمورلنك ،إبن جهانكير بأبنة شاه شجاع،وإقيم حفل الزواج في مدينة بلخ خلال حملة تيمورلنك على خراسان سنة 775هـ،1373م،كما أرسل شاه شجاع في فترات أخرى هدايا ثمينة منها بعض الأحجار الكريمة،وكان ذلك سنة 774هـ،1382م، تعبيرا عن حسن العلاقة مع تيمورلنك،وقد رد تيمورلنك بالمثل على تلك الهدايا، أنظر:

–أرمينوس فامبرى،**مرجع سابق**،ص،226.

وفاة شاه شجاع،زحفت حملة تيمورلنك سنة 795هـ،1387م على أملاك أل مظفر الواحدة تلو الأخرى سقطت جيلان وبعدها أصفهان[1]، ورغم المقاومة التي أبداها الأهالي في بداية الأمر، إلا أنها إستسلمت في النهاية وعاث فيها جنود تيمورلنك فسادا وقتلا، وقد قدر عدد القتلى أكثر من سبعين ألفا[2].

بعد أن فرغ تيمورلنك من مدينة أصفهان توجه إلى عاصمة المظفرين شيراز، التي فر حاكمها الشرعي زين العابدين،والذي أسر قرب الرى من طرف حاكمها موسى جوكار الذي أرسله إلى شاه منصور،وما أن وصل إليه حتى أمر بسحنه، وضم جنده إلى جيشه[3].

تذكر المصادر التاريخية أن أل مظفر عندما رأو بأن لا طاقة لهم في مواجهة تيمورلنك،قدموا إلى تيمورلنك معترفين به،ومقدمين له الهدايا وفروض الولاء و الطاعة[4].

رغم إستسلام آل مظفر إلا أن أحدهم وهو شاه منصور أبى إلا أن يقاوم تيمورلنك، إستطاع خلال فترة غياب تيمورلنك عن المنطقة أن ينظم صفوفه، ويحصن مدينتة من كل الأخطار،محرضا الناس على القتال[5]،ورغم النصح الذي قدم له من طرف البعض بعدم المخاطرة ، إلا أنه مضى في أمره عازما عليه[6].

---

[1]- تذكر بعض المصادر والمراجع التي نقلت عنها أن تيمورلنك أعطى الأمر لجنوده بعدم التعرض للسكان شريطة أن يجمع محصلي الضرائب الأموال بهدوء إلا أن البعض من أهالي المدينة ثاروا ضد هؤلاء،فإعتبر تيمورلنك ذلك تحديا فأعطى الأمر لجنوده بتطويق المدينة ،ورغم دفاع الأهالي إلا أنها في النهاية إستسلمت،بعد قتل منها أكثر من سبعين ألفا من الناس، أنظر :

وأيضا،-أرمينوس فامبري،مرجع سابق،ص،227. .

[2]- Prawdin ;op;cit;p;448.

[3]- عباس إقبال ،**تاريخ إيران**،ص،540.

[4]- كان من بين الذين قدموا إلى تيمورلنك،وإلي يزد شاه يحى شقيق شاه شجاع وإبنه الأكبر شاه محمود،وشاه كرمان أحمد شقيق شاه شجاع،ورفض شاه منصور أن يكون من بين أعضاء الوفد،أنظر:

-الغياثي،**مصدر سابق**،ص،ص،176،175.

[5]-محمد سالم بكر باعامر،**صلة الدولة التيمورية**،ص،176.

[6]- نفسه،176.

خاض شاه منصور معركة قوية ، أثبت فيها شجاعه نادرة، أمام الجيش التيموری الذي كان فيه خيرة القادة ومنهم حفيدی تيمورلنك بير محمد جهانكير ومحمد سلطان، والإبن الأصغر لتيمورلنك شاهرخ، ورغم أن شاه شجاع إستطاع أن يصل إلى تيمورلنك،إلا أن حامل رايته عادل إختاجی،وحارسه الخاص قماری يساول[1]،حالا بينهما، ولكن كما يقال فإن الكثرة غلبت الشجاعة، وأصيب شاه منصور في المعركة وظل يترنح بين القتلى إلى أن عرفه أحد جنود تيمورلنك فقتله[2]، وهكذا إنتهى أمر آل مظفر بعد مقتل شاه منصور، ولم يبق أمام تيمورلنك إلا بغداد التي صارت من بين أهدافه المباشرة.

4-الحملة على العراق

بعد القضاء على آل مظفر صبحت بغداد تمثل الهدف المباشر، فمن الناحية الإستراتجية كان إسقاطها من أيدى الجلائريين يعنى إخضاع كل المناطق التي كانت تحت سيطرة الجلائريين، وقد أعطى حاكمها أحمد بن أويس[3] أكثر من مبرر للتوغل في المنطقة،تذكر بعض المصادر أن أهل بغداد إستغاثو بتيمورلنك كي يخلصهم من جور وظلم أحمد بن أويس، بعد أن أسرف في قتل إمرائه وظلم رعيته، وأنهمك على الفجور والخمر، وقد رأي تيمورلنك في ذلك ذريعة لإستكمال السيطرة على المناطق المجاوة لإيران، متخذا من مبدأ القضاء على المفسدين في الأرض مبررا قويا في ذلك.

[1]- الغياثي،**مصدر سابق**،ص،175.

[2]- يذكر البعض أن أحد رجال شاهرخ تمكن من إصابة شاه منصور إصابة بليغة،ولما سقط على الأرض قطع شاهرخ رأسه،ثم قطع شاهرخ رأس شاه منصور وحملها إلى أبيه قائلا:فلتطا حوافر فرسك رؤوس أعدائك على الدوام،أنظر:

،أرمينوس فامبري،**مرجع سابق**،ص،Grousset.op.cit.p.432.228

[3] – وصفه إبن تغرى بردى في المنهل بأنه سلطانا فاتكا مهابا له سطوة على الرعيةمقداما شجاعا سفاكا للدماء،وعند جور وظلم على إمرائه وجنده ،وكانت له مشاركة في عدة علوم،دخل في صراع مع تيمورلنك،إذ جهز هذا الأخير حملتين عسكريتين عليه،ورغم أنه إستنجد بالمماليك إلا أنه،وتحالف مع قرأ يوسف التركماني إلا أنه لم ينجح في تحقيق ما كان يرغب فيه،بعد أن قتل في الأخير على يد حليفه التركماني،سنة 813هـ،1410م، أخطأ الشوكاني في ذكر تاريخ وفاته بسنة 713هـ، أنظر:

إبن تغرى بردى ،**المنهلالصافى**،ص،248،وما بعدها .

عباس العزاوى،**الدولة الجلائرية**،ص،208

الشوكاني ،**مصدر سابق**،ص،ص،43،42.

في سنة 795هـ،1393م،حاصر تيمورلنك المدينة وأجبر أحمد بن أويس على الفرار منها، ،ورغم مطارته إلا أنه افلت بأعجوبة،وسقطت بغداد تحت رحمة الغازى التترى،وكان من بين الذين خرجوا لإستقبال تيمورلنك،نظام الدين شامى، الذي صار له شأن كبير في تاريخ التيموريين، بعد أن ألف كتابه الشهير ظفر نامه الذي يروي سير تيمورلنك[1]،وهناك شاهد آخرعايش الغزو التيمورى،وهو عزيز الإسترابادي[2]،الذي إحتمى بالنجف،روى تفاصيل مروعة عن ماحدث في في المدينة، إذعمد جنود تيمورلنك إلى ربط الرجال بالآغلال،وجروا الفتيات اليافعات إلى الحانات،وإعتدوا على عفافهن،وحطموا ثريات المساجد وعلقوا بها الآئمة،وأحرقوا المنابر وربطوا الخيول في المدارس،وبعدها غادر المدينة مباشرة[3]، بعد أن عين عليها مسعود السبزوارى الذي كان خبيرا بشؤون البلاد العربية،وقد حاول هذا الأخير ترميم ما خربه جنود تيمورلنك ،ورعاية أمور الناس.

بقى الصراع بين التيموريين وأحمد أويس يأخذ طابع المد والجزر،إلى غاية حملة سنة 803هـ،1401م،حيث نجح تيمورلنك في دخول المدينة،وتذكر المصادر أنه ساوى الآسوار

---

[1]- يعتبر المؤرخ الوحيد الذى كتب عن تيمورلنك في حياته، إذ أنه أثناء دخول تيمورلنك الى بغداد سنة 795هـ،م،كان هذاالأخير من بين مستقبليه،سجن إلى غاية 803هـ،1400،وفي سنة804هـ،1401م،إستدعاه تيمورلنك ليكتب تاريخه بعد أن زوده بمختلف الوثائق الرسمية ،تنتهى حوادث الكتاب عند سنة 806هـ،يعتبر من بين أهم المؤرخين الذين كتبوا سيرة تيمورلنك، إلا أنه لم يسعفنى الحظ في الإطلاع عليه ،إلا أننى إستفدت بطريقة غير مباشرة من خلال بعض المراجع التي إعتمدت عليه.أنظر:

عباس العزاوى،**مرجع سابق**،ج2،ص، 8،وما بعدها.

[2]- هو عزيز بن أردشير الإسترابادى،كان نديم السلطان أحمد الجلائرى،ذكر إسمه عبد العزيز في كتاب إبن عرب شاه عجائب المقدور في نوائب تيمور،وهو الإسم نفسه الذى ذكره حاجى خليفة في كشف الظنون،عايش الغزو المغولي لبغداد في 20 شوال 795هـ،ففر إلى النجف،إلاا أن جنود تيمورلنك القوا القبض عليه فقدموا إلى ميرانشاه بن تيمورلنك الذى أكرمه وعطف عليه،إلا أنه فر من قبضة الجيش التيمورى،ووصل مدينةسيواس في 11شعبان،796هـ،له مؤلف بالفارسية باسم "بزم ورزم"،ثم سافر إلى مصر اين توفي هناك على ما يذكر إبن عرب شاه،للمزيد عنه /أنظر :

عباس العزاوى،**تاريخ العراق بين إحتلالين الدولة الجلائرية**،ص،5---7.

[3]- بين الحملة الآولى795هـ،1393م على بغداد والحملة الثانية التي كانت في سنة 803هـ، 1401م،قام تيمورلنك بحملتين أخريتين الآولى الآولى على الهند بين 800هـ،801هـ،1398م،1399م،والثانية على بلاد أذربيجان والكرج سنة،802هـ.

بالأرض،ولم تسلم من المدينة الإالمباني ذات الطابع الديني،ورغم أن أحمد بن أويس استغل فيما بعد وفاة تيمورلنك وعاد إليها،الإأنه وقع هذه المرة ضحية حليفه السابق، قرأ يوسف التركماني، ويمكن أن نستنتج من طبيعة الصراع بين تيمورلنك وأحمد بن أويس، الذي انتهى بالسيطرةعلى بغداد، إلا أنه أدى من جهة أخري إشعال التنافس بين تيمورلنك والمماليك الذين وقفوا إلى جانب أحمد بن أويس،وبين تيمورلنك و العثمانيين جهة أخرى[1]،بعد عمد هؤلاء إلى إستضافة أحمد بن أويس،وهو ما إعتبره تيمورلنك عمل عدائيا ضده.

5–حروب تيمورلنك في القبجاق789ه،1387م

عرفت بلاد القبجاق في النصف الثاني من القرن الثامن الهجرى،الرابع عشر الميلادى توترا حادا وإضطرابات متكررة،وكثرة الفتن ويعود ذلك بسوء إدارة البلاد ،خاصة بعد وفاة محمد يزدى خان،إستغل إثرها القادة والأمراء الفرصة وإنفردوا بحكم الأقاليم،سمح هذا التمزق السياسى في جعل البلاد ساحة للقوات الروسية،التي الحقت هزائم كبيرة بخان القبجاق توقتامش خان[2]،وذلك من خلال حملتين عسكريتن داهمت المنطقة، الأولى كانت سنة780ه،1378م،والثانية سنة 782ه،1380م،وشكلت نتائج الحملتين من الناحية العسكرية أول إنكسار لمغول القبيلة الذهبية منذ باتو خان الذي أخضع معظم الآقاليم الروسية[3].

ولما كان خان القبيلة الذهبية توقتامش عاجزا عن درء الآخطار الروسية بمفرده، لجأإلى التحالف مع تيمورلنك الذي صار يعظم دوره منذ بداية 771ه،1370م في بلاد ما وراء النهر،وكان من ثمار هذا التحالف أن جهز توقتامش خان حملة عسكرية على روسيا،سنة

---

[1]-كان إستقبال السلطان العثماني لآحمد بن أويس حاكم بغداد وقرأ يوسف التركمانى حاكم أذربيجان من طرف السلطان العثماني بايزيد بمثابة إعلان للحرب ضده،ولما جاءت الفرصة إنتقم من خصمه شر إنتقام

[2]- يذكره إبن خلدون طغتميش خان،أنظر:
إبن خلدون،العبر،ج5،ص،238.

[3]- يعتبر باتو خان حفيد حنكيز خان من إبنه جوجى الذى توفى في حياة أبيه، يعتبر المؤسس الأول لمغول القبيلة الذهبية منذ سنة 625ه،1227م

783هـ،1381م،كرد فعل وإنتقام للحملتين السابقتين،الحق ت خلالها هزيمة نكراء بالروس،حتى أن قوات توقتامش خان دخلت العاصمة موسكو ونزلت فيها تخريبا،فأعلن الروس الطاعة والولاء[1].

إبتداءا من سنة 789هـ،1388م،تصدع التحاف بين تيمورلنك وحليفه توقتامش خان، أما عن سبب الخلاف فيرجعه بعض المؤرخين، إلى تلك المراسلات التي جرت بين خان القبحاق توقتامش خان وأحمد بن أويس الجلائري،والسلطان المملوكى الظاهر برقوق،كما أن خان القبيلة الذهبية لعب دورا كبيرا في تحريض خان الجغطاى قمر الدين[2]،خاصة في الفترة التي كان فيها تيمورلنك منشغلا بخوض معارك أخرى ، في كلا من إيران الغربية، و جورجيا وأرمينيا[3].

إستغل توقتامش خان غياب تيمورلنك،فقام خلالها بمهاجمة القوات التيمورية من بوابة الدربند ، إلا أن الظهور المفاجئ لتيمورلنك جعله يتراجع، كما أنه وفي نفس العام قام مرة أخرى بمهاجمة القوات التيمورية التي كان يقودها عمر شيخ[4]،ونجحع توقتامش خان خلالها الوصول إلى مشارف بخارا،قريبا من ضفاف نهر جيحون،ثم تراجعت قوات توقتامش خان بداية من سنة 790هـ،1388م، لكن بقى الأمر سجالا بين الطرفين إلى غاية سنة793هـ،1391م،حيث هزمت قوات توقتامش خان في موقعة كندروجا[5]،رغم ذلك استمرت تحرشات توقتامش خان ،جعلت تيمورلنك يحسم المعركة بينه وبين خصمه، خاصة بعد أن استطاع أن يحقق بعض الإنصارات على خصمه في بغداد أحمد بن أويس بعد أن دفعه للخروج من بغداد، كان ذلك في

[1]- الرمزى،**مصدر سا،بق**،ج1،ص،568،وايضا رجب محمد عبد الحليم ،**إنتشار الإسلام بين المغول**،ص،129.

[2]- عباس العزاوى،**الدولة الجلائرية**،ص،230.

[3]- قبيل هذه الفترة كان تيمورلنك في حملة عسكريةلإخضاع إيران الغربية سنة788هـ،1386م،وفي نفس السنة توجه إلى جورجيا وأرمينيا ،الإأنه سرعان ما عاد إلى سمرقند بعد خلافه مع توقتامش خان،أنظر: محمود شاكر ،**التاريخ الإسلامى حتى العهد المملوكى،656هـ،923هـ**،ط4،ددن،1991م،ص،201.

[4]- عمر شيخ أحد أبناء تيمورلنك عينه والده حاكما على فارس سنة 795هـ،حكمها مدة سنة الإأنه أصيب بسهم في السنة الموالية كان سببا في وفاته خلاله،وله من الآبناء ،بير،إسكنر،رستم محمد ،أحمد.

[5]- B ERTOLD SPULER.OP.CIT.P.121

موقعة نهر ترك،في 23جمادى الثانية797هـ،16افريل1395م[1] .،في الوقت الذي كانت تزحف فيه قوات ميرانشاه على الجزء الغربي من بلاد القبجاق[2] ، أسقط خلالها بعض المدن مثل قونية وسراى، ثم التحق بقوات أبيه، لمواصلة مطاردة خصمهم، إلا أن المؤرخين إختلفوا في مصير مدينةموسكو حسب ما ذكر أحمد حطيط في كتابه[3]، فإن بعض الباحثين أكدوا وصول القوات التيمورية إلى موسكو،حيث عاثت فيها فسادا وتخريبا، إلا أن هناك من ينفى ذلك، أما عن مصير توقتامش خان وأبناءه ، ففيه تضارب كبير فبعضهم يقول أنه قتل[4]، وهناك من قال أنه فر إلى بلاد البلغار[5]، أما أبناءه ففروا إلى موسكو ، لكن ماهو مؤكد فإن بلاد القبجاق صارت منذ سنة798هـ،1396م، تحت أمرة ميرانشاه الذي صارسيدا على كل الأراضى الممتدة من الدربند إلى بغداد ومن همذان إلى بلاد الروم.

حتى لا أخل بالموضوع وددت أن أشير إلى نقطة أساسية ،كان أستاذى قد أشار بها، ولوبشكل عابروسريع، فاسحا المجال لفرصة أخرى، وتتمثل في الإثار البعيدة لحملة تيمورلنك على مغول القبيلة الذهبية، صحيح أن تيمورلنك أخضع تلك البلاد ، ولكن الأمر كان مؤقتا لأنها سرعان ما سقطت فريسة الإطماع الروسية المتشبعة بالنزعة الصليبية الحاقدة في حملة عسكرية ، أقل ما يقال عنها أنها حملة صليبية جديدة حمل لواءها هذه المرة الروس الأرثوذكس في شرق أوربا.

---

[1]- أحمد حطيط،**مرجع سابق**،ص،99.

[2]- بارتولد شبولر،**المغول في التاريخ**،تر،يوسف شلب الشام،ط1،طلاس للدراسات والنشر،د ت،ص،133.

[3]- أحمد حطيط،**مرجع سابق**،ص،99.

[4]- ينقل الرمزى آراء متضاربة حول نهاية توقتامش خان،فمرة يذكر انه فر الى روسيا،وفي اخرى انه قتل ،في حين أن إبن عرب شاه،وإبن حجر العسقلاني يقولان أن تيمورلنك هو الذى قتله سنة 797هـ ،إلا أن إبن العماد الحنبلى يرى رأيا آخر ،يقول أنه فر إلى بلاد البلغار،أنظر:.

الرمزى،**مصدرسابق**، ج1ص،626.

إبن العماد الحنبلى،**مصدر سابق**،ص،98.

[5]- محمد علي الباز ،**المسلمون في الإتحاد السوفياتى عبر التاريخ**، ج1،دط،دار الشرق للنشر والتوزيع،د ت،ص،10.

كما ضاعت الأندلس سنة،897هـ، 1492م، ضاعت بعدها معظم الأراضى السابقة التي حكمها المسلمين على طول نهر الفولجا من قازان الى أستراخان،وفي تعريف سريع وموجز للمنطقة التي زارها الكثير من الرحالة كإبن رسته وإبن فضلان والمسعودي وإبن بطوطة وغيرهم،إلا أن أشهر رحلة إليها هي رحلة إبن فضلان، الذي وصف الأمة الروسية قائلا: بأنهم أمة همجية،شقر الشعور،زرق العيون، أهل غدر وأقذر الأمم[3].

تحولت الإمارة الروسية منذ القرن العاشر الميلادى إلى المسيحية،وكان ذلك في عهد فلادمير سلافيتش، سنة 378هـ،988م، خضعت روسيا إلى سيطرة المغول بعد الغزو المغولى الذي قاده جنكيزخان، وكان أهمها إمارة موسكو،التي ظلت تؤدى الجزية للمغول، إما عن إنتشار الإسلام في تلك المنطقة فيعود بشكل مباشر إلى مغول القبيلة الذهبية،خاصة في عهد بركة خان [1]، وكنت أشرت إلى تأثير مغول القبيلة الذهبية في المنطقة في مواضع مختلفة من هذا العمل،مبرزا دورهم الكبير في نشر الإسلام في تلك المناطق.

لما شعر الروس بتراجع تأثير المغول في المنطقة بدأوا يزحفون شرقا، خاصة وأن الجهة الغربية لم تكن متاحة لهم في ظل تواجد قوى القبائل الجرمانية شديدة القوة والبأس،لذلك تشجعت العناصر الروسية في الزحف على بلاد المسلمين،تاثيرتحت مجموعة من العوامل، ومنها على وجه الخصوص.

1-تأثير القسطنطينية،والتي كانت قائمة في تلك الفترة، ورغم أنها ظلت محاطة بالعثمانيين ومهددة بالسقوط،إلا أن هذه الدولة العجوز، إستطاعت أن تثير الصقالبة الروس،وتحرك فيهم النزعة الصليبية الحاقدة وتدعوهم للإنتقام من المسلمين[2]

2-الهزائم العسكرية التي ألحقها تيمورلنك بمغول القبيلة الذهبية في نهاية القرن الثامن الهحري،الرابع عشر الميلادي،شتت خلالها قوة المغول المسلمين في المنطقة مما فسح المجال للقوات الصليبية الحاقدة أن تنفذ مشروعها في البلاد الإسلامية .

---

[1]-الرمزى،**مصدرسابق**،ص،404.

[2]-محمود شاكر،**تركستان**،ط1،دار الإرشاد،1390هـ،1970م،ص،2.37-

3-إستمرار الخلافات بين خان قازان وأبناء العمومة، في خانات أسترخان والقرم، وإمارة قاسموف التترية،وخانية سيبريا مما شجع على توغل الأعداء[1].

4-قيام الصقالبة الروس بردة فعل عنيفة وقوية ضد المسلمين بعد سقوط القسطنطينية على يد السلطان العثماني محمد الثاني[2]، متذرعين بكونهم ورثة الإمبراطورية البزنطية وحماة المسيحية الأرثوذكسية في الجزء الشرقي من أوربا.

5-النداءات المتكررة للبابا إلى فاسلى الثالث والد إيفان المرعب،كي يقتلع المسلمين من وطنهم،ويقوم بحرب صليبة مقدسة،ضد المحمديين كما يدعوهم، إلا أن هذا الأخير ترك الأمر لإبنه إيفان الذي سمى بالمرعب أو الرهيب، بسب الأذى الذي سببه للمسلمين[3].

تحت تأثير هذه العوامل بدأت عملية إبادة المسلمين في المنطقة بقيادة إيفيان الثالث الذي أعلن حربا صليبة ضد التتار المسلمين في الفترة الممتدة،بين867هـ،911هـ،1462م،1505بعد ان رفض دفع الجزية لأحمد خان سلطان قازان، وكان أول ما قام إخراج التتار المسلمين من بلاده سنة،885هـ،1480م ، ثم توالت عملية سقوط الإمارات المسلمة وكانت هما إمارة قازان القريبة من موسكو 960هـ،1357م، وبعدها أستراخان سنة965هـ،1557م،على بحر قزوين[4]، ثم توالت عملية إسقاط الإمارات الإسلامية،حتى كاد أن يقتلع الإسلام من تلك المنطقة نتيجة سياسة الإبادة والقتل و إجبار المسلمين عن التخلى عن دينهم[5].

الحق تيمورلنك هزائم قاسية بمغول القبيلة الذهبية،وشتت قوتهم و كان أثر ذلك وخيما على المسلمين فيما بعد[6]،حيث إستطاع خلالها الصقالبة الروس المتشبعين بأحقادهم الدينيةونزعتهم

1--محمد علي الباز،**مرجع سابق**،ص،11.

2-تم فتح القسطنطينية على يد محمد الثانى ،سنة 857هـ،1453م،صار خلالها السلطان العثماني يلقب بمحمد الفاتح

3-محمد علي الباز ،**المسلمون في الاتحاد السوفياتي**،ص.11-3

4-محمود شاكر،**تركستان**،ص،37.

5-نفسه،ص،38.

6-الهزائم التي لحقت بمغول القبيلة الذهبية فتحت المجال واسعا أمام الحملة الصليبية الآرثوذكسية التي قادتها روسيا ضد المسلمين،والتي إنتهت بتشريدهم من أرضهم،ومصادرة أملاكهم والإعتداء على أعراضهم.

الأرثوذكسية المتعصبة شن حملة صليبية حاقدة قادها إيفيان الثالث، إنتهت بالقضاء على الوجود الإسلامي في تلك البلاد[1].

ما يمكن إستنتاجه من خلال هذه الحروب المستمرة التي خاضها تيمورلنك،في خوارزم، أو في بلاد الجغطاى، أو في إقليم خراسان الواسع، وفي بغداد وأرمينيا وجورجيا،كلها كانت في البلاد التي كانت خاضعة للمغول، أو ما يعرف بالإمبراطورية الجنكزخانية، على أنه حروبه في المرحلة القادمة تتعدى تلك الحدود الجغرافية، تطلع فيها لتحقيق حلمه التوسعي.

6-حملة تيمورلنك على الهند 800ه،801ه،1399،1398م

عرفت الهند في عهد السلطنة الإسلامية تطورا كبيرا، وحالة رخاء إقتصادية كبيرة، وقد ذكر إبن بطوطة جزءا من حالة الرخاء تلك في رحلته الى بلاد الهند[2]، إلا ذلك لم يستمر طويلا خاصة بعد وفاة السلطان فيروز شاه حاكم الهند، فإنفرد بحكم البلاد الوزير ملو خان[3]، خاصة وأن السلطان محمود بن محمد فيروز شاه كان صغيرا ولم يقدر على تثبيت أركان الدولة، من خلال حركة الإنفصال التي تبنتها كثير من الولايات الهندية.

إعتمد تيمورلنك في تبرير حملته العسكرية على الهند،بالدوافع الدينية خاصة في ظل التساهل الذي إبداه حكام دلهى إتجاه الرعايا الهندوس والبوذيين،وهو أمر لم يرقتيمورلنك كما يرىمؤرخه شرف الدين اليزدى[4]، ولكن يبدو أن هذا الأمر لم يكن السبب الوحيد الذي دفعه إلى تنفيذ حملته إلى الهند، خاصة في ظل الإغراءات المختلفة التي كانت تقدمهاالهند خاصة من خلال تنوع خيراتها،

---

[1]-إستمرت عملية إقتلاع ومطاردة المسلمين في عهد إيفيان الرهيب،وإمتدت سياسته العدائية إلى أسرة رومانوف التي حكمت من 1022ه،1336ه،1613م،1917م،سقطت عشية الثورة البلشفية التي جاءت بالنظام الشيوعي،بقيادة لينين ورفاقة من القياصرة الحمر االذين استمروا في نفس سياسة أسلافهم في إجتثاث الإسلام.

[2]--إبن بطوطة،**رحلة إبن بطوطة**،ص،250.

[3]-أندريه ميكائيل،**الإسلام وحضارته**،تر،كمال الدين الحناوى،دط،بيروت،1981،ص،291.

[4]- نقلا عن :ياسرعبد الجواد حامد المشهداني،**حملة تيمورلنك وآثارها على الهند الإسلامية،799ه،801ه،1397م،1399م**، ،مجلة أبحاث،كلية التربية الأساسية،مج7،عدد2008،4،ص،224.

حيث أن الذين قاموا بعملية الإستطلاع وقفوا على كثير من الخيرات والموراد الطعبييه التي وهبها الله للهند مثل التوابل والأحجار الكريمة،والمجوهرات، حتى أنها وصفت بالبلاد الخضراء دائما[1]، فأغرت تلك الحوافز تيمورلنك، ومها كانت الأسباب فإن فكرة الحاكم الأوحد، وبناء إمبراطورية واسعة ظلت تشكل الدافع الحقيقي في كل توسعاته[2].

رغم الصعوبات التي كانت تقف في وجه الحملة إلا أن تيمورلنك صمم على ذلك،ويمكن ذكربعض تلك الصعوبات وكيف إستطاع تيمورلنك أن يتجاورها،ومنها العوائق الجغرافية الناتجة عن المسالك الوعرة والغابات الكثيفة المتشابكة، والأنهار المتعددة خاصة نهر السند وروافده ، الذي يصعب إجتيازه إلا عن طريق السفن والجسور، أما العائق الأكبرهو كيفية مواجهة الفيلة المدربة على الحرب،وهي صفة حربية إعتمد عليها الهنود،ورغم ذلك إنطلقت الحملة بقيادة حفيده بير محمد بن جهانكير، التي أسقطت كثير من المدن والقرى الهندية، ثم لحقتها القوات التيمورية الأخرى بقيادة تيمورلنكوسقطت المدن الهندية الواحدة تلو الأخرى، وكان من بينها مدينة فتح أباد التي تسكنها أقلية من قبائل الزط[3]،التي كانت تمارس القرصنة ،وتقطع الطريق عن الحجاج والمسافرين،ودخلت بعدها القوات التيمورية قصر السلطان فيروزشاه، أما دلهى العاصمة التي كانت تعتبر الهدف الرئيسى للحملة، فإن أمرائها المتصارعين حاولو أن يتلفوا حول بعضهم البعض

---

[1]-إبن بطوطة،**مصدر سابق**،ص،198.

[2]- يذكر البعض أن ميرانشاه هو الذي دفع والده إلى تنفيذ هذه الحملة،فقال له إذا كان صاحب الروم دعى بالقيصر،وسلطان التتر بالخاقان،وملك إيران الشاهنشاه،وبعد أن صرت ولله المنة شاهنشاه على إيران وطوران فمن المؤسف أن لايمتد سلطانك الى الهندستان، أنظر:

المشهدانى ،**مقال سابق**،ص،238.

[3]- تطلق تسمية الزط على القبائل الهندية التي ترجع إلى العرق الأصفر أو الطورانيين،الذين عبروا إلى الهند من حدودها الشرقية منذ آلالف الثاني قبل الميلاد،ثم إندمجوا في البلاد الهندية ،وكسبو خصائصها وملامح سكانها خاصة النحافة والسمرة،مارسو اللصوصية والقرصنة،وإعتارض مواكب الحجيج القادمة من الهند إلى شبه الجزيرة العربية،أنظر:

حسين علي الطحطوح،**الزط في ظل الدولة العربية الاسلامية**،21ه،241ه،633م،855م،مجلة جامعة تكريت،العراق،مج12،عدد2005،5م،ص،33.

ويضعون خلافاتهم جانبا ، فأعد السلطان محمود بن فيروزشاه والوزير ملو إقبال خان خطة حربية لمواجهة تيمورلنك[1] .

بوصول القوات التيمورية إلى مشارف دلهى،بقى مشكل وحيد يواجهها،وهو كيفية التصدى للفيلة المدربة[2]، التي زرعت أخبارها الرعب بين أفراد الجيش، من خلال ما كان ينقله الأسرى، فكان أهول ما سمعوه أن الفيلة ستحمل الفارس من فرسه وترميه في الهواء،ثم تطرحه على الارض، وتمثل هذه الأخبار نوعا من الحرب النفسية على القوات التيمورية.

أما تيمورلنك فعمد إلى تشجيع جيشه وتحفيزه على الإستعداد للمواجهة[3]،ولما كانت الحرب خداع ودهاء ومكر وهي صفات شهد بها معظم المؤرخين له،عمد إلى تقطيع قطع من الحديد على شكل أشواك ووضعها خفية في مكان ساحة المعركة التي جر إليها عدوه، فلما تقابل الجيشان وإصطفا للقتال أمر عساكره بالتراجع إلى الخلف، فمرت الفيلة على تلك الأشواك الحديدية ولم تقو على مقاومتها من شدة الألم الذي أصابها،وهكذا استطاع تيمورلنك أن يهزم الفيلة مصدر القوة الهندية، ليدخل الجيشان في حرب مباشرة بين المشاة والفرسان،إنتهت بإنتصار تيمورلنك بعد أن احتمى السلطان محمود بمدينة كجرات على الحدود الساحلية، أما الوزير ملو إقبال فاحتمى بمدينة بيرن[4] .

ظهر تيمورلنك في حملته على الهند بمظهر الغيور على دينه[5]، لأن سلطان دلهى تخاذل في نشر الإسلام، فحطم الأصنام وهدم المعابد، وكان من بين أسراه أكثر من مئة ألف أسير من الهندوس،

---

[1]-أعد الهنود جيشا قوامه أكثر من خمسين ألفا من الجنود،منهم أربعين ألف من المشاة ،وعشرة آلاف فارس،وسبعة وعشرين فيلا من الفيلة المدربة على الحرب وخرج الجيش إلى غرب دلهى لملاقاة قوات تيمورلنك.

[2]- يذكر الكثير من المؤرخين القدامى طريقة الهنود في الحرب بإستعمال الفيلة ،التي عادة ما تستعمل لتنفير الخيول ،وتزود خراطيمها بسيوف،تقطع كل ما وجدته أمامها،اعطى إبن عرب شاه تفصيلا عن طريقة إستعمال الفيلة في الحرب،أنظر: إبن عرب شاه،**مصدر سابق**،ص،40.

[3]-المشهدانى،**مقال سابق**،ص،238.

[4]- المشهدانى ،**مقال سابق**،ص،238

[5]- عبد المنعم النمر،**تاريخ الاسلام في الهند**،ط1،المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع،بيروت ،لبنان،1981م،ص،191.

وأمر أن يقتل كل من يبلغ الخامسة عشرة من عمره،وهي في حقيقة الآمر مجزرة رهيبة لاتقل فظاعة عن ما أرتكب في مناطق اخرى[1].

مكث تيمورلنك في دلهى خمسة عشر يوما ومنها رجع إلى سمرقند، بسب الإضطرابات التي حدثت في بلاد فارس[2]،حيث عاد من حملته،محملا بالأسلاب والغنائم،وكان في أسراه الكثير من الصناع والمهرة والفيلة[3]،وهي عادة داب عليها كلما دخل مدينة من المدن، فأراد بهذا أن ينقل مظاهر الحضارة الهندية إلى سمرقند[4].

7-حروب تيمورلنك ضد المماليك

عرفت العلاقات بين تيمورلنك والمماليك توترا منذ غزوة تيمورلنك على بغداد سنة 795هـ،1393م،حيث عمد خلالها سلطان المماليك[5] إلى استقبال أحمد بن أويس الذي إستجار بالسلطان المماوكى، بعد أن راسله من حلب يطلب عونه ،ويرجو مساعدته على إستعادة ملكه وسلطانه والإنتقام من عدوه،و بعد أن استشار السلطان برقوق إمرأئه وكبار دولته سمح له بالحضور

---

[1]- نفسه،ص،191.

[2]- عاد مسرعا لينفذ حملة عسكرية على بلاد الكرج وأذربيجان وكان ذلك سنة 802هـ،1399م،إضافة إلى حملة على بغداد بعدما حاول حاكمها السابق أحمد بن أويس أن يستعيدها بعد تحالفه مع قرا يوسف التركماني،وتأييد من المماليك.

[3] - 5-Gerade.Walter.**le memoir**.**des-Siecles tamerlan**.ed.allin.michel.paris.1963.p.154.

[4]- استطاع أحد التيموريين،ظهير الدين محمد بابرشاه بن عمر شيخ بن ميرانشاه أن يؤسس دولة التيموريين في الهند التي أطلق عليها الأوربين دولة المغل،أنظر،ظهير الدين محمد بابر شاه،تريخ فرغانة.

[5]- يقصد به الظاهر برقوق مؤسس دولة المماليك الثانية أوما يعرف بالمماليك البرجية ،التي إستمرت إلى غاية 1517م،بعد أن سقطت في معركة الريدانية،ولد في سنة740هـ،1340، في منطقة الفقاس دخل إلى مصر وعمره عشرين سنة وتدرج في الجندية حتى صار من أشهرهم،عمل على لم شمل المماليك الشراكسة،فوافق أن يكون سلطانا بعد أن بويع في 19رمضان 784هـ،16 نوفمبر 1382م،على أن يكون سلطان على مصر،وجرت بعدها عدة محاولات لعزله،دخل في صراع مع تيمورلنك إلى غاية وفاته في 15 شوال 801هـ،1399م،بكاه الناس لعدله ورفقه بهم أنظر: بدر العيني .**السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة 784هـ،801هـ،1382م،1398م،من خلال مخطوط عقدالجمان**،تح،إيمان عمر شكري،ط1،مكتبة مدبولي،2002.

إلى القاهرة، وأرسل إليه بعثة سلطانية رافقته حتى القاهرة،[1] وأنفق السلطان على هذه الرحلة أكثر من ثلاثمائة ألف درهم فضة[2] ،وأكرمه وأحسن وفداته وإستقبله السلطان برقوق وإمرئه إستقبالا رائعا وخرجوا للقائه في 21ربيع الأول سنة 796هـ،1393م[3]، وأنزله السلطان في قصر الضيافة بعد أن أرسل إليه، مائتى ألف درهم فضة ،ومائتى قطعة قماش، وثلاثة من أفراس ،وعشرين مملوكا،وعشرين جارية[4].

أثار هذا الإستقبال حفيظة تيمورلنك الذي رأى فيه عمل عدوانيا وتحريضا مباشرا لأحمد بن أويس،خاصة وأنه كان قد أرسل بعثة إلى سلطان برقوق قبل هذا التاريخ وكان ذلك سنة 795هـ،1393م،محملة بالهدايا الثمينة،ورسالة إلى السلطان،وعندما وصلت تلك البعثةإلى الرحبة[5]،بعث حاكمها رسالة إلى السلطان يعلمه بقدومها، وأعلمه أن معهم هدية من ضمنها ممالك وجوار وغيره، إضافة إلى رسالة إلى السلطان، فسمح للبعثة أن تصل القاهرة،فهم من خلالها السلطان برقوق أن خصمه إستعمل نفس الأسلوب في التهديد من خلال نوع الهدية التي كان منها بعض أعيان بغداد وقضاتها[6]، وطبيعة الرسالة،وهو تهديد فيه التصريح والتلويح،ولما كان الظاهر برقوق يدرك نوايا تيمورلنك فهم الرسالة جيدا.

في الرسالة التي بعث بها تيمورلنك الشق الإقتصادى الذي يتمثل في ضرورة التعاون بين الفريقين لتسهيل وتأمين حركة التنقل والتجارة بين الطرفين، أما الشق الثاني فيغلب عليه الطابع السياسى ومنها مناقشة الأضرار التي لحقت بممتلكات المغول في عهد حكام مصر السابقين ، خاصة في الفترة التي أعقبت موت الإيلخان المغولى أبي سعيد سنة 736هـ،1336م، إضافة إلى المطالبة بطرد أحمد بن أويس، ويبدو أن مثل هذه المطالب لم تكن قابلة للتجسيد من طرف

[1]-إبن تغرى بردى ،**النجوم الزاهرة**،ج12،صً،ص،46،45
[2]-حكيم أمين عبد السيد،**قيام دولة المماليك الثانية**،دط،الدار القومية للطبعة والنشر،القاهرة،1966م،124
[3]- -نفسه،124
[4]-إبن تغرى بردى ،**النجوم الزاهرة**،ج12،ص،ص،47،46.
[5]- سعيد عبد الفتاح عاشور،**العصر المماليكى في مصر والشام**،ص،ص،159،158
[6]- حكيم أمين عبد السيد،**مرجع سابق**،ص،125.

سلطان مصر، وزاد الأمر خطورة بعد أن قرر السلطان برقوق قتل رسل تيمورلنك[1]،وهوامر يخالف القواعد التي كانت تسيرعليها الدول آنذاك،وهو مبرر كاف لتيمورلنك ليعلن العداء الصريح للمماليك، وزادوا الأمر سوءا بعد قررو مساعدة وتمكين أحمد بن أويس من بغداد بعد طرد الحامية التيمورية سنة796ه،1393م.

إستشاط تيمورلنك غضبا لهذا التصرف وأرسل رسالة إلى السلطان برقوق فيها الكثير من التهديد والوعيد،ويمكن من خلال هذه المراسلات التي حدثت بين الطرفين فهم طبيعة العلاقة المتأزمة بينهما،بعث تيمورلنك إحدى رسائله إلى السلطان برقوق قائلا:"إعلموا أننا جند الله مخلوقون من سخطه،ومسلطون على من حل عليه غضبه،لا نرق لشاك،

ولا نرحم باك، إلى أن يقول فيكيف يجيب الله دعائكم،وقد أكلتم الحرام،وضيعتم جميع الانام، وأخذتم أموال الأيتام،وقبلتم الرشوة من الحكام، أما رد السلطان برقوق، فلم يخلو هو الأخر من التهديد والوعيد ،قائلا في كتاب،"ففي كل كتاب لعنتم،وبكل قبيح وصفتم،وعندنا خبركم من حيث خرجتم،إنكم كفرة، إلا لعنة الله على الكافرين...."[2].

زادت هوة الصراع بين تيمورلنك والمماليك خاصة بعد تلك التحالفات التي حدثت بين خصومه،أبرزها تلك المراسلات التي حدثت بين خان القبجاق والسلطان برقوق توقتماش خان مما اضظر تيمورلنك أن يرجع إلى بلاد القبجاق، ليعيد الإستقرار إليها ويؤدب حاكمها[3]، أما السلطان العثماني فإستغل تلك الإنتصارات التى حققها السلطان برقوق،ومنها إعانة أحمد بن ويس في السيطرة مرة أخرى على بغداد ،وأصبح نائبا للمماليك فيها،فوضع تحت تصرف السلطان برقوق

[1]-أحمد عبد الكريم سليمان،**دولة المماليك الجراكسة**،ص،18.

[2]- إبن تغرى بردى،**النجوم الزاهرة**،ج12،ص،43،وما بعدها.

[3]- في هذه الأثناء وصلت الأنباء إلى تيمورلنك بمهاجمة خان القبجاق بعض المناطق على تخوم الدولتين فقفل راجعا إلى هناك،أنظر:

أحمد عبد الكريم سليمان،**مرجع سابق**،ص،19.

أكثر من مائتى ألف مقاتل لعونه على محاربة تيمورلنك[1]، كما قدم حكام الإمارت التركمانية المحيطة بالمماليك وعلى رأسهم حاكم تبريز قرا يوسف التركمان كل العون والدعم.

في ظل التحالف القوى الذي ظهر بين عدة أطراف،كما أشرت إليه، ونظرا للإضطرابات التي حدثت إنسحب تيمورلنك من بغداد متجها إلى أرمينيا،تم إتجه بعدها إلى جنوب روسيا وكاد يصل العاصمة موسكو ، كما أن الجورجيين ألحقوا هزيمة بجنود إبنه ميرانشاه،فعاد إلى فارس لإخماد تلك الفتن، وعاد إلى حاضرته سمرقند لأخذ قسطا من الراحة والإستعداد لحملة جديدة، متى سنحت الفرصة.

في الوقت الذي غاب فيه تيمورلنك عن بغداد حدثت كثير من التطورات ، ومنها إستعداد السلطان لتجهيز حملة عسكرية ضد تيمورلنك[2]، أما قرا يوسف التركماني فقام بحملة على منطقة وان[3] في أرمينيا سنة 798هـ،1395م، أسر خلالها أحد أقرباء تيمورلنك وهو الأمير أطلميش[4]، والذي أرسل إلى القاهرة وظل محبوسا بها،وقد راسل تيمورلنك السلطان برقوق ليطلق سراحه سنة 799هـ،1398م، فأمر أطلميش أن يكتب رسالة إلى تيمورلنك يخبره بإن أحواله لاباس بها، وأرفق معها رسالة قائلا فيها "بأن أصحابك عندى وعندك جماعة من أصحابي، فأرسل لي أصحابي حتى أرسل لك أصحابك[5].

في سنة 802هـ،1399م قاد تيمورلنك جنوده من شمال الهند بإتجاه بلاد الشام ، منتشيا بإنتصاره الكبير على الهند،وقد تغيرت الكثير من المعطيات ومنها وفاة السلطان برقوق، فجاء بعده إبنه السلطان فرج الذي لم يكن إلا طفلا في العاشرة من عمره يفتقر لإدارة الحرب والحزم في إتخاذ

[1]- حكيم عبد الكريم أمين ،**مرجع سابق**،129.

[2]- رغم أن مصر عرفت في هذه المرحلة أزمة مالية حادة نتيجة التبذير التي سبقت نفي السلطان إلى منطقة الكرك بالأردن إلا أنه إقترض مبلغ لاباس به من التجار وصل إلى حدود مليون درهم،وظهر جيش المماليك كقوة أرهبت تيمورلنك،أنظر:

[3]- منطقة وان تقع شرق منطقة الأناضول،وهي الآن إحدى المحافظات التركية.

[4]- هو زوج بنت أخت تيمور أنظر:

إبن عرب شاه،**مصدر سابق**،ص،133.

[5]- العينى ،**مصدر سابق**،94

الأمور في ظل هيمنة الأمراء، أما بغداد فثار فيها الأمراء ضد سياسة أحمد بن أويس فتقدم منها إلى أن وصلها 26ذي القعدة 802ه،ديسمبر 1399م، ،فإستولى على بغداد للمرة الثانية،أما الحليفان أحمد بن أويس،وقرا يوسف التركمانى[1] ففرا إلى السلطان العثماني بايزيد الذي إستقبلهما،وفتح بذلك جبهة جديدة عليه

فتح إستقبال السلطان العثماني أحمد بن أويس وقرا يوسف التركمان فرصة لينفذ حملة خاطفة ضد العثمانيين المنشغليين ببعض المعارك في أوربا، وهو مدرك أنه شتت أمر حلفاءه،وكشف مرة أخرى عن مدى قدرته وذكائه في إدارة الحرب، خاصة وأن القاعدة الحربية ظلت تبنى على فكرة المصالح هي التي تحدد طبيعة الحلفاء،وهنا قام تيمورلنك بحرب سريعة وخاطفة ،فإحتل منطقة سيواس[2] وملطية اللتان كانتا تحت إمرة قرا يوسف الفار إلى العثمانيين.

توجهت الحملة العسكرية إلى بلاد الشام خاصة بإتجاه مدينة حلب حيث نزل عند مدينة بهنسا[4] ثم عينتاب التي أباد أهلها وأحرق ضياعها،وكان ذلك في شهر محرم سنة 803ه،1400م، في ربيع الأول من سنة 803ه،أواخر أكتوبر 1400م،وصلت قوات تيمورلنك إلى أسوار حلب ،بعث من معسكره رسالة إلى نائب دمشق وإلى المشايخ والأعيان والقضاة خطابا مبررا فيه أسباب حملته"بأنه قدم في العام الأول إلى العراق يريد القصاص ممن قتل رسله بالرحبة،ثم عاد إلى الهند لما بلغه بما إرتكبوه من الفساد فأظفره الله بهم ،فبلغه موت الظاهر فعاد وأوقع الهزيمة بالكرج،ثم قصد بلاد الآناضول لما بلغه قلةأدب هذا الصبى، أبي يزيد بن عثمان، أن يعرك أذنه..."[3].

---

[1]– فرا إلى حلب لكن نائبها دمرداش رفض إستقبالهما لعدم قدرته تحمل نتائج وجودهما،فدخل في حرب ضدهم بمساعدة نائب حماة ،إلإنهما هزما،فإستجارا بالسلطان فرج ،لكن الآمراء رفضوا ذلك،فإستقبلهم السلطان العثماني،ويبدوا أن موقف السلطان العثماني ناتج عن رفض المماليك التحالف معه للوقوف ضد الخطر التيموري.

[2]–سيواس:مدينة أحدثها علاء الدين السلجوقى كانت من أملاك الدولة العثمانية تعرضت لهجوم تيمورلنك ،عنها أنظر: كى ليسترنج ،**بلدان الخلافة الشرقية**،تر،بشير فرنسيس،وكوركيس عواد،دط،،مطبعة الرابطة ،بغداد1370،ه،1953م،ص،177.

[3]–أحمد عبد الكريم سليمان،**مرجع سابق**،ص،24.

في الوقت الذي زادت فيه الأخطار على بلاد الشام،زاد التنافس بين الأمراء في مصر وهي مفارقة عجيبة تعكس عدم جدية الأمراء في إتخاذ موقف حاسم من تيمورلنك،تذكر المصادر التاريخية أن الجيوش الشامية كانت تملك من القوة والعتاد والإستعداد الكثير،ولكن خانها الصراع بين الأمراء الذين ربما قدموا مصالحهم على مصالح الأمة، ورغم أن شيخ محمودى نائب طرابلس أعد خطة محكمة لرد المغول ،غيرأن هذه الخطة لم تحظ بقبول الجميع[1]، أما تيمورلنك فكعادته إعتمد على تشتيب الصفوف و هو أحسن الخيارات لهزم العدو، إضافة إلى زرع الرعب في صفوفه،وهنا راسل تيمورلنك نائب حلب يعده بإستمراره في نيابة حلب شريطة أن يقبض على نائب دمشق، لم تكن إستعددات المماليك بالقدر الذي يتيح لهم رد الخطر،وفي النهاية سقطت مدينة حلب[2]، وأبيحت أربعة أيام،عاث فيها العسكر التيموري فسادا وإغتصابا ونهبا،وقد ذكر صاحب النجوم تلك المناظر المروعة التي إرتكبها تيمورلنك وجنده، وهي نفسها الأساليب التي إنتهجها المغول في إقتحام المدن منذ عهذ جنكيزخان.

يصف إبن تغرى بردى المشاهد المروعة التي أصابت المدينة خاصة ما تعرضن له النساء من إغتصاب، فيقول في ذلك "يأخذ التترى الواحدة ويعلو بها في المسجد والجامع،يحضره الجمع الغفير من الناس، من أهل حلب فيراها أبوها وأخوها وزوجها وولدها، ولا يقدر أن يدفع عنها لقلة مقدرته،ولشغله بنفسه،وماهو فيه من العقوبة والعذاب ، ثم ينزل الواحد فيقوم الآخر،وهي مكشوفة العورة[3].

---

[1]-أستنجد نائب حلب دمرداش المحمدى بنواب المدن الشامية ،ومنهم نائب دمشق الامير سودون،ونائب طرابلس شيخ المحمودي،ونائب حماة دقماق المحمدى،ونائب غزة محمد بن الطحان،إعتقل نواب المدن الشامية بعد نهاية المعركة إلا نائب حلب دمرداش المحمدى الذي أتهم بتسهيل المهمة لجيش تيمورلنك،أنظر:

إبن تغرى بردى، النجوم،**مصدرسابق**،ص،120

[2]-سقطت مدينة حلب في 11ربيع الأول 803هـ،2نوفمبر 1402م.

[3]-.إبن تغرى بردى ،**النجوم الزاهرة** ،ج12،ص،179.

أما عن القتل فشاع في المدينة، حتى وصل عدد القتلى إلى عشرون ألف قتيل[1]، وأحرقت القرى، وفي الوقت الذي سقطت فيه حلب على يد تيمورلنك، كانت جيوش إبنه ميرانشاه تدك المدن الشامية،فسقطت حماة[2]،وصارت دمشق في متناول الجيش التيموري، أما السلطان فرج فقد أبان عن عجز كبير في إدارة الموقف، ويعود ذلك إلى صغرسنه، وإلى سوء تقدير حاشيته للخطر الذي حل ببلاد الشام،الذي تداعت نتائجه على مصر، كما أن الأخبار التي تناقلتها الرسل لم تاخذ بعين الإعتبار،وخاصة رسالة السلطان العثماني التي يدعو فيها الناصر فرج إلى التحالف[3].

أمام شعور الناس بالخطر ، وحالة الجزع التي أصابت الناس،تحرك رجال الدين يستنفرون الناس والسلطان فرج من التحرك لنجدة دمشق، ورغم أن الأمر حدث ولكنه جاء متأخرا، ولم يكن الإستعداد فيه بالشكل الكافي، ولما كانت الحرب أكثرها نفسيه، فإن المجازر التي إرتكبت في المدن الشامية كانت بمثابة تحذير لمن تسول نفسه أن يقف تيمورلنك وجيشه.

لكن رغم ذلك حاول البعض وفي خطة أخيرة إنقاذ دمشق، يروى صاحب النجوم أن والده اقترح على السلطان فرج أن لايتحرك من مدينة غزة،ويبقى يتابع الوضع من هناك خاصة وأن مدينة دمشق مدينة حصينة، وتملك قدرات دفاعية كبيرة من الحصون والقلاع،والعدة والعتاد،وبها من المؤونة ما يكفي للتصدى لأي حصار، كما أنه عرف عن تيمورلنك أنه لايستمر طويلا في حصار المدن،لأنه في كثير من الأحيان كان يغير خطته تبعا للمستجدات إلا أن الأمراء رفضوا الخطة المقترحة.

[1]-نفسه،ص،180.

[2]-سقطت مدينة حماه على يد ميرانشاه في 14ربيع الأول 803هـ،5نوفمبر 1400م،لم يختلف مصيرها عن مصير باقى المدن الشاميه،وفي الوقت الذى غادرها ميرانشاه،دخلها تيمورلنك في 20ربيع الثاني 803هـ،ديسمبر 1400م،وعند مروره بحمص لم يتعرض لها وقال وهبتها لخالد بن الوليد دقة عن أولادي،إبن تغرى بردى،المنهل ،ج،ص،121

[3]-ساءت العلاقات بين المماليك والعثمانيين خاصة بعد أن إعتدى السلطان العثمانى على بعض أملاك السلطان فرج بن برقوق،وهو ما إعتبر عملا عدائيا في نظر المماليك،وقد نجح تيمورلنك في حدوث هذه القطيعة بين الطرفين وتفرغ لكل طرف على حدا.

إنتقل السلطان فرج من مصر إلى مدينة غزة[1]،وكانت الخطة أن يبقى الجيش هناك حتى إذا يأس تيمورلنك من حصار دمشق،إنتقل إلى غزة،وعندئذ يجد نفسه محاصرا بين قوتين،إلاأنالأمراء رفضوا الخطة كما أشرت سلفا[2]، سار جيش المماليك من القاهرة إلى دمشق وفيه الجنود والأمراء والقضاة،ودخل مدينة دمشق في السادس من جمادى الأولى سنة803ه،25ديسمبر1400م،عمل خلالها على زرع الإطمئنان بين الناس،وعمل على تقوية أسوار المدينة وتحصينها، أما قوات تيمورلنك فنزلت على أطراف المدينة في التاسع عشر من جمادى الأولى سنة803ه،السادس من جانفى1400م،حدثت المواجهة ولم تستطع القوات المملوكية الثبات بسبب جسامة الخسائر التي اضطرتها إلى الإنسحاب[3].

لم يمكن جيش المماليك على قلب رجل واحد،وكان يفتقد للثقة بين عناصره، كما أن تيمورلنك على الدعاية حتى يزرع الرعب في صفوفه،حيث قبض على ثلاثة جنود من المماليك شوى إثنين منهم وأطلق سراح الثالث كي يذيع الخبر،ففزع الجيش وعامة الناس بما راو وسمعوا، في الوقت الذي كان يجب إعادة تنظيم الجيش والإستعداد لمواجهة جديدة فقد الناصر فرج كل أمل في النصر بعد أن شهد خطورة الموقف، وفوجئ بإختفاء بعض أمرائه، وتبعهم آخرون ، فقفل السلطان راجعا إلى مصر،علم تيمورلنك بفرار المماليك من خلال ما بلغه من جواسيسه،المنشريين على طول البلاد وعرضها، فأعطى أوامره إلى حفيده أبابكر[4]،بمحاصرة المدينة، ومراقبة أحوالها، مانعا أي أحد من الفرار منها، أما الفارين فتبعهم بجيش أجهز على الكثير منهم وأسر البعض منهم، حتى أن الجيش المملوكى كان يتخلى عن الكثير من أسلحته ومؤونته حتى يخف الوزن[5]،ولا يلحق بهم جيش

[1]–حكيم أمين السيد،**مرجع سابق**،ص،138.

[2]–تذكر المصادر أنه بعد سقوط دمشق طرحت الفكرة على تيمورلنك فإستصوب ذلك،أنظر:ابن تغرى بردى النجوم،إبن تغرى بردى ،**النجوم الزاهرة**،ج12،ص،185

[3]–نفسه،ص،ص،232،233

[4]–حفيد تيمورلنك من إبنه ميرانشاه.

[5]–حكيم أمين عبد السيد،**مرجع سابق**،ص،139

التمرية المطارد ، ووصل جيش المماليك في أسوا حال إلى القاهرة[1]، أما المدينة فتركت لمصيرها المحتوم.

ورغم ماحدث فإن الدمشقيين استبسلوا في الدفاع عن مدينتهم، يذكر المقريزى[2] أن أهل دمشق كان رأيهم محاربة تيمورلنك، فركبوا أسوار المدينة ونادوا بالجهاد، وزحف عليهم أصحاب تمر،فقاتلوهم من فوق السور،وردوهم عنه، وأخذوا عدة خيولهم،وقتلوا منهمالآلف،وأدخلوا رؤوهم،فقدم رجلان من تمر، وصاحا بمن على السور:"أن الأمير يريد الصلح، فأبعثوا رجلا عاقلا نحدثه في ذلك"[3]،

إستشعر تيمورلنك جدية مقاومة أهل دمشق فلجأ كعادته إلى المكر والخديعة مرة أخرى،متظاهرا بطلب الصلح، ونجح في ذلك بعد أن أرسل له الأمراء قاضى القضاة إبراهيم بن مفلح[4]على رأس بعثة للتفاوض و كان إبن خلدون واحدا من أعضاء الوفد[5]، وحين إجتمع مع الوفد أعلمهم،"أن هذه بلدة الأنبياء وقد أعتقتها لرسول الله صدقة عن أولادي"[6]، وقد أثنى إبن مفلح كثيرا على ما سمعه من تيمورلنك،ودفع الناس لعدم القتال، في حين رأى البعض أن ما قام به لا يعدو أن يكون مناورة منه،وقالت طائفة "لانرجع عن القتال"[7]، عزم إبن مفلح على إتمام الصلح، وأنه من خالف الأمر قتل[8]، أما تيمورلنك فبعث رسوله إلى سور المدينة،لينفذ ما إعتاد عليه عندما يخضع

---

[1]-الحافظ إبن حجر-العسقلانى،**أنباء الغمربأبناء العمر**،دط،ج1،تح،حسن حبشى،القاهرة،1389ه،1969م،ص،533.

[2]-تقى الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادرالعبيدى المقريزى،**السلوك لمعرفة دول الملوك**،تح،محمد عبد القادر عطا،ج802،6ه،822ه،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1418ه،1992م،ص،50.

[3]-نفسه،ص،50.

[4]-إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح أبو إسحاق برهان الدين الحنبلى الدمشقى،مؤرخ،ولد في دمشق وتوفي بها ،ولى قضاء الحنابلة بدمشق،وهو الذى قاد البعثة التي فاوضت تيمورلنك حول تسليم المدينة،أنظر:السلوك،**مصدرسابق**،ص،50،

[5]-كان إبن خلدون من بين أعضاء وفد دمشق الذين قدموا على تيمورلنك،وكانت له عدة محاورات ومجادلات.

[6]-المقريزى،**السلوك**،ص،51.

[7]-نفسه،ص،51.

[8]-نفسهً،ص،51.

المدن،وهوطلب"الطقزات"[1]،وهي عادة كان يقوم بها تيمورلنك عند ما يأخذ المدينة صلحا، في الوقت الذي كان البعض يجمع الأموال ،ويسلم خطط المدينة لتيمورلنك،كان البعض الآخر ينشر بين الناس فضائله ومحاسنه[2]، حتى أحبطت العزائم وإنهارت الهمم،وخارت القوى ، أما تيمورلنك فكان يعد العدة ،بعدما عرف الحنود الخطط،وعندئذ حل بالمدينة ما لايوصف، وإذا كان إبن الأثير نقل الصور المروعة التي قام بها المغول بقيادة جنكيزخان عند دخوله مدينتا بخارا وسمرقند[3]، فإن إبن تغرى بردى ينقل نفس الصورة عن تيمورلنك مع تغير في الزمان والمكان فقط.

ذاق أهل دمشق كل صنوف العذاب ومنها، وذكر إبن تغرى بردى جزءا من تلك الأساليب التي عذب بها أهل دمشق قائلا:" وقد مارس الضرب والعصر، والأخذ بالنار،والتعليق منكوسا، وغم الأنف بحفنة من التراب الناعم، كلما تنفس أخلت في أنفه كمية ثانية،حتى تكاد نفسه تزهق، فكان الرجل إذا أشرف على الهلاك،تخلى عنه حتى يستريح، ثم تعود عليه العقوبة أنواعا،فكان المعاقب يحسد زميله الذي هلك تحت العقوبة حتى الموت، ويقول ياليتنى أموت وأستريح مما أنا فيه، ومع هذا تؤخذ نسائه وبناته وأولاده الذكور، فيشاهد الرجل المعذب إمرأته وبنته وهي توطأ ،وولدهوهو يلاط به، فيصرخ من ألم العذاب[4].

بقيت دمشق تحت رحمة جنود تيمورلنك تسعة عشر يوما،فعلوا فيها الكثير من الجرائم والإغتصاب وحرق المباني والمساجد ومنها المسجد الأموى، ومها تعددت الرويات فيما إرتكبه

---

[1]- كان عادة تيمورلنك إذا أخذ مدينة ما صلحا ،أن يخرج إليها أهلها من كل نوع من الآكل والملابس والدواب والمأكل والتحف تسعة،والطقز بلغتهم يعنى رقم تسعة ومجموعها الطقزات،أنظر:

-المقريزى،**مصدر سابق**،ص،51.

-حكيم أمين عبد السيد،**مرجع سابق**،ص،140

[2]- بعض المؤرخين إعتبروا ان ما قام به ابن مفلح يدخل في باب الخيانة،لآنه هو الذي دفع الناس إلى التخاذل وتسليم المدينة،وإنخدع بحيل تيمورلنك،أنظر:

-إبن تغرى بردى،**النجوم الزاهرة**،ج12،ص،191.

-الحنفى،**مصدر سابق**،ص،49.

[3]- إبن الأثير ،**مصدر سابق**،ص،133،وما بعدها

[4]- إبن تغرى بردى،**النجوم الزاهرة**،ج12،ص،115.

تيمورلنك في مدينة دمشق،التي يفوق وصفها الخيال أحيانا، فإن تيمورلنك ظل يقول أن غضب الله في أرضه،وسلطني على من يشاء من خلقه[1].

مكث تيمورلنك في مدينة دمشق ثمانين غادرها في الثالث من شعبان 803هـ،20آذار 1401م، بعد أن بعث بكتاب إلى السلطان فرج حمله نقيب قلعة دمشق، أبدى فيه الصلح على قاعدة تبادل الأسرى، فقبل الأمراء ذلك في ظل حالة الإنكسار التي كان يعيشها المماليك ماديا ومعنويا، أما من الناحية الحضارية فإن تيمورلنك ظل وفيا لتقاليده، إذ أنه لم يسلم من هذه الحملة إلا أصحاب المهن،كالنساجين والمطرزين والنجارين، وصانعى الأسلحة والنقاشين ،والقواسين والصباغين وغيرهم، رحلو جميعا إلى بلاد ما وراء النهر ولا سيما العاصمة سمرقند.

إلتقى تيمورلنك خلال وجود ببلاد الشام الكثير من العلماء ،خاصة علماء حلب ودمشق، وجرت بينه وبينهم الكثير من المناظرات والمجادلات، حاول أن يظهر من خلالها بمظهر العارف والمتضلع في الأمورالدينية والتاريخ،ولقى علماء حلب وكان ذلك في الخامس عشر من ربيع الأول 803هـ،1400م،علماء وفقهاء وقضاة حلب، وكان أشهرهم أبوالوليد بن الشحنة الحلبى[2].

[1]- علاء محمود قداوى،**تيمورلنك ومحنة دمشق،803هـ،1401م**،مجلة أداب الرافدين،عدد،1424،36هـ،2003م،ص،94.

[2]- هو أبوالوليد محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن الشحنة الحلبى ،مؤرخ وفقيه ،عارف بالنحو والأدب والتفسير والأصول،توفى سنة815هـ،وله عدة مؤلفات أهمها،كتاب روض الناظر في علم الأوائل والأواخر،الذي تحدث فيه عن غزو تيمورلنك لبلاد الشام،وخاصةمدينتا ،حلب ودمشق،أنظر:

أبو الوليد محمد بن محمد بن محمودبن الشحنة الحلبى،**روض المناظر في علم الأوائل والأواخر**،تح،محمد مهنى،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،1417هـ،1997م،ص،298---301.

أما في دمشق فكان أشهر لقاء هو ذلك الذي جمع بين تيمورلنك،والعلامة عبد الرحمان بن خلدون، ويبدو أن شهرة إبن خلدون ومنزلته العلمية قد تناهت إلى تيمورلنك، بعد أن أعلمه بعض جواسيسه بقدومه إلى دمشق في جيش السلطان فرج حسب ما أورد ذلك المستشرق والتر فيشل،وقد حدثت بين الرجلين عدة مناظرات وحوارات عرف كل منهما مكانة ومنزلة الآخر[1].

رغم رحيل تيمورلنك عن بلاد الشام إلا أنه ترك صورا مروعة عن الخراب والدمار الذى لحق بحلب ودمشق ،ولعل من أبرز تلك الخسائر حرق الجامع الأموى في دمشق، وكانت أبرزنتائج هذا الهجوم أن تعرضت دمشق لتراجع حاد في زراعتها وصناعتها، ولم يكفه ما الحقه بالمدينة وأهلها، فأخذ معه السبايا والغنائم والمئات من المهرة والصناعيين إلى سمرقند[2]،كما فعل خلال عودته من الهند، وزاد البلاء على دمشق إذ أصابها بلاء أكبر، وهو إنتشار الجراد الذي نتج عنه إتلاف المحاصيل الزراعية من نبات وثمار، مما أدخل أهلها في ضيق شديد،وقيل له عدوين في سنة على بلاد لايكون ،فرحل عن دمشق[3]، ويبدو أن هذا لايعدو التفسير الوحيد لخروجه من دمشق، أنما يعود للتحضير لما هو قادم،خاصة تصفية حساباته مع خصومه العثمانيين، بعد أن توترت العلاقة بين الرجلين من خلال سياسة السلطان العثماني بايزيد التي رأى فيها تيمورلنك إستفزازا له.

أما عن فشل المماليك في صد تيمورلنك عن بلاد الشام، فلا يعود لقوة الجيش التيمورى،أو سلامه تخطيطه العسكرى، وأعداده الجيد لإدارة المعركة، وهو أمر لا يشك فيه بعد أن أثبت تيمورلنك في الكثير من معاركه العسكرية عن ذلك، حتى بإعتراف خصومه، إنما يعود أيضا إلى سياسة السلطان فرج، الذي عجز عن الإستعداد العسكرى المناسب لهذه المعركة، وفشله في إدارة المعركة مع

---

[1]-أشرت إلى لقاء تيمورلنك وإبن خلدون،وعن وصف ذلك اللقاء سواءا من طرف إبن خلدون نفسه،أو بعض المؤرخين الذين عاصره أو جاؤا بعده،وللإستزادة يمكن العودة إلى:

=عبد الرحمان بن خلدون،**التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا**،دط،دار الكتاب البناني،1979م،ص،306.

= محمدبن سليمان الراجحى،**لقاءات تيمورلنك ومجادلاته مع العلماء في بلاد الشام**،الدرعية،السنة التاسعة،عدد36، ،1427ه،2007م.

[2]-إبن سباط،**مصدر سابق**،ص،786.

[3]-نيقولا زيادة،**دمشق في عصر المماليك**،دط،مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر،بيروت،نيويورك،1966م،ص،44.

خصمه،ورغم أن مركز الدولة المملوكية ظل بعيدا عن تأثير تيمورلنك خاصة بعد أن توجه إلى مواجهة العثمانيين ، إلا أن السلطة المملوكية في بلاد الشام تزعزعت ، ونتجت عنها آثار سياسية متعددة كان منها تراجع دور مصر خاصة في ظل التنافس الشديد بينهم وبين العثمانين،أما من الناحية الاقتصادية فكان أهمها تراجع الموراد الإقتصادية خاصة بعد ظهور أكثر من منافس في المنطقة.

8-حروب تيمورلنك ضد العثمانيين:

في الوقت الذي نجح تيمورلنك في هزم المماليك كان السلطان العثماني بايزيد[1]يدك حصون أوربا المسيحية خاصة في منطقة البلقان،بعد معركة نيقوبوليس[2]التي إنتصر فيها العثمانيين على التحالف الصليبي،الذي قاده ملك المجر سيجسموند والبابا بونيفاس التاسع،بقوات وصلت إلى مئة وعشرين ألف جندي،من معظم الدول والإمارات الأوربية،كألمانيا وفرنسا وإنجلترا وإسكتلند وسويسرا والأراضي المنخفضة الجنوبية وبعض الإمارات الإيطالية.

لم تكن العلاقة جيدة بين تيمورلنك والعثمانيين،خاصة في عهد السلطان بايزيد الذي أعطى أكثر ممن مبرر لقيام هذا الحرب التي ظلت كثير من الأطراف تترقبها خاصة دول أروربا المسيحية،التي

[1]- ولد السلطان بايزيد الأول سنة 748هـ،1347م،وهو إبن مراد الأول رابع السلاطيين العثمانيين،خلف والده الشهيد سنة 791هـ،1388م،عرف بالقوة والجرأة والشجاعة،وسرعة التحرك في الحرب،لذلك أطلق عليه إسم الصاعقة،إنتهج نفس سياسة أسلافه من خلال التوسع في الجبهة الأناضولية ومنطقة البلقان،ربط علاقات قوية مع أبناء ملك الصرب لإزار،وتزوج أختهم أوليفرا،خضع له الصرب مقابل دفع جزية وعدد من الجنود سنويا،الحق هزيمة نكراء بالتحالف الصليبي في موقعة نيقوبولس،وتوفى أسيرا عند تيمورلنك بعد الأسر والإذلال خاصة إهانة زوجته أوليفرا التى أجبرها تيمورلنك ان تخدمه وأمرائه كجارية وهي عارية أمام انظار زوجها على ما تذكره بعض المصادر،توفي في الأسر سنة 805هـ،1402م،وهو شاب لم يتجاوز 43سنة بعد أن قضى في الحكم 13 سنة وشهر وثمانية أيام

[2]- نسبة الى-قلعة تركية رئسية على نهر الدانوب جرت فيها معركة كبيرة نبين العثمانيين ودول أوربا المسيحية المتحالفة حاول البابا أن يجمع فيها المسحيين للإنتقام من المسلمين بعد الهزائم الكبيرة التي ذاقوها خاصة معركة حطين الشهيرة.

ظلت تدفع في هذا الإتجاه،خاصة بعد هزيمة المسيحيين في معركةنيقوبوليس الشهيرة[1]، التي جعلت القسطنطينية تقع للمرة الثانية تحت رحمة الجيوش العثمانية،إلا أن ظهور تيمورلنك المفاجئ،أخلط ما كان يخطط له العثمانيين.

بطبيعة الحال فإن عرض المساعدة على السلطان برقوق،و إستقبال العثمانيين لسلطان بغداد أحمد الجلائري،والتركماني قرا يوسف [2]،كان مؤشرا سلبيا بالنسبة لتيمورلنك الذي رأى في ذلك عملا عدائيا،خاصة بعد أن راسل السلطان العثماني بايزيد طالبا منه تسليم الفارين إليه[3]،إلا أن بايزيد تعامل بطريقة فيها الكثير من الإساءة والإهانة،بعد أن قص لحية المبعوث الذي أرسله تيمورلنك[4]،ثم إن هناك بعض المراسلات التي جرت بين سلطان مصر الظاهر برقوق،والسلطان العثماني بايزيد أبدى فيها الطرفان رغبة في التحالفوكان بإمكان أن يحصل هذا الأمر،لولا الأخطاء التي إرتكبها العثمانيين،والمتمثلة في إحتلال بعض المدن التي كانت خاضعة لسلطة المماليك[5]،وهو ما أعتبر في نظرهم تهديدا لمصالحهم .

---

[1]- بالغ الكثير من المؤرخين خاصة الأوربيين في تبرير الهزيمة من خلال المبالغة في عدد جيوش تيمورلنك التي شاركت في تلك المعركة حتى أن البعض قال أن،جيش تيمورلنك كان فيه أكثر من 400ألف مقاتل، ،والبعض الآخر نزل بعدد الجيش لكل طرف بأكثر من عشرين ألف مقاتل،في حين أن البعض الآخر ذكر أكثر من 130ألف مقاتل بالنسبة للمسيحيين ،وأقل منه بقليل لجيش تيمورلنك،أنظر:

جوزيف داهموس،**سبع معارك فاصلة في التاريخ**،تر،محمد فتحى الشاعر،ط2،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1992م،ص،ص،175،174،وأيضا:

يلماز أوزوتا،**تاريخ الدولة العثمانية**،تر،عدنان محمود سلمان،مج1،ط1،مؤسسة فيصل للتمويل تركيا،1408ه،1988مً،ص،ص،108،107.

[2]- حكيم أمين عبد السيد،**مرجع سابق**،ص،131.

[3]- حاول تيمورلنك أن يستعمل سياسة المهادنة مع بايزيد بعد أن راسله طالبا منه أن يقف موقف المحايد في الصراع بين أحمد بن أويس وقرأ يوسف التركماني،لكن رد بايزيد كان قاسيا وشديد اللهجة قائلا:"ليس من عادة الأتراك أن يتركو رجلا طلب مساعدتهم"،انظر:

حكيم أمين عبد السيد،**مرجع سابق**،ص،130.

[4]- جوزيف داهوس،**مرجع سابق**،ص،38.

[5]-بعد وفاة السلطان برقوق إستغل العثمانيون الفرصة وإحتلوا بعض المناطق الخاضعة للمماليك،ومنها منطقة ملطية،وربما هذا الأمر هو الذي جعل السلطان فرج فيما بعد يرفض التحالف مع العثمانيين رغم مراسلة السلطلن بايزيد الذي ألح في ذلك.

يعترف الكثير من المؤرخين بقوة الرجلين ودهائهما السياسي والعسكري،فبايزيد أخضع كثيرا من دول أوربا في منطقة البلقان،خاصة بعد الإنتصار الكبير الذي حققه في معركة نقيوبوليس في 25 سبتمبر 1397م، التي أثبت خلالها بايزيد أن يملك جيشا قويا،خاصة بعد أن أحكم حصاره على القسطنطينية[1]،أما تيمورلنك فإن قضى جل عمره متنقلا من حرب إلى أخرى،أذاق في كل حرب خصومه ويلات الهزيمة.

في الوقت الذي كان فيه الأوربيين يتوقعون سقوط بيزطة،إلا أن بايزيد إنسحب منها بسرعة وكانت وجهته ملاقاة خصمه،بعد أن بلغه تقدمه في الأملاك العثمانية،بعد أن أسقط سيواس وقتل أحد أبناء بايزيد،هذا الأخير الذي لم يكن أقل شجاعة وقوة عن تيمورلنك،وعلى حد تعبير فامبري كان لابد أن يحسم الصراع في المنطقة لأحد منها .

إلتقاالجيشان في معركة فاصلة قرب أنقرة في تسعة ذى الحجة 803ه،20 جويلية 1402م[2]،وعلى ما تذكر بعض المراجع فإن تيمورلنك كان في ثلاث مئة ألف جندي،في حين أن بايزيد كانت قواته لا تتعدى مئة وعشرون ألف جندي[3]،إستعمل فيها تيمورلنك مرة أخرى دهائه الحربي وهومدرك كل الإدراك لقدرات خصمه غير مستهين بها،لذلك عمد إلى إنهاك جيش بايزيد الذي خرج من معركة،وجره إلى معركة جديدة وهو مدرك أن خصمه لا يقوى على الإنتظار،ولذلك فإن تيمورلنك هو من حدد طبيعة المعركة ومكانها ،بعد أن جر خصمه إلى سهل أنقرة،بعد أن سار في الطريق الأطول،فإعتقد بايزيد أن خصمه فر من المواجهة،إلا أن جيوشه سرعان ما صارت على مقربة من مؤخرة الجيش العثماني[4].

---

[1]-إسماعيل أحمد ياغى،**الدولة العثمانية في التاريخ الحديث**،ط3،مكتبة العبيكان،1406ه،1996م،ص،93

-كارل بروكلمان،**تاريخ الشعوب الاسلامية**،تر،أمين فارس،منير البعلبكى،بيروت،1977،ص،410.

[2]-محمد فريد بك المحامى،**تاريخ الدولة العلية العثمانية**،تح إحسان حقى،ط1،دار النفائس1401ه،م،146.،

[3]-يلماز أوزوتا،**مرجع سابق**،ص،110..

[4]- جوزيف داهموس،**مرجع سابق**،ص،189.

جمع بايزيد عدد معتبر من القوات من الإنكشارية والسيبهايزية[1] ومعهم الفرسان الصربوالفرسان المسيحيون الذين أرسلتهم الأقاليم المسيحية في البلقان وغيرها من الإمارات الأوربية التي كانت خاضعة لسلطة العثمانيين،ولم تكن هناك قوات مصرية ،إذ أن السلطان المملوكى فرج لم يلب طلب بايزيد،إلتقى الجيشان على أصوات الأبواق ودقات الطبول،بدأت المعركة في الصباح وإستمرت المعركة

إلى غاية الليل،وبغض النظر على العوامل الأخرى[2] التي حسمت المعركة،فإن الأمر الأخطر هو إنضمام بعض العناصر المغولية في جيش بايزيد إلى خصمه والتي صارت تهاجم بشراسة الجناح الأيسرللجيش التركي الذي كان تحت إمرة سليمان بن بايزيد من الخلف،وبعد معركة شرسة قرر بايزيد الإنسحاب إلا أن جواده أصيب بإصابة قاتلة فوقع في الأسر،وعموما فإن من حسم المعركة ليس الشجاعة والقوة وحدهما،إنما التركيز والتخطيط للمعركة وهو ما فعله تيمورلنك،وهو ما غاب عن بايزيد الذي لا يقل هو الآخر موهبة وذكاء وقدرة عسكرية مهارة إعترف بها الخصوم والأصدقاء.

كان من النتائج الآنية للمعركة أسر السلطان العثماني بايزيد من طرف قوات تيمورلنك،ورغم إختلاف المؤرخين في طبيعة المعاملة التي لقيها بايزيد،فمنهم من قال أنه تم معاملته معاملة طيبة،والبعض قال عكس ذلك،حيث روى البعض أن تيمورلنك تعمد إذلال خصمه،وأساء معاملته حتى دفعه إلى الموت[3]،من خلال شرب سما كان مدسوسا في خاتمه[4]،وبهذا الإنتصار العسكري الباهر خضعت معظم آسيا لسلطة تيمورلنك.

---

[1]- الإنكشارية،يقصد به الجيش البري العثماني الطي كان أفراد يتلقون تدريبا عسكريايكون فيه الولاء الأول والأخير للدولة

[2]- السيباهي أنشئت هذه الجماعة من الجيش في عهد السلطان العثماني محمد أرخان،وهم مجموعة من الفرسان كانت تحميهم دروع.-كان جيش تيمور أكثر إستعداد،في حين أن جيش بايزيد كان منهكا ومجهدا بسب طول المسير ،يضاف إلى هذا دهاء تيمورلنك الذي جر خصمه إلى الحرب المباشرة في حين يرى بعض المؤرخبن أن بايزيد لو إعتمد على حرب العصابات،قد ينجح في إلحاق الهزيمة بخصمه،كما أن إندفاع بايزيد كلفه غاليا،أنظر:

علي محمد محمد الصلابى،**الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط**،،ط1،دار التوزيع والنشر الإسلامية،1421هـ،2001م،ص،69..

[3]- جوزيف داهموس،مرجع سابق،ص،192.

[4]- زبيدة عطا ،**بلاد الترك في العصور الوسطى"بيزنطة،وسلاجقة الروم والعثمانيون**،دار الفكر العربي،دت،ص،ص،178،177.

كانت لهذه المعركة نتائج مهمة لأنها جمعت بين أقوى رجلين في العالم،ومنها خضوع العثمانيين لسلطة تيمورلنك من خلال دفع ،كما فعل ذلك مع السلطان المملوكى الظاهرفرج،أم أهم نتيجة فهي تلك التي إستفاد منها العالم الميسحي عموما وبيزنطة على وجه الخصوص،إذ أن إنتصار تيمورلنك ناجا حلم فتح القسطنطينية خمسين عاما،ورغم أن سقوطها كان حتميا بعد معركة تيقو بوليس،إلا أن معركة أنقرة سمحت لأوربا أن تستعيد أنفاسها،إلا أن ماقام به تيمورلنك أنقذ القسطنطينية والكثير من دول أوربا الأخرى.ويمكن أن نستنتج ذلك من خلال الوفود التي قدمت إلى سمرقند مهنئة بهذا الإنتصار الكبي،منهم سفير أعظم ملوك أوربا إستمساكا بالمسيحية،هو الفارس دى كلافيجو غنزاليس مبعوث هنرى الثالث ملك الاسبان،والذي كان على رأس بعثة صداقة إلى تيمورلنك[1] .

9-الحملة على الصين:

بعد معركة أنقرة العاصمة التي هزم فيها واحدا من أكبر منافيسه في ذلك الوقت،عاد تيمورلنك العاصمته سمرقند ليستكمل فيها بعض الإنجازات ومنها مسجد بيبى هانم[2]،الذي أشرف عليه بنفسه،كما أنه أمر بتزويج إبنه الأصغر شاهرخ[3]،إلا أن شهوة الفتوحات لم تهدأ في نفسه فما كاد يستقر قليلا في سمرقند حتى عزم على غزو الصين[4]،إذا إلى البحث عن أسباب الحروب التي خاضها قبل حملته على الصين لوجدان عدة مبررات لذلك،أما عن حملته على لا تعدو أن تكون العودة إلى حيث إنطلق أسلافه المغول،ليستكمل بالفعل إعادة الإمبراطورية الجنكيزخانية،,يضاف إليها الهند التي لم تكن من أملاك جنكيزخان.

بدأت الحملة في خريف سنة 807هـ،1405م،في ظروف مناخية قاسية وبرد شديد،عبرت خلاله الجيوش نهر جيحون المتجمد،لكن إشتداد البرودة و قساوة المناخ، والطبيعة الوعرة أعاقت سير الجيش،في هذه الظروف أصيب تيمورلنك بحمى شديدة عجز الأطباء عن إيجاد الدواء،وإنتهت بذلك

---

[1]-أرمينوس فامبرى،**مرجع سابق**،ص،235.

[2]-أنظر هذا العمل الصفحة،

[3]-العزاوى،**مرجع سابق**،**ج2**،،126.

[4]-Bertold.supler.op.cit.108

مسيرة الرجل المحارب وهو على أطراف مدينة أترار[1]،وذلك في 17 شعبان 807هـ،19فيفري 1405م،وكان في رفقته بعض أحفاده الذين عادوا إلى سمرقند بجثته ليدفن إلى جانب حفيده محمد سلطان بن جهانكير،يقول عن وفاته إبن عرب شاه،"خرجت النفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث"[2].

رغم أن الحروب التي خاضها تيمورلنك في كل البلاد التي دخلها لم تخلو من السلب والنهب والتدمير،وهي أساليب لا تخلو منها حتى الحروب في الوقت الحاضر في عالم يدعو إلى الحرية وإحترام حقوق الإنسان،ولكن الحقيقة تقال أن تيمورلنك إعتمد أساليب حربية مبنية على الذكاء والدهاء،خاصة وأنه واجه خصوما لايقلون عنه فى ذلك قوة وجبروت،أما عن أسباب تلك الحروب،فإختلف المبرر من مكان إلى آخر،فتحت عنوان نشر الإسلام غزا الهند[3]،وبعث الإستقرار ومحاربة الظلم والعسف ضم إقليم خراسان[4]، قائلا في ذلك: في كل بلاد يسود العسف والظلم،يصبح من واجب كل أمير كان أن يجتث أرباب الفتن،ويغزو الإقليم لصالح السلام العام والأمن،ومن أجل حلم الإمبراطورية الواسع وصل موسكو،وكاد يصل إلى الصين.

لم يكن النجاح العسكري ضربة حظ بقدر ماكان تخطيط وتدبير،وهذه النجاحات إنما تعود إلى مجموعة من العوامل ،يمكن ذكرها ولو بشكل سريع ومختصر:

1-إعتماد طابع السرية في العمليات العسكرية.

2-إعتماد نظام جوسسة قوي الذي ينقل له الأخبار بكل دقة ومصداقية ،ومن خلال حيوية هذا الجهاز إستطاع ان يفاجئ خصومه[5].

---

[1]-من المفارقات التاريخية أن مدينة أترار فتحت الطريق أمام جنكيزخان ليسقط العالم الإسلامي،بعد حادثة التجار وصراعه مع السلطان الخوارزمي محمد علاء الدين خوارزم شاه،وعند هذه المدينةإنتهى حلم تيمورلنك الذي أراد تأسيس إمبراطورية شبيهة بإمبراطورية جنكيزخان.

[2]-إبن عرب شاه،**مصدر سابق**،ص،ص،259،260.

[3]- المشهداني،**مقال سابق**،ص،238.

[4]-أكرم حسن الحلبي،**مرجع سابق**،ص،59.

[5]-نفسه،ص،34.

3-إعتماد النظام الحربي الذي إشتهر به جنكيزخان،وذلك من خلال المحافظة على الأسس والنظم التي سار عليها جنكيزخان،خاصة إرتكازه على الفرسان الذين يستخدمون السهام،والذين تمرسوا على المتطلبات الجسمانية لركوب الخيل لمسافات طويلة،وقطع المسافات الطويلة في أقصر وقت،إضافة إلى تحدي مختلف الظروف القاسية،فكان هؤلاء الرجال،وهم أطفال يمارسون،الرماية،وركوب الخيل،ويقال أن صيد الحيوان كانت الرياضة الوحيدة التي مارسها هؤلاء.

4- الإنضباط والصرامة والولاء للقبيلة ،وبلاد ما وراء النهر وللقوانيين المغولية،خاصةنظام ألياسا.

في حقيقة الأمر فإن عرض مختلف الحروب والتوسعات التي خاضها تيمورلنك،ليس القصد منها إستعراض تلك الحروب وأسبابها ونتائجها ،بقدر ماهو وقوف على بعض الجوانب الإيجابية من تلك الحملات العسكرية،والتي كان لها الأثر الكبير في نهضة حضارية كبيرة في بلاد ما وراء النهر وخاصة مدينة سمرقند،لقد كان أكثر الناجين من حملاته المدمرة العلماء والصناع والمهرة،ففي بلاد الشام التي ألحق بها صنوف الهدم والدمارو مارس فيها كل مظاهر القتل ،لكنه حافظ على حياة النساجين وصناع الآسلحة والفنانيين وغيرهم،أما خلال حملته على الهند فعاد محملا بكل أنواع المواد الثمينة من التوابل والذهب والأحجار الكريمة،أما في باقي المناطق الأخرى،كبغداد وتبريز وشيراز،فإنه عمد على نقل كل ما فيها من مهرة وصناع إلى عاصمته سمرقند التي جعلها ورشة للبناء والتعمير، خاصة وإن المظفريين والجلائريين إشتهروا في التاريخ بأنهم رعاة علم وفنون،وقد أنتجوا مدارس فنية كبيرة خاصة في فن التصوير،الذي أخذت منه مدرسة التيموريين ،كما أخذت أيضا ما خلفه الإيلخانيين من معارف وفنون،وأنشئوا بذلك مدرسة خاصة بهم،عرفت بالمدرسة التيمورية.

أماسمرقند فقد إكتست حلة جديدة في عهد تيمورلنك وخلفاءه من بعده،وسرقت بذلك بريق مدن كان لها شان عظيم،كتبريز وشيراز ودمشق وبغداد ودلهي وغيرها،حتى أن من زارها في تلك الفترة إنبهر لدرجة التطور الذي عرفته.

الفصل الثالث:

الحياة الفنية في العصر التيموري

1-تعريف الفن وتطوره:

الفن رفيق الحضارة،شكل عبر مختلف العصور التاريخية مجالا خصبا وهاما في التعبير عن الجانب الوجداني والجمالي للمجتمعات البشرية منذ البدايات الأولى لظهور الإنسان وإرتبط تطوره بتطور الإنسان ونمو معارفه ومداركه،وحتى حاجياته، وما من شك في ان الفن كان من أولى الإبداعات التي أفصح عنها الإنسان وعبر بها عن نفسه،فهو منذ وجوده،عاش يكافح من أجل ذلك،حيث عمل العقل البشرى على إستجلاء المعلومات التي ظلت مبهمة وغامضة،ولذلك يعتبر الكثير أن حياة الإنسان متمثلة في شقها الفنى،أكثر منها في شقها العلمى،لذلك كانت الفنون مرافقة لتطور الحياة البشرية،فالإنسان الآول،عادة ما كانت الكهوف والمغارات التي سكنها،تحمل على جدرانها الكثير من الرسومات التي إستطاع من خلالها علماء الآثار قراءة تطورالحياة البشرية من خلال تطور الرسومات المختلفة.

حتى أن البعض يرى الفن ضرورة من ضروارات إستمرار الحياة،وهو الذي جعل الإنسان لا يختلف عن باقى الكائنات الإ بالفكر والخيال والإبداع،ولو عاش الإنسان فقط لطعامه لكان الفرق بينه وبين الحيوان غير موجود،ولاستوى الإثنان.

لذلك يرى الفيلسوف الآلمانى هيغل[1]أن الفن يكون دائما بجانب الحضارة،إذ لايمكن أن ندرس الفن بمعزل عن الحضارة والتاريخ والثقافة،لآن تاريخ الفن هو في النهاية محصلة لإبداع الانسانى،فالفن هو سيرورة الحضارة الإنسانية،وهو سمات الشعوب وأفكارها وتطور تصوراتها الدينية والجمالية،وهو في النهاية دراسة الذات القومية لآى أمة من الآمم،وذلك من خلال دراسة ديانتها وتاريخها وفلسفتها وفنها.

ونحن نتلمس حضارتنا وما مضى،فلا نجد ورائنا الإما خلف الإنسان من تلك الآثار المشيدة وغير المشيدة،التي تعبر عن الحياة البشرية بكل تفاصيلها،وجزئياتها،مبرزة عبقريةالإنسان.

[1]- جورج فيلهلم فريدريش هيغل ،فيلسوف المانى ولد في مدينة شتوتغارت لعائلة بروسية في 27اوت 1770م،يعتبر من أهم فلاسفة القرن التاسع عشر،من خلال تعدد أفكاره حول الحرية والمنطق والوجود،والنظرة إلى الفن والحياة،له عدة مؤلفات أشهرها موسوعة العلوم الفلسفية،توفى سنة 1831م،ويعد أخر بناة المشاريع الفسفية في العصر الحديث.

من هنا كان للفن عظيم الأثر فى ترجمة أحاسيس الإنسان والتعبيرعن مشاعره،وما يختلج فى وجدانه،لذلك تطورت الأدوات الفنية ومعها الإنتاج الفني،من هذا المنطلق سعي الإنسان المولع بالفن إلى إنتاج عدة أعمال فنية،تحاكي الطبيعة،وتبرز الجمال،وتطمئن الروح،وتعبر أحيانا عن المعتقد[1].

يذكر إبن منظور فى باب تفسير وشرح مفهوم الفن،فيقول الفن هوالنوع،والفنون هي الأنواع والفن فى العموم هو الضرب من الشئ،يجمع على وزن أفنان،والرجل يفنن فى الكلام أي يشتق فن بعد فن،وأفنن أي اخذ في فنون القول ،أما الفيروزأبادي فى كتابه المعجم الوسيط،فهو يعرف الفن كما يلي،فن فلان،أي كثر تفننه في الأمور،وفن الشئ أي جعله فنونا وأنواعا،وفنن الكلام والرأي أي تغلب فيه،وتفنن الشئ،تنوعت فنونه،وتفنن في الأمر ،فكلمة فن من الناحية اللغوية تعني النوع رعيين الأفنون النبات أي أنواعه،ونقول طرق الشاعر فنون الشعر أي أنواعه[2].

يظهر من خلال ماذكر أن للفن تعاريف مختلفة ،وهو في العموم مختلف الضوابط والقواعد التي تضبط حرفة ما أو صناعة ما،وهو في النهاية تعبير عن مختلف الوسائل والأدوات التي يستعملها الإنسان المبدع للتعبير عن الجمال[3]،وتحريك العواطف وآثارة الإعجاب،وفق تعابير مختلفة،فالبعض يستعمل الكتابة والشعر لإبراز مختلف المشاعر،والبعض الأخر يحتمي بالموسيقي ليترجم أحاسيسه،وهناك من يتخذ من الرسم والتصوير طريقة للتعبير عن كل مايختلج في نفسه،ويدور في خلده من أحاسيس وعواطف،مهما تنوعت ضروب الفن،وتعددت مجالاته،فهوينبع من نبع واحد،ويكعس في الغالب المفاهيم نفسها،الإبداع،الإحساس،الموهبة،وبصفة عامة فإن الفن هو كل ما يخرجه الإنسان من عالم الخيال واللاشعور ،إلى عالم الحس والشعور،حتى يشعر الناس بالبهحة والسرور،يثير لديهم الإعجاب وبهذ الملكة صار الفنان معبرا عن الذوق والجمال بظواهر مرئية أو

[1]-جمال الدين أأو الفضل محمد بن مكرم الانصارى إبن منظور ،**لسان العرب**،د ط،د ت ن،ص،ص7709.

[2]-مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، **المعجم الوسيط**،ج2،دط،دار الجيل،المؤسسة العربية للطباعة والنشر،بيروت،د ت،ص،710

[3]-حامد سعيد،**الفنون الإسلامية أصالتها وأهميتها**،ط1،دار الشروق القاهرة،1421هـ،2001م.ص،7.

حسية أو وجدانية ترتبط بمواهب غالبا ما تملك القدرة على سرقة الأنظار ودغدغة المشاعر ولفت الإنتباه.

ظهر الفن في بداية الحياة البشرية،كتعبيرات أولية بسيطة،حاول من خلالها الإنسان الإلتفات لما حوله من ظواهر،ثم محاولة المقارنة بين كل عمل يقوم به،وعمل آخر،محاولا فى كل مرة الإستفادة من تجاربه وتجارب غيره،معتمدا مبدأ أساسيا وهو مبدأ تطوير الفكرة والوسيلة،من هنا إذا أردنا أن ندرس تطور الفن فإنه علينا دراسة إتجاهين رئيسين وهما الزمن والتطوروهنا ظل الإنسان كما في المجالات كلها معتمدا على ما تركه غيره،فكان بذلك مستفيدا ومطورا[1].

لا يختلف إثنان فى كون تراث البشرية زاخر وغني بكم هائل من الإنتاج والإبداع في مجالات متعددة لذلك نجد أن الفنون كانت منتشرة فى الحضارات القديمة الإغريقية والفارسية والفرعونية وحضارة الصينيين القدامي[2].

لقد كانت هذه الشعوب على مراحل التاريخ كلها ترى في الفن بصفة عامة جزءا من إستمرار الحياة الإنسانية،فابدعت مختلف الشعوب القديمة في مختلف الفنون،محاولة أن تستجيب لحاجياتها الإجتماعية،وحتى لرغباتها الدينية،فكثيرا ما كانت الديانات على إختلافها من وثنية إلى سماوية عنصرا فعالا في تحديد طبيعة الفنون،وهو ما أنتج خصائص فنية ظلت المعتقدات الدينية قريبة منها تتلمس أثارها وتتتبع مسارها.

إرتبط الإنتاج الفني في كثير من الأحيان بالجانب الروحي،والروحانيات،وتأثير المعتقدات الدينية،إ تباطا يكاد يكون مرافقا كالظل، فكان العامل الديني مؤثرا وفاعلا في الإبداع الفني عند مختلف الشعوب والحضارات، خاصة عند شعوب وحضارات الشرق على وجه الخصوص، بالرغم من أن المعتقدات الدينية كثيرا ما لعبت دورا مقيدا للفن فى مختلف الحضارات البشرية المتعاقبة،حيث مارست على طول فترة التاريخ البشرى دور الرقابة ، حتى لا يتعارض الدين مع طبيعة الفن،إلا أن

[1]-علي أحمد الطايس،**فنون الزخرفة الاسلامية المبكرة في العصرين الاموى والعباسي**،ط1،1434 مكتبة زهراء الشرق،القاهرة،1434هـ،2013م،،ص9.

[2]-لقد أبدع الإنسان في الحضارات القديمة في مجال الفنون حسب حاجباته،كما هوالحال عند اليونان و الفرس

ذلك لميمنع من تطور وإنتشار مختلف الفنون في كلاالحضارات، حيث إستطاع خيال الإنسان أن يتمرد بين الفترة والآخرى على صرامة القوانيين الدينية ،ويفلت من الرقابة المستمرة. لسيطرة وتأثير رجالالدين ، و مثلما أخذت الحضارات من بعضها المعارف والعلوم ، فإنها أخذت أيضا الفنون، وبطبيعة الحال فان الفن الإسلامي، إعتمد على أسس ومبادئ الفنون التي وجدها في البلاد المفتوحة، كما هو عند الساسانيين و البزنطيين و الهنود و شعوب أسيا الوسطى ، محاولا أن يكيف ذلك مع طبيعة المعتقد الإسلامي الذي هو بدون شك يختلف عن تعاليم مختلف الديانات.

كانت الإستفادة من الحضارات السابقةبكل إبداعاتها وعناصرها،وفي هذا الباب لاتخفى على أحد مختلف التطورات التي رافقت الفن في مختلف العصور الإسلامية.

فى أواخر القرن الأول قبل الميلاد أوصل الإمبراطور الروماني أكتافيوس اغسطس [1]الفن الروماني إلى مرحلة متطورة، وبقي هذا الفن مزدهرا إلى غاية القرن الثاني للميلاد، إلا أن تأثيره ونفوذه بدأ يضمحل و يتراجع منذ القرن الرابع الميلادي،ويعود ذلك إلى إزدهار الأساليب الفنيه ذات النزعة المسيحية،لأن النظرة الجديدة للفن صارت مختلفة عما ألفه الناس،خاصة أن النظرة المسيحية للفنون الرومانية القديمة ترى أنها فنون وثنية وهو ما يتنافى مع التفسير المسيحي للفن.

تراجع الفن الروماني بسقوط الإمبراطورية الرومانية سنة 476م،التي أدت إلى ظهور الفن البيزنطي،الذي يري فيه الكثير من المؤرخين أنه مزيج من التأثيرات الهلينيه والساسانيه[2]، حيث ساد هذا الفن خصوصا في منطقة الشرق الأدني وكانت القسطنطنية المحطة الأولى لإنطلاق هذا الفن

---

[1]- من بين أشهر الأباطرة الرومان حكم من 27جانفى27قم إلى غاية وفاتهفي 19جانفة 14م،توفي والده وهو في سن صغيرة،فتبناه خال أمه يوليوس قيصر،وأعده بنفسه لبخلفهناذ جعله نبيلا من نبلاء روما،مما مكنه من مزاولة العمل السياسيوأصبح يحمل إسم جايوس يوليوس قيصر،في سنة 27قم منحه مجلس الشيوخ لقب أغسطس الذي يعنى المقدس،عرفعهده قلة الحروب والفتن،وإنتشارا واسع للفنون والعمران،انظر:

أندريه أيمان،وجاتيه أبوايه،**تاريخ الحضارات العام،روما وأمبراطوريتها**،تر،فريد داغر وفؤاد ابو ريحان،ط1،عويدات للطباعة والنشر،بيروت ،لبنان،2006م

[2]- الفن الهلينى نسبة إلى حضارة اليونان القديمة أما الفن الساساني فيعود إلى حضارة الفرس القديمة،وهو أكثر ما إشتهر به الملوك الساسانيون.

خاصة في بعض المجالات الفنية ،كالتصوير والفسيسفاء والألوان،وأنتج هذا النوع من الفنون صورة كبيرة للإمبراطور جستنيان[1] معكبارمملكته،أما الصورة الثانية هي للإمبراطورة تيودور رفقة حاشيتها من النساء،دون أن ننسي الفن القبطي الذي لايخرج عن كونه نوع من الفنون المسيحية.

إلا أنه تأثر بفنون الشرق في الغالب مستفيدا بطبيعة الحال من البيئة الفنية المحلية التي ميزة الشرق عموما في إيران وسوريا والعراق،وقد عرف الفن القبطي إزدهاراكبيرا وإنتشارا واسعا خاصة في الفترة الممتدة من القرن الخامس إلى القرن السابع الميلادي[2].

مر الفن القبطي بمراحل متعددة أهمها، كانت آخرها تلك التي إنتهت مع الفتح الإسلامي الذي عرفته مصر ،ومن أكثر الفنون التي شاعت فى تلك الفترة في المنطقة فنا التصوير والتجليد،لذلك لانستغرب وجود بعض التأثيرات والأساليب الفنية القبطية فى الفن الإسلامي على الأقل فى القرون الأولى الإسلامية،ومن هنا إزدهرت تلك الفنون فى العصور الإسلامية متأثرة بتلك الأساليب الفنية المنتشرة في تلك البلاد.

إن دراسة تطور الفن بمختلف أنواعه في العصور الإسلامية ، يستند بشكل أو بآخر على إرث الشعوب القديمة تبعا لنظرية التأثير والتأثر،وعامل التفاعل بين المجتمعات البشرية وإنطلاقا من هذا تعددت المجالات الفنية الإسلامية، وتنوعت مجالات الإبداع فيها، لكن في عملنا هذا نركز بشكل خاص على أهم الفنون التي برع فيها التيموريين أو تلك التي إزدهرت على نطاق واسع على طوال القرن الثامن والتاسع الهجريين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ومنها بشكل خاص، التصوير، الزخرفة، الفنون التطبيقية وصنعة وتجليد الكتاب[3].

[1]- جستنيان إمبراطور الإمبراطورية البزنطية حكم من 527م الى 565م،إشتهر بإصلاحته القانونية توسعاته العسكرية،وقد شاركته زوجته تيودورا في الحكم ،وصا الفن البزنطي درجة عالية من التطور في عهدهمانواصبح مميزا له خصائصة المختلفة.

[2]- الفن القبطى،هو الفن المصري الذي إنتشر في مصر في أواخر العصر الفرعوني وبداية العصر الإسلامي،وهو أحد فروع الفن البزنطي،وإستمر إلى غاية القرت السابع الميلادي،وكان أهمه تجليد الكتب الذي أخذ منه المسلمون الكثير.

[3]-حامد سعيد،**مرجع سابق**،ص،28.

2-التصوير

يعتبر مجال التصوير أكثر المجالات إبداعا وإنتاجا فى تراث الشعوب والحضارات القديمة،وكثير ماوجد هذا الفن معارضة تبعا لتأثيرات المعتقدات الدينية،إلا أنه في تراث الحضارة الإسلامية لقى الكثير من المعارضة،وعدم الإستحسان في ظل رفض الكثير من الفقهاء والعلماء،وعدم قبوله وإستحسانه لدى فئة لابأس بها من الناس، وغالبا ما كانت المبررات الدينية أكثر الأدوات التي يستند عليها البعض لتبرير ذلك الرفض[1].

يعرف التصوير فى دائرة المعارف الإسلامية[2]،من خلال ما كتبه صاحب المقال معلقا على مادة التصوير،أن المقصود به هنا تشكيل التماثيل ورسم الصور[3]،وهو فن عرفه العرب قبل الإسلام من خلال شواهد عدة.

إعتمد فن التصوير في العالم الإسلامي على مصادر وأصول متنوعة،وما يؤكد ذلك مجموعة من الشواهد والأدلة المختلفة، من فن التصوير الإسلامية خاصة في العصر الأموي والعباسي ، حتى أن بعض هذه الشواهد مازالت قائمة إلى اليوم[4].

أما عن مصادر فن التصوبر الإسلامي إرتبطت بشكل مباشر بإنتشار الإسلام في مناطق مختلفة من العالم،كالعراق وبلاد فارس وسوريا ومصر وأواسط آسيا[5]،حيث خلقت هذه البيئات تنوعا في الأساليب الفنية، تبعا للمنطقة التي دخل إليها المسلمين، وطبيعة التأثيرات الفنية،كما أن العلاقات الخارجية والتواصل مع الشعوب الأخرى التي كان لها السبق في إنتشار هذا الفن قد ساهم في تطوره

[1]- زكي محمد حسن،**التصوير وأعلام المصورين في الإسلام**،مؤسسة هنداوي،2013،ص،6.

[2]- مجموعة من المؤلفين،**موجز دائرة المعارف الاسلامية**،ط1،مركز الشارقة للابداع الفنى،1418هـ،1998م،ص،2268.

[3]-إنتشر فن النحت والتماثيل خاصة عند الشعوب الإغريقية ،وذلك نظرا للمعتقدات الدينية التي كانت تصور الآلهة على شكل إنسان،فصنعوا لذلك التماثيل وبرعوا فيها،وهو الام نفسه الذي كان في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام.

[4]- موجز دائرة المعارف الإسلامية،ص،2268.

[5]-إشتهرت بلاد فارس بالتراث الساساني الذي تسرب إلى الحضارة الإسلامية في فترة النفوذ الفارسي على الخلافة العباسية، كما أن الأمويين تأثرو ببعض الأساليب الفنية البزنطية في حين أن الفن القبطي أثر بشكل بارز خاصة في مجال تجليد الكتب وكان أثره جليا في مصر وبعدها بلاد الشام..

في بلاد المسلمين، والكثير من الدراسات التاريخية تؤكد أن معظم البلاد التي دخلها المسلمين ظلت تتمتع بقدر وافر من فن التصوير،وذلك من خلال الرسومات التي وجدت في تلك البلاد،والآثار الفنية المتنوعة التي تأثر بها المسلمين.

إنتشر الفن القبطي في مصر،أما بلاد فارس فكانت تحت تأثير الفن الساساني والفن البيزنطي في سوريا بإعتبارها ظلت لفترة طويلة تحت سلطة البزنطيين،لكن ما تجدر الإشارة إليه هنا أن العرب الذين دخلوا تلك المناطق لم يأتو إليها فارغي الإيدي[1].

لكن المسلمين الذين دلخوا تلك الناطق جاؤوا ببعض المفاهيم الفنية والتي ورغم بساطتها إلا أنها ساهمت في أسلوب فني جديد خاصة في مجال التصوير،ما يؤكد هذا الكلام ما ذكره الأستاذ أحمد تيمور باشا في كتابه التصوير عند العرب،إذ يورد إشارات واضحة،على أن العرب كان لهم معرفةبهذا الفن،وهو بذلك يفند قول القائلين أن العرب لم يعرفوا فن التصوير[2].

يعتمد تيمور باشا في تبرير دور العرب فى هذا الفنعلى ماورد فى بعض الشواهد الشعرية وهنا يقول أن الشاعر لما يصف ،فإنما هو يصف شيئا موجود وقع عليه نظره[1]،فالتصوير عند العرب في الجاهلية كان معروفا،والتماثيل موجودة،وما يدل على ذلك مختلف القرابيين التي كانت تقدم لها،ثم أن الرسول صلعم،لما فتح مكة أمر بإزالة تلك الصور[3] لأنها مرتبطة بالوثنية الجاهلية[4]،وحطم تلك التماثيل[5]،وهذا يبرز أن هناك من كان يبدع فى هذا المجال.

يتفق جمهور واسع من العلماء على كراهية فن التصوير منذ عهد النبي صلعم[6]،وربما هذاالأمر هو الذي دفع كثير من الفنانين المسلمين أن ينصرفوا إلى ممارسة ضروب أخرى من الزخرفة بعيدا عن

---

[1]-يشير العالم جلوك أن العرب كانوا يملكون المبادئ الأولية في فن التصوير وصناعة التماثيل للمزيد أنظر:
كريستي،أرنولد بريجسي،**تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير**،تر،زكي محمد حسن،ط1،دار الكتاب العربي،1984.

[2]-أحمد تيمورباشا،**التصوير عند العرب**،دط،دار الافاق العربية،دت،ص،6

[3]-نفسه،ص،3.

[4]-نفسه،ص،3.

[5]-نفسه،ص،3.

[6]-نفسه،ص،3.

تجسيم الطبيعة أو تصويرها،في حين يذهب طرف آخرمن الفقهاء إلى باب التحريم مستندين على كثير من النصوص[1].

رغم تباين موقف العلماء والفقهاء من مشروعية التصوير من عدمه،إلا أن المؤكد فى كل هذا أن هذا الفن شاع في البلاد الإسلامية على نطاق واسع،خاصة لدى الشعوب الإسلامية غير السامية،لأن أكثر العلماء يحسبون أن الشعوب الإسلامية كانت تحس شعورا نفسانيا يبعدها عن التصوير،وكانت تنسب إلى الصور والمجسمات أخطارا وشرورا جمة[2].

يبدو من خلال هذا أن الشعوب التي دخلت الإسلام،بقيت في غالب الأحيان محافظة على تراثها الفكري والعلمي والفني،لذلك لانستغرب إستمرار فن التصوير رغم كراهيته عند البعض كما مر معنا.وإجمالا يمكن القول أن فن التصوير أستمد صورته الأولى من بلاد العرب،وخاصة شبه الجزيرة العربية[3]،وهذا يبرز ميراث العرب الفني قبل الإسلام،إلا أن هذا الفن هذب لما إختلط بالروح الإسلامية التي صححت بعض المفاهيم التي تناقض روح الإسلام[4] أو تلقى معارضة من الفقهاء وحتى عامة الناس.

تميزت الأقطار التي دخلها الإسلام بخصوصيات فنية مميزة عن ما جاء به المسلمين،فمصر التي دخلها الإسلام في بداية القرن الأول للهجرة،ظلت متأثرة بالفن خاصة بعد أن برع الإغريقي الروماني

1- هناك آحاديث نبوية صريحة تنهى عن صناعة التماثيل وعن تصوير كل ما فيه من روح سواءاكان إنسان أو حيوان أوطير،في حين تجيز ما ليس فيه روح كالأشجار والأزهار وغيرها،ويمكن أن نشير إلى الحديث النبوي الذي ذكره أبو الحمد فرغلي في كتاب التصوير في الإسلام بسند يرجع إلى الإمام الترمذي،عن أبن عباس رضى الله عنهقال رسول الله صلعم وسلم:من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ"،من سنن الترمذي نقلا عن :

2-أبو الحمد فرغلي ،**مرجع سابق**،ص،43.

3- زكي محمود حسن،**التصوير وأعلام المصورين فى الإسلام**،ص،8.

4- ظل الفن بصفة عامة،والتصوير على وجه الخصوص في خدمة الديانات في بلاد الشرق عامة،سواءا في الديانات الوثنية،أوحتى السماوية،كاليهودية التي أبعدت الفن عن الناس،وكذا الأمربالنسبة المسيحية،إلاأن المذهب الكاثوليكى حاول أن يستغل الفن لخدمة تعاليمه،أنظر:

سعاد ماهرمحمد،**الفنون الاسلامية**،دط،الهيئة المصرية العامة للكتاب،2005،ص،ص،3،2.

ذو النزعة المسيحية،سرعان ما أخذ الطابع المحلي،خاصة بعد أن برع الأقباط في مختلف الفنون،وخاصة فن تجليد الكتب الذي أخذ منه العرب بعد أن إستقرو في مصر[1].

أما بلاد الشام فظلت لوقت على إحتكاك مستمر بالفنون المسيحية البزنطية،أما منطقة العراق وإيران فكانتا تحت تأثير الفن الساساني الذي إمتد إلى بقية الأقاليم خاصة فى الفترة التي كانفيها الغرس على نطاق واسع من العالم الإسلامي،ويتحكمون فى مفاصل الدولة،خاصة في العصر العباسي الأول.وهو الأمرنفسه الذي ينطبق على بلاد ماوراء النهر،التي ظلت لوقت طويل معبرا لمختلف الثقافات خاصة تلك القادمة من الصين.

بصفة عامة فإن الباحث ودون عناء يمكن أن يستدل على تطور الفنون وإنتشارها في فارس والهند وبلاد الترك من خلال مختلف الشواهد التي تؤكد على وجود فن التصوير وإستخدام الصور في الحضارة الإسلامية[2].

تأثرت منطقة أسيا عموما وبلاد ما وراء النهر خصوصا،بالمفاهيم الفنية الإسلامية خاصة بعد أن إستتب الفتح الإسلامي هناك، وإمتزج الفاتحون مع السكان الأصليين المتأثرين بالشعوب المجاورة لهم[3]،كما أن موقعها الجغرافي الواقع على طريق حيوى،نشطت فيه المبادلات التجارية والحركة الثقافية، أهلها أن تكون محل التأثيرات الفنية الصينية ليس في مجال التصوير الذي برع فيه الصينيون فحسب،بل في مختلف الفنون التطبيقية الأخرى[4]،وهنا لابد أن نشير إلى ملاحظة هامة تتمثل فى تأثير العامل الديني على مختلف الإبداعات،وفي تطور الظاهرة الفنية بمختلف أشكالها وأدواتها.

---

[1]- تم فتح مصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب من طرف عمرو بن العاص،سنة 21هـ،641م.

[2]- موجزدائرة المعارف الإسلامية، **مرجع سابق**،ص،2266.

[3]- لعب الإيغور خاصة في نقل مختلف الفنون إلى آسيا الوسطى،إذ يشير علماء الآثار إلى أنهم كانوا بارعين في مختلف الفنون،وكان دور إنتشار الكثير من أساليب الفنية في بلاد ما وراء النهر خاصة بخار،وسمرقند.

[4]- يقصد بالفنون التطبيقية الزخارف المختلفة سواء الكتابية أو النباتية أو الهندسية ،والتي إرتبط تطورها بتطور الحاجيات المختلفة للمجتمعات الإنسانية،فكانت هذه الفنون معبرا عنها.

كما معروف فقد سادت عند الصينين عبادة مختلف مظاهر الطبيعة،كغيرهم من الشعوب الوثنية،إلا أنه منذ القرن السادس قبل الميلاد صارت الكونفوشية المعتقد الرسمي للصينيين[1]،وقد أثرت تعاليمها المختلفة في عقول الناس،وأثرت بشكل مباشر في الحياة الفنية خاصة التصوير.

لعب الجوار الجغرافي وحركة المبادلات التجارية بين الصين وجيرانها،دورا هاما في تغلل الثقافة الصينية إلى الحدود الشرقية للدولة الإسلامية،وهو ما عمل على إنتقال مختلف الفنون إلى تلك المناطق،وكان منها على الخصوص فن التصوير،وعموما يمكن القول أن المدرسة الصينية غلب عليها التنوع بإعتبارها تجمع مصورين من ديانات مختلفة،البوذية ،المانوية[2]وحتى المسيحية التي وصلت إلى الصين عن طريق الكنائس الشرقية التي كانت منتشرة فى أواسط آسيا،وعليه نستخلص أن منطقة وسط آسيا وبلاد ماوراء النهر كانت ممرا لمختلف الفنون خاصة المسيحية،كما كانت قبل الميلاد منطقة تلقى الفنون الصينية خاصة فن التصوير.

تشيد الكثير من الدراسات التاريخية بمهارة ودقة المصورين الصينيين،ويتجلي ذلك في رسم الأشخاص وإظهار تعبيراتهم المختلفة كالحزن،ومظاهر الفرحة والسرور[3].

إن هذا العرض الموجز الذي يبرز مختلف الفنون التي عرفتها البلاد الإسلامية –قبل وبعد الإسلام،الغاية منها معرفة مدى تأثيرها على تطور الأساليب الفنية الإسلامية،التي صارت أكثر إتقانا وتنوعا وإنتشارا[4].

[1]– الكونفوشيه تنسب إلى الفيلسوف الصيني كونفوشيوس الذي عاش بين 551ق م,479 ق م،وهي عبارة عن ديانة تمتزج فيها الكثير من الطقوس والعادات الدينية التي زرثها الصينيون القدامي،مع خليط من الآراء الفلسفية التي جاء بها كزنفوشيوس أستمر تأثرها في الصين حتى إلى غاية القرن العشرين.

[2]– المانوية ديانة قديمة تنسب إلى ماني الذي ظهر زمن شابور بن أردشير الذي قتله بهرام بن هرمز،وهي خليط من المعتقدات بين البوذية والزرادشتية.

[3]–أبو الحمد فرغلى،**نشأة التصوير في الاسلام** ،ص،253.

[4]– شيرازمن المدن الزاهرة في تاريخ المغول والتيموريين،فيها عاش الشاعر سعدى،وإليها ينسب حافظ الشيرازى،حكمها حفيد تيمورلنك إسكندر سلطان بن عمر شيخ،من 799هـ،إلى818هو،1396م،1415م،وكان هو راعيا للشعر والشعراءوالفنانين،إزدهرت في عصره الكثير من الفنون ،إنظر:
أبو الحمد فرغلي،**نشأة التصوير في الإسلام**،ص،254.

قبل الحديث عن تطور المدرسة التيمورية في فن التصويرلابد من الإشارة إلى المدارس التي سبقتها لو بإشارات موجزة،وهنا لابد من التعريف بمدرستين هامتين سبقتا المدرسة التيمورية،وهما المدرسة المظفرية في شيراز[2] والمدرسةالجلائرية في إيران،اللتين لعبتا دورا بارزا فى وضع أسس وقواعد المدرسة التيمورية،خاصة في عهد خلفاء تيمور لنك وأحفاده ومنهم السلطان بايسنقر في هراة وحسين بايقرا[1]،إذ إزدهر فن التصوير في فترة حكمهما بشكل أثار إعجاب المؤرخين خاصة الغربيين منهم،لذلك كتب البعض منهم فى هذا المجال بما يثير الإعجاب وأحيانا حتى الإنبهار.

مر فن التصوير الإسلامي بمراحل عدة إلا أن أهمها تلك التي عرفها التيموريون،إذ تعتبر هذه الفترة أزهى مراحل التصوير الإسلامي،نظرا لكثرة المبدعين،وتطور الأساليب الفنية المبتدعة،والرعاية التي لقيها من طرف الحكام،لكن هذا لا يمنع من الإشارة،ولو بشكل سريع إلى تطور هذه الفنون في المناطق التي صارت فيما بعد من أملاك التيموريين،وماهي طبيعة الأساليب السائدة قبلهم؟.

من المدارس الفنية في التصوير والتي لعبت دورا بارزا ،المدرسة المظفرية،وآل مظفر هي أسرة عربية دخلت إيران مع الفتح الإسلامي،ولكنها إستقرت في إقليم خراسان،إلا أنها سرعان ما نزحت إلى منطقة يزد،بعد موجة الغزو المغولي،تحت زعامة كبيرهم غياث الدين حاجي[2]،وكان له من الأبناء ثلاثة إلتحقوا بخدمة أتابك يزد،ألا أن نجم المظفريين بدأ في البروز مع عهد الأمير شرف الدين المظفربن منصور بن غياث الدين حاجي الذي دخل في خدمة الإيلخانات حتى ترقي إلى رتبة أمير ألف ،لكنه توفي سنة 713هـ،وخلفه إبنه،مبارز الدين محمد الذي إستطاع في وقت وجيز أن يستقل بحكم مدينة يزد سنة718هـ،1318م.

[1]- يتم التعريف بالسلاطين التيموريين في ثنايا هذا العملً،189.

[2]- حربي أمين سليمان،**المؤرخ الايرانى الكبير غياث الدين خواند مير كما يبدو في كتابه دستو الوزراءً**،تق،فؤاد عبد المعطى الصياد،دط،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1980م،ص،321..

بدأ نفوذ المظفريين يتوسع أكثر بعد أن حققو نجاحات عسكرية ،كان من نتائجها الإستيلاء على مدينة شيراز التي صارت عاصمة المطفريين[1]،وفي حدود سنة757هـ،1357م،أصبحت مملكة المظفريين تشمل أجزاء واسعة من فارس وكرمان وأصفهان وعراق العجم ،متخذين من مدينة شيراز عاصمة لهم[2].

صحيح أن فترة سيطرة المطفريين كانت قصيرة ،إلا أن تأثيرها الفني والأدبي ظل قويا ،وقد أولى المطفريين عناية واسعة بالعلم والعلماء،ويمكن أن نستدل على الرعاية التي حظي بها الشاعر الإيراني الكبير حافظ الشيرازي في بلاط السلطان مبارز الدين محمد وإبنه السلطان شاه شجاع،وقد عاش الشيرازى في الفترة بين725هـ،792هـ،1326م،1391م،او 1392م،والمشهور عند الإيرانيين بلسان الغيب،وقد إلتقى حافظ الشيرازى تيمورلنك أثناء حملته العسكرية على شيراز وأعجب به.

ظل إهتمام المظفريون بفن التصوير رغم قصر المدة الزمنية التي حكموا خلالها مميزا،خاصة في مجال رعاية العمارة والفنون،وكان مجال تأثيرهم في العمارة واضحا ليس في عاصمة ملكهم فقط إنما في معظم المدن التي خضعت لسيطرتهم ،كيزد وكرمان وأصفهان،أما في مجال التصوير فظهر تأثيرهم واضحا وقويا،وذلك من خلال الخصائص الفنية التي طبعت مدرستهم،أو من خلال مجموعة المخطوطات المزوقة والتي تحمل البصمات المظفرية[3].

يمكن أن نشير ولو بشكل سريع إلى الخصائص الفنية التي ميزت المدرسة المظفرية،ومنها إنحصار وتراجع المخرة التي تمثل السماء حتى صارت في بعض الرسومات تكاد تختفي،إهتمام الصورة في العصر المظفري في الرسومات الآدمية على الشخص الرئيسي في الصورة الذي غالبا ما يمثل مركز الصورة،أما من حيث رسومات الحيوانات،فقد رسمت في الغالب بشكل أقرب إلى الواقع والطبيعة[4].

[1]-إتخذ المظفريون من مدينة شيرازعاصمة لهم إبتدءا من سنة754هـ،1353م،وهي من المدن الهامة في إيران،إستمر وجودها إلى غاية إن قضى تيمورلنك على حاكمهاشاه منصور بن شاه مظفر بن مبارز الدين محمد سنة796هـ،1394م،،لينتهى حكم هذه الأسرة بعد أن تيمورلنك إبنه عمر شيخ حاكما لها.

[2]-أبو الحمد فرغلي ،**نشأة التصوير في الإسلام**،195.

[3]- حسن الباشا ،**مرجع سابق**،ص،263.

[4]-أبو الحمد فرغلي ،**مرجع سابق**،197.

في مجال المخطوطات المزوقة بالصور تذكر المصادر التاريخية أن السلطان مبارز الدين مظهر خلال سيطرته على مدينة تبريز لعدة أشهر وكان ذلك سنة 758هـ،1359م،وفي طريق عودته إلى شيراز أخذ معه الكثير من المخطوطات وبعض الفنانين الذين يتمتعون بدراية واسعة بهذا الفن،كما أن إبنه السلطان شاه شجاع كان من المعجبين جدا بالمخطوطات المزينة بالصور،وهنا يمكن ذكر بعض المخطوطات المزوقة التي تعود إلى هذه المدرسة[1]،والتي تتوزع عبر مختلف المكتبات والمتاحف العالمية[2].

تنسب أيضا إلى المدرسة المظفرية في شيراز العاصمة ،نسخة من الشهنامة للفردوسينسخت على يد الخطاط مسعود بن منصور بن أحمدسنة772هـ،1371م[3]،وهي محفوظة في طوبقا سراي باستانبول تحت رقم 1511، وتشمل على حوالي إثنا عشر صورة مصورة من أحجام مختلفة تعتبر من أقدم الصور التي أنجزت في شيراز تحت رعاية المطفريين، أما دار الكتب المصرية فهي الأخرى تحتفظ، بنسخة من مخطوط الشهنامة لأبي القاسم الفردوسي تحت رقم 73،تاريخ فارسي، وبصفة عامة يمكن القول أن مدرسة التصوير المظفرية ماهي في الحقيقة إلا إستمرار للأساليب الفنية الإيرانية المتأثرة من جهة بالأساليب الفنية المغولية التي ظلت سائدة في معظم الاراضى الايرانية ،وقد حرص بعض الايلخانيين على تطوير فن التصوير،لذلك كانت المدرسة المغولية في إيران ،من بين أسس مدارس التصوير في العصور الاسلامية اللاحقة، ومن جهة أخرى بالأساليب الفنية الصينية، بحكم العلاقة القوية بين مغول إيران ومغول الصين، لذلك يقول الكاتب ديفيد تالبوت رايس في كتابه الفنون الإسلامية عبر العصور،"إننا نستطيع أن نميز أعمال مدينة شيراز بفضل توهج ألوانها،وبالإقبال الشديد على تصوير المناظرالطبيعية، وبكثرة إستعمال مواضيع الطير،والخطوط الدقيقة"[4].

---

[1]- نفسه،ص،199.

[2]- هناك الكثير من المتاحف في العالم التي تحتفظ بكثير من المخطوطات المزوقة التي تعود عصر إلى التيموريين.

[3]-أبو الحمد فرغلي،**نشأة التصوير في الاسلام**،ص،200.

[4]- ديفيد تالبوت رايس،**الفنون الاسلامية عبر العصور**،تر،فخري خليل ،ط1،الأهلية للنشر والتوزيع،2013مً،ص،132..

المدرسة الثانية التى أثرت في فن التصوير عند التيموريين،هي المدرسة الجلائرية[1]،ووقبيلة ال جلائرتنتمي إلى أشهر أسرة مغولية حكمت في إيران بين مرحلة سقوط الدولة الإيلخانية وقيام إمبراطورية تيمورلنك[2].

لعبت هذه الأسرة دورا كبيرا فى انتشار الأساليب الفنية المختلفة خاصة في مجال التصوير،في ظل الرعاية التي قدمها البلاط الجلائري للأدب والفن والشعروفن التصوير

على وجه الخصوص،وهو ما إستفاد منه التيموريين بعد أن أخضعوا الجلائريين وأسقطوا دولتهم ، لكنهم أخذوا منهم مختلف الأساليب الفنية التى سادت فى المنطقة،ومدرسة التصوير الجلائرية ماهي في الحقيقة إلا إستمرار للمدرسة المغولية والمظفرية.

من جملة الخصائص المميزة لهذ المدرسة،تزويق المخطوطات بالصور، التى تعد العامل الأول فى تطور فن التصوير الإسلامي[3] ، إضافة إلى إعتماد المدرسة على الأساليب الفنية الصينية،التكانت عماد المدرسة المغولية فى إيران، بإعتبار أن ال جلائر هم فى الأصل إحدى القبائل المغولية[4]، وبصفة عامة يمكن القول أن المدرسة الجلائرية ظهر فيها تراجع واضح للصور الأدمية،وفى المقابل زاد وظهر بشكل بارز الطابع الزخرفي، وتطور واضح ودقيق فى إستعمال الألوان خاصة اللون الذهبي.

---

[1]- تعتبر أسرة ال جلائر من أشهر العشائر المغولية التي جاءت من وسط آسيا إلى إيران في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي،أسسما خلالها دولة تعود غلى مؤسسها الشيخ حسين برزك الكبير بن أمير حسين بن كوركان بن أقيوقا بن نويان،تعرف هذه الأسرة باسرة الإيلكانيين،أما أشهر حكامها فهو الشيخ معين الدين حسين أويس الذي حكممن 757ه ،776ه،1376م،1376م،اشتهرت هذه الأسرة برعايتها ،للعلم والأدب والفن والتصوير في بغداد وتبريز أنظر:

عباس العزاوي،**تاريخ العراق بين احتلالين،أل جلائر** ،بغداد الحديثة،1936م.،

[2]- محمود فرغلي أبوالحمد،**نشأة التصوير في الاسلام**،ص،219.

[3]-نفسه،ص،219.

[4]- عباس العزاوي،**مرجع سابق**،ص،ص25،24.

هناك الكثير من المخطوطات المزوقة بالصور والتى تعود إلى الفترة الجلائرية، وتنتمي إلى مدينتين رئيسيتين الأولى مدرسة بغداد وهي عاصمة الجلائريين،والثانية مدرسة تبريز إحدى المدن الهامة فى شمال غرب إيران[1]، ومنها إنتقل هذا الفن إلى سمرقند وهراة[2].

يشير الأستاذ أبو الحمد فرغلي في كتابه التصوير فى الإسلام[3] ، إلى أهم المخطوطات التى تعود إلى الفترة الجلائرية ، معرفا بها وبخصائصها الفنية وأمكن تواجدها العالمية،وهنا يجدر بنا هنا ذكر بعضها، ومن هذه المخطوطات عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني،وما يلاحظ في هذا المخطوط بساطة الأسلوب مع رسم للحيوانات والإنسان والنبات على حد وصف المؤلف.

أما المخطوط الثاني الذي يمكن الإشارة إليه فهو كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله الهمذانين وقد حظي هذا الكتاب بإهتمام بالغ فى الحضارة الإسلامية ليس فقط لمحتواه العلمى والمعرفي التاريخى، بل لأنه إرتبط بشخصية هامة لعبت دورا كبيرا فى بلاط المغول، أنه الوزير والطبيب والمؤرخ رشيد الدين، وتذكر المصادر ان هذا الوزير يعد من بين اشهر وزراء المغول الإيلخانيين، حيث عمل هذا الوزير على رعاية مدينة تبريزالتي بني فيها المكتبات والمدارس،أهمها مدرسة الرشيدية و التي إستقدم إليها الخطاطين والمصوريين والفنانين،لتدوين وتصوير مؤلفاته التاريخيه والفلسفيه[4].

بالعودة إلى كتاب جامع التواريخ الذي كتب باللغتين الفارسية والعربية وتضمن كما أشرنا التاريخ المتصل بالمغول الإيلخانين مستعرضا نسبهم وأهميتهم ودورهم في بناء إيلخانية إيران على وجه الخصوص، ولأهمية الكتاب نسخ إلى عدة مخطوطات لعل أقدمها الموجود بجامعة أدنبرة مؤرخ

[1]– تبريز:بكسر أوله،وسكون ثانيه،وكسر الراء أشهر مدن أذربيجان،مدينة عامرة ذات أسوار محكمة،ذكرت في كثير من المصادر خاصة الجغرافية منها،تقع الأن شمال غربي إيران ،إشتهرت بإنتشار فن التصوير حتى صارت تنافس المدن القديمة مثل بغداد وغيرها،أنظر :

– أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، **صبح الاعشى في كتابة الإنشا**،تح،محمد حسين شمس الدين، ج4،بيروت،1407هـ،1987م،ص،357.

[2]– سعاد ماهر،**الفنون الإسلامية**،دط،الهيئة المصرية العامة للكتاب،2005م،ص،387.

[3]–أبو الحمد فرغلي،**مرجع سابق**،ص،178.

[4]– زكي محمود حسن،**التصوير فى الإسلام عند الفرس**،ص،134..

بسنة707هـ،1308م، وهناك مخطوط آخر تحتفظ به الجمعية الأسيوية بلندن،تم نسخه سنة 771هـ،1314م،و يشمل على تسع وخمسين ورقة ومائة صورة ملونة،المخطوطيين مزودتين بكثير من التفاصيل الفنية والصور المعبرة التي كانت سائدة في تلك الفترة، إذ تمثل المناطر الطبيعبة الموضوع الرئيسي فى الصورة،ومنها تلك التى تمثل صورة بوذا، مع خلو الصورة تماما من الصور الآدمية[1].

إن الإشارة إلى المدراس الفنيه التى عرفت قبل التيموريين ماهوفى الحقيقة إلا تبرير لمعرفة طبيعة الأسس الفنية المنتهجة فى أسلوب التصوبر لدى التيموريين، لأن فن التصوير التيموري ماهو فى الحقيقة إلا إستمرار للمدارس الفنية السابقة،المغولية والمظفرية والجلائرية[2].

عرف فن التصوير عصره الذهبي في عهد التيموريين ،لاسيما في الفترة التي حكم فيها خلفاء تيمورلنك مدينة هراة، خاصة في عهد السلطان شاهرخ،والسلطان حسين بايقرا حيث أنجبت المدينة أشهر المصوريين ،إلا أن فن التصوير في هذه الفترة إنما يدين بشكل خاص إلى كمال الدين بهزاد الذي يعد واحدا من أمهر وأشهرالمصوريين ليس في مدينة هراة والمدرسة التيمورية فحسب، بل في العا لم الإسلامي كله[3].

ولد كمال الدين بهزاد في مدينة هراة على الأرجح سنة 844هـ،1440م، لأن هناك تضارب في تاريخ ولادته وتاريخ وفاته،في وقت بلغ فن التصوير مكانة مميزة في تاريخ الحضارة الإسلامية عامة وتاريخ التيموريين خاصة، إذ أن تيمورلنك وبعده خلفاءه أحاطوا هذا الفن برعاية كبرى، تذكر المصادر التريخية أن تيمورلنك عمل بكل جهد أن يجعل في عاصمته سمرقند أكبرعدد من الفنانين والصناع ومنهم المصوريين،حيث عمد إلى نقل المئات منهو من مدينة بغداد وتبريز اللتان عرفتها هذا

---

[1]-أبو الحمد فرغلي، **نشأة التصويرفي الإسلام**،ص،ص،179،178.

[2]-أجاد الدكتور محمود فرغلي أبو الحمد فى التعريف بهذه المدراس مفصلا فى خصائصها وأساليبها فى كتابه التصوير في الإسلام ،ويعتبر الكتاب مرجعا هاما لمعرفة الفنون الإسلامية وخاصة فن التصوير.

[3]- ديفيد تاليوت رايس،**الفنون الإسلامية عبر العصور**،،ص،3.

الملحق رقم 5،ص،301،يبرز صورة للرسام، بهزاد،في حين أن الملحق رقم 6،ص،302.،صورة من رسومات الرسام كمال الدين بهزاد.

الفن منذ أمد بعيد،لكن رغم الجهد الذي بذله تيمورلنك لتطوير فن التصوير في سمرقند، إلا أن المدينة لم تبلغ ذلك المركز الكبير الذي بلغته مدينة هراة في عهد السلطان شاهرخ[1].

حذا شاهرخ حذو والده إذ عمل على إستقدام أشهرالخطاطين و المصوريين من أجل تصويرالمخطوطات وتذهيبها، وإضافتها إلى نفائس كتب مكتبته العامرة بصنوف شتى من المؤلفات، كما إستعان التيموريون بفن التصوير الصيني خاصة في ظل العلاقات الدبلوماسية بين السلاطين التيموريين، خاصة في عصر شاهرخ وبايسنقر وإمبراطور الصين[2]، إذ أوفد السلطان بايسنقر في إحدى البعثات إلى الصين مصور إسمه غياث الدين كلفه السلطان أن ينقل كل مايراه في طريقه من اثار فنية ورسومات.

دون ذالك الوصف في كتاب إسمه مطلع السعدين ومجمع البحرين،كتبه بالفارسية عبد الرزاق السمرقندي، ونقله إلى الفرنسيه المستشرق كاترمير،وعادة ماكانت تلك البعثات تعود من الصين محملة بكثير من المنتجات الفنية ، التي تحمل أشكال ونماذج متعددة من التصاوير، التي كان لها تأثير قوي على الفنون التيمورية[3].

---

[1]- زكي محمد حسن ،**التصوير في الإسلام عند الفرس**،ص،55.

[2]-شهدت العلاقات السياسية والتجارية تطور واضحا بين إيران والصين خاصة بعد نهاية عصر الإيلخانيين في إيران،وسقوط أسرة يوان في الصين،توطدت العلاقة بيت التيموريين وأسرة منج الصينية،كان من نتائج ذلك تبادل البعثات الدبلوماسية بين الصين،والتيموريين في ايران وكانت بعض البعثات الدبلوماسية يصحبها بعض المصورين،مما اتاح الفرصة لبعض المصورين من الاطلاع على روائع الاثار والفنون الصينيةومشاهدة ما لم يتيسر نقله إلى إيران وأسيا الوسطى،وكان من بين أهم البعثات تلك التي اوفدها شاهرخ إلى الصين سنة 822هـ،1419م،وكان رفقتها المصور غياث الدين خليل.

عفاف صبرة،نجوى كيرة،**مرجع سابق**،ص،282.

[3]-من كبار المستشرقين الفرنسيين ولد في بارس في12 جويلية 1782م،كانت ميوله واضحة إتجاه اللغات الشرقية،فبدأ بدراسة العبريه وبعدها العربية،كان من طلبة المستشرق الكبير سلفستر دو سابي،تقلد عدة مناصب علمية إلى غاية وفاته في باريس عام1875م،كتب عدة مقالات علمية،ونشر الكثير من المؤلفات ومنها الجزء الأول من كتاب رشيد الدين،والقسم الثاني من كتاب السلوك في معرفة دول الملوك للمقريزي،كما نشر كتاب مطلع السعديين لعبد الرزاق السمرقندي،للمزيد عنه وعن نشاطه العلمي أنظر:

-عبد الرحمان بدوي ،**موسوعة المستشرقين**،ط1،دار العلم للملايين ،بيروت،1993م،ص،446.

سار بايسنقر على منوال والده ، إذ عمل على إنشاء معهد للفنون،وظف فيه عددا هاما من الفنانين والمصورين،ورغم الجهود السابقة في فن التصوير ، إلا أن عصره الذهبي في مدينة هراة إنما يعود إلى السلطان حسين بايقرا ووزيره الأديب والفنان والمبدع علي شير نوائي،في هذا الوسط المفعم بروح الفن المنتشرة في كل ربوع مدينة هراة والمدعمة بكل أدوات التشجيع، ظهرت أبرز شخصية في فن التصوير،ليس في هراة وحدها،بل في العالمالإسلامى،وهنا تفتقت عبقرية الرسام بهزاد الذي إعتبرته المصادر والكتب التاريخية أشهر مصوري العصر التيموري إن لم يكن أعظمهم.

جمع بهزاد عناصر البراعة و التفوق،فزيادة على موهبته، تعززت لديه أسباب الطموح،مشبعة ،بالإرادة والرغبة والفضول،جعلته هذه العناصر يتفوق على كثير من مصوري عصره أو حتى من سبقوه،يقول عنه بعض المؤرخين معبرين عن تلك الموهبة والإبداع"حتى أن شعرة واحدة من فرشاته كانت قادرة بفضل عبقريته على بعث الحياة في الجماد[1]،وربما مثل هذا التعبير المبالغ فيه،إنما هو كناية عن تلك المهارة والموهبة الكبيرة التي جعلت بهزاد وأعماله الفنية تلقى التقدير والثناء بين معاصريه وطغت على كل مواهب اقرانه .

إن الإختلاف بين بهزاد و معاصريه إنما يعود إلى إختلاف الأساليب الفنية المستعملة،فهو جاء بنظرة جديدة للفن عامة والتصوير خاصة، سواءا بالنسبة لمن سبقوه أو عاصروه،كان التجديد سمة فنه والإبتكار سبيله إلى فن جديد ليس مختلفا إنما يعكس وجها جديدا للتصوير، ومن هنا ظهر في عهده أسلوب فني مبتكر ومستقل عن الأعمال السائدة في عصره،ذكر كثير من المختصين في مجال التصوير أو على الأقل من إعتمدت عليهم في هذاالعمل[2].تشير إلى أن بهزاد وتلاميذه من بعده إعتمدوا الدقة في الأداء والعناية الفائقة في رسم الأشخاص،وهنا تظهر موهبته واضحة في رسم وجوه الأشخاص،

[1]-أمين حربي،**دستور الوزراء لخواندمير**،ص،23

[2]- هناك الكثير من المؤلفات التي إعتنت بفن التصوير في الإسلام،يمكن ذكربعضها التي أمكنني الإطلاع عليها وأهمها.كتب زكي محمد حسن ،الفنون الإسلامية،الفنون الإيرانية،التصوير وإعلام المصورين في الإسلام،التصوير في الإسلام عند الفرس،كتاب التصوير الإسلامي في العصور الوسطى لحسن الباشا،كتاب التصوير الإسلامي ،لمؤلفه أبو الحمد فرغلي،كتاب الأستاذة سعاد ماهر الفنون الإسلامية، ومؤلفات أخرى يتم تثبتها في قائمة المراجع..

إذ تظهر وجوه الأفراد في رسوماته بشكل واضح، كما إبتدع أسلوب جديد في إستخدام الألوان،محاكيا صور الطبيعة.

ظلت مدينة هراة تغري بسحرها وجمالها كل من عاش فيها،بجبالها التي تحيط بها من كل مكان، وأشجارها وإزهارها وإنهارها التي زدات الطبيعة رونق وجمالا،كما طرق بهزاد باب الرسوم الشخصية ونجح في ذلك من خلال صورتان،إحداهما للسلطان التيموري حسين بايقرا ،التي ظهرت فيها تعابير الوجه وكأنها تبدو صورة واحدة،وهو تحد بإعتباره أنه طرق بابا لم يكن متاحا لكثير من الرسامين والمصورين.

أما الصورة الثانية للسلطان محمد شيباني خان[1]، ويعد هذا العمل أول نماذج الصور الشخصية في فن التصوير الفارسي،الذي ظل حكرا على الصينيين واليابانيين في تلك الفترة[2]، أما الميزة الجديدة التي جاء بها بهزاد،هو أنه أول من إستخدم التوقيع على لوحاته الفنية[3].

إتجه كثير من كثير من معاصريه إلى تقليد أساليبه الفنيه و توقيعه، وهنا يمكن القول أن معاصريه كانوا على درجة كبيرة من الإلمام بفن التصوير حتى كادت أعمالهم تضاهى أعمال بهزاد، أما الأمر الثاني فيعود إلى شهرة بهزاد بين مصوري عصره مما أدى بالكثير منهم إلى تقليد هنومحاولة الإتجاه في نفس المسار الفني.

رغم أن تيمورلنك إهتم بشكل ملفت إلى مختلف الفنون ومنها فن التصوير، إلا أن المؤلفات التاريخية لا تنسب إلى مدرسة سمرقند سوى بعض المخطوطات المصورة،رغم وجودبعض المخطوطات

---

[1]- محمد شيباني خان أحد زعماء قبائل الأوزبك التركمانية الذي عمد إلى إسقاط الأجزاء الشرقية من إمبراطورية تيمورلنك،قتل في عهد الشاه إسماعيل الصفوى،الذي قطع جسمه إلى أربعة أجزاء وأرسلها للمتمردين لتخويفهم وبعث براسه إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني،للمزيد أنظر:

-محمد سهيل طقوش،**تاريخ الدولة الصفوية في إيران(907هـ،1148هـ،1501م،1776م)**،ط1،دار النفائس،1430هـ،2009م،ص،ص،62،63.

[2]- زكي محمد حسن،**التصوير في الاسلام عند الفرس**،1936،ص،50

[3]- يذكر ديفيد تالبوت رايس في كتابه الفنون الإسلامية عبر العصور أن أول من إستخدم التوقيع على رسوماته مصور يدعى روح الله ميرك وكان ذلك سنة 1496م،في حين أن الغالبية تشير إلى أن أول من إستخدم التوقبع هو كمال الدين بهزاد.

المعاصرة لها في مدرستي شيراز وبغداد[1]،ورغم ذلك توجد بعض المخطوطات المصورة التي تعود إلى المدرسة التيمورية بسمرقند لكن في عهد خلفاء تيمورلنك،ومنها كتاب في الفلك بعنوان"صور الكواكب"وه كتاب نسخ لحاكم سمرقند الغ بك بن شاهرخ ، محفوظة الآن بالمكتبة الآهليه بباريس[2].

أما عن مدرسة هراة فإنه يمكن ذكر بعض المخطوطات التي تعود إلى هذه المدرسة ومن توقيع الرسام بهزاد، ومنها مخطوطتين هامتين إحداهما المخطوطات الخمسة بالمتحف البريطاني ونسخت سنة 846هـ،1442م، وهي تحوي ثلاث صور رسمت في عصر متأخر عن المخطوطة أي حوالى898هـ،1493م،والمخطوطة الثانية كتاب البستان المحفوظ بدار الكتب المصرية مؤرخة سنة893هـ،1488م[3]،وتشير معظم المؤلفات التاريخية خاص المشتغله بحقل الفنون الإسلامية إلى عدد معتبر من المخطوطات المصورة والمزوقة التى تعود إلى المدرسة التيمورية في مدينتى سمرقند وهراة.

أحرز فن التصوير في العهد التيموري تطورا واضحا من خلال وجود عدد كبير من المخطوطات المصورة التى تعود إلى مدرسة سمرقند وهراة، اللتان تعتبران أهم مدرستين في التصوير، والفضل الأكبر في إشاعة فن التصوير في العصر التيموري ،يعود إلى الرسام و المصور بهزاد الذى أحرز شهرة واسعة فاقت معاصريه ومن سبقه من مصورى العصور السابقة[4].

طمست أعماله الفنيه ذكرى غيره من مصورى العالم،وفاقت صوره صور غيره من سائر الفنانين بفضل ما وهبته يده من مقدرة سحريه، وإنبعثت الحياة في الجمادات، بما كمن بين شعرات فرشاته من عبقرية ونبوغ"[5]وربما كان موقف المؤرخ خواندمير متحيزا لبهزاد بسبب الصداقة التي جمعت بينها،وظهر الآمر وكأنه إنحيازا إلى حد المبالغة، لكن هذا لا يمنع من الإعتراف بعبقرية ذلك المصور البارع ودوره في تاريخ التصوير الإسلامي.

---

[1]-ديماند ،**الفنون الاسلامية**،تر،احمد عيسى محمد،دط،دار المعارف،دت،ص،52.

[2]-نفسه،ص،56.

[3]-زكي محمد حسن،***التصوير وإعلام المصورين في الإسلام***،ص،27.

[4]-ديماند،**مرجع سابق**،ص،57،وردت تقريبا نفس العبارات عند عفاف صبرة ،ونجوى كيرة ،في **مرجع سابق** ذكره،ص،287.

[5]-نفسه،ص،57.

أشاد برسوماته الإمبرطور المغولي بابر من خلال رسوماته للدراويش من تصويرة من مخطوطة مؤرخة في هراة سنة890هـ، 1458محفوظة في مكتبة شستربيتي بلندن[1].

لم يكن بهزاد المصور الوحيد في مدرسة هراة التيمورية، إنما نجد بعض المصورين الذين برعوا في ذلك الفن، صحيح أنهم لم يصلوا إلى تلك الدرجة العالية التي بلغها بهزاد،ولكنهم تركوا بصمة واضحة في تاريخ فن التصوير التيموري،ومنهم قاسم علي،وشيخ زادة،ومحمود مذهب و مير سيد علي، ومظفر علي وسلطان محمد،وغيره[2].

إجمالا يمكن القول أن فن التصوير بلغ درجة كبيرة منالتطور والنضج في عهد التموريين،تحت رعاية السلاطين التيموريين الذين أحاطوا معظم الفنانين وخاصة المصورين منهم برعاية فائقة، كان ثمارها تلك الإبداعات القيمة من الرسومات التي تنتشر في المتاحف العالمية في إيران وتركيا وبريطانيا وفرنسا وروسيا وغيرها، وإستطاع التيموريون أن يستفيدوا من كل المدارس الفنية التي سبقتهم، فأخذوا من مدرسة بغداد، ومدرسة إيران في العهد المغولى ،والمدرسة الجلائرية والمطفرية، كما أنه يمكن الإشارة إلى التأثيرات الفنية الصينية التي ظلت قوية في تلك الفترة خاصة في عهد السلطان شاهرخ في هراة[3].

3-الفنون التطبيقية

لم يكن مجال التصوير الفن الوحيد الذي برع فيه المسلمين، إنما لإمتد مجال الإبداع إلى فنون أخرى كان من بينها الزخارف بأنواعها المختلفة،والزخرفة الفنية والكتابة الزخرفية تعبر بشكل صريح عن الروح الإسلامية التي طبعت المجتمعات الإسلامية، وكغيرها من الفنون الأخرى، فإن الزخرفة الإسلامية أخذت من تراث الشعوب الأخرى، متاثرة بالفنون الساسانية والبزنطية والقبطية، إلا أنها

---

[1]-عفاف صبرة،نجوى كيرة،**مرجع سابق**،ص،286.

[2]-محمد مصطفى،**صور من مدرسة بهزاد في المجموعات الفنية في القاهرة**،تر،أحمد محمد عيسى،ألمانيا الغربيه،1959م،ص،9..

[3]-أبو الحمد فرغلى،**نشاة التصوير في الاسلام**،ص،148.

تطورت بشكل سريع في العالم الإسلامي، إذ نجح الفنان المسلم في إنتاج طرازت فنية جديدة ومتنوعة منذ العصر الأموي إلى العصر العثماني[1].

في هذا المجال يمكن التركيز على ثلاث عناصرأساسيه من الفنون التطبيقية،والتي تبقى جديرة بالدراسة ،لأنها تعكس مرحلة هامة من مراحل التطور السياسى والإجتماعي والحضاري في العالم الإسلامي،ومنها الزخرفة ،وفن الخط والكتابة ،وصناعة الكتاب تجليدا وتذهيبا ، أما عن الزخرفة فيمكن أن ذكرثلاث أنواع منها وهي:

3-1-الزخارف النباتية:

إرتبطت الزخارف النباتية بذلك الشعور الذي لازم الإنسان منذ الأزل وهو يتأمل الطبيعة محاولا تقليد مظاهرها، فكان إستعمال الساق والورقة لإنشاء أشكال متعددة من الزخارف تتميز أحيان بالتناظر والتكرار،أطلق مؤرخو الفن الأوربيين إسم أرابيسك على هذا النوع من الزخارف النباتية،والذي يتضح من خلال المدلول اللفظى للكلمة أنه لفظ عربي، وأن العرب هم أول من إبتدعه وإبتكره [2]،والأرابيسك هي الزخارف المكونة من فروع نباتية وجذوع متشعبة متشابكة متتابعة فيها موضوعات زخرفية مهذبة[3]، وقد أطلق الرقش العربي على الزخرفة النباتيه على نطاق واسع في العالم الإسلامي[4].

يمثل الرقش العربي نقطة إلتقاء الخط العربي بكل أنواعه وأشكاله مع فن التصوير من حيث التجديد في رسم الحرف والكلمات التى لها معان معينة[5]،ومن مظاهر الزخرفة النباتيه أنها تجسد مبدأ التكرارالذي عادة ما يظهر بشكل واضح في مختلف العمائر والتحف المعدنية خاصة،وعادة ما تثير

[1]-حنان عبد الفتاح مطاوع،**الفنون الاسلامية حتى نهاية العصر الفاطمى** ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الاسكندرية،دت،ص،63.

[2]-منى عيد المرزوقي وأخرون،**التوريق بإعتباره أحد عناصر الزخرفة الإسلامية،دراسة تحليلية**،مجلة علوم وفنون ،دراسات وبحوث،ص،21.

[3]-زكي محمد حسن ،**في الفنون الإسلامية**،مؤسسة هنداوي،2010،ص،27.

[4]-نفسه،ص،27.

[5]- عفيف بهنسى ،**مرجع سابق**،ص،10..

مثل هذه الأشكال الكثير من الإعجاب والإنبهار لدى المشاهد من خلال ما تبرزه من مشاهد متكررة ومتنوعة،تظهرالزخارف النباتية بشكل بارز في مختلف العمائر التيمورية كعنصر أساسى من عناصر الزخرفة الإسلامية سواءا في المساجد أو القصور أو مختلف الأضرحة،وتعتمد الزخارف النباتية على عنصريين أساسين هما الساق والورقة، فلأول يمثل مختلف الأشكال والحركة[1]،أما الورقة فتمثل العنصر الأساسى في تكوين مختلف الزخارف، وقد إتبع الفنان المسلم أسلوب الحفر الغائر[2]

3-2--الزخارف الهندسية:

قبل الإسلام عرفت الفنون أنواعا متعددة من الزخارف الهندسية، إلا أنها عرفت بعد الإسلام ناطا واسعا ،إذ عدت من أكثر مجالات الإبداع في الحضارة الإسلامية، ظهر ذلك بوضوح في مختلف الآثار العمرانية والعمائر المتنوعة في البلاد الإسلامية خاصة في العصر التيموري الذي إنتشرت فيه هذه الزخارف بشكل يلفت النظر في الحركة الواسعة لبناء المساجد والقصور والحدائق، فظهرت الأشكال الهندسية بأشكالها المختلفة كالمثلثات والمربعات والمستطيلات والدوائر وغيرها من الأشكال الهندسية التي أصبحت تعتمد على أسس رياضية في عملية التشكيل والبناء،إذ أصبح الإبتكار والإبداع في نسج مختلف الأشكال الهندسية وفق حسابات رياضية دقيقة[3].

مع مرور الزمن أصبحت الأشكال الهندسية تشكل لذاتها ميزة وعنصرا أساسي في عملية الزخرفة، خاصة وأن معظم الأشكال الهندسية إرتبطت بشكل واسع بالحركة الواسعة التي أشهدها العصر التيموري من خلال بناء المساجد والمدارس، حيث شكلت الأشكال الهندسية في تلك العمائر ما يعرف بمبدأ التكرار في العمارة الإسلامية[4]، الذي كان أكثر بروز في العصر التيموري،وما يفسر إهتمام الفنان المسلم بهذا الفن نظرا لأنه لقى تجاوبا واسعا مع مخيلة الإنسان المسلم، كما أنه لا

[1]- الملحق رقم7صفحة 303، يبرز مختلف الأشكال التى يتم تصميمها من خلال تنوع الزخارف على الأوراق النباتيه.

[2]- حنان عبد الفتاح مطاوع، **مرجع سابق**،ص،6.

[3]- سامح فكري طه البنا،**فن التجليد في العهد التيموري،771ه،912ه،1370م،1506م**،رسالة ماجستير ،مج1،جامعة القاهرة،1424ه،2003مً،،165.

[4]-أنظر الملحق رقم 13،14،273،274،،الذي يجسد مبدأ التكرار في العمارة الإسلامية من خلال تكرار النماذج الزخرفية

يتنافى مع روح الإسلام عكس التصوير الذي كان محل إنتقاد بعض المعارضين من رجال الدين وعامة الناس[1].

أنتج الفنان المسلم أشكال متنوعة من الأشكال الهندسية،كتشكيل الدوائر المتقاطعة ،وتكرار الخطوط بشكل عمودي وافقي، إضافة إلى تشكيل المنحنيات المشكلة لمختلف اللوحات الهندسية،و لم يكن العصر التيموري بعيد عن مثل هذه الزخارف الهندسية ، التي كانت أكثر إنتشارا خاصة في مصر في عصر المماليك[2]، ويبدوا أن إحتكاك التيموريين بالمماليك بعد الهجوم على دمشق،إذ حرص تيمورلنك أن يعود إلى بلاده مع خيرة المهرة من الفنانين والمهرة ومنهم المزخرفيين وغيرهم[3].

3-3-الزخارف الكتابيه:

إرتبط هذا النوع من الفن بشكل خاص بالكتابة وفن الخطاذ يعتبر هذا الفن من بين أروع العناصر الزخرفيه، التي ميزة الحضارة الإسلامية/ وتجلى ذلك في زخرفة الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، إضافة إلى مختلف الأمثال والحكم والأدعية وحتى الأبيات الشعرية[4].

إنتشر هذا النوع من الفن على نطاق واسع في العصر التيموري، خاصة وأن البعض من السلاطين التيموريين إهتموا بهذا الفن ورغبوا فيه ، ويمكن أن نذكر بايسنقرا بن شاهرخ[5] الذي تمتع بمواهب متعددة كالتصوير وكتابة الشعر، كما أنه كان خطاطا بارعا ومبدعا في هذا الفن،وهي موهبة

1-أحمد الطايس،مرجع سابق،ص،20.

2- داليا احمد ؤاد الشرقاوى،**الزخارف الاسلامية والاستفادة منها في تطبيقات زخرفية معاصرة**،رسالة ماجستير،جامعة حلوان ،قسم الفنون والزخرفة،2000م،ص،28.

3- بارتولد،**تاريخ الحضارة الإسلامية**،ص.139.

4- داليا أحمد ؤاد الشرقاوى،**مرجع سابق،ص28**

5- بايسنقر خلف أبيه شاهرخ على عرش التيموريين بين 852هـ،861هـ،1448م،456م،كان مولعا بالفن والعلوم ومختلف الآداب،أنظر:

عفاف صبرة،نجوى كيرة،**مرجع سابق**،ص،283.

تمتع بها أيضا السلطان حسين بايقرا [1]، كما أن مدينة هراة صارت في هذه الفترة تعتبر من أهم المراكز الفنية والإبداعية.

كما نجد على العملات التيمورية وبعض التحف المعدنية بعض الكلمات،والعبارات الدعائية، والأبيات الشعرية التي عادة ما يكون الهدف منها هو الترويج لصاحبها، أما الأبيات الشعرية فكان الهدف منها تخليد صاحبها والثناء عليه، وذكر مناقبه وأفعاله الجليلة وهي من الآفعال التي رافقت الحضارة الإسلامة على مر التاريخ، ولذلك أعطت مثل هذه الكتابات قيمة إضافيه للزخارف الكتابيه التي تعبر على مدى أهمية الزخارف الكتابيه،وتطوها في العصر التيمورى،حيث وجدت الكثير من الدلائل الآثرية التي تشير إلى ذلك بوضوح.

ومن أمثلة ذلك عبارة وجدت على عملة تيمورية، تخلد إسم تيمورلنك وهي"قطب الدين والدنيا أمير كوركان خلد الله ملكه وعزه"[2]،كما نجد عبارة دعائية أخرى على بعض العملات من الفضة مثل عبارة"أمير تيمور كوركان خلد الله ملكه وسلطانه"[3].

كما نجد عبارة أخرى كتبت على عملة من الفضة تعود إلى فترة السلطان شاهرخ ،كتب عليها "السلطان المعظم شاهرخ بهادر،خلد الله ملكه وخلافته[4].

ولما كان الشعر من أكثر المجالات إبداعا في التراث العربي والفارسي ، فإن العصر التيموري شهد بعض الكتابات الشعرية على بعض التحف المعدنية، ومثال على ذلك ما ورد على إبريق من النحاس المطعم بالفضة مؤرخ سنة 860هـ،1461م،بعض الأشعار مكتوبة باللغة الفارسية والبعض الآخر باللغة العربية أما محتوى البيتان الشعريان فهو كما يلي:

---

[1]- حسين بايقرا أخر الآمراء التيموريين عرف عهده نهضة فنية وأدبية واسعة نظير الرعاية التي قدمها للفكر والثقافة ،وكان مولعا بمختلف الفنون ،حكم من 875هـ،911هـ،1470م،1505م.

[2]- شبل إبراهيم عبيد،**الكتابات الأثريه على المعادن في العصريين التيموري والصفوى**،ط1،دار القاهرة للكتاب،2002م،ص،44.

[3]- نفسه،ص،65.

[4]- شبل إبراهيم عبيد،**مرجع سابق**،ص،74.

"لصاحبه السعادة والسلامة وطول العمر ماناحت حمامة

وعز دائم لاذل فيه وإقبال دائم إلى يوم القيامه "[1]

كما كتبت على بعض الأواني النحاسية والتحف المعدنية بعض الألقاب الفخرية للأمراء والسلاطين التيموريين،وكلها تعبر على مكانة وسلطة ونفوذ الشخص المراد تخليده وذكره،ومنها كلمة بهادر التي وردت على قاعدة شمعدان من العصر التيموري بصيغة السلطان ابو النصر حسين بهادركما نجد في بعض التحف الفنية لقب كوركان ،وهو لفظ أعجمي أضيف لمجموعة الألقاب التي عرف بها تيمورلنك،وقد ظل هذا اللقب مقتصرا على تيمورلنك دون غيره من أفراد الأسرة التيمورية،وقد ورد هذا اللفظ على شمعدان من النحاس الأصفر يعود إلى القرن التاسع الهجري،الخامس عشر الميلادي بصيغة "قطب الدين والدنيا ، أمير تيمور كوركان،خلد الله ملكه[2].

إن شيوع فن الزخرفة على التحف المعدنية في العصر التيموري، إنما يعود بشكل خاص إلى التأثيرات الإيرانية القوية التي عرفها عصر التيموريين في مختلف الفنون والثقافات

وقد أشرت في مواضع متعددة من هذا العمل أن حضارة التيموريين أخذت بشكل واسع من التراث الفارسي الذي أسهم بشكل قوي في تراث الحضارة الإسلامية، أما عن إنتشار الزخرفة الإيرانية على مختلف التحف والمعادن والأواني المختلفة إنما يعود إلى نهاية القرن السادس الهجري،وبداية القرن السابع الهجري،نهاية القرن الثاني عشر الميلادي،وبداية القرن الثالث عشر الميلادي[3]،حيث إنتشر هذا الفن على نطاق واسع،كما أن الكثير من المتاحف العالمية تعج بأنواع متعددة من التحف المعدنية التي تعود إلى تلك الفترة.

---

[1]- يقصد به آخر السلاطين التيموريين حسين بايقرا الذي حكم من 875هـ،911هـ،1470م،1505م،أما كلمة بهادر ،فهي كلمة تركية مغولية الأصل،أما المعنى الأصلي لها ،فتعنى المقدام او الشجاع،ثم أصبحت لقبل يطلق للتشريف في بلاط المغول العظام،ومن بعدهم أخذ التيمويين لقب بهادر،انظر:شبل إبراهيم عبيد،مرجع سابق،ص،ص116،115.

[2]- شبل إبراهيم عبيد،**مرجع سابق**،ص،44.

[3]-إيمان محمد إبراهيم عرفة،**الحياة الثقافية في بلاط السلطان حسين بايقرا**،رسالة ماجستير ،جامعة القاهرة ،كلية الأداب 1987م،ص،74.

تعد إيران أو بلاد فارس من أكثر المناطق التي نالت شهرة واسعة في صناعة التحف المعدنية قبل الإسلام وبعده[1]،ويعود ذلك لوفرة مناجم النحاس والفضة والقصدير،وقدشهد عصر التيموريين إستمرار عملية الإهتمام بإستخراج هذه المعادن وإستعمالها في مختلف التحف الفنية، إذ يعد العصر التيموري من أزهي العصور الاسلامية في إنتاج المعادن، التي إمتازت باناقة والذوق والجمال[2]، وذلك من خلال تعدد الأشكال الهندسية والزخارف المتنوعةالتي إنتهت إلى تشكيل أنواع من التحف تحمل الكثير من الأشعار والعبارات الدعائية والإجتماعية وحتى بعض الأدعية.

إعتمد فيها الفنان التيموري على ما ورثه من أسلافه إلا أن زاد عملية الإنتاج جمالا ودقة ،وقد إعتمد الفنان التيموري على أسلوبين في إنتاج مختلف التحف وذلك بالإعتماد على:

-**أسلوب التكفيت**: وهو عملية تطبيق وتطعيم التحف المعدنية بالذهب والفضة والنحاس الأصفر،وهو أسلوب فني نشأ عند الصناع المسلمين في إيران والجزيرة العربية[3].

بلغ درجة الدقة والإتقان في منتصف القرن السادس الهجري،الثاني عشر الميلادي، وإزدهر على نطاق واسع في عصر التيموريين، أما عملية التكفيت فتتم بعد أن تتم عملية رسم الزخارف الكتابية المطلوبة على التحفة المعدنية[4]، إذ تحفر هذه الرسوم حفرا عميقا بالة حادة تملأ المناطق المحفورة بمادة معدنية تكون أغلى قيمة من المادة الأصلية التي صنعت منها التحفة، أما عملية الكفت فتكون على طريقتين، أما إستعمال رقائق تستعمل في تغطية المناطق الكبيرة والعريضة، أما الثانية فهي عبارة عن إستعمال أسلاك رقيقة لتغطية وزخرفة الأجزاء والكتابات الضيقة،وتتم عملية إنزال المادتين في كلتا العمليتين وفق أسلوب الدق.

---

[1]- معوض أحمد ،**ألوان من الشعر الفارسي**،ط1،القاهرة ،1983م،ص،169.

[2]- زكي محمد حسن ،**فنون الإسلام**،ط1،القاهرة ،1948م،ص،530.

[3]-عرفة إيمان ،**مرجع سابق**،ص،74.

[4]-حسين عبد الرحيم عليوة ،**الكتابات الأثرية العربية دراسة في الشكل والمضمون**،ط1،القاهرة،دت،ص،43،حاشية،54.

-حسين عبد الرحيم عليوة،**المعادن**،إشراف حسن الباشا وأخرون ،كتاب القاهرة،تاريخها وفنونها وآثارها،القاهرة،1970، ص،374.

-**طرقية الحز**:يتمثل هذا الأسلوب فيإستعمال طريقة الحز عن طريق إحداث نقوش كتابية خفيفة في التحفة المعدنية وفق الرسم والشكل والكتابة المطلوبة وذلك عن طريق إستعمال آلة مدببة[1]،يتم بواسطتها إحداث نقوش على المعدن ومن ثم يتم كتابة ما يريد الفنان أن يحدثه على تلك التحفة.

عمل التيموريين على تطوير مختلف الزخارف ، يمكن أن نذكر عنصرا آخر من عناصر الزخرفة المتمثل في الزخرفة الجدارية ، خاصة وأن هذا الفن إرتبط بعنصر أساسي يتمثل في تطور العمارة التيمورية التي حرص السلاطين التيموريين على الإهتمام بها ورعايتهاخاصة في عهد تيمورلنك وحفيده إلغ بك..

وما يمكن الإشارة إليها أن الزخرفة الجدارية في العصر التيموري إرتكزت على العناصر الزخرفية التي عرفها السلاجقة وبعدهم المغول ، خاصة بعد أن إعتنقوا الإسلام في عهد الإيلخانيين في إيران،إذ ظهر تجديد في أسلوب الزخرفة حيث شاع في هذه الفترة إستعمال المقرصنات[2]، وتعتبر المقرصنات أو ما يعرف بالديالان وهي عبارةزخارف معمارية تشبه خلايا النحل تكون مدلاة في طبقات مصفوفة فوق بعضها البعض، ويستخدم في الزخرفة الجدارية مبدأ التدرج من خلال الإنتقال من شكل لآخر،وعادة ما كان يستعمل هذا النموذج الفني على مختلف العمائر التيمورية.

كما تستحدم الزخارف الجدارية على الأسطح وفي أسفل حجرات المؤذن وفي المنارات[1]أما في العصر التيموري فإن المقرصنات صارت تمثل بأكثر من خلية مستقلة في عملية البناء، وعلى الرغم من إنتشار المقرصنات إلا أن التغطية بالجص صارت من الأساليب المفضلة في العصر المغولي وبعده العصر التيموري، وقد ظهر هذا الأسلوب خاصة في محاريب المساجد والأضرحة[3].

إعتمد الفنان التيموري الأسلوبالسلجوقي في عملية النحت، وتطور هذا الأسلوب في العصر التيموري بشكل واسع من خلال إنتاج أشكال متعددة بلغ درجة الإزدهار وحتى الإفراط في العصر

[1]-حنان عبد الفتاح مطاوع،**مرجع سابق**،ص،23.
[2]-نفسه،ص،23.
[3]-نفسه،ص،28.

التيموري، حتى الزخارف الجدارية وإستعمال الجص كسوة جديدة قضت على أشكال الزخرفة القديمة،مشكلة نماذج جديدة يطغى عليها التوافق والإنسجام، وتتوزع فيها مختلف العناصر والألوان[1].

ويمكن القول أن الزخارف بأساليبها المختلفة سواءا النباتية أو الهندسيه أو الكتابيه أو الجدارية،كان لها دور كبير في تطور الفنون الإسلامية في العصر التيموري[2]،خاصة بعد أن ساهمت هذه العناصر بشكل أو بأخر من أشكال الإبداع خاصة في ظل حركة التطور التي عرفها عصر التميوريين من خلال بناء مختلف العمائر الفنية.

4-تجليد الكتب:

إكتسى الكتاب أهمية بالغة في حياة الشعوب والأمم منذ القدم، بإختلاف عقائدها ومللها ونحلها،ولغاتها ومشاربها الثقافية والدينية، فكان الكتاب المرآة العاكسة التي تنقل إلى الأجيال اللاحقة،ما كان عليه الأسلاف والشعوب الآخرى، فهو تصوير بليغ لنمط حياتها،يعبر عن مختلف المفاهيم والأفكار والقيم والمعارف وهو في نفس الوقت توثيق علمي ناتج عن عصارة العقل البشري،يحمل في ثناياه الكثير من الحقائق عن حياة الأفراد والشعوب والأمم.

مجدت الرسالة الخالدة العلم وأهل ، ودعى الإسلام الإنسان إلى العلم وحبب فيه وفضل العا لم على من لايعلم،فأعطى بذلك للعقل الصدارة والمكانة اللازمة في حياة الفرد والمجتمع،ولما كان العلم والتعليم أولية في حياة المسلمين ،كان من الضروى أن تحاط المعرفة بكل قيم الرعاية والإهتمام من خلال بناء المدارس والمساجد وتشجيع حلقات الذكر فعمل بذلك ولاة الأمر وغيرهم على إعطاء كل الرعاية للعلم ورجاله.

يعتبر القرآن الكريم أول كتاب في تارخ الحضارة الإسلامية،لذلك كان الإهتمام به أكثر من ضرورة حتمية،لذلك كان سعى الخلفاء في بداية الأمر إلى جمع القرآن وحفظه،من هنا كان جمع القرآن

---

[1]-سعيد عبد الفتاح،**مرجع سابق**،ص،449.

[2]- عفاف صبرة،نجوى كيرة،**مرجع سابق**،ص،287-290.

ضرورة ملحة دعت إليه الحاجة حتى لايضيع،فزيادة على جمعه من صدور الحفظه،فإنه جمع أيضا من مواد مختلفة كانت تكتب عليها الآيات القرأنية[1].

يذكر جلال الدين السيوطى في كتابه الموسوم"بالإتقان في علوم القرآن[2]،إذ يقول أن القرآن الكريم كان على مواد مختلفة ويقول في ذلك "وقد جمع القرآن من العسب،واللحاف والرقاع وقطع الأيم،والأكتاف،والأخشاب[3].

ظل القرآن في تاريخ الحضارة الإسلامية محل تقديس،لذلك عمل المسلمون في كل مراحل التاريخ الإسلامي على حفظه ورعايته من التلف والضياع ،ثم في وقت لاحق على تجليده وتزويقه، من هنا ظهرت عملية رعاية القرآن بصفة خاصة والكتاب بصفة عامه لما يمثله من قيمة مادية ومعنويه.

الراجح أن فن التجليد ظهر في إديرة الكتب المصرية، فإنطلق من أقباط مصر ،وإنتشر فيما بعد بين قبائل الأيغور الذين عملوا على نقل ذلك الفن إلى الصين[4]،وهنا لا نغفل الدور الذي لعبنه النساطرة في نقل ذلك الفن إلى معظم البلاد التي دخلوها كفارس والعراق وغيرها، أما في باقى المناطق فكانت المسيحية منتشرة كماهو في بلاد الشام والحبشة.

عرف فن التجليد في البلاد الإسلامية رعاية خاصة ، فبدأ في بداية الأمر كضرورة ملحة للحفاظ على القرآن الكريم، ثم تحول مع العصور اللاحقة إلى حالة إبداعية،ترتبط بقيم الجمال والمتعة، فأصبح بذلك تجليد الكتب قيمة فنيه تعكس فن قائم بذاته، استطاع أن يخضع فنون أخرى لتساهم في عملية تطويره، فأصبح كلا من التصوير وفن الخط،وفن التذهيب كلها تساهم في فن التجليد[5].

---

[1]- العلم وأهميته في حياة المجتمعات البشرية ظل محل تقديس وسعى دؤوب من أجل تحصيل المعرفة،وفي كل الحضارات الإنسانية رافق العلم الإنسان،أما في الحضارة الإسلامية،فهناك دعوة صريحة للعلم ،فكان أول ما نرل من الفرأن يدعو الى القراءة والعلم،"سورة العلق"،وقد عمل المسلمون على رعاية العلم والعلماء،في كل المراحل المتعاقبة.

[2]- جلال الدين السيوطي ،**الإتقان في علوم القرأن**،تح،شعيب الأرناؤوط،تع،مصطفى شيخ مصطفى،مؤسسة الرسالة،ط1429،1هـ،2008م،ص،132. ،

[3]- نفسه،ص،132.

[4]- سامح فكري طه البنا،**مرجع سابق**،ص،102.

[5]- نفسه،ص،133.

عرف فن تجليد الكتب عصره الذهبي دون شك خلال حكم التيموريين الذين أحاطوه هذا الفن بكل أدوات الرعاية والإهتمام[1]، ولم يكن الإهتمام بهذا في حقيقة الأمر وليد تلك المرحلة إنما يمتد في عمق تاريخ الحضارة الإسلامية.

يعتبر كثير من المؤرخين أنه من بين العوامل الأساسة التي أدت الى تجليد الكتاب والقرآن على وجه الخصوص ، حروب الردة التي قامت في عهد أبي بكر الصديق ضد مانعي الزكاة، وكان من نتائجها إستشهاد عدد معتبر من حفظة القرآن، ومن هنا ظهرت فكرة جمع القرآن حتى لا تختلط آياته وبذلك يعد القرآن الكريم أول كتاب في الحضارة الإسلامية[2].

أما في العصور الإسلامية الأخرى خاصة العصر الأموي وبعده العصر العباسي فإن رعاية الكتاب أخذت الصدارة والإهتمام،وبدرجة قصوى خلال العصر العباسي الأول عصر إزدهار المعرفة والترجمة، فقد أعطى هارون الرشيد وخلفاءه من بعده رعاية الكتاب عموما وفن التجليد على وجه الخصوص مكانة رفيعة[3].

نجد إشارت متعددة عند كثير من الجغرافيين والمؤرخين الذين كتبوا أو أشاروا إلى إنتشار فن التجليد أو صنعة التجليد في البلاد الإسلامية، خاصة مع إزدهار صناعة الورق،وإنتشار الكتابة على نطاق واسع، وإزدهار الحركة الفكرية والعلمية، وخاصة عملية ترجمة الكتب المختلفة في الطب والفلك والشعر والأدب[4].

يذكر المقدسي الذي إمتهن صنعة التجليد أن مصر كانت تتميز باديم جيد صبور على الماء[1]، وهوما يعنى أن المصريين كانوا على دراية بهذا الفن الذي عرفوه منذ أمد طويل إضافة إلى وجود مواد جيدة تستعمل في عملية التجليد.

[1]- عفاف صبرة،نجوى كيرة،**مرجع سابق**،ص،285.

[2]- يعتبر القرآن الكريم أول كتاب في تاريخ الحضارة الإسلامية ،ومنه بدأ الإهتمام ببقية الكتب الآخرى لما تمثله من قيمة معرفية في تاريخ الحضارة الإسلامية

[3]- عصر إزدهار الكتاب من خلال عدد كبير من الآدباء والشعراء والكتاب والكتب المترجمة من لغات مختلفة إلى اللغة العربية

[4]-أحمد فريد رفاعي،**عصر المأمون**،مجلدان،ط2،دار الكتب المصرية،1346هـ،1927م،ص،11،وما بعدها.

ونفس الإشارات وجدناها عند كثير من المؤرخين والجغرافيين والأدباء ومنهم الجاحظ الذي يشير في كتابه التبصر بالتجارة أن الدباغة كانت منتشرة بشكل واسع في العراق ، وكان أهلها يعرفون الدارش،واللكاء[1]، وهي مواد تستعمل في عملية التجليد، أما المقريزي فيذكر في خططه أن بيت الحكمة خصص في ميزانيته بندا يتكفل بالكتب التي تتعرض للتلف ،يقول في ذلك "خصصت بندا لرمرمة ما عساه أن يتقطع من الكتب وما عساه أن يتقطع من ورقها[2].

بلغ حرص الخلفاء على المعرفة والكتاب في كل العصور الإسلامية درجة بالغة ،فالخليفة هارون الرشيد عرف عهده انتشار صناعة الورق القادمة من الصين بشكل واسع في العالم الإسلامي ، كما أن بيت الحكمة عملت على ترجمة الكثير من المؤلفات القديمة في شتى العلوم ونقلها إلى اللغة العربية[4] ،مما زاد من قيمة الكتاب عند العامة والخاصة على جد السواء وكان الخلفاء ينزلون أهل العلم منزلة لائقة[3].

ساهمت عدة عوامل في تطور فن التجليد حتى القرن الخامس الهجري،الحادي عشر الميلادي، ومنها عوامل سياية وإقتصادية وإجتماعية، لذلك فإن كثير من الكتب تحدثت عن إنتشار هذه الصنعة،ككتب التاريخ والتراجم والأدب والبلدان والإنشا وغيرها.

ساهمت عدة عوامل في تطور فن التجليد حتى القرن الخامس الهجري،الحادي عشر الميلادي،ومنها عوامل سياية واقتصادية واجتماعية،لذلك فان كثير من الكتب تحدثت عن انتشار هذه الصنعة،ككتب التاريخ والتراجم والادب والبلدان والانشا وغيرها.

لم يخالف التيموريين التقاليد الاسلامية في رعاية العلم واهله،والاهتمام بالمؤلفات والمؤلفين،صحيح أن مؤسس الدولة التيمورية، لم تكن رعايته لهذا الجانب كرعاية خلفاءه، لأنه كان

---

[1]- المقدسى،**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ،ص،2031

[2]- الدارش هو الجلد الأسود واللكاء هو الجلد الأسود المصبوغ باللك ،للمزيد أنظر :

ابي عثمان عمرو بن بحر البصرى الجاحظ،**التبصر بالتجارة في وصف ما يستطرف من البدان من الآمتعة الرفيعة،والآعلاق النفيسة والجواهر الثمينة**،تص،تع،حسن حسنى عبد الوهاب،ط2،المطبعة الرحمانية بمصر،1354ه،1935م،ص،40.

[3]- بقي الدين ابو العباس احمد بن علي المقريزي ،**المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والإثار**، تحقيق محمد زينهم،ومديحة الشرقاوى،ط1، ج2،مكتبة مدبولى،القاهرة،ص،503.

منشغلا بالحروب والتوسع أكثر من أي أمر آخر، إلا أنه يعد أول من أرسى ذلك الإهتمام الفكري والحضاري في أسلافه،فأبدعوا في التكفل في هذ الأمر،ولم يكن فن التجليد إلا جزءا من ذلك الإهتمام الكبير الذي أحيطت به مختلف الفنون الأخرى[1].

مر فن التجليد عند المسلمين بأدوار مختلفة استطاع فيها الفنان المسلم أن يبدع مستغلا تأثير العوامل السياسية والإقتصادية في تطوير هذا الفن، ومن إستطاع التيموريون أن يجمعوا خلاصة تجارب الأمم الإسلامية في فن التجليد المملوكي ، خاصة بعد أن عمل تيمورلنك في كل حملة عسكرية ناجحة على نقل المهرة من الفنانين والصناع والمهرة فور عودته إلى سمرقند، ولم تشذ حملته على دمشق وحلب عن هذه القاعدة فكان من بين غنائهم هؤلاء المهرة،الذين عادة ما يكونون أكثر الناجين من حملاته العسكرية[2].

يدين إنتشار فن التجليد في العصر التيموري دون شك إلى مدينة هراة ،التي صارت خلال القرن التاسع الهجري ،تمثل المركز الفني والثقافي في عصر التيموريين ،وبخاصة في عهد اللسطان شاهرخ ،والسلطان بايسنقر، الذي عمل على إنشاء مدرسة هراة الفنية[3] ، التي استمر عمرها الفني طويلا إذ لم تفقد دورها إلا مع سقوط مدينة هراة على أيدى الصفويين سنة913هـ،1507م،وكانت تضم هذه المدرسة مكتبة ومجمعا للفنون ،جمع فيه خيرة فناني إيران من خطاطين ومجلدين ومذهبين وغيرهم[4] .

---

[1]-أبو الحمد فرغلي،**التصوير في الإسلام**،ص،188.

[2]- القول أن مجلدي مصر كانوا من بين من أخذوا إلى سمرقند فيه نوع من المبالغة لأن تيمورلنك لم يخض معاركه مع المماليك إلا في بلاد الشام التي سقطت تحت سلطانه،أما عن وجود مجلدين مصريين في المدرسة التيمورية ،لم تذكر المصادر هذه الأسماء ،حتى أن المجلدين من هراة لم يكن لهم ذكرا واضحا في المصادر التاريخية ،وقد يكزن الأمر مرتبط بحالة الرخاء الفني التي عرفتها الفنون الأخرى مما جعل حظ المجلدين في الشهرة قليل.

[3]- عفاف صبرة،نجوى كيرة،**مرجع سابق**،ص،287،.

[4]- من بين أشهر الفنانين الذين ضمهم المجمع الفني لمدينة هراة،ومنهم سيد أحمد النقاش،خواجة علي المصور،وقوام الدين المجلد،وفريد جعفر كبير الخطاطين.

لعبت المدارس الفنية إلى إقامها التيموريين خاصة في هراة، وبعض المدن الأخرى دورا هاما في فن التجليد الذي بدأ معتمدا على في بداية الأمر على تجربة المماليك، إلا أنه سرعان ما أخذ الهوية الفارسية.

أما عن عوامل الإهتمام الكبير لهذا الفن وانتشاره في عهد التموريين ، إنما يرجع إلى مجموعة من الأسباب، يأتي في مقدمتها المنافسة ،سواء بين الحكام التيموريين أنفسهم ،أو بين أهل الإختصاص،فكثيرا ما كان يعمل الفنانون على إستعراض مواهبهم وإبداعاتهم حتى تكون المرتبة المميزة لدي الحكام، أما شكل التنافس الثاني،فهو ذلك الذي كان بين المدن ،صحيح أن مدينة هراة كانت تمثل القلب النابض لهذ الفن،لكن مدن مثل بلخ،ونيسابور، ومشهد وتبريز وأصفهان، وشيراز وغيرها لم تكن بإستطاعتها عن تتنازل عن دورها الفني بسهولة ، فبقيت تقاوم عسى أن تسترجع بعض ما فقدته من أهمية.

يضاف إلى ذلك الرقابة التي عادة ما كان يمثلها الحكام أنفسهم، الذين كان حرصهم شديد على أن يكون كل عمل فيه مسحة إبداعية، وفي الأخير الحس الفني وبراعة المجلدين[1]، لأن الفن هو دائما مرتبط بوجدان المبدع فهو يعبر من خلال فنه عن مختلف أحاسيسه، وكان في نهاية الأمر أن أنتجت مدرسة هراة نماذج من الكتب المجلدة[2]،تتميز بدقة الزخرفة،والخط الجميل،والجلود الرفيعة[3].

يعتبر العصر التيموري العصر الذهبي لفن تجليد الكتب، حيث إبتكرت أساليب فنية،وأخرى صناعية لم تكن مألوفة في السابق، وأصبح الفنان الفارسي يبتكر أساليب جديدة تختلفبشكل واضح عن الأساليب المعروضة سابقا، مستعينا بالتراث الفارسي من جهة ، ومن جهة أخرى متأثرا ببعض الأساليب الفنية الأخرى ،خاصة تلك القادمة من المدرسة الصينية.

[1]-إعتماد يوسف القيصري،**فن التجليد عند المسلمين**،دط،المؤسسة العامة للتراث والأثار،بغداد،1979م،ص،54.

[2]- نفسه،ص،53.

[3]- نفسه،ص،53.

كما يمكن أن نلمس ذلك من خلال ظهور تصميمات جديدة،خاصة تصميم المناظر الطبيعية على الجلود[1].

لم يقتصر فن التجليد في العصر التيموري على المصاحف ، بل أن إهتمام الفنان المسلم تعدى ذلك ليشمل مختلف المخطوطات الأدبية والعلمية والتاريخية،وقد اشتملت هذه المخوطات على معارف أدبية كفن القصص والأشعار والمقامات، أما أن المخطوطات العلمية ،ركزت على الفلك والرياضيات والطب،ثم المخطوطات التاريخية،حيث حرص الأمراء التيموريين أن يسجلوا تاريخهم وبطولتهم ومعاركهم،ومن هنا صارت هذه المخطوطات تحمل قيمة معرفية وفكرية،كما حرص التيموريون على إعطاءها القيمة الفنية،وذلك من خلال تجليد تلك المخطوطات بأنواع جيدة من الجلد الفاخر، ومزينة في الغالب بأنواع رائعة من الصور التي أبدع المصورون في إخراجها في حلة جيدة تعكس حالة التطور الفني والإبداعي في تلك المرحلة[2].

نالت المخطوطات التاريخية النصيب الأوفرفي فن التجليد في مختلف العصور الإسلامية،فجمعت بذلك بين القيمة العلمية والأدبية والتاريخية والفنية، من أكثر المخطوطات التاريخية التي كان لها الحظ الأوفر في التجليد وإعادة التجليد عدة مرات، هي مخطوطة الشاهنامة للفردوسي[3].

---

[1]- من الدراسات الحديثة التي تناولت موضوع فن التجليد يمكن الإشارة إلى رسالة ماجستير من كلية الآثار بجامعة القاهرة ،تناول صاحبها بأسهاب فن التجليد في العصر التيموري،معتمدا على مخطوطات مجموعات متاحف القاهرة،ودار الكتب المصرية،للمزيد أنظر:

[2]- سامح فكري طه البنا،**فن التجليد في العصر التيموري**،(**771هـ،912هـ—1377م،1506م**)،في ضوء مجموعات متاحف القاهرة،ودار الكتب المصرية،ءسالة ماجستير،إشراف أبو الحمد محمود فرغلي،مج1،كلية الآثار،جامعة القاهرة،1424هـ،2003م.28.

للمزيد حول فن التجليد في العصر التيموري أنظر:

سامح فكري طه البنا،**تجليد المخطوطات في العصور الاسلامية،العصر التيموري**،ط1،دار الكتاب العربي الحديث،2011.

[3]- ملحمة ادبية وتاريخية في الأدب والتاريخ الفارسي،تعد من أشهر المخطوطات التي حظيت برعاية فائقة من المبدعين واهل الفن مصورين ومجلدين ومذهبي،وهي عبارة عن أكثر من خمسين ألف بيت شعري،أتمها أبو القاسم الفردوسي سنة 400هـ،1010م،وأهداها للسلطان الغزنوي محمود الغزنوي،سجل فيها مختلف أمجاد وأساطير الفرس وتاريخهم منذ أقدم العصور إلى تلك المرحلة في أسلوب شعري ذو طابع قصصى،وهي بصفة عامة تعنى بأخبار ملوك الفرس وتاريخهم وحروبهم،للمزيد عن الشاهنامة والفردوسي ،أنظر:براون ،مرجع سابق،ص،152،وما بعدها.

حظيت الشاهنامة في الترات الفارسي بقيمة عظمى حتى أطلق عليها ،"قرآن العجم"[1]،ونظر لأن المخطوط نسخ عدة مرات، إلا أن يجب الإشارة إلى ثلاثة نماذج منها تيسر لنا الإطلاع عليها من خلال ما كتبته بعض المصادرو المراجع،ومنها شاهنامة الفردوسي ، تاريخ المخطوط يعود إلى سنة 823هـ،1420م،للناسخ محمود الكاتب الحسيني والموجودة بالمكتبة البودلية باكسفورد[2]،والثانية شاهنامة تيمورلنك،ملحمة تيمورلنك،تاريخ المخطوط سنة800هـ،1397م،للناسخ محمد بن سعد الحافظ القارئ والموجودة بالمتحف البريطاني في لندن[3]،والثالثة موجودة بدار الكتب المصرية ،مؤرخة سنة844هـ،1441م،للناسخ محمد السمرقندي[4]، وبصفة عامة فإن النماذج الثلاث تعود كلها إلى بداية القرن التاسع الهجري،الخامس عشر الميلادي.

ما تجب الإشارة إليه في هذا العمل أن فن التجليد الذي عرف عصره الذهبي في العصر التيموري، إرتبط بتطور فن آخر وهو فن التصوير ، إذ عرفت إيران في هذه الفترة أزهى العصور الإسلامية في مختلف الفنون ومنها فنا التجليد والتصوير ،فإنتجت بذلك مدرسة التصوير في هراة أروع المخطوطات المجلدة التي أضافت إلى قيمتها الأدبية والتاريخية قيمة فنية ،عكست تلك الرعاية التي أولها التيموريين لمختلف الفنون،فكان عصرهم عصر الرخاء والتطور.

إجمالا يمكن القول أن النهضة الفنية التي عرف عصر التيمريين ، إنما يعود إلى تلك الرعاية بداه تيمورلنك،وأكملها خلفائه في السهر والحرص على أن تتحول المدن التيمورية قبلة لمختلف الفنون، أنشات المدارس الفنية وكانت مدينة هراة اهم تلك المدن التي جعل منها التيموريين خاصة شاهرخ وحسين بايقرا بحق مدينة الفن والإبداع دون منازعة، وإذا كان العمل قد إقتصر على بعض الفنون ،

1- عبد الله عزام،**الشاهنامة**،تر،الفتح بن علي البنداري،مطبعة دار الكتب والوثائق القومية،2010م،ص،25 .

2- حسن الباشا ،**التصوير الاسلامي في العصور الوسطى**،مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي،1992م/ص،36.

3-أبو الحمد فرغلي،**التصوير الاسلامي**،ص،246.

4-أبو الحمد فرغلي ،**روائع المخطوطات الفارسية المصورة بدار الكتب المصرية**،دط،مطبعة دار الكتب المصرية،2010م ،ص،49.

كالتصوير وبعض الفنون التطبيقية،كالزخرفة بأنواعها المختلفة، وفن التجليد إلا أن ذلك لم يمنع من قيام مظاهر فنية أخرى عكست حالة التطور العام الذي عرفه عصر التيموريين.

بقيت المدن الفارسية في عهد التيموريين وفية لتقاليدها الفنية، ففي مجال التصوير حافظت على ريادتها لهذا الفن منذ العصر السلجوقي[1]، وأنتجت المدرسة التيمورية بذلك كبار المصورين،ويأتي في مقدمتهم بهزاد وقاسم علي وغيرهم،والمئات من الكتب المصورة،وفي

مجال الزخرفة إستطاعت المدرسة التيمورية ممثلة في كثير من المدن الفارسية أن تستمر في الإبداع خاصة في مجال الكتابة على المعادن،أما عن فن التجليد في العصور الإسلامية،فقد بلغ عصره الذهبي في عصر التيموريين[2]

ولما كانت الفنون وليدة مشاعرالأمم وإحتاجاتها ومعتقداتها على حد تعبير غوستاف لوبون في كتابهتاريخ العرب[3]، فأثار الفن تدل دلالة صحيحة على أحوال الزمن التي أبدعت فيه،ولكل جيل فنونه وإحتاجاته وأدابه،وكل مجتمع يملك القدرة على الإبداع الفني لكي يعبر عن واقعه بكل جوانبه المختلفة.

تلك هي رحلة فنية حاولت أن أقف عندها عند ذلك التطور الفني الذي مثلته المدرسة الفنية التيمورية والتي نالت إهتمام المدارس الغربية من خلال كتابات المستشرقين الذين وسموا تلك المرحلة بمرحلة الفن التيموري، بإعتباره أنه يمثل نموذجا مختلفا ، أكثر تطورا وإبداعا وفي مختلف حقول الفن.

[1]-إيمان محمد إبراهيم عرفة،**مدخل إلى تاريخ إيران منذ الغزو المغولي حتى نهاية العصر التيموري مع نصوصتطبيقية**،دط،دار الثقافة العربية،2013م،ص،75

[2]--سامي نوار،**فن صناعة المخطوط الفارسي**،ط1،دار الوفاء للطباعة والنشر الإسكندرية،2002م،ص،81.

[3]- غوستاف لوبون،**تاريخ العرب**،تر،عادل زعيتر،ص،512.

الفصل الرابع

الحياة الفكرية والأدبيةو العلمية في العصر التيموري

إرتكزت الحياة الفكرية والأدبية في العصر التيموري ،على ما خلفته الحضارة الإسلامية التي سبقت الفترة التيمورية،خاصة أرث السلاجقة،بإعتبارهم يتقاطعون معهم في الأصول العرقية،وأيضا من خلال تواجدهم في نفس المنطقة الجغرافية ، إضافة إلى الدور الذى لعبه السلاجقة في تطور العلوم والمعارف المختلفة، لذلك تأثرالتيموريين بالمفاهيم الفكرية وحتى المعمارية التى عرفها التيموريين، ورغم كل هذا لايمكن أن نغفل الأرث الفارسي الذي إستند عليه التيموريين بشكل بارز خاصة الفترة المتأخرة التي كانت فيها إيران تحت حكم المغول[1]، إذ تم في هذه الفترة تأليف الكثير من المؤلفات التى كانت مؤثرة جدا فيما أنتجه التموريين لاحقا.

تشير الكثير من الدراسات إلى إزدهار حركة التأليف الأدبي والفكري في إيران، ويمكن هنا الإشارة إلىبعضها،في حقول متعددة من المعرفة،فبرع في الشعر كل من" فريد الدين العطار[2]،وجلال الدينالرومي[3]،والفردوسي[4]،وسعدي الشيرارزي"،وغيرهم ونجد في التاريخ الجويني،وبعده رشيد الدين الهمذاني[5]، ودون أن نغفل مجالات أخرى من المعرفة كالتفسير وعلوم القرآن والحديث وغيره، وإذا قلنا أن الحياة الأدبية والفكرية في العصر التيموري إعتمدت بشكل خاص على التراث الفارسي ، فهذا يعني بالضرورة أنها نهلت من التراث العربي بحكم الصلة الوثيقة بين الأدب الفارسي والأدب

1-أرمينيوس فامبري،**تاريخ بخارى**،ص،178.

2- كتب براون في كتابه تاريخ الأدب في إيران بشكل مفصل عن هؤلاء الشعراء ودورهم،أنظر:

ادوارد جرانفيل براون ،**تاريخ الادب الفارسى من الفردوسى الى السعدى**،تر،ابراهيم امين الشواربى،ط2،مكتبة الثقافة الدينية،1428ه2007م،ص،642—645.

3- عرفت إيران نهضه فكرية وأدبية وفنية مميزة خاصة في فترة حكم الإيلخانات،إذ ازدهرت حركة التأليف والكتابة بشكل واسع،ولعل من الكتابات الجديرة بالذكر ما كتبه المؤرخ الجويني في كتابه تاريخ جانكشاي ، وبعده مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين الهمذاني ،الذي يعتبر أهم من أرخ للفترة المغولية بإيران،وقد إعتمد عليه مؤرخو العصر التيموري،ومنهم المؤرخ حافظ ابرو،الذي عاش في الفترة التيمورية،إذ ألف كتاب هو تكملة لما كتبه الهمذاني في كتابه جامح التواريخ،والذي سما ه أبرو ذيل جامع التواريخ،غطى الكتاب الفترة الممتده من 703ه،755ه،يتناول الكتاب الآسر المغولية التى حكمت إيران والعراق بعد وفاة السلطان محمود قازان الإيلخاني،وتكمن أهمية الكتاب في كون المصادر التي إعتمد عليها حافظ أبرو في كتابه قد ضاعت ،فأصبح بذلك المصدر الوحيد لتلك الفترة.

4-براون،**مرجع سابق**،ص،152.

5-الصياد،**مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني**،ص،12،وما بعدها.

العربي،كما لعبت المدن الفارسية دورا بارزا في تطور الفنون والعلوم ، إلا أنها سرعان ما فقدت دورها لصالح المدن التيمورية كهراة وسمرقند.هتشير الكثيرمن الكتابات التاريخية أن مؤسس الدولة التيمورية، لم يكن يعرف القراءة والكتابة[1]،.إلا أن ذلك لم يمنعه من الإهتمام بالعلم والعلماء وذلك من خلال الإهتمام ورعاية أهل العلم والمعرفة، وبناء المدارس وإعطاء الرواتب للموظفيين وغيره، صحيح أن الفضل يرجع إلى تيمورلنك في إشاعة العلم والمعرفة ،إلا أن ثمار ذلك لم تظهر إلا في عهد خلفاءه من الابناء والأحفاد حتى غدت بلاد ماوراء النهر من الأماكن المهمة في العلم والمعرفة ، حتى أن البعض يشبه النهضة الأدبية والفكرية التي عرفها العصر التيموري، بتلك التي قامت في العصر الأموي بالأندلس أو تلك التي إزدهرت خلال العصر العباسي الأول[2].

إرتبط النشاط الفكري والأدبي في العصر التيموري،بمجالات واسعة من المعارف والعلوم، كتفسير القرآن وعلوم الحديث،وفقه اللغة،وكتابة التاريخ وغيره، إلا أنه لابد من إشارة إلى ظاهرة فكرية هامه ليس في العصر التيموري ولكن في معظم العصور الإسلامية وهي انتشار حركة التصوف[3]،وهي بطبيعة الحال تيار فكري له خصائصه،وميز مختلف مراحل الحضارة الإسلامية،والطرق الصوفية كظاهرة فكرية كانت منتشرة في العالم الإسلامي بمختلف مشاربها وأفكارها وروادها، أما في العصر التيموري، فكانت أكثر الطرق الصوفية إنتشارا الطريقة النقشبندية،التي تزعمها بهاء الدين نقشبند في بلاد ما وراء النهر.

---

[1]-أغلب المصادر والمراجع تشير إلى أن تيمور لنك لم يكن يعرف القراءة والكتابة،صحيح أن كن ملما ببعض الحوادث التارييخية،وقد اشار إلى ذلك إبن خلدون خلال لقاءه تيمورلنك بدمشق،وقد تبادل معه أطراف الحديث في كثير من المسائل التاريخية،إلا أن أرمنيوس فامبيرى في كتابه تاريخ بخارى يشير إلى أن تيمورلنك كان يقرأ ويكتب خاصة باللغة التركية،كما أنه بين أيدينا ما يقول صاحبه أنها مذكرات تيمورلنك إلا أنه بعد دراستها لم نصل إلى ما يؤكد حقيقتها،أنظر :أرمنيوس فامبري،مرجع سابق،ص،255.وأيضا :

[2]-أرمنيوس فامبري،**مرجع سابق**،ص،287.

[3]- تعريف التصوف إختلف العلماء في مفهوم الإشتقاق على أقوال مختلفة،يرجح ما إختاره شيخ الإسلام إبن تيمية،والعلامة إبن خلدون،ظهر التصوف في بداية الأمر في الكوفة القريبة من فارس المتاثرة بالفلسفة اليونانية نتيجة حركة الترج.مة التي عرفها العصر العباسي،قسمها العلماء إلى طبقات الأولى اكثرهم فعلى الاستقامة،الثانية أخلطت الزهد بمعتقدات الباطنية،الثالثة أخلطت الزهد بالفلسفة اليونانية.

إنتشر التصوف في بلاد التركستان،في بيئة تسيطر عليها ثقافة الفرس[1]، ولم تكن الطريقة النقشبندية إلا عملية استمرار للطرق الصوفية التي عرفتها المنطقة مع نوع من التجديد في الفكر، وكان من أشهر رجالاتها الذين لعبوا دورا بارزا في آسيا الوسطى وبلاد التركستان،الشيخ بهاء الدين نقشبند،وسعد الدين الكاشغري،وعبيد الله إحراروغيرهم ،الذين أسهموا في تطور الحياة الفكرية والأدبية، وقدتبني الكثير من الأفراد هذه الطريقة خاصة بعض الأدباء والشعراء[2].

ولد الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند البخارى عام 714هـ،1318م، وتوفي سنة 792هـ،1389م، وبذلك فقد عاش فترة لاباس بها في سلطة الغزى المغولى تيمورلنك،أخذ الفقه من أبيه والتصوف من جده، وكان متأثرا بالفكر الفلسفي والمنطق، ولذلك يقول البعض أن إسمها رسم من العلم الإلهى الذي رسم صورا ونقوشا خاصة للخلق الأبدي، لذلك أطلق عليها بالنقشبندية[3]،ونقشبند بالفارسية تعنى النقاش.

وما تجب الإشارة إليه هنا من خلال هذه الطريقة،بروزها كتيار مؤثر في الحياة الفكرية والأدبية عند الكثير من الأدباء والشعراء في العصر التيموري،وقد يتسنى للبعض ذكرهم في هذا العمل، أما الأمرالثاني وهو دورها في نشرالإسلام في منطقة آسيا الوسطى وبلاد ما وراء النهر،أما الأمر الأخير فيتمثل في إرتباطها ببعض الأمراء والسلاطين التموريين،خاصة بعد ان توطدت العلاقة بين زعيمها محمد بارسا،الذي يعد واحدا من أهم رجالات الطريقة النقشبندية،وسار عاى نفس النهج الذي تعلمه من أسلافه النقشبنديين،وقد صار الشيخ على علاقة قوية مع السلطان التيموري شاهرخ، الذي كان هو الآخر من أنصار الطريقة،توفي محمد بارسا سنة 822هـ،1419م.

[1]- بديعة محمد عبد العال،**مرجع سابق**،ص،11،وما بعدها،وأيضا:

موجز دائرة المعارف الإسلامية،**مرجع سابق**،ص،9960.

[2]- بديعة محمد عبد العال،**مرجع سابق**،ص،11 .

[3]- من بين اشهر الطرق الصوفية التي انتشرت في بلاد ما وراء النهر،وهي تنتسب إلى الصوفى الشيخ محمد نقشبند،وقد لقيت إستحسان فئة واسعة من الآدباء والشعراء،كما لقيت تعاطفا كبيرا من طرف الآمراء التيموريين.

لم يقتصر إهتمام التيموريون على الجوانب الحربية،التي هي في الغالب الصورة التي رسمت عند جل المؤرخين، أو طغت على معظم كتاباتهم، إلا أنه يجب الإعتراف أن تلك الحروب الدامية،رغم مرارتها وألمها إلا أنها لم تحجب الجوانب المضيئة في هذا العصرعرف عصر تيمورلنك بروز نهضة شاملة مست جوانب متعددة في الفكر والثقافة والأدب والعمران ورغم أنه كان ميالا أكثر إلى البناء والتشييد إلا أنه ظل راعيا لمختلف المعارف والعلوم وقد برز الكثير من علماء اللغة والنحو وتفسير القرآن وعلوم الحديث وكتابة السير،إلا أنه شخصيا لم يكن مولعا بالشعر كما عرف لدى الكثير من الحكام المسلمين، الذين إهتموا بالشعراء والأدباء وأحاطوهم بالرعاية كما جرى في العهد الأموى وبعده العباسي،حتى أن العصر التيموري ، شهد رعاية واسعة وإهتماما مميزا للشعر والشعراء خاصة عند خلفاء تيمورلنك ، حتى أن البعض منهم كان يقول الشعر، يذكر فامبري أن بعض التيمورين كان لهم باع في قرض الشعر ، كما هو عند إسكندر شيرازي بن عمر شيخ،وخليل ميرزا وكلاهما كانوا يقولان شعرا باللغة التركية والفارسية على حد السواء[1]، إضافة الى أحمد بن ميرانشاه،وهو أحد احفاد تيمورلنك،و الذي ترك مجموعة من المؤلفات خاصة الشعرية منها،حملت إسم لطافت نامة[2].

إذا كان حصر عدد الأدباء والشعراء والمتصوفة في العصر التيموري أمر يصعب القيام به،والبحث فيه إلا أنه تجدر الإشارة إلى بعضهم والذين كان لهم دورا بارزا في العصر التيموري، ممن كان لهم الآثر البارز في تطور الحياة الفكرية والأدبية.

يعد محمد بها الدين نقشبند من أهم رجالات الطريقة النقشبندية في بلاد ما وراء النهر،نظرا للدور الذي لعبه في نشر الإسلام في آسيا الوسطى،ثم علاقته المؤثرة في البلاط التيموري، حتى أن الكثير من الأمراء التيموريين تأثروا بهذه الطريقة ودافعوا عنها.

1-**في الفكر والآدب:** كان الإختيار صعب في تحديد طبيعة العناصر الجديدة بأن تكون محل عرض نموذجي في هذا العمل،فإرتايت أن يكون أحدهم ،ممن يملك قدرا كبيرا من فكر المتصوفة، والآخر

[1]-أرمينيوس فامبري،**مرجع سابق**،ص286.

[2]- نفسه،286

يجمع بين السلطة والفكر ، والآخر بين فكر التصوف والشعروالأدب،فكانت بذلك النماذج المختارة إنما تعبير عن الحالة الفكرية السائدة في عصر التيموريين بصفة عامة.

1-1سيد علي الهمذاني

لعل أشهر المتصوفة الذي كان له دور كبير في انتشار الطريقة النقشبندية، وحظى بمكانة علمية وإجتماعية ليس في آسيا الوسطى فحسب بل في بلاد ما وراء النهر،يمكن ذكر السيد علي الهمداني،ولد بهمذان سنة 714ه،[1]أخذ في بداية حياته يهتم بمختلف العلوم،ولم ينقطع عنها ، وسافر إلى كثير من البلاد الإسلامية في رحلة علم طويلة.

زار خلالها بغداد والشام والحجازوغيرها من البلاد الإسلامية التي أكسبته تحصيلا واسعا للعلم وتعد رخلته إلى شبه القارة الهندية واحدة من أهم رحلات الدعوة الإسلامية، أما عن معارفه فيمكن القول أنه كان ضليعا في اللغة ومختلف العلوم،فكان بذلك مفسرا ومحدثا وفقيها ولغويا ولسانيا وشاعراوخطيبا، ورغم تنقلاته وكثرة أسفاره، إلا أن ذلك لم يمنعه من التأليف والكتابة،إذ ترك بصمة واضحة وأثارا متعددة باللغتين العربية والفارسية، فضلا عن آثار كلامه المنظومة باللغة الفارسية[2].

ألف الهمذاني عدة مؤلفات ذات قيمة علمية وفكرية،خاصة في العقيدة والسيرة والفقه، تحمل معاني كبرى للتصوف،يمكن الإشارة إلى بعضها ومنها شرح الأسماء الحسنى، وهوموجز لشرح أسماء الله الحسنى في نسخة خطية تتكون من تسعون صفحة ،تتواجدبعدة مكتبات في العالم ومنها نسخة بمكتبة ملى بطهران تحت رقم2871، وأخرى بطاجكستان تحمل الرقم 1852، وأخرى بطشقند دون ترقيم[3].

[1]-بديعة محمد عبد العال،**مرجع سابق**.،13.

[2]-قديرة سليم،**السيد علي الهمذاني وخدماته العلمية والفكرية**،مجلة القسم العربي،جامعة البنجاب،لاهور،باكستان، ،العدد،19،2012،ص،144.

وفي الملحق رقم08،ص،304،صورة من كتاب تيمور نامه الذي كتب باللغة الفارسية.

[3]-نفسه،ص،146.

أما الكتاب الآخر فتحت عنوان أسرار النقطة وهو عبارة عن رسالة في التصوف،موجودةبالمكتبة الهندية بلندن تحت رقم1351، وآخربالمتحف البريطاني تحت رقم 406، ونسخة أخيرة بالقاهرة تحت رقم 528،[1].

بصفة عامة يمكن القول أن بلاد التركستان عامة وبلاد ما وراء النهر خاصة ظلت لوقت طويل تحت تأثير الطرق الصوفية[2]، و كانت أهمها خلال القرن الثامن الهجري،الرابع عشر الميلادي،الطريقة النفشبندية، التي كان لها تأثير واسع ليس فقط على مكونات المجتمع إنما حتى على رجال السلطة السياسية،وحتى بعض المؤلفين والكتاب الذين اعتنقوا هذه الطريقة،تشير الكثير من الكتابات التاريخية أن بعض الأمراء التيموريين كانوا يتعاطفون مع رجال الطريقة أما عامة الناس فكانوا يرون في رجال الطريقة مخلصهم من مشاكلهم وهموم الدنيا،من خلال حياة الزهد التي عادة ما ميزت المتصوفيين، كما أن بعض الأدباء والشعراء كانوا مرتبطين برجال الطريقة، ولعل أبرز مثال على ذلك واحد من أبرز شعراء العصر التيموري،وهو عبد الرحمان الجامى[3] الذي كان قريبا من رجال الطريقة مثل سعد الدين الكاشغرى، وعبيد الله أحرار[4].

الحديث عن الحياة الفكرية والأدبية في العصر التيموري مجال واسع لايمكن حصره ،لامن حيث عدد المؤلفين،ولا من حيث عدد المؤلفات ومجالات التأليف،إلا أنه يجب الإشارة إلى بعضها ليس لأنها الأفضل ولكنها تميزت ببصمة واضحة وأثر بالغ على مستوى آسيا الوسطى خاصة والعالم

---

[1]-نفسه،ص،146.

[2]-عرفت بلاد ما وراء النهر الكثير من الطرق الصوفية كالكبراوية و المولوية واليسوية والفاروقية والمجددية الخالدية وغيرها ،أما الطريقة النقشبندية فقد كان انتشارها خلال القرن الثامن الهجري،الرابع عشر الميلادي ،إذ عاصرت فترة حكم التيموريين،كما أنها أثرت في العثمانيين بعد أن تسربت إليهم نتجة الإضطهاد الصفوى خاصة وأن رجال هذه الطريقة على ما تذكر المصادر كانوا أقرب إلى المذهب السنى،وهو المذهب الذي كان عليه العثمانيين ،للمزيد أنظر:

محمد بديعة عبد العال ،**مرجع سابق**،ص20،وما بعدها .

[3]-ياتي الحديث عن الجامي في ثنايا هذا العمل أنظر الصفحة وما بعدها من العمل،ص،197.،وما بعدها.

[4]-خواجة عبيد الله أحرار،أحد أشهر رجالات الطريقة النقشبندية،عالما متصوفا،له عدة مؤلفات منها كتاب تحفة الأحرار،وكتاب الأخلاق الذي يقرأ على نطاق واسع توفى بقرية كيران عام895هـ،1483م،وقد كان على علاقة قوية مع شيخه سعد الدين الكاشغرى،وعبد الرحمان الجامى الذي ربطته به علاقة قوية.

الإسلامي عامة، رغم أن ما كتب طبعته التأثيرات الفارسية وهو أمر مفهوم نظرا لأن الثقافة التيمورية إرتكزت على الإرث الفارسي، وهو أمر أشرت إليه في مقدمة العمل،لكن ما يجب التأكيد عليه أن العلم والعلماء حظيوا برعاية خاصة من الأمراء والوزراء التيموريين خاصة أولئك الذين كانوا يتمتعون بحب وافر للمعرفة ورجالها[1].

رغم أن عصر التيموريين عرف إزدهارا واسعا لمختلف المعارف والعلوم،نظير ما قدمه الحكام لرجال العلم والمعرفة،وبناء دور العلم من مدراس وخوانق وغيرها،منذعهد تيمورلنك،الذي كان متأثرا بالمدينة الإيرانية،مخالطا للعلماء، ومن المعجبين بثقافة إبن خلدون،على تعبير بارتولد[2].

ورغم إهتمام السلاطين التيموريين بحقول المعرفة المتنوعة ورعاية أحوال العلماء والفضلاء ، كالسلطان شاهرخ وإبنه عالم الفلك الغ بك الذي كان يأتيه العلماء والشعراء راغبين[3] ، إلا أن عصر السلطان حسين بايقرا[4] يعد أرقى عصور الفن والثقافة والمعرفة والعلم في الفترة التيمورية،إذ بلغت الحياة الأدبية والفنية والعلمية في عهده درجة متقدمة من التطور،خاصة في فنون الكتابة والتجليد والتذهيب، أما مجال الأدب والشعر الذي يرى فيه البعض أنه لايمكن أن يكون معيارا ومعبرا عن درجة التطور نجده قد بلغ مكانة كبيرة في الحياة الفكرية والإجتماعية في ظل الإعتقاد الذي يرى أن دورهما في المجتمع محدود،إلا أن الحقيقة عكس ذلك تماما ،وليس ثمة مبالغة إذ قلنا أن تطور المعارف والعلوم في عهد السلطان حسين بايقرا[5]،انما يعود الى تلك العلاقة القوية،التي جمعت بين السلطان حسين بايقرا وصديقه الوزير علي شير نوائي، الذي عد أشهر وزراء العصر التيموري، الذين كانت رعايتهما للعلم كبيرة،وإهتمامهما بالعلماء وأهل الفكر والفضلاء تفوق كل وصف.

[1]-عفاف صبرة،نجوى كيرة،**مرجع سابق**،ص،288.

[2]-بارتولد،تاريخ الترك ،ص،295

[3]-بارتولد،**تاريخ الحضارة الإسلامية**،ص،140.

[4]-يأتي ذكره في هذا العمل الصفحة،223.

[5]- عفاف صبرة،**مرجع سابق**،ص، 298.

2-1-الوزير علي شير نوائى

يعد علي شير نوائي من أبرز مفكري وعلماء عصره، إذ جمع بين كثير من المعارف والفنون،فكان راعيا للعلم ورجاله شاعرا مميزا وموسيقيا بارعا، ينتسب إلى عائلة الخطاط باخشى[2]، وهم من قبائل الإيغور الذين رحلوا إلى هراة بعد الغزو المغولي الذي قاده جنكيزخان في قلب آسيا،وكلمة باخشي تعني الكتاب الذين يحررون الوثائق باللغة الإيغورية،نشأ في عائلة مولعة بالقراءة والكتابة، والإيغور كما هو معروف عند شعوب آسيا الوسطى كان لهم فضل كبير في تطور المنطقة في كثير من المجالات المعرفية و الثقافية.

نشأ علي شير نوائي في بيئة علم ومعرفة،تزخر بالعلم والعلماء والمفكرين.محاطا بعناية بالغة من طرف الحكام والسلاطين، وهو ما شجعه أن ينهل من منابع المعرفة،وكانت مدينة هراة المحطة الأولى التي تعلم فيها مبادئ التعليم الأولى،فتعلم فيها اللغة العربية والفارسية، كما حفظ القرآن الكريم،ودرس علوم الحديث والفقه، إضافة إلى العلوم الدنيوية، خاصة الأدب والشعر والفلك والحساب،وهي علوم كان لابد من دراستها ومعرفتها خاصة في العصور الإسلامية، إذ أن المشتغل بميدان العلم، كان عليه أن يلم بمختلف مجالاته[1]، قام علي شير نوائى بعدة رحلات إلى بلاد المشرق الإسلامي أكسبته معارف وعلوم جديدة، كما أهلته أن يطلع على الثقافة العربية، كما ساعدته على الإلتقاء بكثير من الأدباء والشعراء والشخصيات المشهورة في عصره.

إستقر علي شير نوائي فترة لابأس بها في مدينة هراة،إلا أن الإضطرابات التي عرفتها المدينة سنة874هـ،1469م،دفعته للخروج منها، إلا أنه سرعان ما عاد إليها وتحديدا في نفس السنة التي خرج منها،وذلك بعد أن دخلت القوات التيمورية مدينة هراة بقيادة حسين بايقرا،ولاندري هل الطفولة التي جمعت بينها في المدرسة السلطانية[1]، أم ي صار حاكما على إقليم خراسان بداية من 874هـ،1469م،وإمتد حكمه فترة طويلة إلى غاية 912هـ،1504م.

---

[1]- بارتولد،**تاريخ الترك، في اسيا الوسطى**،ص،139.

كان دخول حسين بايقرا مدينة هراة،وإعتلاءه الحكم في إقليم خراسان مرحلة جديدة في تاريخ علي شير نوائى ولاندري هل الطفولة التي جمعت بينها في المدرسة السلطانية ،أم أن السمعة الطيبة التي تمتع بها شاعرنا هي التي فتحت المجال أمامه ليسلك مسارا جديدا في حياته، جعلته يرتقي في سلم المسؤوليات،حتى عينه حسين بايقرا وزيرا له سنة[1].

بالرغم من منصب الوزارة الذي بلغه والمرتبة الإجتماعية التي حظي بها ، إلا أن شخصية الأديب والمثقف ظلت السمة المميزة له والغالبة عليه، ولم تمنعه وظيفته ولا مركزه الإجتماعي، من أن يبقى وفيا للعلم ورجاله ،راعيا ومبدعا،فكانت رعايته للعلم والعلماء حديث الناس عامتهم وخاصتهم، من خلال المساعدات التي قدمها كإعطاء الأرزاق وبناء المدارس،وبناء المساجد والخوانق والحمامات ،وبناء الملاجئ،ومد الجسور، دون أن ننسى الحماية التي حظى بها المثقفون في بلاط الوزير وحضرته[2].

كل هذه الأفعال دلالة قوية على المكانة الرفيعة التي جعلت الوزير يتمتع بكل هذه القيمة الإجتماعية والسياسية في الدولة التيمورية،وقد عبر الكثير من الكتاب والمؤرخين الذين عاصروه على دوره في الحياة الأدبية والفكرية والعلمية في العصر التيموري[3].

أثنى الكثير من الكتاب والمؤرخين الذين عاصروه على دوره في الحياة الأدبية والفكرية والعلمية في العصر التيموري،ومنهم المؤرخ خواند مير[4] الذي ذكر الوزير في كتبه بمختلف عبارات الثناء والمدح،خاصة نظير الرعاية التي حظى بها من قبله، إذ ترك له مكتبته الخاصة لينهل منها،ويستفيد من

[1]-تذكر بعض المصادر التاريخية أن السلطان حسين بايقرا ،والوزير على شير نوائى التقيا في طفولتها ،من خلال دراستها في نفس المدرسة وهي المدرسة الإخلاصية.

[2]-عفاف صبرة،نجوى كيرى،**مرجع سابق**،ص،287.

[3]- من بين المقالات الهامة والجادة التي تناولت الحياة الفكرية والآدبية في العصرين المغولي والتيموري ما كتبته الاستاذة شيرين عبد النعيم أنظر:

=شرين عبد النعيم حسنين،**الثقافة العربية الإسلامية في فترة العصر المغولى والتيمورى**،مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث،مج5،عدد،،،18،1429ه ،2008م

[4]-عفاف صبرة،نجوى كيرة،**مرجع سابق**،ص،302.

كتبها وعلومها،وقد عبر خواند مير في كتابه خلاصة الأخبار الذي أتمه في ستة أشهروقدمه للوزيرعرفانا بالجميل والدور الذي قدمهوالحماية التي أحيط بها من طرفه.

كما خصص أحد مؤلفاته للحديث عن الوزير،مبرزا فيه مظاهر كرمه وأخلاقه، سماه مكارم الأخلاق، يعتبر هذا الكتاب بمثابة إعتراف من المؤرخ خواند مير بمأثر الوزير مستعرضا أخلاقه وفضائله،وعشقه للعلم والعلماء،وولعه بمختلف الفنون، إلا أن المؤلف لم ينجح في تقديم العمل إلى صاحبه، والذي توفي قبل أن ينجز الكتاب[1].

يتكون الكتاب من مقدمة وخاتمة وعشرة مطالب تتحدث كلها عن خصاله وسيرته الشخصية وفضائل أخلاقه، وأقواله الحميدة، ويبدو أن هذا المؤلف قد حاز شهرة واسعة بين الناس، إذ يقول خواند مير"من أجل شرح مكارم الأخلاق، ومحاسن وأداب ذلك السعيد الصفات، وتفصيل أشعاره ومؤلفاته، وبيان آثاره وعمائره، فقد تم تأليف رسالة مستقلة، بعنوان مكارم الأخلاق،وتلك الرسالة تلقى شهرة واسعة بين الناس[2]".

يبدو أن النجاح الذي حققه الوزير علي شيرنوائى كمثقف من جهة ومن جهة أخرى كوزير،جعله محل وشاية الحاقدين،وكان من نتائج ذلك أن وقعت الوقيعة بينه وبين السلطان حسين بايقرا،وكان من نتيجة ذلك أن فسدت العلاقة بين الرجلين،ونتج عن ذلك إعفاءه من مناصبه السياسية سنة892هـ،1487م.

أما عن سبب توتر العلاقة بين السلطان والوزير، فيعود ذلك إلى طبيعة الصراع داخل البلاط التيموري،ويشير خواند مير بشكل واضح وصريح إلى الوزير نظام الملك الخوافيرغم أن خواند مير يصفه بأنه كان نظيف اليد، لا يمد يده إلى أموال الناس والدولة ، إلا أنه من جهة أخرى كان بارعا في حبك الدسائس والمؤمرات،وكان من بين ضحاياه الوزير علي شير نوائى[3]، إذ تم إعفائه من

[1]-توفي الوزير علي شير نوائى سنة 906هـ،مما إضطر خواند مير إلى تقديم كتابه الذي ألفه بمساعدة الوزير علي شير إلى السلطان حسين بايقرا الذي كان صديقا للوزير

[2]-حربي أمين،**مرجع سابق**،ص،52.

[3]-نفسه،ص،52.

مناصبه الوزارية، وتم إبعاده من مدينة هراة،ظل فيها منشغلا بأموره الفكرية وكتاباته الآدبية، ورغم أن العلاقة تحسنت بين الوزير والسلطان، وعاد خلالها إلى مدينة هراة حيث عرض عليه السلطان مناصب وزارية ، إلا أنه رفض ذلك ، لكن هذا لم يمنعه من أن يكون مقرب من السلطان وحضرته،فلقب:"بمقرب الخضرة السلطانية[1]"،سمح له هذا المنصب الجديد، أن يتفرغ للأعمال الخيرية و الإبداعية المميزة التي رسمت له في التاريخ الإسلامي صفة المثقف أكثر من صفة الوزير،فكان نتاج ذلك مؤلفاته المتعددة العاطفية والإجتماعية والفكرية والفلسفية والعلمية،مستعرضا فيها كل المشاكل التي واجهت عصره.

كتب علي شير نوائى مؤلفات متعددة أبرزها تلك التي إرتبطت بالشعر،ويعد مؤلفه الشعري خمسة[2] أههم ما كتب في المجال الشعري ، الذي ضم أهم القصائد الشعرية ، والتي أبان فيها عن موهبة خارقة في كتابة أشعاره ،والتي كان لها تأثير قوي عند الشعوب التركية والفارسية.

أما أشهر كتاب ألفه في فن النثر،وأخذ الطابع الموسوعي،هو كتاب مجالس النفائس، الذي يعتبر من بين أهم المؤلفات في التاريخ الإسلامي عامة،وفي تاريخ التيموريين خاصة،كتب الكتاب باللغة التركية الجغطائية، أتمه سنة 869ه[3]،1464م وما يلاحظ عليه أنه يعد من بين أول المؤلفين الذين أعطوا حيزا لإنتشار اللغة التركية بين شعوب إقليم تركستان، الذي إستمر لوقت طويل تحت تأثير الثقافة الفارسية واللغة الفارسية، أما عن محتوى الكتاب فهو عبارة عن فهرسة مختصرة لأشهر زعماء المنطقة في مجالات متعددة خلال القرن التاسع الهجري،الخامس عشر الميلادي،منهم الشعراء والفضلاء والأمراء والوزراء والعلماء والقضاة وغيرهم،ومشايخ الصوفية، وقد ضم الكتاب أكثر من ثلاث مئة وخمسة وثمانيين شخصية مهمة، يأتي على رأس هؤلاء السلطان تيمور كوركان مؤسس الدولة التيمورية وإبنه شاهرخ،وحفيده حسين بايقرا، ومن الأدباء والشعراء نجد الشاعر الكبير عبد

[1]-نفسه،ص،449.

[2]-نفسه،ص،30

[3]-يضم مؤلف خمسة قصائد شعرية،أو الكنوز الخمسة،و هي عبارة عن خمس عناوين،حيرة الأبرار،فرهاد وشرين،ليلى والمجنون،كتبت باللغة التركية الجغطائية.

الرحمان الجامي[1]،والمؤرخ شرف الدين يزدي[2] الذي عاصر السلطان شاهرخ ، وغيرهم ممن كان أثرهم في الناس والمجتمع محمودا.

أما عن كتاب مجالس النفائس فتكمن أهميته في أنه أعطى ولأول مرة صورة واضحة وحقيقية عن الأدب التركي في العصر التيموري، خاصة وأنه كتب باللغة التركية الجغطائية، لأن معظم الكتابات التي سبقت، إعتمدت في الغالب و بشكل شبه تام على اللغة الفارسية،كما يعبر الكتاب بشكل واضح عن مميزات القرن التاسع الهجري،الخامس عشر الميلادي.

يرسم الكتاب صورة واضحة عن مدى الإنتشار الذي عرفته اللغة التركية بين الأمراء والسلاطين التيموريين، كما يقدم الكتاب في النهاية صورة واضحة عن الحياة الإجتماعية والثقافية والسياسية في تلك الفترة[3]،بإعتبار أن الفكر هو ترجمة لحال المجتمع، ونظرا لأهمية الكتاب فقد ترجم أكثر من ثلاث مرات إلى اللغة الفارسية وظل متداولا بين الناس،ومما سبق ذكره يمكن القول أن الوزير علي شير نوائي ، عد أشهر وزراء العصر التيموري،بلغ درجة عالية من الثقافة، نال من خلالها الإحترام والتقدير ،بين كتاب عصره وعند الشعوب التركية بصفة عامة.

إذا كان العصر التيموري يدين لعلي شير نوائى نظير ما قدمه للتيموريين كوزير ومثقف، فهذ لا يمنع من الإشارة ألى شخصية أخرى نالت كل التقدير والثناء،وكان دورها واضحا في الحياة الفكرية والأدبية،وفكر التصوف في العصر التيموري على وجه الخصوص، وقد أشرت في ما مر معنا إى شخصية عبد الرحمان الجامي الذي إشتهر في الأدبيات الفارسية بالجامي.

---

[1]-يتم التطرق لهذه الشخصية المهمة التي لعبت دورا مميزا في الأدب والشعر والتصوف خاصة في عهد التيموريين،من خلال مؤلفات متعددة تعد منه أهم ما أنتج خلال العصر التيموري أنظر الصفعة وما بعدها من هذا العمل.ص،171،وما بعدها.

[2]-عاصر شرف الدين علي يزدي السلطان التيموري شاهرخ وإليه ينسب الكتاب الذي ألفه حول تيمورلنك وخلفاءه متناولا سيرتهم ،وبالرغم إنحياز المؤلف التام إلى تيمورلنك إلا أن الكتاب يعتبر ذا قيمة علمية تاريخية،لأنه يتناول أوسع التفصيلات عن تيمورلنك وأفعاله،وقد نقل إلى اللغة الفرنسية من خلال ترجمة المستشرق الفرنسى دو لاكروا.

[3]-أمين حربي،**خواند مير من خلال دستور الوزراء**.ص،22،وما بعدها.

-خلد الشاعر علي شير نوائى من خلال التمثال الذي إقيم له في مدينة طشقند تقديرا لدوره السياسى والآدبى ،خاصة في إحياء الآدب التركى.

3-1الشاعر عبد الرحمان الجامي

ولد نورالدين عبد الرحمان الجامي في 23 شعبان 817هـ،في قرية خركرد بولاية جام[1]، في إقليم خراسان، هاجر رفقة والده إلى مدينة جام حيث شغل والده منصب القضاء والفتوى، تعلم في طفولته المبادئ الأولى للغة العربية، كما حفظ القرآن الكريم،وتعلم مبادئ الصرف والنحو،ومختلف العلوم الأخرى، وبعد فترة قصيرة إنتقل من مدينة جام إلى مدينة هراة في فترة حكم السلطان شاهرخ[2].

تنقل الجامي بين مدن إقليم خراسان الواسع، كما أنه زار حاضرة تيمورلنك مدينة سمرقند،ساعدت هذه الرحلات الجامي في تنويع معارفه وعلومه ومداركه، خاصة وأنه تنقل بين مدن كان لها تأثير بارز في مختلف المعارف والعلوم،وكان هذا التنقل فرصة ليطلع الجامي على كثير من المعارف والعلوم النقلية والعقلية، كما أنه عاصر فترة حكم السلطان شاهرخ الذي كان مولعا بالعلم والعلماء محبا لمجالسهم مشجعا لهم.

جمع الجامي بين مواهب متعددة،كالسرعة في الحفظ، والقدرة على الإستيعاب،والذكاء المتقد،وقدرة فائقة على التركيز، وهي صفات ذكرها أساتذته ومعاصريه، وتتحدث فيها هو عن نفسه ما يفيد أنه كان متفوقا حتى على أساتذته.

يقول الجامي معبرا عن ذلك التفوق،"ماكانت مدة دراستي عند أساتذتي طويلة، بحيث أنهم ما غلبوا عليا في الدرس،وكنا في المستوى الواحد في العلم،ولكن غلبت عليهم،وليس لهم في ذمتي حق ، سوى بوصفهم أساتذتي"[3]،يدل هذا الكلام على مدى تفوقه ونبوغه، وهي صفات شهد بها أكثر رجالات عصره،عاش الجامي ميالا للصوفية خاصة الطريقة النقشبندية ،اذ حدثت بينه وبين رجالها

[1]- أصبحت مدينة هراة عاصمة الدولة التيمورية بعد وفاة تيمورلنك،إذ اتخذها شاهرخ قاعدة ملكه بين 807هـ850هـ، 1404م،1448م،وصارت مدينة تنعم بالرفاه الإقتصادي والفكري والفني،خاصة في عهد شاهرخ ،وحسين بايقرا.

[2]-عفاف صبرة ،نجوى كيرة،**مرجع سابق**،ص،289.

[3]- علي كنجيان خناري،فاطمة نصر الله،**وقفة نقدية مع إنتاجات الشاعر الإيراني جامي**،إضاءات نقديةالسنة الأولى ،العدد2011،2،ص،96.

مودة وحب كبير،حيث تلقى دعودة من شيخها في مدينة هراة سعد الدين الكاشغري، ونتج عن هذه العلاقة أن تروج الجامي إحدى بناته،وكان ثمرة هذا الزواج أن أنجب الجامي أربعة أبناء، مات جميعهم في حياته إلا إبنه ضياء الدين يوسف[1].

توفي الإبن الأول في يومه حتى أنه لم يسم، أما الثاني صفي الدين توفي وعمره سنة، أما الثالث ظهير الدين فلم يعش سوى أربعين يوما ،لذلك أرتبطت كل عواطفه بإبنه ضياء الدين يوسف الذي أحبه كثيرا، وربما كان لفقدان أبناءه الأثر الكبيرفي حياته عموما وأشعاره على وجه الخصوص، ظلت معظم أشعار الجامي مزيجا من النزعة الصوفية الزاهدة في الحياة،تغطيها مسحة من الحزن تظهر بين الحين والآخر في معظم أشعاره وأبرز ما كتبه.

برع الجامي في كثير من ميادين العلم والمعرفة، إلا أن تفوقه الأدبي خاصة في كتابة الشعر ظل السمة الغالبة عليه، فكانت أشعاره مليئة بالألفاظ البديعة واللطيفة،ذات دلالات عميقة من حيث معانيها المتشبعة بالحكمة الغنية بمعاني الزهد والورع، حتى عد عند الإيرانيين بخاتم الشعراء[2].

تعدد الإنتاج الأدبي والفكري وحتى العلمي للجامي، وذلك يعود إلى مجموعة الآثار العلمية والفكرية والآدبية، إذ أن مجموع آثاره في ميدان الشعر الصوفي والموضوعات الأخرى المتداولة جديرة بالإهتمام والدراسة، خاصة أن بعض أشعاره الصوفية إرتبطت بكثير من آراء بعض المتصوفة الذين

---

[1]- نفسه،ص،97.

[2]-يعترض بعض النقاد على هذه التسمية،بأن وصف الجامي بآخر الشعراء أو خاتم الشعراء في سلسلة الشعر الفارسي بالخطا ولعل في نظرهم الصواب أن تستعمل هذه العبارة لحافظ الشيرازي،ففي إعتقادهم لم يظهر أي شاعر بعده بمستواه،أو في مستوى أقرانه مثل الفردوسي،والسعدي وعمر الخيام وجلال الدين الرومي وغيرهم،للمزيد حول تفصيل الفكرة أنظر:
محمد رضا شفيعي كدكى ،تر،بسام ربابعة،**الآدب الفارسي منذ عصر الجامي وحتى أيامنا**،مجلة عالم المعرفة،عدد،368،1430هـ،2009م،ص،22.

سبقوه[1]،وتأثيرات الفكر الصوفى الذى كان منتشرا في عموم بلاد ما وراء النهر.

يعتبر ما أنتجه الجامي في حقيقة الأمر إستمرار ، لما أنتجه من سبقوه خاصة في نظم الشعر، ومن هنا يمكن القول أن الجامي أنتج عدة دووابن شعرية،ظلت محتفظة بجوانب صوفية وقصصية، لعل أشهر هذه الدواويين الشعرية، فالأول كان سنة884هـ،وسماه فاتحة الشباب، والثاني أتمه سنة 894هـ،وسماه واسطة العقد، أما الديوان الثالث، أتمه سنة 899هـ،قبل سنتين من وفاته وسماه خاتمة الحياة،وكلها كانت مليئة بمعاني التصوف والزهد في الحياة.

أما مثنويات الجامي[2]،فعدت في سبع منظومات مثنوية أطلق عليها"هفت أرنك"أي المعارف السبع،تعتبر سلسلة الذهب أولها، وتشمل ثلاث أقسام تطرح وتناقش فكرة الزهدوالتصوف والأخلاق،كما يتناول فيها بعض المفاهيم الفلسفية كالجبر والرضا،وبعض الموضوعات التربوية والتعليمية والحكمية[3].

في المجال القصصى ذى الطابع الصوفي كتب الجامي عدة مواضيع بعضها لم تكن جديدة في المحتوى ،ولكنها جديدة في طبيعة العرض،من القصص الذائعة الصيت في التراث الإنساني، قصة سلمان وأبسال ،وهي قصة حب صوفي يصف فيها الجامي، صراع النفس ضد الهوى وإنتصارها، وأصل القصة يرجع إلى التراث اليوناني،وتم ترجمتها في بداية القرن الثالث الهجري من اللغة اليونانية إلى

---

[1]–يعتبره الكثير من النقاد أنه كان مقلدا لما جاء به محي الدين بن عربي في مجال التصوف،إذ تبنى كثير من أفكاره،وإبن عربي كما هو معروف أحد فلاسفة بلاد المغرب ولد في الاندلس سنة558هـ،1160م،تشبع بالفكر الفلسفي،زار العديد من البلاد الإسلامية،كالحجاز ومصر وبلاد الشام،صاحب الطريقة الأكبرية،وكان له لقاء مع كثير من متصوفة الشرق،خاصة الفرس،وعلى رأسهم جلال الدين الرومي،له عدة مؤلفات،**تفسير إبن عربي**،**الفتوحات المكية**،**مواقع النجوم**،**المختار من رسائل إبنعربي**،توفي في 28 ربيع الثاني 638هـ،16نوفمبر 1240م،ودفن بجبل قاسيبون بدمشق.

[2]– المثنوى وجمعه المثنويات،هو ضرب من ضروب الشعر ،ظهر بشكل بارز عند الشعراء الفرس على وجه الخصوص،يكون فيه لكل بيت قافية،وبذلك تخلو المنظومة من القافية الموحدة،ومن أشهر الشعراء الفرس الذين ساروا على هذا المنوال هناك الكثير ومنهم حافظ الشيرازى،والفردوسي وجلال الدين الرومى وغيرهم.

[3]– علي كنجيان خناري،فاطمة نصر اللهى،**مقال سابق**،ص،97.

اللغة العربية،من طرفإسحاق بن حنين عميد المترجمين[1] في عصر إزدهارحركة الترجمة إلى اللغة العربية خلال العصر العباسي الأول.

أما الموضوع الثاني الذي جمع بين الأسلوب القصصي والطابع الشعري هو تحفة الأحرار[2]،وهو شعر تعليمي ذو طبيعة خلقية تربوية دعوية كتبها في مدح شيخ الطريقة النقشبندية عبيد الله أحرار[3]،أما منظومته سبحة الأحرار فهي مثنوية مشابهة لسابقتها في المبنى والمعنى والمضمون كتبها الجامي مادحا فيها السلطان التيموري حسين بايقرا[4].

في مجال آثار العشق والغرام والتي تعتبر أكثر الأشعار في اللغة الفارسية، فإن الدارس ينبهر عند قراءة ليلى والمجنون،وهي ملحمة غرامية عرفها الأدب العربي، ومنه إنتقلت إلى الأدب الفارسي،يضاف إلى هذا منظومته القصصية الشعرية ،يوسف وزليخا،وهي تلك القصة الشعرية الملحمية المستمدة من القرآن الكريم،وقد ذكرت في كثير من الكتابات التاريخية،كقراءة لسيرة النبي يوسف عليه السلام،ذكرها الكثير من الآدباء والشعراء ، كتبها الجامي بأسلوب أدبي ذو لغة راقية،ضمنها أكثر من أربعة آلاف بيت شعري قدمها إلى السلطان حسين بايقرا[5].

---

[1]- هو إسحاق بن حنين-طبيب ومترجم وعالم لغات،ولد سنة 194هـ،810م،،ترقى في عدة مناصب حتى صار الطبيب الخاص للخليفة المتوكل،عين في عهد المأمون لكي يكون مسؤولا عن دار الحكمة،وعن ديوان الترجمة ،وفي عهده ترجمت القصة التي أشرنا إليها سلفا من اللغة العربية،وإنتقلت القصة إلى الأدب الفارسي حيث تناولها إبن سينا وإبن طفيل،وشرحها الطوسى وغيرهم،وأعادها الجامي في أسلوب جديد.

[2]- محمد رضا شفيعى،**مرجع سابق**،ص،30.

[3]- عبيد الله أحرار،خواجة،أحد أشهر رجالات الطريقة النقشبندية،عالما ومتصوفا زاهدا،كان من مقربيه الجامى،من مؤلفاته،تحفة الأحرار،والأخلاق والدين وهو كتاب يقرأ على نطاق واسع،توفيبقرية تسمى كيران،سنة895هـ،1489م،أنظر: فامبري،مرجع سابق،ص،290.

[4]-أشهر السلاطين التيموريين ولعا بالمعرفة والعلوم ورعاية أهل العلم عاش ما بين 842هـ،911هـ،1338م،1506م،عرف عهده نهضة علمية وفكرية وأدبية،وفي عصره عاش الجامي.

[5]- يوسف وزوليخا من أهم المنظومات القصصية التي جادت بها قريحة الجامي نظمه سنة 888هـ،للمريد أنظر: نورالدين عبد الرحمان الجامي، **يوسف وزوليخا رؤية صوفية**،تر،عائشة عفة زكريا، ،دار المنهل،دمشق،2003.

يوسف وزوليخا أسعفنى الحظ في الإطلاع عليها، إنطلاقا مما تمثله في التراث الإسلامي،كقيمة روحية ومعنوية ودينية، تظهر فيها عدة معاني إنسانية وأخلاقية ودينية وإذا كانت القصة معروفة وشائعة على نطاق واسع في العالم الإسلامي،إلاإن ما جاء به الجامي زادها أكثر تأثير وتشويقا .

ظل مذهب المتصوفة قائما على كبح جماح النفس الأمارة بالسوء،وتحدثوا فيهاعن النفس اللوامة،والنفس الملهمة،والنفس المطمئة والنفس الراضية والمرضية، والتي تنتهي عند النفس الكاملة،وهي التي كانت دائما مبتغى المتصوفة،وقصة يوسف عليه السلام وزوليخا، يمكن أن نجد فيها كل أنواع هذه النفوس.

إذا كان المجال لا يسمح بالحديث بشكل مفصل عن هذه القصة، لكن يجب الإشارة إلى عنصر هام شكل محور القصة في كتابة الجامي،حيث شكلت الأحلام حيزا كبيرا في قصة الجامي،فمن حلم يوسف وهو صغير، إلى حلم زوليخا الشابة المولعة بيوسف إلى حد الجنون، إلى حلم صاحبى السجن اللذان رأيا حلمين مختلفين أولهما يوسف عليه السلام،وتنتهى القصة بحلم ملك مصر،يدل هذا على تأثير الرؤيا الصالحة،التي تجسدت مع رؤيا يوسف عليه السلام ،وعموما يمكن القول أن الجامي في هذه القصة بلغ قمة التصوير الفني في منظومته القصصيه،وآخرما كتب الجامي في المعارف السبع خرد نامه إسكندريوهي عبارة عن سلسلة من المحاورات الفلسفية بين الإسكندر المقدوني وبعض علماء الإغريق[1]، وعموما فإن معظم مثنويات الجامي أخذت بعدا روحيا متشبعة برؤيا صوفية، تعالج هوى النفس وتدفعها إلى الإستقامة.

رغم إهتمام الجامي بالجانب الشعري إلا أن ذلك لم يمنعه من الكتابات النثرية، التي غلب عليها هي الأخرى التعدد والتنوع، وإن كان المقام لا يتسع لذكرها جميعا إلا أنني أجد نفسي مضطرا كي أعرف ببعضها، خاصة تلك التي سمحت لي الظروف بالاطلاع عليها،فاسحا المجال لعمل مستقبلي قد يغطي مكامن النقص في هذا العمل[2].

---

[1]-محمد رضا شفيعى كندكى ،**مرجع سابق**،ص،30.

[2]-عبد الرحمان الجامي ،**نفحات الانس في حضرات القدس**،تح،محمد أديب الجادر،دار الكتب العلمية،بيروت،2003م ،

من أهم المؤلفات النثرية التي إنتشرت وإشتهرت بين الناس، كتاب نفحات الأنس في حضرات القدسيعتبر الكتاب من نوع كتب السير والتراجم أخذ الطابع الموسوعي،وهو اسلوب في الكتابة شاع عند الكثير من الفرس في العصر التيموري وقبله،وقد أخذ الجامى نفس الآسلوب ممن سبقوه في ذلك.

يتضمن سير رجال التصوف،حاول فيه الجامي أن يعطى صورة شاملة وواضحة عن التصوف وتاريخه ورجاله على طريقة ماكتبه بعض من سبقوه،وإستقى منهم معارفه ويمكن هنا الإشارة إلى ما كتبه واحد من أشهر الشعراء والمتصوفة،وهو فريد الدين العطار في كتابه تذكرة الأولياء[1].

يعتبر الكثير من النقاد أن كتاب نفحات الأنس أهم مؤلفات الجامي النثرية،فهو بمثابة العينة لمجموع مؤلفاته،فهو يعكس صورة واضحة للحالة الفكرية السائدة في تلك المرحلة ،إنتقل فيها المؤلف بين فكر المعتزلة[2] حيننا وفكر الأشاعرة[3] حينا آخر.

---

[1]-تذكر المصادر التاريخية أن الجامي تأثر كثير في كتابه **نفحات الأنس في حضرات القدس** ،بالشاعر الفارسي فريد الدين العطار في كتابه تذكرة الأولياء،وقد أورد المسبشرق الإنكليزي إدوارد جرانفيل براون تفصيلا عنه وعن أعماله في كتابه ،تاريخ الأدب في إيران،للمزيد عنه أنظر:

براون،،**مرجع سابق**،642 وما بعدها.

[2]-فرقة كلامية ظهرت في نهاية القرن الأول الهجري وبداية الثاني خلال العصر الأموي ،وعرفت إنتشارا واسعا خلال العصر العباسى الأموي ،وهي فرقة كلامية ثقدمت العقل على النقل،كما شككت في بعض الأحاديث النبوية،إستخدمت العقل وسيلة لفهم النص،ومن أشهر أتباعها الزمخشرى والجاحظ وحتى الخليف العباسي المأمون،وقد طرحت عدة قضايا أثارت جدلا واسعا في تلك الفترة ،خاصة قضية خلق القرآن،للمزيد انظر:

إبن أبي الفتح محمد بت عبد الكريم الشهرستاني،**الملل والنحل**،تح،تق،أحمد فهمي محمد،مج1،ج1،ط2،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان،1413هـ،1992م،ص،38.

[3]-تنيب هذه الفرقة إلى مؤسها،أبو موسى الأشعري،وهي فرقة سنية إنتهجت منهج السلف ،إنتهج منهجها الكثير من العلماء والفقهاء،وهذ الجماعة لاتخالف إجماع أهل السنة الإمام الشافعي ،والإمام أبو حنيفة،والإمام أحمد.

لاتعارض هذه الفرقة أي آية من القرأن الكريم،وكانت هذه الفرقة على ما يذكر الحد الفاصل بين فكر المعتزلةوبعض أهل السنة المتهمين بالجمود وقد سار كثير من العلماءوالفقهاء على منوالها منهم الباقلاني والبيهقي والغزالي،والقاضي عياض والرازي،والعز بن عبد السلام،والسيوطي والسخاوى وغيرهم،وفي القرن الثامن والتاسع الهجريين،الرابع عشر والخامش عشر الميلاديين،كانت الأشعرية على نشاط واسع في بلاد ما وراء النهر،ويبدو أن الجامي كان ميالا إليها أو متعاطفا معها عن هذه الطائفة،انظر:

الشهرستاني،**مصدر سابق**،ص،8.

يرى بعض المؤرخيين أن الجامي كان ميالا إلى آراء الأشاعرة[1] الذين يمثلون أهل السنة، إن كان الحديث عن إنتماءه إلى المذهب السني أم الشيعي،ليس محل مناقشة في هذا العمل، إلا أنه يمكن عرض بعض موافقه وآراء النقاد فيه، وهو ما يمكن أن يكون محل مناقشة في ما يأتي من العمل، وقد لقى كتاب نفحات الأنس إستحسان بعض المستشرقيين، فترجم إلى اللغة الفرنسية من طرف المستشرق الفرنسي سلفستر دسايي .

الكتاب الثاني الذي يجب الإشارة إليه وكان من حظى الإطلاع عليه، هو كتاب بهارستان أو الربيع[2]،وقد كتب الجامي هذا الكتاب لوحيده ضياء الدين يوسف سنة 892هـ، وهو من أنواع النثر السلس العذب،كتبه الجامي على عادة شعراء عصره،وقدمه للسطان التيموري حسين بايقرا.

كتب الكتاب في ثماني روضات، في كل روضة أورد حكايات حول أولياء الله وكبار رجال الصوفية،وحول الشعراء والملوك والسلاطين،وقد نهج الجامي في المبني نفس الأساليب التي نهجها كبار شعراء الفرس ،ومنها سعدى الشيرارزى[3] في كتابه كلستان سعدى.

يمكن أن نستدل على تأثر الجامي بما كتبه سعدي ، وذلك أن الجامي ظل يمتدح كلستان ويعترف بتقليده له،ويعترف في مقدمة كتابه بهارستان ، أنه كان يكتب بهارستان و يتبرك بأنفاس

---

[1]–عن المزيد من أفكار الأشاعرة أنظر كتاب:

فيصل بن قرازالقاسم،**الآشاعرة في ميزان أهل السنة،نقد لكتاب أهل السنةالآشاعرة،شهادة علماء الأمة وأدلتهم**،المبراة الخيرية لعلوم القرآن والسنة،ط1،الكويتن1428هـ،2007م.

[2]–نورالدين عبد الرحمان الجامي، **بهارستان**،تر،تع،أحمد كمال الدين خلمى ، ،دار السلاسل للطباعة والنشر،الكويت،1406هـ،1986م

[3]–السعدي إسمه الكامل مشرف الدين بن مصلح الدين عبد الله،ولد في مدينة .شيراز سنة584هـ،1184م،وتوفي سنة 691هـ،1291م،وقد جاوزالمئة من عمره،لأن هناك تضارب في تاريخ ميلاده،هوثالث الشعراء الكبار الذين ظهروا في هذه الفترة،ومنهم فريد الدين العطار،وجلال الدين الرومي،ويعد واحدا من أنبياء الشعر على حد تعبير براون،وهم سعدى والفردوسي،والأنوري،نال السعدى شهرة واسعة من خلال مؤلفاته المتعددة ومنها كتابه كلستان سعدى،وقد ألف الكتاب سنة 656هـ،1258م،وهو كتاب نثري مطعم بالشعر،تغلب عليه روح الفكاهة،وقد ترجم إلى عدة لغات،وله عدة شروح بالعربية والتركية والهندية،والكتاب يحمل قيم أخلاقية وتعليميثة وترفهية ،للمزيد أنظر:

–براون،**مرجع سابق**،667.

الجامي،**بهارستان**،ص،10.

سعدي،من هنا يتضح مدى تأثر الجامي بكتابات سعدي ، الذي عد في التراث الفارسي أهم وأبرز الشعراء، حتى أطلق عليه أحد أنبياء الشعر الثلاثة في الأدب الفارسي على حد تعبير المستشرق الإنجليزي براون[1]، ويضيف عطفا على ذلك ، أن الشهرة الواسعة والصيت الكبير اللذين فاز بها سعدي ، لم يفز بهم أي أديب آخر حتى اليوم سواءا في موطنه بالذات، أو أي مكان آخر يعنى باللغة الفارسية والأدب الفارسي.

خاتمة المؤلفات التي أسعفني الحظ في الإطلاع عليها،كتابه الدرة الفاخرة[2]،وهو كتاب يختلف عن المؤلفات السابقة من حيث محتواه وطبيعة الأفكار المطروحة فيه،فهو عبارة عن رسالة في تحقيق مذهب الصوفية،والمتكلمين والحكماء، ضمها الجامي الكثير من الأفكار المرتبطة بالوجود والذات الإلهية،وهو مجال عادة ما يخوض فيه المتصوفة بشكل يثير عند خصومهم ردود فعل قوية نتيجة طبيعة الأفكار المطروحة للنقاش، خاصة وأن الكثير من الفرق الكلامية كانت تثير جدلا حادا في المجتمع.

إن الإشارة إلى هذه المؤلفات دون غيرها، ليس إختيارا بقدر ماهو ضرورة، نتيجة تيسر الإطلاع عليها بحكم ترجمتها إلى اللغة العربية،وصارت في متناول عموم الناس، في حين تبقى مؤلفات عدة جديرة هي الأخرى بالعرض والمناقشة أو على الأقل التعريف بها حتى يتسنى لكثير من الدارسين الوقوف على هذا التراث الفكري والأدبي الذي ظل لوقت طويل بعيد عن الناس،وحسبنا هنا أن نقول أن مؤلفات الجامي غلب عليها التنوع والتعدد،بين الكتابات النثرية والشعرية،وتلك التي لها علاقة بالفكرالصوفي.

إجتهد الكثير من الباحثين والمؤرخين في عد مؤلفات الجامي النثرية والشعرية، فأوصلها البعض إلى تسعة وتسعين مؤلفا، والبعض الآخر إلى خمسة وأربعين مؤلفا ،أما تلميذ الجامي عبد الغفور اللاري فأوصلها إلى ثمانية وأربعين مؤلفا، وفي كل هذا يمكن الإعتماد على فهرس دار الكتب

---

[1]- براون ،**مرجع سابق**،ص،667.

[2]- نورالدين عبد الرحمان الجامي، **الدرة الفاخرة**،تح،تع،أحمد عبد الرحيم السايح،أحمد عبده عوض،ط1،مكتبة الثقافة الدينية،1422هـ،2000م.

المصرية،الذي أعدت سنة1384هـ،1964م فهرسا بمؤلفات الجامي عنوانه"نورالدين عبد الرحمان الجامي فهرست بمؤلفاته المخطوطة والمطبوعة التي إقتنتها الدار"[1].

الحديث عن مؤلفات الجامي سيأخذ لامحالة من الوقت الكثير،قراءة تحليلا وتفسيرا، وهو أمر غير متاح في هذا العمل، لأن ما يهمنا من العرض هو معرفة دور الجامي بصفة عامة في الحياة الفكرية والسياسية ،في عهد التيموريين،وما موقفه من السلطة التيمورية؟

لقد عاصر الجامي دول إسلامية متعددة[2]،إلا أنه كان شديد الولاء للتيموريين، كارها لأعدائهم.

كان الجامي وثيق الصلة بالوزراء التيموريين،خاصة الوزير الأديب علي شير نوائي، الذي كان له الفضل في رواج وإنتشار سوق الأدب،في القرن التاسع الهجري،الخامس عشر الميلادي، وكان له الأثر الكبيرفي الحياة الأدبية والفنية ، حيث ظل الوزير ينزل الجامي منزلة الصديق والشيخ، كما أن بلاط السلطان التيموري حسين بايقرا،كان يتواجد به عظماء الفن والأدب والشعر وكان الجامي واحدا من هؤلاء المقربين والمشهورين على غرار،الرسام بهزاد والمؤرخين ميرخواند وحفيده خواند مير[3].

إذا أردنا تلخيصا لما كتبه الجامي فإنه يمكن القول أن قريحته جادت بكل فنون الأدب ،من المثنويات والرباعيات والغزليات،كلها سلكت طريق المتصوفة مستعينا بالفضيلة محذرا من النفاق والرياء،ذاما للخمر، داعيا ومحثا على الإخلاص في العمل،مفتخرا بالقناعة وعزة النفس، متخذا أحيانا من الفكاهة سبيلا للنقد،نال خلاله الجامي بركة شيوخه المتصوفة،خاصة شيخه سعد الدين الكاشغري الذي زوجه إحدى بناته،كما نال بركة الشيخ محمد بارسا، أحد شيوخ الطريقة النقشبندية

---

[1]- الجامي،**بهارستان**،ص،30.

[2]- رغم أن الجامي ظل لوقت طويل محافظا على علاقته القوية مع التموريين ،إلا أنه كان في نفس الوقت على علاقة جيدة ببعض الحكام والوزراء كما هوالحال بالنسبة للتركمانيين في العراق وأذربيجان،كما كانتله علاقة قوية ببعض السلاطين العثمانيين ،ومنهم محمد خان،أو محمد الفاتح الذي حكم من855هـ،886هـ،1452م،1481م،والسلطان بايزيد الثاني الذي حكم من 886هـ،919هـ،1481م،1512م

[3]- عفاف صبرة،نجوى كيرة ،**مرجع سابق**،ص،381.

المشهوريين،كما كان له لقاء مميزا مع الشيخ ناصر الدين عبيد الله أحرار، وكان هذا الأخير يحبه ويرفع من قيمته وقدره،ويسمع منه شروحات مختلفة في مختلف العلوم وعالم التصوف[1].

تقول المصادر عنه أنه إنضم إلى شيوخ الطريقة النقشبندية السنية المعتدلة[2]، التي جلبت إليها عظماء السلاطين التيموريين، بداءا بتيمورلنك وأبناءه وأحفاده، وكانت هذه الطريقة كما أشرنا سابقا في بخارا وسمرقند وخراسان والهند وغيرها، وظل الجامي مادحا لرجالها ذاما لأعدائها.

رغم أن الجامي ظل عند الكثير من المهتمين على قدر كبير من الإحترام والتقدير، إلا أنه في نفس الوقت أثار جدلا كبيرا حول إنتماءه المذهبي وعقائده،من الباحثين من عده صوفيا مخلصا، ومنهم من إعتبر أن ما كتبه الجامي هو أقرب إلى الكفر والزندقة،ومنهم من عده من خيرة العلماء المسلمين[3]، ومنهم من عده ناصبا، أما أشعار الجامي فقد رأى فيها البعض تشيعا واضحا[4]، في حين رأى البعض الآخر أنه كان سنيا، خاصة وأنه في إعتقادهم ظل قريبا من عقائد المتكلمين الأشاعرة وفقهاء الشافعية.

بين مدافع عن سنية الجامي ،وبين مدافع عن تشيعه،نجده هو يدافع عن نفسه في كتاباته، فهو يجمع بين أجلال الخلفاء الراشدين والصحابة،وفي نفس الوقت لايغفل عن ذكر فضائل الأئمة الإثنا عشرية، وفي كتابه بهارستان أبدى إستيائه من حالة العداء شبه الدائمة بين أهل السنة والشيعة، ويقول في ذلك كلاما يحاول فيه أن يبرئ نفسه عن الإنحياز إلى طرف دون الآخر ،يقول في ذلك،" يسألونني ما مذهبك يا جامي ، فأرد وأقول الحمد لله ما أنا بكلب السنة أو حمار الشيعة[5]".

ظل الجامي في البلاط التيموري محافظا على مكانته وقيمته بين الخاصة والعامة،خاصة عند السلطان التيموري حسين بايقرا،والذي كان ذواقا للشعر وفنونه، محبا للأدب ورجاله، لذلك إرتبط

---

[1]- نورالدين عبد الرحمان الجامي،تر،محمد علاء الدين منصور،**لوائح الحق ولوامع العشق**،المجلس الأعلى للثقافة،2003م،ص،11

[2]- الجامي ،**بهارستان**،ص،29.

[3]- نفسه،ص،29

[4]- نفسه،ص،29

[5]-الجامي،**بهارستان**،ص30

بالجامي بروابط معنوية قوية أنزلت الجامي منزلة العظماء في البلاط التيموري حتى أن السلطان حسين بايقرا صار يقبل شفاعة الجامي في الوزراء والأمراء[1]، وقد أصيب السلطان بحزن شديد عند وفاة الجامي إعترافا لهذا الرجل بدوره العلمي والفكري والأدبي والسياسي في الدولة التيمورية.

يمكن في الأخير أن نثمن ما كتبه من خلال ما قاله وكتبه بعض المستشرقين عن الجامي وما ترجموه من أعمال أدبية وفكرية، فقد ترجم المستشرق وينفيلد إلى اللغة الإنجليزية، كتابه لوائح الحق ولوامع العشق، أما روجرز فترجم كتابه يوسف وزوليخا،وهارتمان ليلى والمجنون،وغيرها من الترجمات التي نقلت ذلك التراث من اللغة الفارسية إلى مختلف اللغات الأخرى خاصة الغربية منها[2].

في الأخير يكمن أن نختم رأي المشتشرقين فيما كتبه الأستاذ براون متحدثا عن الجامي وأعماله قائلا"إذا لم يكن الجامي خاتم الشعراء، فهو بالتأكيد من كبار أساتذة الشعر، وإذا كان هناك من الأساتذة من يفوقه أو يضارعه في بعض المواقع، لا يوجد من بين أساتذة الكلام والمتحدثين في الفارسية من الشعراء والكتاب من بلغ درجة كماله، كما يرى البعض، أمامن حيث تنوع الموضوعات،التي طرقها وابتكارته في فنون شتى، ولم ينجح أحدهم في تلك الحقول التي أجرى فيها تجاربه علي كثرتها"[2].

كخلاصة يمكن القول أن تنوع مدارك الجامي وقوة تأثيره،وتنوع معارفه الفكرية واللغوية،خاصة إتقانه اللغه الفارسية والعربية، فإتسمت كتابته بالعمق وقوة التأثير، أعطى فيها فسحة لكل ما يرتبط بالجمال بوحى صوفي خالص و مميزغلب على معظم أشعاره وكتاباته النثرية المتنوعة، أما الجامي فيقول عن نفسه وعن أدبه وشعره عبارة تستحق الوقوف عندها والتعمق فيها،فيقول في ذلك، "كم هو سعيد عابر السبيل ذلك الذي أتاح له قدره، أن يجلس على ضفة جدولي،ويحدق في مياهه الرائقة ليغسل الغبار عن قلبه المذهول"[3].

---

[1]-نفسه،ص،46-

[2]- براون،**مرجع سابق**،ص،696.

[3]- الجامي،**لوائح الحق ولوامع العشق**،ص،45.

لم يكن الجامي من رجال و زهاد التكايا والخوانق[1]،لذلك فنظرته للحياة كانت مغايرة ، لأنه ظل قريبا من الناس وقريب أيضا من الحكام لذلك إتسمت كتاباته بالعمق، وقوة التأثير أعطى فيها فسحة واسعة للتعبير عن كل ما يرمز إلى الجمال،كما أن إتقان الجامي للغة العربية ساعده كثيرا في عملية الإبداع، فإنعكس ذلك على كل مجالات الإبداع التي كتب فيها شعرا ونثرا،باللغتين الفارسية والعربية.

أشرت في ثنايا هذا العمل إلى نماذج محددة ممن كان لهم حيزا واسعا في مجال الإبداع في تاريخ التيموريين،فكان السيد علي الهمذاني الصوفي الكبير الذي ذاع صيته في كل بلاد ما وراء النهر، إضافة إلى الوزير علي شير نوائي ،وصديقه الشاعر الصوفي الكبير عبد الرحمان الجامي، لم تكن تلك إلا عينة من رجالات الإبداع التي أبدعت في عصر التيموريين،إرتبطت بذلك ثمار النهضة الفكرية والأدبية والعلمية في آسيا الوسطى بشكل

خاص بأبناء تيمورلنك وأحفاده، أي أنها إرتبطت بتاريخ الأسرة التيمورية الحاكمة التي إنتهت في بداية القرن العاشر الهجري،السادس عشر الميلادي[2]، ولكن رغم ذلك فإن الفضل الأكبر في هذه النهضة إنما يعود ألى تيمورلنك الذ أشاع العلم والمعرفة والثقافة في بلاد ما وراء النهر، رغم أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة[3] ، إلا أنه ظل حريصا ومتكفلا بكل ما يسمح بتطور العلوم والمعارف،وكان بلاطه مزدحما بالعلماء والفنانين من غير العناصر التركية، ورغم الحروب المستمرة التي خاضها

---

[1]- عادة ما كان بعض المتصوفة يعتكفون في هذه التكايا والخوانق يمارسون حياة الزهد مبتعدين على الناس دون معرفة همومهم ،إلا أن الجامي إبتعد عن هذا الأسلوب وحاول أن يمارس تصوفه في وسط الناس يعيش همومهم ومشاكلهم.

[2]-أرمينيوس فامبري،مرجع سابق،ص،254.

[3]-يذكر فامبري في الصفحة 255،من كتابه تاريخ بخارى أن تيمورلنك كان يكتب باللغة التركية في أسلوب رصين وفصيح، وهو رأى لا نجده عند كثير من الذين كتبو سيرة تيمورلن،إنما كان يملي مذكراته على من حوله من المؤلفين حتي أنه لما إستدعى نظام الدين شامي سنة 804هـ،1400م،الذي ألف كتابه الشهير ظفر نامة أو كتاب النصر زوده بمختلف الوثائق والمراسلات الرسمية تنتهى حوادث الكتاب عند سنة 806هـ،لأنه لا نجد لله أثرا في باقي المؤلفات الأخري إذ أن الكثير من المصادر خاصة الإسلامية منها ،وأكثرها التي كتبت باللغة الفارسية لا تشير إلى ذلك ،بل تؤكد أن تيمور لنك لم يكن يعرف القراءة والكتابة،وإنما ما قيل اأه مذكراته التي كتبت بيده أنما مجموعة الإملاءات التي كان يقوم بها على مرافقية وأحوز على نسخة من مؤلف يدعى صاحبه أنها مذكرات تيمورلنك ،إلا أن محتوى ما جاء ربما لا يوحى بذلك.،المذكرة محل مناقشة في ثنايا هذا العمل

تيمورلنك إلا أن المصادر التاريخية تشير إلى نهضة عقلية وفكرية ودينية مميزة في تلك الفترة من خلال نشاط الحركة الفكرية والدينية،ففي المجال الديني وخاصة التصوف تشير الكثير من المؤلفات إلى دور السيد علي الهمداني الذي عد من كبار المتصوفة ولعب دورا بارزا في عملية الوعظ وإرشاد الناس ،وكان يقوم بعملية الوعظ ثلاث مرات في اليوم، وتوفي سنة 786هـ،1384م، وقد ترك عدة مؤلفات أخلاقية وصوفية،كما يمكن ذكر شيخ الطريقة النقشبندية بهاد الدين نقشبند،وقد عاش في وقت تيمور توفي سنة791هـ،1388م[1].

تذكر المصادر التاريخية أن تيمورلنك لم يكن مولعا بالشعر ورغم ذلك وجدنا بعض الشعراء في بلاطه ومنهم الشاعر لطف الله النيشابوري، كان نديم الأمير ميرانشاه ومادحه الخاص،وقد حظى هذا الشاعر بتقدير خاص لدي تيمورلنك[2]. .

توفي سنة786هـ،1384م ،يضاف إلى هؤلاء الشاعر أحمد الكرماني الذي كتب سيرة تيمورلنك شعرا، كان أكثر الشعراء المقربين من تيمورلنك ظل يداعبه ويمازحه على ما يذكر فامبري،من االشخصيات الدينية التي تعود إلى فترة تيمورلنك،تذكر المصادر التاريخية الشيخ التفتازاني ،سعد الدين مسعود الذي ولد في صفر عام 722هـ،1322م،عاش في قرية بإقليم خراسان يطلق عليها إسم تفتازان وهر قريبة من مدينة نسا الشهيرة،عرف السلطان فضل هذا العالم الجليل فإستدعاه إلى سمرقند إلا أنه تعذر في تلبية الدعوة في المرة الأولى، بسب ذهابه إلى الحجاز ، إلا أنه لب الدعوة الثانية ، فأكرم تيمورلنك وفادته، له عدة مؤلفات في علم الأصول والنحو والفقه والتفسير على السواء،حيث قيل إن عدد مؤلفاته تزيد عن سن عمره بكثير[3]، وقد إطلع العلامة عبد الرحمان بن خلدون على كثير من مؤلفاته لما كان في مصر.

أما عن الكتابات التاريخية في عهد تيمورلنك ، فإنها ظلت مستمرة كما هو في العصور الإسلامية السابقة، فإلى عهده ترجع مجموعة من المؤلفات التاريخية التي تجسد مدى الإهتمام الذي

[1]-فامبري،**مرجع سابق**،ص،256.
[2]-نفسه،ص،256.
[3]- نفسه،ص،257

أولاه تيمورلنك إلى التاريخ ورجاله،من المؤلفات التاريخية الهامة التي تعود إلى عهد تيمورلنك، كتاب "ظفر نامة" لصاحبه نظام الدين شامي، كان شامي من بين الأشخاص الذين خرجوا لإستقبال تيمورلنك خلال غزوه لبغداد عام 795ه،1392م،وسجن بعدها عام 804ه،1400م،في حلب إلا أن تيمورلنك أطلق سراحه عام 804ه،1401م،وطلب منه أن يكتب تاريخه وغزواته،وقد زوده بمختلف الوثائق الرسمية،تنتهى حوادث الكتاب عند عام 806ه، ويعد نظام الدين شامي الوحيد الذي كتب جزء من سيرة تيمورلنك في حياة تيمورلنك[1].

ورغم أن ماكتبه أعتبر من أهم المصادر الفارسية في التاريخ التيمورى[2]، إلا أن صاحبه بالغ في الكثير مما كتبه، ويبدو أن قربه من تيمورلنك ، وميله إلى الثقافة الفارسية دفعه أن يطنب بشكلكثيرا على صاحبه كما يمكن أن نذكر المؤرخ الكبير حافظ أبرو الذي خدم في بلاط تيمورلنك ، ثم إلتحق بعد ذلك ببلاط شاهرخ، وتكمن أهمية ما كتبه عن التيموريين، بأنه كان شاهد على كثير من الأحداث إبتداءا من عام 788ه، إلى غاية وفاته عام 834ه،1430م،جمع المستشرق ريو الكثير من الحقائق عن حافظ أبرو خاصة فيما تعلق برحلاته وتنقلاته[3]، وحضر حافظ أبرو بعض حملات تيمورلنك العسكرية ومنها عملية إستيلائه عل حلب ودمشق،803ه،1400م،وخلف الكثير منالمؤلفات في التاريخ والجغرافيا ومنها كتاب زبدة التواريخ،ويطلق عليه أيضا مجمل التواريخ ، أو مجمع التواريخ السلطاني، وقد ألف هذا الكتاب سنة 829ه، أو 830ه، قبل 3أو4 سنوات من وفاته، وذلك بأمر من السلطان بايسنقر الإبن الثالث لشاهرخ، وقد كتب الكتاب في أربع مجلدات.

---

[1]-إبراهيم امين الشواربي،**مصادر فارسية في التاريخ الاسلامي**،مجلة كلية الآداب،مج7،جامعة فؤاد الأول،القاهرة،1944م،ص،23.

[2]- نفسه،ص،23.

[3]- نال حافظ آبرو حظا وافرا من الدراسات عند الباحثيين الأيرانيين وعند بعض المسبشرقيناذ أهتم المسبشرق التشيكى بجمع آثاره ونشر مقالات حولها،كما حقق الباحث الإيراني بياني خانبابا من دراسة وتحقيق ذيل جامع التاريخ رشيدي،كما قام حاجي سيد جوادي بدراسة حول زبدة التواريخ،كما أن كتابات حافظ أبرو نالت شهرة واسعة من تواجد مؤلفاته في أشهر المكتبات العالمية في بريظانيا وفرنسا وتركيا وإيران وروسيا،للمزيد عنه أنظر:

الكتاب الثاني فهو كتاب ذيل جامع التورايخ رشيدي،وهو عبارة عن تتمة لما كتبه رشيد الدين في كتابه جامع التواريخ، أي من عام 703هـ، وهو التاريخ الذي إنتهى إليه رشيد الدين، إلى غاية 795هـ، أي من عهد الإيلخاني الجايتو المدعو محمد خدابندة إلى غاية عهد تيمورلنك، وتكمن أهمية ما كتبه حافظ أبرو في هذا الكتاب هو أنه أعاد حلقة مفقودة في التاريخ الإسلامي ، وهي الفترة بين نهاية العهد الإيلخاني وبداية العهد التيموري،معتمدا في كتاباته على مصادر متنوعة،بين مصادر مكتوبة وشفوية،ومصادر مشاهدة ومشاركة[1]خاصة في تلك التي تحدث فيها عن التيموريين بإعتباره عاصر كثير من الأحداث في عهدتيمورلنك وشاهرخ[2]، ورغم إهتمام ورغم إهتمامه بالجوانب الحربية والتوسعات العسكرية، إلا أنه لم يهمل الجانب الفكري،من خلال رعاية العلم والعلماء وبناء المدارس ومختلف المنشئات المعمارية التي بقيت شاهدة على حضارة التيموريين.

لم يكن تيمورلنك حسن الحظ في أولاده مثل جنكيزخان،فلم يحققوا توسعات عسكرية، إلا أنهم إهتموا بشكل واسع بالعلوم والثقافة حتى أن البعض منهم كان مولعا بمختلف المعارف والعلوم الدينية والدنيوية، فكان إبنه الرابع شاهرخ أكثر التيموريين ثقافة كما أن إبنه ألغ بك كان ولعا العلوم الفلكية، إذ نجد في هذه الفترة عدد لابأس به من المؤلفات والمؤلفين الذين برعوا في شتى العلوم،وخلفوا عدة مؤلفات يمكن ذكرها في ما يلي:

نشطت في عهد خلفاء تيمورلنك العلوم الدينية، كعلوم تجويد القرآن والتفسير والحديث ويمكن ذكر محي الدين الأيجي،صاحب كتاب جامع البيان في تفسير القرآن،وقد عاصر السلطان حسين بايقرا،ومن العلماء حسين الكاشفي،ومن مؤلفاته خاصة في التفسير،كتاب جواهر التفسير، إضافة

---

[1]- محمد عبد الله عبد السلام،**ذيل جامع التواريخ رشيدي،لحافظ ابرو**،دراسة وترجمة،رسالة ماجستير،إشراف،أحمد عبد القادر الشاذلي،ورضا عبد الفتاح بدوي،ج1،كلية الأداب،جامعة المنوفية،مصر،1431هـ،2010-

[2]- يقول بارتولد أن تيمورلنك ظل متأثر بالمدنية الإيرانية،ورغم أميته إلا أنه كان على قدر كبير من الثقافة،فكان يلعب الشطرنج،ويخالط العلماء،ومنهم إبن خلدون الذي إلتقي تيمورلنك خلال حصار دمشق وجرت بينهم نقاشات متعددة في التاريخ وغيره،كما أن عهده عرف تقدما للأدب التركي بعد أن معدوم الذكر،أنظر:

بارتولد،تاريخ الترك في آسيا الوسطى،ص،286.

إلى كتاب آخرفي تفسير سورة يوسف سماه جامع الستين لأنه ألف الكتاب في ستين فصل،وهناك الكثير من المؤلفات في الفقه والأدب وغيرها نشطت بشكل واسع في عهد شاهرخ وأبناءه[1].

أما الكتابات التاريخية فإنها هي الأخرى نشطت بشكل واسع في تلك المرحلة، خاصة بعد أن أولى خلفاء تيمورلنك رعاية كبرى للتاريخ ورجاله، فبأمر من السلطان إبراهيم بن شاهرخ كتب شرف الدين علي اليزدي،كتاب ظفر نامة،"كتاب النصر"، أرخ فيه لتيمورلنك منذ ولادته إلى وفاته مستعرضا في كتابه سحله الحربى والسياسى.

إذا كان قد تعسر عليا قراءة الكتاب بشكل مباشر إلا أننى أستفدت من بعض الكتابات السابقة التي إعتمدت على محتواه،والكتاب لا يخلو من المحسنات البديعية،حوى الكتاب تفصيلات واسعة عن تيمورلنك مستعرضا سياسته ومختلف معاركه، وهو عبارة عن سيرة ذاتيه لتيمورلنك ، إلا أن المؤلف أبدى تحيزا واضحا لصاحبه،ورغم ذلك لقى الكتاب صدى واسع عند المستشرقين، فقد ترجم إلى اللغو الفرنسية من طرف المستشرق الفرنسي بتى دو كروا سنة 1883م[2]، وترجمه المستشرق الإنجليزى جون داربى إلى اللغة الإنجليزية عام 1823م.

---

[1]- نشطت الكثير من ميادين المعرفة في عهد شاهرخ وابناءه المولعين بشتى فنون المعرفة ،فزيادة على المؤلفات التي تم ذكرها،ومنها عالم الرياضيات غياث الدين جمشين الكاشاني الذي توفى عام 840هـ،1428م،والذي اشتهر بكثير من الحسابات الفلكية،وتحديد المسافات بين الارض ومختلف الكواكب،ويمكن ذكر ايضا ركن الدين شرف الحسيني الذي عاش وتوفي في هراة عام 860هـ،1455كم،ومن بين مؤلفاته زيج مفاتح الاعمال،ويمكن ذكر ايضا السلطان الغ بك الذي كان مولعا بعلم الفلك،بلغ شان عظيما فيه،وفي الطب نبغ الكثير من العلماء ومنهم نجيب الدين ابو حامد محمد بن علي السمرقندي،توفي في 816هـ،1413م،وبرهان الدين نفيسي بن عوض بن نفيسي الكرماني،الذي شرح موجز قانون ابن سينا،وألف محمد بن علاء الدين بن وهبة السبزاوي المعروف بغياث المتطيب كتابا بالفارسية سماه "قوانيين العلاج وشفاء الامراض،او"رسالة در معالجات امراض بدن"،وقد عرف عصر التيموريين انتاج وافر في كل مجالات المعرفة ،وذلك بسبب الرعاية التي لقيها العلماء في بلاط التيموريين ،منذ عهد تيمور ومرورا بخلفاءه،لذين اجتهدوا في توفير كل السبل =،لتشجيع العلم والعلماء،حتى أن بعض الآمراء التيموريين كانوا على قدر واسع من الثقافة ،فكان منهم الخطاط والرسام والشاعر والآديب،والعالم الفلكي ،للمزيد أنظر:
عفاف صبرة،نجوى كيرة،**مرجع سابق**،صً،256،وما بعده

[2]- يرى البعض أن ترجمة بتى دو لا كروا لم تكن ترجمة دقيقة أنظر:
فامبري،**مرجع سابق**،الهامش1،ص،222.

من المؤلفات التاريخية القيمة في هذه الفترة ما كتبه عبد الرزاق السمرقندي،صاحب كتاب "مطلع السعدين ومجمع االبحرين[1]،عاش الكاتب في بلاط السلطان شاهرخ وخلفاءه من بعده، يقع الكتاب في مجلدين ،إعتمد صاحبه بشكل خاص على ما ورد في كتاب "زبدة التواريخ لحافظ أبرو[2]،الجزء الأصيل من الكتاب يبدأ من حوادث سنة 830هـ،أما عن محتواه،فالكتاب يؤرخ لمرحلة تاريخية تمتد من حكم أبي سعيد الإيلخاني إلى فترة حكم أبي سعيد التيموري، أي الفترة التاريخية الممتدة بين 804هـ،875هـ، كما أورد المؤلف وصفا لرحلتين تجاريتين، بدأت أولها من مدينة هراة إلى الصين،وإنطلقت الثانية من ميناء هرمز متجهة نحو الهند، وكان المؤلف أحد أعضائها[3]، وقد أورد السمرقندي وصفا دقيقا لكل ماراه في تلك الرحلة،ويفهم من خلال هاتين الرحلتين أن العلاقات التجارية بين التيموريين والهند والصين كانت قائمة بشكل جيد.

ومن هنا نفهم طبيعة التأثيرات الفنية التي أصابت مختلف جوانب الفنون في عهد التيموريين، خاصة التأثيرات الفنية القادمة من الصين،هناك الكثير من المؤلفات التاريخية خاصة باللغة الفارسية،

[1]-إبراهيم أمين الشورابي،**مقال سابق**،ص،29..

[2]-عاش عبد الرزاق السمرقنى بين 816هـ،887هـ،1413م،1482م، له من المؤلفات التاريخية كتاب "مطلع السعدين ومرج البحرين"،،يقع في مجلديين إعتمد في كتابه على كتاب زبدة التواريخ لحافظ ابرو، حتى وقائع 830هـ،1426م،والجزء الآصيل من الكتاب يبدا من 831هـ،حتى 875هـ،1470م.

[3]- عباس إقبال ،**تاريخ إيران**،ص،622.

والتي أرخت بشكل جيد لمرحلة التيموريين[1]، وبصفة عامة يمكن القول أن مرحلة التيموريين ظلت كغيرها من مراحال التاريخ الإسلامية نشطت في كل مجالات الإبداع الفكري،مقدمة صورة واضحة عن رواج مختلف العلوم والمعارف الدينية والدنيوية،وقد عمل الحكام التيموريين على تقديم كل سبل الدعم من أجل أن تنفتح الآفاق، وييسر للناس أن تأخذ المعرفة، كما أن البعض الحكام من التيموريين كانوا ولعين بصنوف شتى من الثقافة و المعرفة،مما جعلهم يشجعون الناس ويقدمون المساعدة للمجتمع من خلال بناء المدارس والمساجد والمكتبات ومنح العطايا والهدايا لأهل العلم ورجاله.

2-في الفلك:

لم يقتصر إهتمام الخلفاء التيموريين على الجوانب الفكرية والأدبية ، إنما إمتد إهتمامهم إلى الجوانب العلمية،وكان منها خاصة الطب وعلم الفلك، وفي حقيقة الأمر فإن ميدان الفلك ظل في العصور الإسلامية من أكثر مجالات العلوم إهتماما لعدة عوامل سياسة وإجتماعية وضرورات دينية، وسيادة فكرة الشعور أو النزوع نحو معرفة المستقبل[2].

[1]- هناك الكثير المؤلفات التاريخية التي حظيت بمكانة مرموقة في تاريخ التيموريين ،ومنها ما الفه مير خواند المتوفى عام 903هـ،في كتابة روضة الصفا،وهو عبارة عن سبعة أجزاء،انتهى عند سنة 873هـ،وقد اتم الجزء السابع حفيده خوان مير المتوفي سنة 924هـ،والذي اشتهر بحبيب السير ،وللمؤلف كتاب آخر عرف بدستور الوزراء،وكتاب الأخبار في أحوال الأخيار،كما ألف معين الدين الزمجي الإسفزاري كتاب بعنوان "روضات الجنات في أوصاف مدينة هراة ،وهو من بين أهم الكتب في التاريخ لمدينة هراة خاصة،ومدن إقليم خراسان عامة.في مقابل ما كتب عن تيمورلنك وخلفاءه نجد كاتبا أخر اختلف في كتاباته خاصة عن تيمورلنك وهو المؤرخ الدمشقى أحمد بن عرب شاه ،إذ نجد أن المؤرخ سلك منحى آخر في التاريخ لتيمورلنك ،مختلفا عن مؤرخى الفرس الذين اسهمو أوبالغوا أحيانا في الحديث عن تيمورلنك،وكتاب عجائب المقدور في نوائب تيمور،ورغم طغيان أسلوب السجع والمحسنات البديعية ،إلا أن صاحبه يعتبر من أهم المؤرخينن لتي الذين كتبوا عن تيمورلنك،وذلك أن صاحبه كان يتقن عدة لغات منها الفارسية والعربية والتركية والمغولية،وتنقل في كثير من البلاد الاسلامية،ورغم أن إبن عرب شاه يبقى محل انتقاد المتحيزيين ليتمورلنك،إلا أن ما كتبه يبقى ذا قيمة تاريخية ،لأنه يقدم الوجه الآخر من التاريخ التيموري،كما أنه يسمح بتقديم وجه المقارنة بين ماقدمه مؤرخو الفرس،وما كتبه هو،إضافة إلى تتبع موقف المستشرقيين،ومعرفة طبيعة موقفهم.

[2]- يحي شامي،**تاريخ التنجيم عند العرب وأثره في المجتمعات العربية الإسلامية**،ط1،مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر،بيروت،1414هـ،1994م،ص،8.

إهتم المسلمون بهذ العلم تحت تأثير عدة أسباب، ومنها حاجة الإنسان المسلم لمعرفة مواقيت الصلاة وتحديد إتجاه القبلة،ومعرفة مختلف المناسبات الدينية، كما أن الضرورات الإقتصادية حتمت على الإهتمام بهذا العلم من منطلق معرفة الإتجاهات ومختلف الطرق التجارية ، والإهتداء ليلا في الصحراء،كم عمل الخلفاء المسلمين على بذل كل الجهد والوقت والمال من أجل تشجيع العلماء،وبناء المدارس والمراصد الفلكية، كما ساهم إنفتاح العالم الإسلامي على حضارات الشعوب الأخرى من إعطاء فرصة للإنسان المسلم لمعرفة تلك العلوم ومنها علم الفلك.

يعرف هذا العلم بعدة أسماء ومنها ،علم التنجيم وعلم الهيئة، حسب إبن خلدون فإن علم الفلك هو "العلم الذي ينظر في حركة الكواكب الثابتة والمتحركة ويستدل من تلك الحركات أشكال وأوضاع الأفلاك"[1]،يسميه إبن خلدون علم الهيئة ، أما الخوارزمي فيقول أنه سمي بالعربية التنجيم وباليونانية إصطر نوميا، فإصطر هو النجم ونوميا هو العلم[2].

بدأ الإهتمام بعلم الفلك في العصر الأموي ،حيث ترجم أول كتاب في الفلك،وهو كتاب مفتاح النجوم لهرمس الحكيم في أواخر العصر الأموي[3]،كما أطلع المسلمون على كثير منالمؤلفات الفلكية التي ترجمت إلى اللغة العربية،من الفارسية والسريانية واليونانية والهندية، إن حركة إزدهار علم الفلك وتطورها ، إنما يرجع الفضل فيها إلى الخلفاء العباسيين، الذين أولو هذا العلم رعاية خاصة،وهو في الحقيقة لم امرا غريبا على البيئة العربية،لآن العرب عرفوا التنجيم فيما قبل الإسلام،و تحت تأثير عوامل متعددة ومنها الحاجة إلى هذا العلم،وإختلاط العناصر العربية بشعوب

---

[1]- عوض عبد الكريم الذنيبات، ،**مدخل إلى تاريخ العلوم عند العرب**،كنور المعرفة،جامعة مؤتة ،2012م،ص،39

[2]- نفسه،ص،39.

[3]- ترى بعض المؤلفات أن كتاب هرمس الحكيم ترجم في أواخر العصر الأموي،كما ذكر صاحب كتاب المدخل إلى تاريخ العلوم عند العرب،ص،165،إلا أن البعض الأخر ومنهم علي بن عبد الله الدفاع يرى أن هذا المؤلف ترجم في أواخر العصر العباسي الثاني،أنظر:

عوض عبد الكريم الذنيبات،***مرجع سابق***،ص،41.

أخرى،فبدأت تأخذ منها هذا العلم، إضافة إلى شغف الخلفاء بهذا العلم ورغبتهم في تلبية بعض الحاجيات السياسية والإقتصاية وحتى العسكرية[1].

تشير المصادر التاريخية أن من بين أكبر المهتمين بهذ العلم الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور[2]، وكان نوبخت وإبنه أبو سهل من أكبر المنجميين عند المنصور،وعندما عزم

المنصور على إنشاء مدينة بغداد وضع أساسها على الساعة التي وضعها نوبخت حسب الأحكام النجومية[3].

رغم أن حركة الترجمة لم تعرف عصرها الذهبي إلا بعد وفاة الخليفة أبو جعفر المنصور، إلا أن هذا الأخير عمل على نقل جزء من تراث الشعوب الأخرى العلمى والفلسفى والفكرى إلى اللغة العربية،وكان من ثمار ذلك ترجمة بعض الكتب الإغريقية والرومانية والفارسية وحتى الهندية،ومنها الكتب العلمية و الفلكيه،ومن الكتب الشهيرة التي المشهورة، ومنها كتاب السندهند الذي ألفه الهندي براهما باللغة السنسكريتية[4]،وهو من المؤلفات الهامة التي ساهمت في تطور علم الفلك عند المسلمين،كما ترجم في عهد الخليفة هارون الرشيد وابنه المأمون ترجمة كتاب المجطسي[5] للعالم اليوناني

1- الخليفة العباسي الثاني الذي حكم من عام 136هـ،158هـ،854م،877م،تقول المصادر التاريخية أن الخليفة لما شرع في بناء مدينة بغداد عام 145هـ،862م،بداها في وقت إختاره المنجم الفارسي المشهور نوبخت

2- عباس إقبال الإشتياني،**ال نوبخت** ،تر،علي هاشم الأسدي،ط1425،1هـ،2004م،ص،26.

3- يقصد بها اللغة الهندية القديمة التي كتبت بها الكثير من المؤلفات في الفلك والرياضيات وغيره.

4- اللغة السنسكريتية،يقصد بعا اللغة الهندية القديمة التي كتبت بها عدة مؤلفات في الادب والفلك وغيره ،منها كتاب السند هند للفلكي الرياضي براهما غيتا،انظر:

طه عبد المقصود وعبد الحميد أبو عبية،**الحضارة الاسلامية دراسة في تاريخ العلومالإسلامية**،ط1،ج1،دار الكتب العلمية ،بيروت،1424هـ،2004م،ص،334.

5- كتاب المجسطي،أقدم كتاب في علم الفلك يعود إلى العالم اليوناني بطليموس ،وهو عبارة عن كتاب في الأزياج الفلكية،يتكون من ثلاث عشرة مقالة تتناول حركة الكواكب والنجوم نترجم إلى اللغة العربية في عهد يحيى بن خالد البرمكي ،وتعرض لعدة تصحيحات أهمها تلك التيقام بها إسحاق بن حنيين وثابت بن قرة الحراني ،للمزيد أنظر

--زيغريد هونكه ،**شمس العرب تسطع على الغرب،أثر الحضارة العربية في أوربا**،تر،فاروق بيضون،كمال دسوقي،مر،سارة عيسى الخوري،ط8،دار الآفاق،دار الجيل،بيروت ،1413هـ،1993م،ص،0 18.

بطليموس،وذلك من طرف عميد المترجمين حنين بن إسحاق،وتمت مراجعته من طرف عالم الفلك المشهور في عصره ثابت بن قرة الحراني المتوفي عام 288هـ،910م[1]،

كمانبغ في العصر العباسي الكثير من علماء الفلك لعل أبرزهم الثلاثة الذين تعرفهم المصادر التاريخية بأبناء موسى بن شاكر[2]،الذين تعهد الخليفة المأمون برعايتهم بعد وفاة والدهم، وكان أبرزهم محمد بن موسى بن شاكر الذي نبغ في هذا العلم، وأنشا له المراصد وتم في عهده مراجعة قياسات بطليموس.

كان من نتائج إنتشار علم الفلك إزدهار عملية بناء المراصد الفلكية ، وبناء المدارس التي تسهر على تقديم هذا العلم،خاصة دراسة الرياضيات والهندسة،وقد حرص ألغ بك على الآمر بنفسه،واستعات بكثير من اساتذة علم الرياضيات ومن المراصد الشهيرة التي يجب الإشارة إليها المرصد الذي بناه محمد بن موسى بن شاكر في بغداد وسامراء، أما في عهد الإيلخانيين وهي تقريبا الفترة التاريخية القريبة من عهد التيموريين،وهي فترة أزدهر فيها علم الفلك في إيران بعدما عهد هولاكو خان إلى بعض علماء الفلك،بتدريسه.

---

[1]- نفسه،ص،ص،117،118.

[2]- نفسه،ص،117..

وبناء المراصد الفلكية لذلك، فقد أنشا أحد أشهر الفلكين في تلك الفترة وهو نصير الدين الطوسي[1] مرصد مراغه وزوده بمختلف الآلات التي تستعمل في مختلف القياسات.

2-1-ألغ بك بن شاهرخ

الحديث عن علم الفلك في العصور الإسلامية السابقة لعصر التيموريين إنما يهدف إلى الإشارة إلى تطور علم الفلك في مختلف العصور الإسلامية[2]، وما تطوره في العصر التيموري إنما هو إمتداد لتلك المراحل السابقة، ولعل أبرز التيموريين الذي خلد إسمه كحاكم وعالم هو الغ بك حفيد تيمورلنك من إبنه الرابع شاهرخ[3]،فزيادة على أنه حاكم ،فكان ذا مواهب متعددة،تشير إلى ذلك مختلف المصادر والمراجع الإسلامية وحتى كتابات المستشرقين فهو فلكي كان يلتقي العلماء ويناقشهم في علم الفلك ودراسة حركة الكواكب والنجوم، وهو أيضا شاعر تعلمه على أيدى الشاعر خواجه

---

[1]- نصير الدين أبو جعفر محمد بن الحسن من أشهر علماء الفلك في العالم الإسلامي عامة وبلاد فارس خاصة،ولد بطوس في الحادي عشر من جمادى الأولى عام 597هـ، الثامن عشر فبراير عام 1201م،وتوفي ببغداد في الثامن عشر من ذي الحجة عام 672هـ، السادس والعشرون جوان1284مم،رجل سياسة وعالم دين ،وفلكي مشهور ذاعت شهررته خاصة في بلا هولاكوخان،شارك في الحملة المغولية التي أدت الى سقوط الخلافة العباسية،وتقول بعض المصادر أنه أشار على هولاكو بتوقيت الحملة،عمل على رعاية علم الفلك ولذلك إنشا مرصده الشهير بمدينة مراغه عام 675هـ،1259م،وجمع فيه الكثير من علماء الفلك،ألف الطوسي مؤلفات عدة عدها بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي ستة وخمسين مؤلفا ،شملت الرياضيات والفلك والهندسة والفقه وغيرها،عاصر الطويسي الأخوين الجويني ،فإلى المؤرخ عطاء الله الجويني أهدى له كتابه تلخيص المحصل" وإلى شمس الدين الجويني أهدى كتابه "أوصاف الأشراف"،ظل الطوسي عميق الإيمان بالشيعة وخاصة الامامية الاثنا عشرية،تعود شهرة الطوسي خارج الشيعة فيما كتبه في العلوم الاخرى كالطب والرياضيات والفلك،وهي علوم برع فيها وأكسبته شهرة واسعة ،للمزيد عنه أنظر:

محمد تقى مدرس رضوى،**العلامة الخواجة نصير الدين الطوسى حياته وآثاره**،ط1،تر،علي هاشم الأسدي،معرض طهران الولي السابع للكتاب،1414هـ،1994م.

دائرة المعارف الإسلامية،**مرجع سا بق**،ص،ص،2982،2981.

[2]- ولد ألغ بك عام 796هـ،1393م،وتوفي عام 853هـ،1449م،إمتد حكمه فترة طويلة ناهزت الأربعين عاما، حاكما لبخارى وبلاد كأشغر وسمرقند وفرغانه وأجزاء من مقاطعة سيحون،حكم من 812هالى 853هـ،أي 1409م،1449م، منها سنتان خليفة لولده شاهرخ بعد وفاته ورغم طول فترة حكمه أن شهرته العلميه ظغت على شهرته السياسيه،خاصة وأن عهده عرف الكثير من الإضطرابات خاصة الصراع مع إبنه عبد اللطيف ،الذي قتله عام 853هـ،1449م.

[3]- عفاف صبرة،نجوى كيرة،**مرجع سابق**،ص،286.

عصمت البخاري الذي كانالشاعر الخاص للسلطانيين خليل والغ بك،وقارئ أيضا للقرآن الكريم يتمتع بقدرة كبيرة وسرعة فائقة في الحفظ[1].

النجاح الأكبر الذي خلد إسم الغ بك هو رعايته لعلم الفلك وعلماءه، لأنه لم ينجح في نظر المؤرخيين كحاكم،نظرا للإضطراب الحاد الذي عرفه البيت التيموري،وطول فترة حكمه، وإنشغاله بالعلم، إلا أن شهرته العلمية ،جعلته من بين الشخصيات التي تذكر بكثير من الإجلال،وحظى الغ بك بمكانة مميزة في تاريخ العالم الإسلامي باعتباره حاكما و عالما، ولم يجد معاصروه شبيها له غير الإسكندر تلميذ آرسطو[2]،كما نال شهرة واسعة في كتابات المشتشرقين، الذين أسهموا في التعريف بدوره العلمي خاصة في علم الفلك[3].

كغيره من حكام المسلمين إهتم الغ بك ببناء المراصد الفلكيه، ولعل أشهرها المرصد الفلكي الشهير بمدينة سمرقند،حيث أمر العالم الفلكي الشهير غياث الدين بن محمد بن مسعود الكاشي أن يقوم ببناء مرصد سمرقند الفلكي، إلا أنه لم يتم إنجازه بعد أن توفي عام832 ه، وأسند إتمام إنجاز المرصد إلى الفلكي محمد بن القاضى محمود المعروف بقاضي زادة وهوعالم فلكي مشهور له عدة مؤلفات بالعربية والفارسية ومنها،كتاب شرح التذكرة في الفلك، وكتاب آخر بعنوان الأبعاد والأجرام، وكتاب آخر بعنوان نزهة الحدائق[4].

والمرصد الفلكي لسمرقند يعتبر من المراصد الفلكية الهامة في العالم الإسلامي، الذي بقيت بعض آثاره قائمة إلى وقت قريب، وقد أثار هذا المرصد إعجاب الكثير ممن زاروه في تلك الفترة،وهنايمكن أن نذكر ما نقله أحد أشهر مؤرخي تلك الفترة وهو صاحب كتاب "مطلع السعدين

[1]- شرين عبد النعيم،**ألغ بك**،ثقافتنا للفنون والدراسات،مج5،عدد،1429،18ه،2008،ص،147

[2]- فاسيلي بارتولد،**تاريخ الحضارة الإسلامية**،تر،حمزة طاهر،ط4،دار المعارف ،ب ت،ص،141.

[3]-أصدرت الحكومة السوفياتيه عام 1988م طابعا بريديا يحمل صورة الغ بك اعترافا لدوره العلمى،كما رممت مرصده العلمي بسمرقند،تخليدا لدوره العلمي والفلكي في العصور الوسطى،أنظر الملحق رقم،9،ص،305،والملحق رقم10، ،ص،،306.

[4]- نسخة من **كتاب الآبعاد والاجرام** محفوظة في مكتبة فاضل خان بمشهد في خراسان،أما **كتاب نزهة الحدائق** فعثر على نسخة منه في مكتبة غاران بروسيا.

ومجمع البحرين"،عبد الرزاق السمرقندي الذي وصف بحماس بالغ الآلات المختلفة التي كانت بالمرصد، وكان منها ماهو خاص بمسح الأرض وتعيين الإرتفاعات وتحديد خطوط الطول والعرض، بل أنه لا يجد من الألفاظ ما يسعفه ليعبر عن دهشته، حيث إطلع على الكرات السماوية وعليها النجوم من والكواكب في مسالكها بأحكام تام والخرائط التي تبين صورة كل إقليم في دقة تامة وعليها التلال والصحروات والبحار،وكل الناس يرون في هذا المرصد بحق أنه إحدى المعجزات"[1].

كانت رعاية ألغ بك للفلك ورجاله عاملا مهما في تطوره وإنتشاره وتعدد مؤلفاته،وكان من ثمارذلك النشاط العلمي المميز هو ظهور جداول النجوم المعروفة"زيج سلطاني جديد"،والذي يعرف إختصارا "بزيج الغ بك،والتي تم وضع معظمها عام 841هـ،1438م،وعلى أغلب الظن أن زيج ألغ بك كتب باللغة الفارسية[2]،وتقريبا في نفس الوقت ظهرت الترجمة العربية والتركية مرفوقة بمجموعة من الشروحات والتنقيحات.

أما تعريف الزيج كما تدل على ذلك المعاجم والقواميس هو عبارة عن كتاب يتضمن جداول فلكية يعرف بها سير النجوم،وتستخرج بواسطتها المجموعات السنوية سنة بعد سنة ولم يكن ما كتبه الغ بك أول ماكتب في علم الفلك،فهناك الكثير من الزيجات، كالزيج الإيلخاني الذي ألفه نصير الدين الطوسي المتوفي سنة672هـ،1284م ،وزيج إبن الشاطر،المتوفي سنة 777هـ.وغيرها من الأزياج التي رجع إليها الغ بك[3].

أما الزيج السلطاني الذي ألفه الغ بك،فهو يكاد يتطابق مع الزيج الإيلخاني[4]،وهو عبارة عن جداول فلكية نظمها المؤلف في أربع مقالات كل مقالة منها تتضمن معلومات معينة، فيلي المقدمة

---

[1]- فامبري،**مرجع سابق**،ص،268...

[2]-أغناطيوس يوليانوفتش كراتشكو فسكي،**تاريخ الآدب الجغرافي العربي**،تر،صلاح الدين عثمان هاشم،مر،ايغور بليانف،القسم1،موسكو،1975م،ص،116

[3]- حاجى خليفة،**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**،دط،ج2، دار أحياء التراث العربي،بيروت لبنان،دت،ص،966. هناك نسخة من مخطوط الزيج الذى كتبه ألغ بك محفوظ بجامعة أل سعود تحت رقم أنظر الملحق:رقم،11،،ص،،307،والملحق رقم 12،ص،308.

[4]- كراتشكو فسكى،**مرجع سابق**،ص،116.

المقالة الأولى التي تهتم بالتواريخ وهي على مقدمة وخمسة أبواب والمقالة الثانية في معرفة الأوقات والطالع في كل وقت وتتكون من إثنان وعشرون بابا ، أما المقالةالثالثة فهي حول سير الكواكب ومواضعها وهي ثلاثة عشر بابا، أما المقالة الرابعة فهي حوى مواقع النجوم الثابتة،ضمنها في بابين.

يعتبر زيج ألغ بك أحسن و أقرب الزيجات واصحها[1]،كما يرى ذلك المختصين،نال الزيج السلطاني شهرة واسعة بين علماء الفلك، وترجم إلى عدة لغات ،يرى الكثير من المهتمين أن زيج الغ بك يمثل الكلمة الأخيرة في فلك العصور الوسطى والدرجة القصوى التي بلغها علم الفلك قبل إختراع المنظار المقرب التلسكوب[2].

إذا كان المرصد الفلكى الذي شيده ألغ بك في سمرقند لم يصمد زمنا طويلا نتيجة تعرضه للخراب حتى أنه عمره لم يتجاوز عمر صاحبه،إلا أن زيج الغ بك عمرا طويلا،وكان يستعمله المؤقتون في البلاد الإسلامية إلى عهد قريب، كما أن مساعد الغ بك علي بن محمد القوشجي، نقل تلك المعارف الفلكية إلى الدولة العثمانية،بعد أن وجد ملاذا آمنا عند السلطان العثماني محمد الثاني[3].

بعد رحلة تجوال طويلة، حيث أصبح المسؤول الأول عن إنتشار المعارف الجغرافية والفلكية في الدولة العثمانية،وقام بترجمة عدد من مؤلفاته الفارسيه والعربية إلى اللغة التركية و التعريف بزيج التيموري ألغ بك،وبهذا الزيج تختتم سلسلة المصنفات الفلكية التي أقتفت آثار المأمون،وظل زيج ألغ بك يحظى بمكانة علمية لدى الأوربيين، الذين أطلعوا عليه من خلال مجموعة من الدراسات

---

[1]-حاجى خليفة،**مرجع سابق**،ص،966-

[2]- كراتشكو فسكي،**مرجع سابق**،116.،

-زيغريد هونكه،**مرجع سابق**،ص،ص،193،194

[3]- محمد الثاني الذي حكم من855هـ،886هـ،1451م،1481م،من أشهر السلاطين العثمانيين،قاهر أوربا الشرقية ،تم في عهده تحقيق الإنتصار الأكبر ويتمثل في فتح القسطنطينية بعد عدة محاولات فاشلة من أسلافه،في 29 ماي 1453م،أنظر:سيد رضوان علي،محمد الفاتح **بطل الفتح الإسلامي في أوربا الشرقية**،ط1،الدار السعودية،1406هـ،1982م،وأيضا ،علي محمد الصلابي،**فاتح القسطنطينية محمد الفاتح**،دط،دار الإيمان الإسكندرية،2000م:

الفلكية[1]،يمثل الغ بك في تاريخ الحضارة الإسلامية دور الحاكم والعالم ، وإذا كان لم يحقق نجاحات سياسية باهرة كحاكم، إلا أنه إستطاع أن يخلد إسمه في تاريخ العلوم الفلكية،ويلقى الثناء من المسلمين وغيرهم، يقول عنه أحد شعراء عصره،وهوالشاعر السكاكى[2] مخاطبا الغ بك "سيدور الفلك كثيرا حتى ينجب شاعرا تركيا مثلي وملك مثلك"[3].

وبصفة عامة يمكن القول أن تاريخ التيموريين الذي غلب عليه في نظر بعض المؤرخين النزعة الحربية من خلال السياسة العسكرية التي سار عليها مؤسس الدولة تيمورلنك، إلا أن هناك وجه أخر لتلك الدولة ممثلا في نهضة فكرية وأدبية وعلمية قل نظيرها في العالم الإسلامي على حد ما يرى الكثير من المهتمين،وهي مرحلة شبيهة بتلك التي حصلت في الأندلس في عهد الأمويين، وإذا كانت عملية المقارنة هنا ليست من صلب الموضوع،لكن هذا لا يمنع من القول أن تارخ الدولة المغولية الثانية التي أسسها تيمورلنك ، وسار عليها أبناءه وأحفاده،إنما تعبر بصدق على ذلك التطور الحاصل في تاريخ الأمة الإسلامية .

لقد إهتم تيمورلنك ببناء المدارس،والإنفاق عليها،وبناء المكتبات،وكان في كل مرة يأتى بعلماء البلاد المفتوحة إلى سمرقند،كما كان حريصا على نقل الكتب،فيروى المؤرخون بأنه نقل مكتبة كاملة على ظهور البغال إلى سمرقند،وهي صفة داب عليه خليفته شاهرخ في مدينة هراة،حيث جعل من هذه المدينة مركزا تقافيا في أسيا الوسطى،حيث علت في عهده مكانة العلماء والرسامين والمعماريين،وظل حريصا على بناء المدارس والمكتبات وكذلك فعلت زوجته جوهر شاد،التي كا نت محبة للعلم والعلماء ولعة بالعمران.

---

[1]- في نفس الوقت تقريبا أي خلال القرن السابع عشر الميلادي عرفت أوربا زيج نصير الدين الطوسي وزيج الغ بك،وذلك من خلال دراسات جون غريفز 1648م،1652م،وترجم هذه الجداول الدكتور توماس هايد 1665م،مع ترجمة لحياة الغ بك،و ترجم سيديو مقدمة الجدول بين 1637م،1653م،أما بول كنوبل فنشر فهرس النجوم في طبعة علمية .

[2]- من أكثر الشعراء شعبية في تاريخ الأدب التركي مدح السلطان خليل حفيد تيمورلنك الذي حكم من 808هـ،إلى 812هـ،1405م،1409م،كما مدح أيضا السلطان الغ بك

[3]- بارتولد،**تاريخ الحضارة الإسلامية**،ص،144.

أما الإبن الرابع لشاهرخ والذي أل إليه الحكم بعد وفاة والده،فقد كان هو بنفسه ولعا بالعلم متبحرا في الفلك والرياضيات،إضافة إلى حب الشعر وقراءة القران،والآمر نفسه إمتاز به اخر التيموريين حسين بايقرا،الذي كان محبا للعلم والعلماء،باذل للمال والعطاءات من أجل إكرام العلماء،كما ظل ساعيا في بناء المدارس.

وبصفة عامة فإن النهضة الفكرية والآدبية والفنية التي عرفتها فترة حكم التموريين،إنما تعبر عن ذلك التطور الفكرى،رغم جسامة الحروب التي خاضها خاصة تيمورلنك،وكان ثمار هذه الفترة الزاهية،ظهور كثير من الآعلام في الآدب والفكر وغيره،وقد مر ذكر البعض منهم في هذا العمل.

ولابأس أن نعيد التذكير ببعضهم ،والإشارة إلى البعض الذين يمكن لدراسات أخرى أن تميط الثام عنهم،ومنهم سعد الدين التفازانى المتوفى سنة 791هـ،والذي ينسب الى اقليم تفازان بخراسان،والذي كان حجة في البلاغة واللغة والفقه وعلم الكلام،وله الكثير من المؤلفات،كما يمكن ذكر سيد شريف الجرجانى المتوفى سنة 816هـ،وكان عالما وفيلسوفا وقد كتب عدة كتب في الفلسفة باللغة العربية والفارسية،كما يمكن ايضا ذكر جلال الدين الديوانى المتوفي سنة 902هـ،1497م،والذي ينسب إلى منطقة دوان بإقليم فارس،وكان صوفيا وشاعرا،كما يمكن الإشارة أيضا إلى أبو طاهر الشيرازى الفيرو ابادى المتوفي سنة 817هـ،صاحب المعجم المشهور،"القاموس المحيط"،وهومن بين المؤلفات الهامة التي كتبت في تلك المرحلة،إضافة إلى مؤلفات أخرى متعددة في شتى حقول المعرفة.

كان في البلاط التيموري العالم والشاعر والأديب،والفلكى والرياضى، وأكثر من ذلك أن السلاطينالتيموريين،كانوا على درجة عالية من الإهتمام بكل شؤون الثقافة والكتابة،فبعضهم كان شاعرا كماهو حال السلطان شاهرخ، والآخر أديب كما الحال بالنسبة بايسنقر وحسين بايقرا ومنهم العالم كما هو حال الغ بك، كما أن بعض الوزراء قد بلغوا درجة عالية من الثقافة ومعرفة الفنون،ولم يكن علي شير نوائى وزير السلطان حسين بايقرا إلا عينة من تلك النماذج الحية التي تركت بصمة واضحة في عالم الكتابة والمعرفة والفن.

كان بلاط التيموريين يعج بالعلماء والمثقفين حتى أن تيمورلنك الذي لم يسعفه الحظ في الإستمتاع بكثير من أوقات الراحة نظرا لإنشغاله بالحروب التي لم تكد تنتهى ، إلا أنه بين الفينة والأخرى كان يلتفت التفاتة كريمة للعلم ورجاله،يجالس العلماء ويناقشهم . .

في تلك الظروف التي عادة ما كانت اغلب اوقاته ساحات للمعارك،كان الأمراء التيموريين يجتهدون،في التنافس على رعاية مختلف فنون المعرفة، وكثيرا ما كان بلاط بعضهم يعج بأهل العلم والثقافة، تلك هي صورة أخرى لرحلة المعرفة في تاريخ الحضارة الإسلامية التي خلدها الزمان والمكان،من مجموعة ضخمة من المؤلفات وفي شتى ضروب المعرفة، وهنا لابد من أن تستدرك في القول أن الكثير من المؤلفات التي تناولت،الحياة الفكرية والثقافية في عهد تيمورلنك وخلفاءه ، رغم ان الكثير من المؤلفاتركزت على الجانب الحربى،وعملية التدمير التي حدثت في مدن أخرى ، إلا أن ذلك لم يمنع من رسم صورة مشرقة لمظاهر حضارية مميزة عرفها التيموربيين، خاصة في العمارة والفنون، والعلوم ، وهو أمر لابد من نعترف به ، لإنها كانت جزءا من الحضارة الإسلامية اللافتة والمميزة، حتى أن البعض شبهها بتلك النهضة التى عرفتها الأندلس في عهد الأمويين.

الفصل الخامس:

المراكز الفنية والأدبية والعلمية

عرفت الدولة الإسلامية منذ تأسيس دولة المدينة المنورة[1] ،عواصم متعددة مثلت مركز الإشعاع السياسي والحضاري والإقتصادي،فكما كانت المدينة المنورة، هي مركز الدولة التي أسسها الرسول عليه الصلاة والسلام، ومنها انطلقت عملية نشر الإسلام من خلال الفتوحات الإسلامية الكبرى ، التي شملت أقطارا متعددة وصلت الهند وجزر الفليبين، وبلاد المغرب وغيرها من الأقطار.

إتخذ الأمويون من مدينة دمشق عاصمة لهم،وهي من المدن العريقة،والمدينة من المدن المحاطة ببساتين غوطة دمشق، يرجع تاريخ المدينة الأول إلى زمن النبي إبراهيم عليه السلام[2]، دخلها الإسلام سنة 14هـ،635م،629م،750م، علي يد الصحابي الجليل أبو عبيدة بن الجراح[3] ،صارت عاصمة الأمويين منذ سنة 41هـ،132هـ،بها الكثير من المعالم الأثرية، يأتى في مقدمتها الجامع الأموي الذي بناه الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك سنة 78هـ،706م[4]، والذي يعد من أهم المعالم المعمارية في العالم الإسلامي[5].

رغم مراحل الضعف التي مرت بها المدينة، إلا أنها ظلت عصية على الغزاة، ولم تفقد قوتها إلا بعد أن تعرضت للغزو التيمورى بقيادة تيمورلنك سنة803هـ،1401م[6].

---

[1]- تمثل المدينة المنورة التي هاجر إليها الرسول صلى الله عليه وسلم أول عاصمة في الإسلام.

[2]- عبد الحكيم العفيفى،**موسوعة 1000مدينة إسلامية**،ط1،أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع،1401هـ،2000م،ص،235.

[3]- هوأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري ولدعام 40قهـ،584م،18هـ،639م،وكان الأوائل الذين دخلوا إلى الإسلام،وهو من بين العشرة المبشرين بالجنة،لقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بأمين الأمة،كان من بين القادة الأربعة الذين عينهم أبوبكر الصديق لفتح بلاد الشام،فلما آلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب عزل خالد بن الوليد،وإستعمل أبو عبية بن الجراح :أظر:
-محمد حسن تراب،**أبو عبيدة بن الجراح**،ط1،دار لقمان،1418هـ،-

[4]-أشهر المساجد الإسلامية في التاريخ ،نظرا لآهميته الروحية وقيمتع الهندسة والمعمارية،وقد إجتهد الخليفة الوليد بن عبد الملك في تشييده والسهر على بنائه،وهو من بين التحف المعمارية الخالدة في تاريخ الحضارة الإيسلامية

[5]- عندما زار الفيلسوف الفرنسى لامارتين مدينة دمشق سنة 1833 ورأى معالمها ومنها الجامع الأموى قال عبارة شهيرة،"إن أمة تنتج مثل هذا المعمار لهي أمة جديرة بالإحترام.

[6]-إبن عرب شاه،**المخطوط**،ص،86.

سقطت الدولة الأموية سنة 132هـ،750م،وجاءت بعدها الدولة العباسية،بعد أن نجحت الدعوة العباسية في إيصال بنى العباس إلى الحكم،سنة 132هـ،750م، بعد أن أعلن أبو أبو العباس السفاح من مدينة الكوفة نفسه خليفة للمسلمين.

لم يستمر أبو عبد الله السفاح في الحكم طويلا،وخلفه من بعده أخو أبو جعفر المنصور، والواقع أن العباسين بقوا دون عاصمة لهم أكثر من ثلاثة عشر سنة ، إلى أن قررالخليفة أبو جعفر المنصور بناء مدينة بغداد[1]، خاصة بعد أن أدرك الخليفة طبيعة الأخطار التي تحدق بالدولية الفتية،لذا كانت الدوافع السياسية والعسكرية والجغرافية والإقتصادية سببا في إقدامه على بناء العاصم الجديدة[2]، كما كان من المستحيل أن يبقى العباسيين في مدينة دمشق، نظرا لما تكنه من إخلاص لبنى أمية.

ظلت مدينة بغداد عاصمة الخلافة العباسية لفترة طويلة، نابضة بالحياة الإقتصادية والفكرية والحضارية،ازدهرت فيها مختلف العلوم والفنون،وازدهار حركة الترجمة بها،فكانت البلاد مليئة بالقصور والحمامات والمساجد والمكتبات،وبلغت ذروة ازدهارها خاصة في العصر الذهبي للعباسيين، وتحديدا في عصر هارون الرشيد وإبنه المأمون[3].

تراجع دور المدينة الحضارى نسبيا ، بعد أن تعرضت للغزو المغولى الذي قاده حفيد حنكيز خان،هولاكو خان الذي أسقط المدينة عام،656هـ،1285م،بعدها ظهرت حواضر أخرى في

---

[1]- كان ذلك سنة 141هـ، 768م،واستمر بنائها ثمانية أعوام،بلغ ععد البناة فيها أكثر من مئة الف،وأكثر من 18 مليون دينار،للمزيد عن مدينة بغداد او دار السلام كما سماها البغدادي انظر:
أبى بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادى،**تاريخ بغداد أو مدينة السلام**،ط1،"مكتبة الخانجى القاهرة،المكتبة العربية بغداد،مطبعة السعادة،1349هـ،1931م

[2]- لم يكن إختيار مدينة دمشق لكي تكون عاصمة العباسيين ،نظرا لأن الخراسانيين،الذين كان لهم دور كبير في الدعوة العباسية وقيام الدولة الجديدة،لذلك كان إختيار بغداد زيادة على الدوافع التى أشارت إليها،الرغبة الفارسية لكي تكون العاصمة قريبة منهم،وهناك مدن كانت يمكن أن تأخذ طابع العاصمة،كاكوفة والبصرة،إلا أن ذلك لم يحدث،خاصة وأن أهل الكوفة كانوا ميالين إلى الثورات وغلب عليهم التشيع والإنحياز لعلي بن أبى طالب،أما البصرة فموقعها البعيد في الجنوب لم يسمح لها أن تاخذ صفة العاصمة.

[3]- العصر الذهبي للخلافة العباسية،حسب ما يراه المؤرخون الفترة المتتدة بين 170هـ،248هـ،786م.

مناطق متفرقة، من العالم الإسلامي كان لها الحظ أن تقوم بدورها في إحياء التراث الحضارى للأمة الإسلامية في مختلف جوانبه المادية والمعرفية،وفي الوقت الذي دمرت

دمرت فيه الكثير من الحواضر والمدن في إقليم خوارزم، وبلاد الخلافة الإسلامية، إلا أن الأمر سرعان ما بدأ الأمر يسستقر بظهور مدن جديدة كان تأثيرها واضح في البلاد الإسلامية[1].

بين فترة قيام إمبراطورية جنكيزخان في بداية القرن السابع الهجرى ،الثالث عشر الميلادى، وقيام إمبراطورية تيمورلنك في القرن الثامن الهجرى،الرابع عشر الميلادى، فقدت الكثير من الحواضر التقليدية دورها لصالح مدن جديدة، وهنا بطبيعة الحال يمكن الإشارة إلى كثير من المدن التي كانت تمثل أقطاب للفكر والعلم مثل دمشق وبغداد،وقد لعبت هذه المدن دورا بارزا ليس في العالم الإسلامي فحسب، بل في العالم كله في تلك الفترة،وكان للكثير منها دورها السياسى والحضارى كعواصم سياسية وحواضرعلمية وفنية.

أعن الفترة القريبة من حكم التيموريين،يمكن الحديث عن بعض المدن الهامة والمثرة في حياة العالم الإسلامي من الناحية السياسية والحضارية،وهنا يمكن هنا الإشارة إلى عاصمة الإيلخانيين تبريز[2]، التي ظلت محل صراع بين الأسرات الحاكمة التي انفصلت عن الإيلخانيين،خاصة الجلائريين والمظفريين، وذلك لأهميتها السياسة وأثرها البارز في مختلف الفنون، كما يمكن ذكر أيضا عاصمة المظفريين مدينة شيراز التي عمل أمرائها على رعاية الآباء والشعراء و مختلف الفنون، خاصة وأن السلطان مبارز الدين محمد وإبنه شاه شجاع كان لهما دورافي رعاية مختلف العلوم والفنون، وإليهما

[1]- ظلت دمشق وبغداد أشهر العواصم الإسلامية نظير الدور الذي قدمتاه في خدمة العلم ومختلف الفنون إلا أن الظروف التي مرت بهاما في بعض فترات التاريخ أفقدهما دورهما بعض الشئ لصالح مدن وحواضر جديدة.

[2]-أشهر مدن أذربيجان،وهي مدينة عامرة،إتخذها الإيلخانيين عاصمة لهم،ولعبت المدينة دورا هاما في في الحياة الفنية خاصة في فن التصوير عند المدرسة المغولية،أنظر:

ياقوت الحموى،**مصدر سابق**،ج2،ص،13،وأيضا

أبو الحمد فرغلى،**نشأة التصوير في الإسلام**،ص،178.

ينسب الفضل في بروز الشاعر الإيرانى الكبير حافظ الشيرازى[1]، وغيرها من المدن الأخرى، التي إنتشرت فيها الحياة الفكرية.

سار التيموريون في نفس الإتجاه خاصة في إنشاء حواضر خاصة بهم، وكانتا أهم مدينتين حظيتا بالرعاية والإهتمام الكبيرهما:مدينتا سمرقند عاصمة تيمورلنك،وحفيده الغ بك[2]،أما المدينة الثانية،فهي مدينة هراة عاصمة السلطان شاهرخ،وآخر التيموريين حسين بايقرا[3].

ظلت المدينتان تمثلان في عصر التيموريين أهم الحواضر العلمية والفنية والأدبية والعمرانية، نظير ما أنتجته في مختلف العلوم والمعارف والفنون، فكان جديرا أن أتطرق إلى التطور التاريخى لهاتين العاصمتين الجديدتين،وأهميتهما الجغرافية ودورهما في الحياة الفنية والأدبية والعلمية في عهد التيموريين.

1- مدينةسمرقند:

تعد مدينة سمرقند من أعظم المدن وأشهرها في بلاد ما وراء النهر،منذ عهد السامانيين[4]، وزادت أهميتها الحضارية بعد أن إتخذها تيمورلنك خاضرة ملكه،وعاصمة الدولة التيمورية،وقاعدة ملك تيمورلنك منذ النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى،الرابع عشر الميلادى.

أخذت المدينة الحظ الأوفر في كتابات الرحالة العرب والأوربين خاصة الروس منهم، أطلق البعض عليها إسم الياقوته الراقدة على نهرزارفشان،وأطلق البعض الآخر عليها إسم "آيا" ، أما العرب فقالوا عنها مدينة المسرات.

[1]- حافظ الشيرازى،هو شمس الدين محمد المعروف بخواجة حافظ الشيرازى،وإسم حافظ أطلق عليه لحفظه القرآن الكريم،وهو لقب على عدد معتبرمن شعراء ذلك الوقت،وهو ينسب إلى مدينة شيراز،وقد برع كثير في الشعر،كما أنه وجد الرعاية الكاملة من الأمراء المظفريين الذين كانوا يتذوقون الشعر وفنونه،أنظر:

حافظ الشيرازي،**أغاني شيراز،أو غزليات حافظ الشيرازي**،تر،إبراهيم أمين الشواربي،ط1، مطبعة فجر الإسلام،دم،1425ه،2004م.

[2]- بارتولد،**تاريخ الحضارة الإسلامة**،ص،140.،

[3]- عفاف صبرة،نجوى كيرة،**مرجع سابق**،ص،252.

[4]- ينتسب السامانين إلى سامان خداه،الذى كان حاكما على بلخ إحدى قرى خراسان في عهد ولاية أسد بن عبد الله القسرى،وإلى الآمويين،بين 105ه،109ه،732،727م،تختلف الروايات في إسلامه،إلاأن المؤكد أن السامانيين كان لهم دور بارز في عهد الخلافة العباسية،خاصة في مواجهة الشيعة الزيدين والآتراك الوثنيين.

تعتبر مدينة سمرقند، بأنها أحى قصبتى الصغد، بإقليم ما وراء النهر،والذى تمثله مدينتان، هما مدينة بخارا العاصمة الدينية للصغد،وسمرقند العاصمة السياسة له[1].

أما أن تسيمة المدينة كام أوردت ذلك المعاجم والمصادر الجغرافية، فسمرقند بفتح أوله وثانيه،كما هو في معجم البلدان عند ياقوت الحموى، أما العرب فقالو عنها سمران،وهي من إبنية ذى القرنيين فيما وراء النهر، وقال عنها الأزهرى بناها شمر أو كرب،فسميت سمرقند، وغير ذلك من الروايات التي أوردها ياقوت الحموى[2].

تكرر ذكر المدينة في مصادر الرحالة المسلمين الذين كان لهم شرف زيارتها،والوقوف على تاريخها وحضارتها، ولعل أبرزهم الرحالة المغربي إبن بطوطة الذي زارالمدينة في المئة الثامنة، ليقف فيها على حجم الدمارو الخسائر التي ألحقت بها من جراء حملات المغول الجنكيرخانيين ،بقيادة جنكيز خان، واصفا إياها قائلا: أنها مبنية على شاطئ يعرف بوادى القصارين،عليه النواعير وتسقى منه البساتين[3].

أما المقدسي فقال عنها في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، فقال عنها"أنها بلد سوى جليل...كثير الرقيق،وماء عزيربنهرعتيق، تحمل إليها المتاع من كل فج عميق، لها أربعة أبواب،باب الصين،باب النوبهار،باب بخارا باب كش،باب النوبهار[4].

أما الأدريسى فقال في وصف المدينة"مدينة لها شوارع ،ومجالات متسعة،وفنادق وحمامات ،وخانات،وعليها صور تراب منيع، يحيط بها خندق ولها أربعة أبواب،ولها عدة رساتيق..."[5].،يتضح من خلال ما ذكره الرحالة،والجغرافيون العرب، أن المدينة خصبة الأراضى غنية بالخيرات،وافرة المياه

1- خالد عزب ،**بخارا الشريفة تاريخها وتراثها الحضارى**،دط،مكتبة مدبولي،القاهرة،دت،ص،07.

2- ياقوت الحموى،**معجم البلدان**،ص،346.

3- شمس الدين أبي عبد الله محمد اللواتى الطنجى إبن بطوطة،((ت 779هـ/1377م)،**رحلة إبن بطوطة تحفة النظار،في غرائب الأمصار وعجائبالأسفار**،تح،عبد الهادى التازى، مج3 ،دط،المملكة المغربية،الرباط،1417هـ،1997م،ص،35.

4- نقلا عن:**بارتولد تاريخ الترك في آسيا الوسطى** ،ص،322.

5- نفسه،ص،323.

متدفقة بها،ذات أسوار منيعة،وهو ما جعلها عبر التاريخ مركزا لتجمع السكان والقوافل التجارية،التي ظلت تأتيها من مناطق بعيدة.

في كتابات االجغرافيين المستشرقين، هناك إشارات واضحة عن أهمية المدينة من خلال ما كتبه كى ليسترنج في كتابه بلدان الخلافة الشرقية، فهو يؤكد ما ذهب إليه الجغرافيين العرب،وكتب قائلا عنها فيما يبدو نقلا عن غيره، "قد قيل عنها أنها مدينة ذات رساتيق جليلة،جلها في شرقها وجنوبها ،وبعضها في شمالها،وكلها خصبة وافرة الخيرات"[1].

إذا كانت المدينة قد إكتسبت الأهمية الطبيعية والجغرافية والإقتصادية،نظير موقعها وتعدد خيراتها،ووقوعها على طريق تجارى حيوي ، فإنها إكتسبت أهمية تاريخية قصوى ، إذ ظلت عبر مراحل العصور التاريخية، محل أطماع الكثير،وهدفا للحملات العسكرية الغازية، أما في العصور الإسلامية، فإكتسبت المدينة أهمية دينية خاصة، جعلها تحظى بالرعاية والإهتمام، ويمكن هنا أن نستدل بما جاء عند الحموى في معجمه في" رواية يصل سندها إلى أنس بن ملك رضى الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم،أنه ذكرمدينة خلف نهر سيحون تدعى سمرقند،قال لا تقولوا سمرقند،ولكن قولوا المحفوظة"[2].

تدل هذه الرواية أن صحت عن مدى القيمة الدينية للمدينة، والكرامات التى أحيطت بها.

---

[1]- كى ليسترنج،**بلدان الخلافة الشرقية**،ص،508.

[2]- تذكر هذه الرواية في إسناد يرجع إلى أنس بن مالك رضى الله عنه،قال أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن محمد السمعاني،أخبرنا أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المظفر الكسى،إنبانا محمد أبو الحسن علي بن عثمان بن إسماعيل الخيرإطاملاءا،أنبانا عبد الجبار بن أحمد الخطيب ،إنبانا أبوبكر محمد بن عبد الله الخطيب ،أنبانا محمد بن عبد الله بن محمد بن علي السائح الباهلي،أنبانا الزاهد أبو يحى أحمد بن الفضل،أنبانا مسعود بن كامل أبو سعيد السكاك،حدثنا جابر بن معاذ الأزدى ،أنبانا أبو مقاتل حفص بن مسلمالفرارى،أنبانا بن برد بن سنان،عن أنس بن مالك رضى الله عنه،هذا الإسناد يعود إلى تسمية مدينة سمرقند بالمحفوظة،وقد وصف الكثير من الكرامات فيها،للمزيد عن الرواية والمدينة،أنظر:

ياقوت الحموى،**مصدر سابق**،ص،249.

أما عن نشأة المدينة وتطورها فإنها نشأت على الغالب فيما قبل الميلاد،وهو الذي جعل المؤرخون يختلفون حول تسمية المدينة، حتى بعد أن فتحها المسلمين، أما إسم سمرقند فلم يستعمل بشكل واسع إلا بعد الفتح الإسلامي للمنطقة.

تتعدد الروايات التاريخية حول تسمية المدينة، إلا أنني أقتصر على البعض منها فاتحا المجال للبحث والدراسة أن أمكن ذلك في المستقبل، ففي حدود الألف الأولى في عهد الأخمينيين، أطلق على المدينة إسم "أفرسياب"[1]، أما في العصر اليوناني فأطلق عليها إسم "مرقندا"[2]، لما تعرضت لغزو الأسكندر المقدوني[3] سنة 329 قبل الميلاد، الذي قام بتدمير المدينة ومحو آثارها بعد أن كانت قوية جيدة ومتينة التحصين[4].

إكتسبت المدينة أهميتها الحضارية والإقتصادية والسياسية وخاصة الدينية بعد أن دخل الإسلام إلى بلاد ما وراء النهر،وقد لعب موقعها الجغرافي دورا هاما في تشجيع المسلمين على فتحها ،خاصة وأنها موجودة على طريق حيوى إضافة إلى محاربة العناصرالوثنية المنتشرة على نطاق واسع بين شعوب تلك المنطقة، والتأثير القوى للديانة البوذية،خاصة وأن التأثيرات الصينية ظلت في المنطقة قوية،كانت أولى الفتوحات الإسلامية في المنطقة تلك التي قادها الآحنف بن قيس[5]،في عهد الخليفة عمر بن

---

[1]- نسبة إلى أفراسياب بن طوج بن أفريدون،وقيل فارسياب بن توذل بن ترك بن يافت بن نوح عليه السلام،أنظر:

عمر بنمحمد بن أبي الفوارس أبو حفص زين الدين بن الوردى المعرى الكندى،ت749ه،تاريخ إبن الوردى،**تاريخ أبن الوردى**،ط1،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1417ه،1996م،35.

-أبي حنيفة بن أحمد بن داود الدينوري،**الأخبار الطوال**،تح،محمد عامر،وجمال الدين الشيال،دط،وزارة الثقافة والإرشاد القومى، دت،دمن،ص،4.

[2]- غريغوريس أبو الفرج بن هارون المعروف ،بابن العبرى،ت658ه/1286م،**تاريخ مختصر الدول**،تص،أنطوان صالحى اليسوعى،ط3"دار الرائد البنانى،لبنان،1415ه،1994م،96.

[3]- الإسكندر بن فليفوس المقدونى الملقب بالإسكندر العظيم،من أشهر الغزاة في التاريخ،إستطاع أن يحكم مملكة واسعة إمتد جدودها إلى الهند والصين،أنظر:

-إبن العبري،**مصدر سابق**،ص،ص،ص،98،97،96..

[4]- فيتالى نومكين،**سمرقند**،تر،صلاح صلاح،ط1،منشورات المجمع الثقافى،الإمارات العربية المتحدة،1996م،16.

[5]- الأحنف بن قيس وإسمه الضحاك أسلم زمن الرسول صلى الله عليه وسلم،وتوفى عام 67ه،واليه أسند الخليفة عمر بن الخطاب فتح بلاد ما وراء النهر،مثل هراة ،ومرو.

الخطاب[1] ،ثم الحملات الأخرى التي قام بها القادة العسكريين في عهد الخلافة الآموية[2]،ومنها تلك التي قادها الحكم بن عمرو الغفارى عام 45هـ،665م،وحملة أخرى في عهد عبد الله بن زياد عام 53هـ،674م، وإستمرت الفتوحات الأموية في تلك المنطقة خاصة بعد أن تولى سعيد بن عثمان بن عفان[3]ولاية خراسان في عام55هـ،676م[4]، إذ قام بحملة عسكرية، أسقط خلالها مدينة ترمذ[5]، وصالح أهلها على دفع الجزية[6]، وذلك إثر المعاهدة التى عقدها مع أهل المدينة.

بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان عام 61هـ،661م،إستمرت الفتوحات الإسلامية في عهد خلفه يزيد بعد أن صارت إليه الخلافة،حيث كلف واليه سالم بن زياد بمواصلة الفتوحات الإسلامية،إذ فتح خلالها مدينة بخارا ،وصالح أهل سمرقند للمرة الثانية بعد قتال طويل.

إنقطعت الفتوحات في المنطقة بسب أحداث سياسية أعاقت عملية الفتح، كان على الأمويين تجهيز قوتهم لمواجهة تحديات أخرى،بعد ثورة عبد الله بن الزبير في المدينة الذي ثار ضد الخلافة

---

[1]- الخليفة الراشد الثانى الذي حكم من عام 13هـ،24هـ،634م،644م.

[2]- تنتسب إلى مؤسسها معاوية بن ابي سفيان ،والذى حكم من عام 41هـ،61هـ661م،670م،أما الخلافة الآموية فإستمرت من 41هـ،إلى 132هـ،634م ،750م.

[3]- سعيد بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن شمس بن عبد مناف القرشى،أبوه أمير المؤميين عثمان بن عفان وأمه فاطمة بنت عبد شمس بن المغيرة المخزومية،عين واليا على خراسان في عهد بنى أمية ،تقول بعض الروايات انهأول من قطع نهر بلخ نحو سمرقند،أنظر:

محمود شيت خطاب،**قادة الفتخ الإسلامي في بلا ما وراء النهر**،ط1،دار الأندلس الحضراء،ودار إبن حزم،1418هـ،1998م،ص،139.

[4]- شكلت خراسان قاعدة الفتح الإسلامى لبلاد ما وراء النهر،وإنطلقت منها عدة حملات عسكرية لنشر الإسلام هناك،ومن مدن هذا الآقليم هراة ،نيسابور،بلخ ،سرخس،وطالقان،تتوزع اليوم بين إيران،وأفغانستان،وبعض الجمهوريات السوفياتية سابقا..

[5]- مدينة مشهورة ببلاد ما وراء النهر،فتحت عام 55هـ،676م،من اشهر علمائها الإمام الترمذى صاحب السنن.

[6]- هو عبارة عن مبلغ من المال يدفعه أهل الكتاب إلى المسلمين نظير حمايتهم،وبالمقابل يعفون من دفع الآعداء،لكن خلفاء بنو أمية أبقوا ذلك على المسلمين الذين دخلوا الإسلام في بلاد ما ولاء النهر،وبعض البلاد الإسلامية،وذلك حتى لا تفرغ خزينة بيت المال،إلى غاية أن جاء عمر بن عبد العزيز الذي رفع الجزية عن من أسلم.

الأموية[1]، إلا أن عملية الفتح عادت إلى سابق عهدها بعد القضاء على ثورة إبن الزبير من جهة،ومن جهة أخرى بعد أن آلت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك عام 86هـ،705م[2]،حيث ظهر في عهده قادة عسكريين عظام كان لهم دور كبير في عملية الفتح في بلاد ما وراء النهر[3].

في عهد والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفى إستمرت عملية الفتح بعد أن أسند قيادة الجيوش إلى المهلب بن أبي صفرة الأزدي[4] الذي استطاع أن يفتح مدينة كش وإقليم خوارزم وإستمرت إلى غاية وفاته عام86هـ،701م.

أسندت بعدها عملية الفتح إلى قتيبة بن مسلم الباهلى[5] عام86هـ،701م،وإستمرت فترة طويلة إلى غاية عام 99هـ،717م،وإليه يرجع الفضل في ترسيخ الوجود الإسلامي في بلاد ما وراء النهر،ويعود ذلك إلى طبيعة النجاحات العسكرية التي حققها المسلمين تحت إمرته، وإلى طول الفترة التي بقى فيها قائدا للجيوش، فقد أتم فتح بيكند[6]،ونواحى بخارا، وظلت مدينة سمرقند في ظل أهدافه العسكرية،لما تمثله المدينة من قيمة روحية وإستراتجية جغرافية،فأعد حملة منظمة وقوية،أعد فيها

1-أحمد عادل كمال،**الجمهوريات الاسلامية من الفتح الاسلامى حتى اليوم**،ط1،دار السلام،القاهرة،1427هـ،2006م،8،وما بعده.

2-الوليد بن عبد الملك سادس الخلفاء الآمويين حكم من عام 87هـ،97هـ/705م،715م، كان له دور كبير في إستمرار عملية الفتح في بلاد ما وراء النهر-

3-أحمدعادل كمال،**مرجع سابق**،ص،20.

4-أبي صفرة بن ظالم بن سراق الآسدى يرجع نسبه الى قبائل الازد اليمنية،كان صحابيا وإلتقى الرسول صلى الله عليه وسلم،أسند اليه قيادة الفتح في عهد الآمويين،وخلفه بعده إبنه يزيد بن المهلب،للمزيد أنظر: =عبد المنعم عبد الحميد سلطان،**أل مهلب في المشرق الإسلامي ودورهم السياسى والحربى حتى سقوط الدولةالآموية**،دط،مؤسسة شباب الجامعة،دت،ص،ص،12،11.

5--قتيبة بن مسلم بن عمر بن حصين بن ربيعة بن خالد اسد الخير بن كعب بن قضاعى بن هلال الباهلى،تولى امارة خراسان وبلاد ما وراء النهر،له اعمال جليلة ،وفتوحات عظيمة،ومنها خاصة غتح سمرقند،للمزيد انظر: عبد القادر بن عمر البغدادى،**خزانة الآدب ولب لباب لسان العرب**،تح،عبد السلام هارون،ط3،مكتبة الخانجى،القاهرة،1419هـ،1996م،ص،83.

6-بيكند بكسر الباء،وفتح الكاف،وسكون النون،هي بلدة كبيرة بين بخارا وجيحون،تبعد على مدينة بخارا بقياس اليوم حوالى 44كلم.

العدة،فنصبت المجانيق،ورميت المدينة بالسهام، حتى أشتد الحصار على أهلها،فلما شعرو بالهزيمة صالحوا قتيبة بن مسلم،وبنى فيها مسجدا، وأرسل إلى أهل الصغد قائلا"من أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذ،فإني لست خارجا منها، ولست آخذ إلا ما صالحتكم عليه، على أن الجند يقيمون فيها"[1].

إشترط قتيبة على أهل المدينة تسليم الأصنام ومافي بيوت النيران والمعابد،فجمعت عنده حتى صارت كالقصر العظيم، ثم أمر بحرقها، وكان أهل سمرقند يعتقدون أن من مسها بسوءسيلحق به الهلاك لا محالة، فأخذ قتيبة شعلة من النارفأحرقها، فلما رآى أهل البلاد ذلك أسلم منهم كثير، بهذا النجاح العسكري الكبير دانت البلاد تحت راية الإسلام ، وكادت أحلام قتيبة تصل إلى مدينة كاشغر الصينية[2].

ثبت المسلمون الإسلام في سمرقند وتعايشوا مع أهلها، إلا أنه في خلافة عمر بن عبد العزيز شكا أهالها أمر قتيبة إلى الخليفة،نظير ما لحقهم من قتيبة من خراب وتدمير وأنه دخل ديارهم دون أن يخيرهم بين، الإسلام أو الجزية أو القتال[3]، وهو أمر عادة ما كان يقوم به المسلمينعند دخولهم مدينة ما،مخيرين الناس بين أمر ثلاث،،فكتب عمر بن عبد العزير لعامله على سمرقند سليمان بن أبي سرح في هذا الأمر قائلا:" إن أهل سمرقند شكوا ظلما أصابهم،وتحاملا من قتيبة عليهم نفاذا أتاك كتابي هذا فاجلس لهم قاضيا ينظر في هذه الظلامة"[4]، وكما ينص الدين الإسلامى فقام الوالي بتنفيذ ما أمر به الخليفة، وعين لذلك الأمر القاضى ،أشهر قضاة ذلك العصر،وهو جميع بن حاضر

---

[1]–عبد الرحمان بن خلدون،ت 808هـ،1406م،**ديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى النفوذ الاكبر**،تح،خلبل شحادة،ملر،سهيل زكار،ج3،دط،ذار الفكر،بيروت ،1421هـ،2000م،ص،287.

[2]– بعد وفاة وإلى العراق الحجاج بن يوسف االثقفى ،ظن قتيبة أن الخليفة الوليد بن عبد الملك سيعزله عن قيادة الجيش،إلا أن الخليفة لم يفعل ذلك إعترافا بدوره،وخدماته للإسلام،وتم تجديد الثقة فيه،وبدأ حينها يحضر نفسه لغزو الصين،ويورد الطبرى السفارة التي بعث بها قتيبة إلى ملك الصين،التي عرض فيها الإسلام أو الجزية،لكن بعد تولى سليمان بن عبد الملك امر الخلافة عام96هـ،714م،قبل الحل الوسط مع ملك الصين،لأن الظروف لم تكن تسمح بذلك،كا أن قتيبة لم يكن على علاقة جيدة مع الخليفة سليمان بن عبد الملك،أنظر:

[3]– محمود رمضان محمد،**ياقوتة إسلامية ترقد على نهر زارفشان**،مجلة الدفاع،عدد،110،ص،87.

[4]–شوقي أبو خليل ،**في التاريخ الإسلامي**،ط1،دار الفكر ،دمشق،1991م،ص،281.

الناجى[1]،حيث إستدعى القاضى الشهود ممن وا الفتح و،الذين بقوا أحياء،فشهدوا أن قتيبة لم يوف العهد،فصدر القرار بخروج المسلمين فورا من المدينة.

تجهز المسلمون للخروج من المدينة كما أمر القاضى بذلك، إلا أن أهل سمرقند أبو ذلك وطالبوهم بالبقاء، وأسلم الباقون لما رأو عدالة الإسلام وسماحة مبادئه[2]،كان قرار الخليفة عمر بن عبد العزيز رسالة قوية أثبت فيها أخلاق المسلمين الحقيقية وعدالة الإسلام،التي جعلت الكثير من الناس يدخلون في دين الله أفواجا لتلك المواقف التي يتساوى فيها الناس جميعا حكاما ومحكومين، ومهما يكن من أمر فإن آسيا الوسطى مدينة للأمويين في نشر الإسلام بين مختلف الأقاليم التركية وبذلك تحررت من التأثيرات الوثنية التي ظلت في المنطقة لعدة قرون.

في العصر العباسي لقيت المدينة رعاية وإهتمام العباسيين، خاصة وأنها لعبت دورا بارزا في العوة السرية للخلافة العباسية، خاصة بعد أن عمل أبو مسلم الخراسانى[3] على تعيين سباع بن النعمان الأزدى عاملا على سمرقند، فقام هذا الأخير بالدعوة للعباسيين،ورغم ذلك التحالف الذي أقيم بين أبي مسلم الخراسانى وأهالي المدينة، إلا أن هؤلاء سرعان ما ثارا على سياسة أبي مسلم،وكان ذلك إبتدءا من السنة الثالثة للحكم ابو جعفر المنصور[4]،ويعود ذلك إلى السياسة المتبعة إتجاه السكان، وكانت أشهر التمردات تلك التي قادها نجوم بن شريك بن شيخ الفهرى[5]،وظلت البلاد

---

[1]- فان فلوتن،**مرجع سابق**،ص،28.

[2]- شوقي ابو خليل،**في التاريخ الإسلامي**،ص،281.

[3]- تزعم الدعوة للعباسيين في إقليم خراسان،وذلك بعد ان جمع حوله نقباء الشيعة ،وكان الرجل يتمتع بمواهب عسكرية كبيرة،كما أنه كان شغوفا باهل البيت،راغبا في أن يصير إليهم أمر الخلافة،وفعلا حدث ذلك ،إلا أن علاقته بالعباسيين ساءت خاصة في عهد أبو جعفر النصور ،الذى رأى فيه خطرا على الدولة ،فاستدرجه إلى مقتله،أنظر:

عبد العزيز الثعالبى،**سقوط الدولة الآموية وقيام الدولة العباسية،132ه،750م**،تح،حمادى الساحلى،ط1،دار الغرب الإسلامى،بيروت،1995م،ص،57.

[4]-محمد سهيل طقوش،**تاريخ الدولة العباسية**،ط7،دار النفائس،1430ه،2009م،ص،66.

[5]-شمس الدين أبو عبد الله بن أحمد بن عثمان بن قايماز،ت،748ه،1347م،**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام**،تح،عمر عبد السلام،ط2،دار الكتاب العربي،بيروت1413ه،1993م،ص،345.

مضطربة،ومرتعا لكثير من الحركات المناوئة للخلافة العباسية، وكان من أشهرها الحركة المقنعية[1]، في خلافة المهدي عام 158هـ،774م،وكان لهذه الحركة إتباع كثر[2]،وإنتشرت بشكل خاص في مدينة سمرقند، استمرت الأوضاع غي مستقرة حتى في عهد الخليفة هارون الرشيد[3]، خاصة بعد أن لم يحسن وإليه رافع بن ليث إدارة المنطقة من خلال سياسة التعسف وإغتصاب الأموال[4]، وزاد الأمر سوءا بعد أن أعلن الخروج عن الدولة العباسية، وما يمكن إستخلاصه هنا بالرغم من إنتشار الإسلام في البلاد، إلا أن الإضطرابات ظلت قائمة، ولم تعرف إستقرارها إلا في فترات محدودة،كثيرا ما دخلت البلاد في صراعات متكررة،خاصة في ظل الصراع بين الدويلات التي قامت هناك، إضافة إلى عامل آخر وهوبعدها عن مركز الخلافة ، مما جعل الأمراء والولاة الذين حكموا بإسم الخلافة العباسية ينحرفون

[1]-بعتبر صاحبها من أتباع أبي مسلم الخراساني،عرف بعدة أسماء،حكيم ،هاشم،عطاء،في بداية حياته إشتغل في غسل الصوف وتنظيفه،لكن حاله تحسن في عهد العباسيين،أما عن إسم المقنع فيعود إلى قناع كان يلبسه كي يستر عيوبه كما =يقول البعص،فهو أعور قبيح الوجه،ذميم الخلق،قصير القامة،كان يمتنع عن الظهور عن الناس بحجة أن نوره سيحرقهم،وهو ينتسب إلى إحدى قرى مرو بإقليم خراسان،لذلك بتعه الناس هناك،وقد ظهر بكثير من الأفكار التي هي أقرب إلى الزندقة،إذ نادى بفكرة الحلول والتناسخ،وأباح النساب ،وأسقط الفرائض من صوم وزكاة وصلاة وحج،كما أنه أعطى الحق لأتباعه لقتل كل من يخالفهم الرأى،وقد وجدت هذا الأراء صدى واسعا في بلاد ما وراء النهر التي لم يتجذر الإسلام بها بالكيفية المطلوبة،لذلك إنتسشرت أفكاره في منطقة كش بما وراء النهر،وإعتنقها أميربخارى بنيان بن طغشادة وغيره،للمزيد عن المقنعية أنظر:

-خالد عزام،**موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العباسي**،دط،دار أسامة للتوزيع والنشر،الاردن،2009،ص،ص،82،83.

[2]-حسن إبراهيم حسن،**تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي**،ج2،ط14،مكتبة النهضة العربية،1416هـ،1996م،ص،96.

[3]-هارون الرشيد أشهر الخلفاء العباسيين عرف عهده فترة رخاء كبيرة في جوانب الحياة مختلفة ،فنيا وأدبيا وعلميا وحضاريا،جعلت ملوك أوربا يكنون له إحتراما كبيرا،وحكم فترة طويلة إمتدت من عام 170هـ،193هـ،786م،808م،حتى لقب بأعظم ملوك الدنيا.

[4]-لما تولى الخليفة هارون الرشيد أمر الخلافة العباسية عام 170هـ،786م،عين على إقليم خراسان علي بن عيسى بن ماهان ،أما رافع بن ليث فعين على سمرقند،هذا الأخير إستعمل سياسة قمعية ضد الأهالى،وأكثر من ذلك إذ أنه في سنة 190هـ،805م،اعلن خروجه عن الدولة العباسية،لأمر يراه المؤرخون شخصى وذلك نظرا لجلده لإرتكابه معصية الزنا،وتقول الروايات في ذلك ان يحى بن الأشعث بن يحى الطائى،أقام طويلا ببغداد وترك زوجته في سمرقند،فلما طال عليها الأمر أرادت التخلص منه،فبلغ أمرها رافع بن ليث،فطمع فيها وفي مالها وقادها إلى الكفر،فعلم الرشيد بأمره،فكتب إلى خراسان أن يفرق بينهما،فجلد وقيد على حمار حتى طلقها،وسجن وفر بعد ذلك من سجنه،ودخل في صراع مع أمراء تلك المنطقة،مما إضطر الخليفة هارون الرشيد للخروج إليه،إلا أن الخليفة توفى في الطريق بمدينة طوس عام 193هـ،808م.

عن الإدارة الرشيدة، حتى أن الخلافة في بعض المراحل التاريخية لم تكن تحمل سوى الإسم في نظرهم، يضاف إلى ذلك كثرة الفتن والحروب، وتعدد الدويلات التي حكمت بإسم العباسيين، وزاد أمر المنطقة سوءا مع ظهور الزحف المغولى في بداية القرن السابع الهجرى ،الثالث عشر الميلادى.

تذكر المصادر التاريخية أن الغزو المغولي لم يستهدف البلاد الإسلامية وفق مخطط إستراتيجي مدروس، إنما حالة التمزق والتشت والضعف هو الذي شجع المغول على الإقتراب تدريجيا من أملاك الدولة العباسية المنهكة بضعف حكامها، وعدم مبالاة أمرائها،وكثرة الفتن بها، كان أول صدام بين المسلمين والمغول،هو ذلك الذي حدث بينهم وبين الخوارزميين[1]، ورغم المقاومة التي أبداها المسلمين، إلا أنهم لم يفلحوا أمام قوة المغول ووحشيتهم وقدرتهم العسكرية الكبيرة.

إذا كان الموضوع لا يرتبط بشكل مباشر بهذه الأحداث، إلا أنه لابد من معرفة الأخطار التي عرفتها بلاد ما وراء النهر في تلك الفترة،وخاصة مدينتا بخارا وسمرقند،اللتان كانتا هدفا للمجموعة الرابعة[2] من الجيش المغولى بقيادة جنكيزخان وإبنه تولى.

بعد أن أجهز جنكيزخان على مدينة بخارا توجه إلى مدينة سمرقند،حاضرة إقليم الصغد، في إقليم ما وراء النهر ومعه الكثير من الأسرى،الذين جاء بهم ليكونوا عونا له في حصار المدينة، ومن

---

[1]- شكلت حادثة أترار الشهيرة أو المذبحة كما سماها بعض المؤرخين نقطة تحول كبرى في العلاقات المغولية الإسلامية،خاصة مع الدولة الخوارزمية،وبغض النظر عن الأسباب وخلفيات تلك الحادثة،إلا أن ماهومؤكد أن نتائجها كانت وخيمة على المسلمين،فقد علق عليها مؤرخ المغول عطا الله الجويني قائلا: "أن كل قطرة من دماء هؤلاء التجارقد كفر المسلمون عنها،بسيل من الدماء"،أما النسوى فذكر أن أفراد تلك القافلة لم يكونوا تجارا بل جواسيس،إلا أن ما قام به حاكم أترار،فتح باب الخراب على المسلمين،وكان بمكان السلطان الخوارزمى أن يعيد هؤلاء إلى بلادهم،ويسعى إلى حل ودى،حرصا على السلام وحسن الجوار،أما المستشرق الروسى بارتولد فعلق على الحادثة قائلا:"لابد أنها درت عليهم أرباحا طائلة ،لاسيما إذا عرفنا أن أفراد القافلة كانت تتكون من خمسمئة رجل"،أنظر النسوى،**مصدر سابق**،ص،23.

[2]- قسم جنكيزخان جيشه إلى أربعة مجموعات قتالية،المجموعة الأولى تتكون من سبعة تومانات،التومان يعنى عشرة الالاف جندى،على رأسها جغطاى وأوكتاى هدفها مدينة أترار،المجموعة الثانية بقيادة الإبن الأكبر جوجى،هدفها مدينة جند الواقعة على نهر سيحون،والتي كانت تعتبر من أهم القلاع العسكرية ذات التحصينات القوية في البلاد الإسلامية،المجموعة الثالثة،أشهر القادة العسكريين للمغول وهما جبى وسوبتاى،وهدفها بكانت وخجند،أما المجوعة الرابعة والأخيرة،بقيادة جنكيزخان وإبنه الأصغر تولى ،كان هدفها مدينتا بخارا وسمرقند،قلب إقليم ما وراء النهر،وكان جنكيزخان يسعى بدلك إلى منع الإمدادات عن القوات الخوارزمية المحاصرة.

سوءحظ هؤلاء أنهم سيقوا إلى قتال أخوانهم في الدين،فقتل منهم الكثير في الطريق، خاصة أولئك الذين ظهرت عليهم علامات التعب والعجز،وهي عادة لم يتخل عنها المغول في كل حروبهم، فكثيرمن الأسرى الذين أشعروهم بالأمان سرعان ما إنقضوا عليهم، وإنقلبوا عليهم،فصاروا في عداد الموتى[1].

إختلف المؤخون في نوعية الإستعدادات التي قام بها أهل المدينة والجيش الخوارزمي للدفاع عنه، وفي عدد أفراد الحامية الذين أوكل لهم الدفاع عن سمرقند، فالمرخ الإيراني عطا الله الجويني ، ذكر عددهم بحوالي ستين ألف من الفرس، أما إبن العبرى فقدر عددهم بأكثر من مئة ألف جندي،أما إبن الأثير فذكر عددهم أكثر من خمسين ألف جندي ، وأضاف هوراث أنه كان في المدينة أكثر من عشرين فيل للدفاع عنها[2].

رغم تباين وجهة نظر المؤرخين حول طبيعة الجيش الخوارزمي وعدده، إلا أن ماهو مؤكد أن الروح المعنوية التي ظهر عليها الجيش الخوارزمي ، وطبيعة الإستعدادات العسكرية كلها كانت تنذر بسقوط المدينة بشكل سريع، رغم أن عوامل أخرى كان بإمكانها أن تزيد من صمود المدينة،خاصة مناعة المدينة بفضل حصونها وقلعتها ووفرة جنودها[3] لكن نتيجة الحرب أسقطت كل هذه التكهنات.

لم يقوم الجيش الخوازمى عن مواجهة الجيش المغولى المنظم والقوي ، كما عجز أهالى المدينة في الإستماتة في الدفاع عنها، بعد أن دب الرعب في نفوسهم، وأصابتهم الهزيمة قبل حلول المعركة، وكعادة المغول في إسقاط المدن المنيعة،تظاهرو بالعجزوالتراجع،متظاهرين بالضعفوالعجز، فإستدرج الأهالى للخروج من المدينة متخلين عن قلاعهم وحصونهم، لكن سرعان ما عاد الجيش المغولي

---

[1]- فؤاد عبد المعطى الصياد،**المغول في التاريخ**،ص،118.

[2]- محمد عبد العظيم أبو النصر،**تاريخ المسلمين وحضارتهم في أسيا الوسطى وبلاد القوقاز**،ط1،شركة نوابغ الفكر،1430هـ،2009م،ص،194.،

[3]- نفسه،ص،194.

ليباشرهجوما شرسا وقويا، خاصة بعد أن استسلم الجيش الخوارزمى الذي كان أغلب أفراده من الأتراك، الذين مالوا إلى المغول بإعتبارهم من أصل واحد[1].

في اليوم الرابع من حصار المدينة خرج قاضى المدينة مع كبار رجال الدين،ليعرضوا على جنكيزخان تسليم المدينة على شرط تأمين الناس على حياتهم وممتلكاتهم، فنظاهر بالقبول وما أن فتحت أبواب المدينة حتى نزل فيها الجنود حرقا وقتلا وتخريبا وأسر وسبيا،ولم تنجو سمرقند كغيرها من البلاد الإسلام من همجية المغول.

لقد وصف إبن الأثير ما حدث لمدينة بخارا وسمرقند في باب حوادث سنة 617هـ، أبلغ وصف إذ كتب قائلا:"لقد بقيت عدة سنيين معرضا عن ذكر هذه الحادثة، إستعظاما لذكرها فأنا أقدم رجلا،و أؤخر أخرى،فمن ذا الذي يسهل عليه ان يكتب نعي الإسلام والمسلمين،ومن ذا الذي يهون عليه ذكر ذلك"[2].

ويضيف إبن الأثير معلقا على ما حدث من أهوال في المدينة قائلا:" لم يبقوا على أحد بل قتلو الرجال والنساء والأطفال ، وشقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة ، فإن لله وإن إليه راجعون،ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم لهذه الحادثة التي إستطار شرها"[3]، أما إبن بطوطة الذي وقف على اطلالها في المئة الثامنة فقل عنها" أكثر دورها خراب والقليل منها أهل"[4]،أن هذا الوصف لما فعلع المغول بالمنطقة وأهلها أنما هو تعبير عن حجم ما ألم بالمدينة من خسائر في الارواح والمباني والعمران،رغم ذلك إستعادة بريقها،وصارت بعدها من أهم العواصم الإسلامية.

رغم حجم الدمار الكبير الذي لحق بالمدينة وأهلها، إلا أن المدينة سرعان ما إستعادة عافيتها، لما قرر تيمورلنك أن يجعلها حاضرة ملكه،منطلقا من فكرته المبنية على أساس الولاء التام لبلاد ما وراء

[1]- ثروت عكاشة ،**أعصار من الشرق،جنكيزخان**،ط5،دار الشرق،دمن،1992م،ص،196.
[2]-إبن الأثير مصدر سابق،ص،399.
[3]-نفسه،ص،399.
[4]-إبن بطوطة،**مصدر سابق**،ص،86.

النهر[1]،ففي الوقت الذي مارس تيمورلنك هواية أسلافه المغول في الحرق والتخريب والتدمير،كان شديد الحرص في حملاته العسكريه التي قادته إلى بغداد ودلهى ودمشق وغيرها من المدن على أن ينتفع من تلك المدن ومن خصائصها الحضارية، ويحمل إليهاالصناع والمهرة والبناءين والأحجارالكريمة،وغيرها من المواد النفيسة التي بنى بها عاصمة ملكه[2].

لم تعرف مدينة سمرقند عصرها الذهبي إلا في عهد تيمورلنك وحفيده الغ بك، إذ صارت المدينة واحدة من أعظم المدن في وبلاد ما وراء النهر ،من خلال إزدهارحركة العمران،كبناء المساجد والقصور والمدارس والخوانق ومد الجسور وتنظيم الزراعة والصناعة والتجارة، وتنظيم الأسواق[3]،حتى أن الوفود التي زارت المدينة في تلك الفترة إندهشت لمظاهر التطور الكبير الذى عرفته المدينة[4]، إذ حرص أن يجعل منها مدينة تضاهى بغداد وتبريز وشيراز ودمشق وغيرها من مدن الشرق، حتى أن سمى الكثير من أحياء سمرقند بأسماء تلك المدن.

إستمرت شهرة سمرقند في عهد حفيد تيمورلنك الغ بك بن شاهرخ، الذي واصل أعمال الإصلاح الكبرى، خاصة وأن فترة حكمه ناهزت الأربعين عاما، فترك في المدينة آثار عظيمة،حيث حول عاصمة جده إلى مركز للمثقفين،جمع فيه علماء الفلك والرياضيات والشعراء وعلماء الدين،والفلاسفة والمهندسين المعماريين والخطاطين،وظل الوحيد بين التيموريين لفترة طويلة مقرونا بالإجلال لما لديه من عمائر كثيرة وفنون في بخارا وسمرقند،فوراء جدران تلك المدارس والألوان والفسيسفاء،كان علماء الفلك والرياضيات والفلسفة في مرصد الغ بك الفلكي يقومون بمختلف الأبحاث والقياسات ،وحساب حركة الكواكب والنجوم، وكان ألغ بك يشرف على تلك الأعمال

---

[1]-أحمد حسن الحلبي،**مرجع سابق**،ص،38.

[2]-أرمبنيوس فامبرى،**مرجع سابق**،ص،232.

[3]- في العام الذي قرر فيه تيمورلنك مواجهة السلطان العثماني بايزيد كانالوزير غياث الدين سالار السمنانى، يشيد سوقا للمنسوجات في منتصف سوق المدينة الرئيسى،وماكاد البناء يشرف على نهايته حتى جاءت الأخبار بإنتصار تيمورلنك على بايزيد فسماه "دار الفتح"،ويبدو أنه إلى غاية تلك الفترة لم يحدث في التاريخ أن شيدت دار للمنسوجات بتلك الأهمية والتكالبف.،أنظر :

أمين حربى،**مرجع سابق**،ص،396

بنفسه رفقة تلامذته، وبصورة عامة فإن مدينة سمرقند صارت تحظى بمكانة وبصفة عامة فإن مدينة سمرقند التي ظلت عبر التاريخ منطقة هامة بسبب موقعها الحغرافي وأهميتها التاريخية ، إلا أن شهرتها زادت فترة حكم التيموريين، ويعود فضل الشهرة فيها إلى تيمورلنك وحفيده ألغ بك اللذان رفع سمرقند إلى مستوى الحاضرة السياسية والعلمية والادبية والفنية، وغدت خلال فترة حكمهما من أهم المدن في العالم الإسلامي.

2-مدينة هراة

تعد مدينة هراة[1] أحد مدن إقليم خراسان الواسع،كان لها ذكر كبير في العصور السابقة من خلال ما كتبه الرحالة العرب، وغيرهم حول موقعها وأهميتها الجغرافية والحضارية،في وصف الجغرافيين القدامى تعتبر هراة من الإقليم الرابع لخراسان،كان لها ذكر كبير في الكتابات الجغرافية،في القرن الرابع الهجري ،العاشر الميلادي ،وصفها كلا من إبن حوقل والإدريسي ،فقالا عنها:" مدينة جليلة عليها حصن وسور،لها أربعة أبواب ، باب سراي مما يلي الشمال في الطريق إلى بلخ،والباب الثانيإلى الغرب يفضى إلى نيسابور،وهو باب زياد،وباب فيروز أباد ،وقد سما المقدسي باب فيروز،كان في الجنوب،يخرج منه إلى سجستان،وكان في الشرق باب خشك،يؤدى إلى جبل الغور،وكانت أبوابها خشبا إلا باب سراي كان حديدا على قول إبن حوقل"[2] ،ويفهم من هذا الوقع أن هراة كانت محاطة ببعض المدن الهامة مثل بلخ وسجستان،والمدينة محاطة بالجبال التي لا بتعد عنها إلا مسافة قليلة أي حوالي فرسخين،وهو ما يعادل بقياس اليوم حوالي ،كان في شمال هراة حين كتب المستوفي حصن مكين يقال له شميران، بني في موضع بيت النار المسمى شرسك[3].

أما ياقوت الحموي الذي كان بالمدينة في بداية المئة السابعة هجرية وبالتحديد سنة 607هـ،فقال عنها:"مدينة مشهورة من أشهر مدن خراسان لم أر بخراسان عند كوني بها في سنة

[1]- هراة ،بفتح أوله وضم آخره،مدينة عريقة وكبيرة تقع في الشمال لغربي لأفغانستان الحالية،تبعد عن العاصمة الأفغانية كابول بحوالي 600كلم..

[2]- نقلا عن كى ليسترنج،**مرجع سابق**،ص،45..

[3]- نفسه،ص،451.

607هـ، مدينة أجل وأعظم ولا أفخم ولا أحسن ولا أكثر أهلا منها،فيها بساتين كثيرة،ومياه غزيرة وخيرات كثيرة محشوة بالعلماء، مملوءة بأهل الفضل والثراء"[1]، ومصدر مياه المدينة يأتى من نهر"هرى "[2] ،تتميز بالحدائق الغناء والفواكه الكثيرة،وفيها صنف من الأعناب يقال له الفخري[3]،وكذلك التين، وقد ذكر إبن بطوطة في رحلته من مدينة بلخ إلى هراة عبر جبال قوهستان[4] أن الطريق كانت مليئة بالتين[5].

أما عن بناء المدينة فيعود إلى زمن الإسكندر المقدوني ، نلما قدم إلى الشرق حسب ما ذكر ياقوت الحموي[6] تعرضت المدينة للتخريب والتدمير على يد جحافل المغول عام617هـ، وأدخلوها في خبر كان على حد وصف الحموي[8]،زار إبن بطوطة في المئة الثامنة واصفا إياها قائلا:" وهي أكبر المدن العامرة، بإقليم خراسان،ومدن خراسان العظيم أربع، إثنتان عامرتان،وهما هرات ونيسابور، وإثنتان خربتان،وهما بلخ ومرو،ومدينة هراة كثيرة العمارة لأهلها صلاح وعفاف وديانة ، وهم على مذهب أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه،وبلدهم طاهر من الفساد"[7]، أما التفتازاني وهو أحد أعلام المنطقة ، و عاصر تيمورلنك ، فقد كتب عن هراة مادحا ، "بأنها جنة النعيم ، بلدة طيبة ،ومقام كريم"[8]، وقال فيها شعر:

---

[1]- ياقوت الحموي ،**مصدر سابق**،ج5،396

[2]- كى ليسترنج ،**مرجع سابق**،ص،450.

[3]- نفسه،ص،451..

[4]- قوهستان،من المدن المشهورة في إقليم خراسان،فتحها الآحنف بن قيس،وقد ذكرت في كتب الرحلات،أنظر: القزويني،**مصدر سابق**،ص،406.

[5]- في طريقه من بلخ إلى هراة عبر جبال قوهستان،يصف الطريق وهو على مسافة سبعة أيام ،بمسير ذلك الوقت،يقدم إبن بطوطة وصف للمنطقة قائلا:" وهي كثيرة ،عامرة ،بها المياه الجارية،والأشجار المورقة ،وأكثرها شجر التين،أنظر:
-إبن بطوطة،**رحلة إبن بطوطة** ،ج3؛ص،.44.

[6]- ياقوت الحموي،**مصدر سابق**،ص،396..

[7]-إبن بطوطة،**رحلةإبن بطوطة**،مج3،ص،44.

[8]- نفسه،،ص،44.

لقد جمعت فيها المحاسن كلها ----- وأحسنها الإيمان واليمن والأمن"[1].

أما عن سكان هراة فهم مثل العالم الآخر ،خليط من عناصر عرقية متعددة، قدمت إلى المنطقة في فترات تاريخية مختلفة، يغلب عليهم العنصر التاجيكي ، والمجموعات القوقازية ذات الأصول الإيرانية.

دخل الإسلام إلى هراة في القرن الأول للهجرة،بعد فتح نهاوند[2] سنة 21هـ،641م ، الذي إعتبر فتح الفتوح، بإعتباره فتح الباب أمام الجيوش الإسلامية لكي تتقدم في إقليم خراسان، وذلك بعد أن عقد الخليفة عمر بن الخطاب سبعة ألوية للجهاد ، لسبعة قادة الذين عهد إليهم الإنسياح في أرض خراسان وفارس،وكان من بين الألوية لوءان سارا إلى مايعرف بأفغانستان،الأول قاده عاصم بن عاصم التميمي وسار نحو منطقة سجستان، والثاني قاده الأحنف بن قيس وسار نحو إقليم خراسان، إلا أن الفتح الحقيقي للمنطقة تم في عهد الخليفة عثمان بن عفان، بعد أن إستطاع المسلمون القضاء على آخر الملوك الساسانيين[3]، ورغم ذلك فإن المنطقة ظلت مضطربة،وكانت تثور من حين إلى آخر،مثل ما حدث في عهد الخليفة عثمان بن عفان سنة 31هـ،651م، بعد أن أخضعت جيوشه مدينة هراة وفرضت الجزية على أهلها،إلا أن الفتح النهائي تم في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك،عام88هـ،706م،بعد أن أوكل قيادة الجيوش الإسلامية إلى قتيبة بن مسلم الباهلي وقد مر معنا الدور الذي قام به هذا الأخير في فتح بلاد ما وراء النهر،وخاصة مدينة سمرقند، وكان له الفضل في تثبيت دعائم الإسلام هناك[4].

1- نفسه،ص،44.

2- تقع حاليا في إيران،وتبعد عن العاصمة طهران بحوالى 400 كلم،إستطاع فيها المسلمين تحقيق نصر مؤزر،بعد أن إستطاع نعمان بن مقرن المزني إلحاق هزيمة كبيرة بالساسانيين،وقد فتح هذا النصر الباب أمام المسلمين ليتقدموا في بلاد فارس وأفغانستان،ولطلك سميت هذه المعركة بفتح الفتوح،أنظر:

محمود شيت خطاب،**قادة فتح السند وأفغانستان**،ط1،دار إبن حزم،1418هـ،1998م،ص،241.

3-نفسه،ص،242.

4- محمود شيت خطاب،**قادة الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر**،ص.17،وما بعدها.

ظلت هراة عبر فترات التاريخ المختلفة جزءا متصلا بإقليم خراسان،وتعرضت بذلك لنفس التغيرات التي حدثت فيها هذا الإقليم،خاصة في ظل تعاقب دويلات متعددة، أخضعت كل واحدة منها هذا الإقليم لنفوذها.

يطول الحديث عن هذه الدول ولكن رغم ذلك يجب الإشارة إلى أهمها ولو بإشارات عابرة لمعرفة طبيعة التحولات التي مرت بها مدينة هراة، ومن بين الدول التي حكمت بإسم الخلافة العباسية،الدولة الطاهرية،والتي تنتسب إلى طاهر بن الحسين،بين (205هـ،259هـ،820م،872م)[2]، وقد عين طاهر بن الحسين على إقليم خراسان،نظير الدور الذي لعبه في ترجيح دور الخليفة المأمون ضد أخيه الأمين، وظل أبناء يحكمون المنطقة،وإستمرت مدينة هراة خاضعة لسلطتهم[1]،وإستمر وضع المدينة تحكمه القوى المسيطرة،كما هو الحال في عهد الصفاريين[2] الذين حكموا المنطقة بين(254هـ،289هـ،867م،903م)، أما مدينة هراة فقد بقيت تحت حكم الجديدة وإستمرت المدينة تقوم بدورها أيضا في عهد السامانيين[3]، الذين حكموا إقليم خراسان بعد أن ضعف الصفاريون في الفترة مابين،(261هـ،389هـ،874م،999م)، وكان أشهر من حكم في هراة بإسم السامانيين هو إلياس الساماني، وكان لهم دور كبير في مواجهة الأتراك الوثنيين والشيعة الزيديين.

في عهد الدولة الغزنوية[4] صارت هراة ثاني مدينة هامة بعد عاصمة الغزنويين غزنة ويبدو أن المدينة تأثرت بمحيطها الفكري والحضاري ، وهوما جعلها في العصر التيموريترتفع الى تلك

---

[1]- تنسب إلى يعقوب بن اليث الصفار الذي كان يعمل في طرق النحاس،وكان ظهورهم بعد أن إشتدت شوكة الخوارج في سجستان ،ولم يقو الطاهريون على مواجتهم،فنجح المتطوعة بقيادة صالح بن نظر الكناني،ويعقوب بن اليث الصفار،في الصمود ضد هذه الطائفة،فإشتدت قوة الصفاريين على حساب الطاهريين،انظر:

[2]- بارتولد،**تركستان**،ص،399.

[3]- ينتسب السامانيون إلى أسد بن سامان الذي يعتبر المؤسس الحقيقى لهذ الدولة،وكان له من الأبنار نوح ،وأحمد نويحى وإلياس ،وهذ الأخير هو الذي كان حاكا على مدينة هراة في عهد السامانيين

[4]-إمتدت فترة حكم الغزويين من 351هـ،582هـ،962م،،1136م،في سنة 344هـ،كان الب تكين حاكما على مدينةهراة،والدولة مدينةبشهرتها إلى السلطان محمود الغزنوي الذى كان له دور كبير في تثبيت الدولة،أنظر:

=إبن الأثير ،**الكامل في التاريخ من 309هـ،388هـ**، تح،محمد بن يوسف الدقاق،مج7،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،1407هـ،1978م،ص،487.

الدرجة،وقد اشتهر الغزويين بانهم رعاة العلم والشعر والادب،وفي عهد رعاية السلطان محمود الغزنوي ظهر الشاعر الإيراني الكبير الفردوسي صاحب كتاب الشاهنامة، وهي ملحمة شعرية أدبية وتاريخية، ظل صاحبها يعمل على إخراجها أكثر من خمس وعشرين سنة ، وهي التي جعلت الفردوسي يصل بها إلى مرتبة العظماء[1]، كما برع فيه المؤرخ أبو نصر محمد بن عبد الجبار العيني ،مؤرخ الدولة الغزنوية، والذي ألف كتابه الشهير،"كتاب اليمنى"، نسبة إلى محمود الغزنوي الذي كان يلقب بيمين الدولة، ذلك باللغة العربية بعد أن شاع إستعمال الكتابات الفارسية،كما برع في كنفه العالم والفيلسوف والمؤرخ أبو الريحان البيروني[2].

لم تفقد مدينة هراة دوها الحضاري والعلمي بعد سقوط الدولة الغزنوية ، بل زاد تأثيرها خاصة في عهد الغوريين الذين أسسوا دولة أطلق عليها الدولة الغورية[3]،التي إمتد حكمها في المنطقة بين 404هـ،601هـ،1010م،1204م، ولم يكونوا يدينون بالإسلام،حتى غزاهم السلطان محمود الغزنوي عام 401هـ،1010م[4]، كما أنه عرفت إستمرار أهميتها الحضارية في عهد السلاجقة[5] الأتراك الذين كانوا رعاة لمختلف المعارف والعلوم،وظلت هراة جزاء من ممتلكاتهم الذاخرة بمختلف العلوم

1-عن الفردوسى وأعماله الأدبية والشعرية وإتصاله بمحمود الغزنوي،أنظر:
،براون،**تاريخ الأدب في إيران**،ص،152،وما بعدها..

2-ترك البيروني في مجال العلوم الإنساني أكثر من 181 كتابا بين الرسائل والكتابات المترجمة ،والمتفرقات الموسوعية لم يبق منه سوى42 كتابا،بينها ترجمته عن اللغة السنسكرتية التي كان يجيدها،ويعتبر كتابه الآثار الباقية عن القرون الخالية من أهم المؤلفات لتلك الفترة وحتى بعدها،مما جعله يحظى بدراسة خاصة للمستشرق الألماني سخاو.

3- قامت الدولة الغورية في بلاد الغور في أفغانستان الحاليةنوهي تقع بين مدية غزنه عاصمة الغزنويين،ومدينة هراة عاصمة التيموريين في القرن التاسع الهجري الخامس عش الميلادي ،بعد أن صارت قاعدة السلطان التيموري شاهرخ.إتخذ الغوريين من مدينةفيروز كوه عاصمة لهم وإمتد حكمهم من عام404هـ،601هـ،1010م،1204م،وكانو لا يدنون بالإسلام في بداية أمرهم حتى فعل ذلك السلطان الغزنوي محمود الغزنوى، عام 401هـ،

4- عصام الدين عبد الرؤوف،**بلاد الهند في العصر الإسلامي**،دط،دار الفكر القاهرة،220،ص،24.

5- قبائل تركية تنتمى إلى زعيمها سلجوق بن دقاق،عرفت بقبائل الغزناستوطنت هذه القبائل المناطق الغربية من بحيرة خوارزم،قرب بحيرة أرال،ونزلت بعدها إلى المناطق المحيطة بنهرى جيحون وسيحون،وكان لهم دور هام في إسقاط الدولة الغزنوية، إمتدت دولتهم من 447هـ،590هـ،1055م،1113م،وكان لهم دور بارز في الخلافة العباسية،كما إشتهروا برعاية العلم والعلماء،وبالعمران،وقد أخذ منهم التيموريين كثير من النماذج المعمارية خاصة في إستعمال القباب .

والفنون، وإستمر وضعها على أهميته في عهد الدولة الخوارزمية، إلى غاية ظهور المغول في بداية القرن السابع الهجري ،الثالث عشر الميلادي.

هراة والغزو المغولي

إلى غاية نهاية القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ،لازالت مدينة هراة تلعب دورها السياسي والحضاري والجغرافي خاصة،كهمزة وصل بين المدن المختلفة في إقليم خراسان، إلا أن الزحف المغولي في بداية القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، والذي كان من نتائجه سقوط الدولة الخوارزمية،ونكبت مدينة هراة، هي الأخرى بالغزو المغولي ، حيث تم إجتياح المدينة في قوة عسكرية وصلت إلى ثمانين ألف جندي،أجهزت على المدينة حتى يقال أنهم نزلوا في المدينة تقتيلا مدة ستة أشهر، ولم يسلم منه سوى أربعين شخصا[1]، أما في القرن الثامن الهجري،الرابع عشر الميلادي فقد عرفتالمصير على يد تيمورلنك،الذي إستولعلى هراة وكابل وقندهار،وأصبحت البلاد كلها جزءا من إمبراطوريته[2].

إستعادة مدينة هراة دورها السياسي والحضاري بعد أن إتخذها السلطان شاهرخ قاعدة وحاضرته في الفترة الممتدة ما بين 807هـ،851هـ،1405م،1448م، و شاهرخ هو الإبن الرابع لتيمورلنك،شهد معظم معارك والده في إيران الغربية والهند وبلاد الشام والأناضول،وصار في عهد والده حاكما لخراسان سنة 779هـ،1397م،[3] وصارت البلاد تحت إمرته بعد أن قضى على الصراعات التي تلت موت تيمورلنك،والنزاع بين الطامعين في خلافته،حيث إمتد سلطانه إلى أملاك إبن أخيه بير محمد في غزنة وكابل ودخل سمرقند سنة 811هـ،1409م، ونقل من سمرقند إلى هراة معظم المهرة والحرفيين الذين جاء بهم والده إلى سمرقند[4] وألحقها بملكه.

[1]- عفاف صبرة،نجوى كيرة،**مرجع سابق**،ص ،265.

[2]- فاروق حامد بدر،**تاريخ أفغانستان من قبيل الفتح الإسلامي حتى وقتنا الحاضر**،دط،دمن، دت،ص،34

[3]- الغياثي،**مصدر سابق**،ص،206.

[4]- عفاف صبرة،نجوى كيرة،**مرجع سابق**،ص،280.

وصفت الكثير من المصادروالمراجع الصفات الخلقية[1] والسياسية التي ميزة شاهرخ، فكان أكثر التيموريين ثقافة وعلما،حتى صارت هراة في عهده على حد قول دونالد ولبر[2] المركز الثقافي الأول في آسيا الوسطى،عرف عهده رعاية كبيرة للمهندسين المعماريين والفنانين والرسامين والشعراء والعلماء،فصار عصره مرادف لإزدهار حركة الفنون، مما حدا بالمؤرخين أن يطلقوا على عهده العصر الذهبي للتيموريين في مدينة هراة، من خلال إنشاء مدارس الرسم والفنون،والخط ،حيث بنى لذلك مجمعا فنيا يضم مختلف رواد الفن والإبداع خاصة المجلدين والرسامين..

لم يقتصر الإهتمام بمجالات الفن على شاهرخ وحده، إنما تعدى الإهتمام إلى زوجته جوهر شاه، والدة إبنيه الشهريين، ألغ بك وبايسنقر، فقد كانت هي الأخرى مولعة بمختلف الفنون خاصة العمارة، فزيادة على الإهتمام ببناء مسجد جوهر شاد الشهير[3]، فإنها عملت أيضا على بناء مجموعة من المباني الفخمة في مدينةهراة،وكانت هذه المجموعة ،تضم مدرسة كبيرة،ومصلى بنى على طريقة المسجد،والمقبرة التي دفن فيها إبنها بايسنقر[4]، ثم دفنت فيها هي الأخرى بعد أن جاوزت الثمانيين عاما، وإلى الغرب من هراة بنى المهندس قوام الدين الشيرازي مدرسة جميلة في خركرد[5].

ويمكن القول أن مدينة هراة في عهد السلطان شاهرخ عرفت نهضة عمرانية واسعة من خلال الكثير من العمائر التي بناها رفقة زوجته جوهرشاد، إضافة الى قيام نهضة فنية شاملة[6]،مست مختلف

1- وصف في بعض المصادر التاريخية بأنه كان شجاعا،ذو طبع معتدل يميل إلى السلم،جاد في وقت الحرب،غير مسرف

2- دونالد ولبر،**إيران ماضيها وحاضرها**،تر،عبد النعيم محمد حسنين،ط2،دار الكتاب المصري،القاهرة،دار الكتاب لبنان،بيروت،1405هـ،1985م،ص،79.

3- واحد من أشهر المساجد التي بنيت في العصر التيموري،بنى في منطقة مزار الإمام على الرضا في مدينة مشهد،بدأت الأعمال به عام 808هـ،1405م،وأكمل عام 820هـ،1417م، نفذه المهندس الشهير قوام الدين الشيرازى،وتذكر المصادر أنها بنته من مالها الخاص،يتميز المسجد بالفسيسفاء اللامعة المتوهجة.أنظر الملحق رقم 20،ص،316.

4- دونالد ولبر،**مرجع سابق**،ص،80.

5- نفسه،ص،80.

6- نفسه،ص،80.

الفنون التي عرفت في تلك المرحلة، وإستمرت في أولاده بعده خاصة في هراة[1].

لم تفقد المدينة أهميتها بل زادت أكثر في عهد بايسنقر، الذي أنشا هو الآخر معهدا لفنون الكتاب،وقد أنتج المعهد أروع المخطوطات المزوقة بالصور،خاصة الكتب التاريخية والأدبية.

بقيت مدينة هراة تتمتع بتلك الأهمية حتى عهد آخر السلاطين التيموريين، السلطان حسين بايقرا الذي كان مولعا بمختلف فنون المعرفة، فإزدهرت في عهده مختلف النشاطات الفنية والفكرية ، والأدبيةنواليه يرجع الفضل في بروز مجموعة كبيرة من الشعراء والأدباء والمصورين،والمؤرخين،ولم يخلو بلاطه من رواد العلم والثقافة والفن،ففي بلاطه عاش الوزير علي شير نوائي ، والشاعر الإيراني الكبير عبد الرحمان الجامي المتوفي عام 897هـ،1493م، الذي إعتبرته المراجع التاريخية أبرز رواد الشعر في تلك الفترة[2]،يضاف إليهما المؤرخان الإيرانيان،مير خواند،المتوفي عام،903هـ1497م،وحفيده خواند مير المتوفي،عام924هـ،1518م.

لقد عرف البيت التيموري الكثير من رواد العلم والمعرفة وخاصة بعض أبناء شاهرخ، الذين كان ولعهم بالشعر والكتابة وعلم الفلك وغيكان بالعلوم والفنون يفوق الوصف ، يمكن الإستدلال على دورهم من خلال ذكر البعض منهم، فزيادة على أن شاهرخ كان ولعا بها، فإن بعض أبناءه ساروا على نهجه ، وهنا تجدر الإشارة إلى ذكر بعضهم، ومنهم محمد بن جوكي بن شاهرخ، حيث أنجت مدرسة هراة مخوطة من شاهنامة الفردوسي ،يطلق عليها شاهنامة الأمير محمد جوكي[3].

إضافة إلى بايسنقر الذي ظل مهتما وشغوفا بالخط والشعر حيث عرفت هراة في عهده تطورا كبيرا، يضاف إلى كل هؤلاء إبراهيم ميرازا بن شاهرخ الذي يعتبر من أمهرالخطاطيفيعصره.

---

[1]- عباس إقبال،**تاريخ إيران**،صن61،..

أنظر:ماتعلق بالتصوير من هذا العمل،ص،152.

[2]-إبن العماد الحنبلى ،**شذرات الذهب**،ج9،ص،543.

[3]-عفاف صبرة،نجوى كيرة،**مرجع سابق**،ص،281

يرى الكثير من دارسى الفنون وعلى راسهم زكى محمد حسن ان التطور الفنى الذى عرفته هراة،انما يعود الى طبيعة العلاقات القوية بين ملوك الصين والامراء التيموريين خاصة في عهد السلطان شاهرخ وإبنه بايسنقر.

ظلت مدينة هراة في عهد التيموريين مركزا هاما تتنوع فيه مختلف الصناعات والفنون المختلفة،فإزدهرت فيها مختلف أنواع الزخرفة،كما إنتشرت بها صناعة الآدوات الخزفية،

حتى أضحت مدينة هراة مركزا من المراكز العظيمة للزخرفة الإسلامية في تلك الفترة،خاصة في فن المنمنمات، كما إنتشرت على نطاق واسع في هراة صناعة الخزف، حيث إستعملت كثير من أشكال الطيور على تلك الزخارف، إضافة إلى تطور الخزف المنقوش عليه الأشكال الهندسية المختلفة[1].

كما عرفت هراة إنتشار صناعة الزجاج والخشب بفضل الزجاجون السوريون، الذين أخذو إلى سمرقند ومنها إلى هراة خلال الحملة العسكرية التي قادها تيمورلنك على بلاد الشام، وكان من أثر ذلك صناعة الأباريق الزجاجية،والقنينات الزجاجية الطويلة الممشوقة[2].

أما صناعة التحف المعدنية فإستمرت قائمة في هراة في عهد التيموريين متأثرة بالأساليب الإيرانية التي إنتشرت منذ القرن السادس والسابع الهجري ، الثاني عشر،والثالث عشر الميلادي ،حيث تعددت تلك التحف وتنوعت عليها مختلف الكتابات الدالة والمعبرة، عن الأمراء التيموريين،من خلال الكتابات التي كانت تحمل الجانب الدعائي والتعظيمي للأمراء التيموريين وفي مقدمتهم تيمورلنك،وعادة ما كانت تكتب تلك العبارات على التحف المعدنية أو على العملات المتداولة،فمن جهة تبرز التطور على عرفته الفنون والزخرفة ومن جهة أخرى تعبر عن الإشادة بعظمة السلاطين التيموريين[3].

---

[1]-نفسه،ص،293.

[2]- زكى محمد حسن،**فنون الإسلام**،ص،ص،273-----286

[3]- عرفة إيمان محمد إبراهيم،**الحياة الثقافية في بلاط السلطان حسين بايقرا**،رسالة ماجستير،جامعة القاهرة،1978م،ص،47.

كما يمكن الإشارة إلى التطور الكبير الذيعرفتة صناعة النسوجات وقد كان للإتصال الذي حدث بين الصين في تلك أثر بارز في نمو حركة التجارة من وإلى تلك المنطقة،حيث صارت هراة مركزا هاما لصناعة المنسوجات الفاخرة،ومنها الديباج والنسيج المقصب بالذهب والفضة، والذي عادة ما تكون عليه أشكال ورسوم لطيور صينية،وكانت تصدر من هراة والمدن القريبة منها إلى العالم الإسلامي[1]، كم أن هراة ظلت لوقت طويل عاصمة صناعة السجاد،خاصة تلك المزخرفة برسوم الزهور، خاصة الزهور ذات الأرضية الحمراء، وتنوعت الألوان في السجاد الواحد حتى قيل أنها وصلت إلى عشرين لونا[2].

لقد ترعرع في البيت التيموري الكثير من الرواد،في العلم والعرفة،في الشعر والفلك وفن التخطيط والخط، والتذهيب والتصوير ويمكن ذكر البعض منهم حتى يمكن الإستدلال مدى قدرة هؤلاء على الإنخراط في صنع تاريخ الحضارة الإسلامية، بإعتبار أن الكثير منهم لازالت أعمالهم خالدة في كثير من المكتبات والمتاحف العالمية[3].

وفي الأخير يمكن القول أنه بفضل أعمال السلطان شاهرخ،وفيما بعد حسين بايقرا، تحولت مدينة هراة إلى مركز نهضة فكرة وفنية وإقتصادية في منطقة آسيا ، فأسست المكتبات وجمعت لها الكتب،وعاش في بلاط التيموريين الكثير من الشعراء، كأحمد بن ميراشاه، والمؤرخ حافظ أبرو،صاحب الكتاب الموسوم،بزبدة التواريخ،وكان من ندماء شاهرخ المؤرخ شرف الدين علي اليزدي كاتب سيرة تيمور.

وهي تقريبا نفس الصورة التي كانت في عهد التيموريين حيسن بايقرا،فقد عرفت فترة حكمه الكثير من الاسماء المهمة في عالم الادب والفكر والتصوف والرسم والتاريخ والفلكوالهندسة وغيره،

---

[1]-زكي محمد حسن،**الفنون الإيرانية**،222.

[2]-عفاف صبرة،نجوى كيرة،**مرجع سابق**،296.

[3]-لقد كان الكثير من الأمراء التيموريين على قدرعال من المعرفة والثقافة والإشتغال بالفنون،ومنهم إبراهيم ميرزا بن شاهرخ،الذي كان يعتبر من أمهر الخطاطين،وبايسنقر بن شاهرخ الذي كان ولعا بالخط والكتابة،كم أن ألغ بك بن شاهرخ كان غارقا في البحث في العلوم الفلكية،إضافة إلى زوجة شاهرخ جوهر شاد هي الأخرى كانت حريصة على رعاية خاصة الفنون،والعمران،وحتى والدولة تلفظ أنفاسها في عهد حسين بايقرا كانت تتمع بقدر كبير من الرخاء الفنى والحضاري.

وهنا لايسعنى إلا أن أقف وبإعجاب عند مؤلفات الجامي الأدبية في الشعروالنثر فهو من خلال ماكتب يعسكر حالة إحتماعية وسياسية وفكرية خاصة فيما يتعلق بالتصوف والزهد ،وفي الرسم فإن ما إنجزه بهزاد ظل يثير الكثير من الإعجاب حتى أعتبر هذا الأخير مدرسة قائمة بذاتها وظلت أنامله وريشته معبر قويا عن تلك الحالة الإبداعية ، أما في التاريخ فإن مؤلفات خواندمير،وميرخواند لازالت تعد من بين المصادر الهامة في التاريخ الإسلامي ، أما حفيد تيمورلنك ألغ ، فإن ولعه بعلم الفلك ، جعل شهرته العلمية تطغى على شهرته السياسية ،وظل زيجه الفلكي يمثل الكلمة الأخيرة في علم الفلك في العصور الوسطى إلى غاية ظهور نظرية العالم البولوني كوبرنيكوس .

الفصل السادس :

العمارة التيمورية

1-تعريف العمارة الإسلامية وتطورها:

تميزت وإنفردت الحضارة الإسلامية بنماذج فريدة من نوعها ميزتها عن مختلف الحضارات السابقة، أوتلك التي عاصرتها، وتأتي النماذج المعمارية التي قدمتها أول مظاهر هذا التيمز، من خلال شكلها أو مضمونها أو جماليتها الهندسية، فكل حضارة إنسانية من الناحية العمرانية، ظلت متكيفة مع عاملين أساسين، الأول هو طبيعة المعتقدات الدينية[1]، أما الثاني،فهو طبيعة البيئة الجغرافية، فالمباني التاريخية بكافة أنواعها ماهي في النهاية إلا بصمة لما أنتجته تلك الحضارة.

فهي تعكس عموما طبيعة النهج والتفكير، الذي أنتجته كل أمة،وفي نفس الوقت تعبر عن مستوى التطور الذي وصل إليه العقل البشري سواءا في جانبه المادي أو المعرفي.

إنطلاقا من كل هذا لا نجانب الحقيقة إذا قلنا أن الحضارة الإسلامية، أبدعت وهي تقدم للحضارة الإنسانية،نموذجا عمرانيا منفردا ومنسجما ومتناسقا ومتنوعا يتكيف مع حاجيات المجتمع المختلفة،ويستجيب في نفس الوقت للحاجيات الروحية،وذلك لسبب بسيط يكمن في كون العمارة في النهاية، ماهي إلا تعبير عن هوية المجتمع،تبرز مبادئه وخصائصه وقيمه[2].

من هنا إعتبر الكثير من المهتمين وغيرهم أن العمارة هي فن، لأنها تعبر عن أحاسيس الإنسان الروحية وهي ترجمة حقيقية لخياله وعاطفته، كما تعتبر أيضا إستجابة لمختلف الحاجيات الإقتصادية والسياسية والعسكرية،التي تدفع الناس لإحاطة الأمربكلهذه الرعاية.

تستند الكثير من الدراسات التاريخية إلى يومنا هذا في غالب الأحيان على التراثالمعماري لأنه يرتبط إرتباطا مباشرا بالأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية،المتعلقة غالبا ما كانت العمارة معبرة عن واقع إجتماعي وإقتصادي وسياسي، وهو أمر يرتبط بمبادئ العمران حسب طبيعة المجتمعات، أما في وفقه العمران كما هو عند الشعوب الإسلامية، فإبن خلدون وهو أكثر من خاض

[1]-في الحضارات القديمة التي سبقت الإسلام خضعت عملية بناء المعابد والكنائس الى وجهة النظر الدينية ،بإعتبار أن المعبد أو الكنيسة ماهو في النهاية إلا ترجمة للمعتقد الديني،لذلك فالنظرة الأولى إلى أي هيكل معماري ديني يمكن للمشاهد أن يحدد هوية ذلك المبنى.

[2]سعاد ماهر ،**الفنون الاسلامية**،ص،3.

في الأمر، يعبر عن الفكرة الإجتماعية للإنسان،وربط ذلك بطبيعة العمران،وهو ما أنتج في النهاية خصائص سياسية وإجتماعية وإقتصادية وثقافية مشتركة[1] .

يعتبر الكثير من الباحثين أن دراسة العمارة هو شكل من أشكال الدراسة التاريخية بإعتباره منهج وصفي يعتمد منهج الدراسة والمقارنة بين مختلف الحضارات أو حتى داخل الحضارة الواحدة في فترات زمنية متعاقبة، فإذا كان المعمار هو فن ،فهو في نفس الوقت جزء من التاريخ،لأنه يهتم بدراسة التطور التاريخي الخاص بتنظيم وبناء المدن وتخطيطهاوتصميم المباني بها[2]، لذلك إعتمد أحيانا على العمارة كمرجع للفصل بين مرحلة وأخرى ، ومنطقة وأخرى،ومن هذ المنطلق خضعت العمارة الإسلامية لنفس هذه المعايير.

فالعمارة الإسلامية منذ بناء المدينة المنورة في القرن الأول للهجرة وإلى غاية القرن العاشر الهجري،بقيت محافظة على روحها، أومايسمي بمبدأ الكليات ، إلا أنها إختلفت في التفاصيل والجزئيات[3]، ويعود ذلك أساسا إلى مجموع التغيرات المرتبطة بمختلف التحولات الإجتماعية، و تطور أدوات ووسائل العمارة إضافة إلى طبيعة البيئة الجغرافية التي تفرض في كثير من الأحيان تحديات قد لا تكون معروفة سابقا.

تعد البيئة الجغرافية بكل ما تحمله من خصائص،كطبيعة التضاريس،ونوعية التربة، والعناصر المناخية كالحرارة والأمطار،عاملا مهما في تحديد نوعية العمران، فالأبنية في المناطق الحارة تختلف عنها في المناطق الباردة، كما أن العمران ظل يراعى فيه عملية الحماية، سواءا من العوامل الطبيعية،

---

[1]-عبد الرحمان بن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربرومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،ج1،دار الفكر للطباعة والنشروالتوزيع،1431هـ،2001م،ص،44.

[2]-سيد بسيوني،**فن العمارة**،دار البازوري العلمية،عمان الأردن،2007م،ص،12.

[3]-يقصد هنا وحدة المبنى في شكله العام،فبناء المسجد بشكل عام له نفس الشكل إلا أن الجزئيات تختلف تبعا لطبيعة البيئة الجغرافية،والطبيعة البشرية وتطور الأدوات العمرانية،لذلك رأينا في الحضارة الاسلامية اشكال متعددة ونماذج معمارية متنوعة في المساجد ،كماهو المساجد المغولية وفي المساجد الإسلامية في بلاد الهند،والنماذج الإسلامية في بلاد المغرب،فكل منطقة لها خصوصياتها في العمارة،الإأن الشكل العام للمسجد بقى كماهو،إنما حدث التباين في الجزئيات،أما الكليات فطلت كماهي،كما أن وظيفة المسجد ظلت كما كانت في مختلف العصور السابقة.

أواخطار عسكرية محتملة، يضاف إلى كل ذلك تطور التعليم ومناهجه الذي سمح بإعطاء البعد العلمي في عملية البناء من خلال الحسابات الهندسية، التي عادة ما كانت تحتاج إلى من هم أكثر دراية بهذا المجال[1].

2-المسجد ونشأة العمارة الإسلامية

ظل المسجد في الحضارة الإسلامية هو رمز العمارة،ومثل في كثير من المدن والعواصم الإسلامية قلبها وحاضنتها[2] ،فهو وحده يمكن أن يكون ظاهرة للمقارنة في الحضارة الإسلامية، بإعتبار أن المساجد في العصور الإسلامية الأولى تختلف في شكلها وهندستها عن المساجد التي بنيت في العصور المتأخرة.

كان لظهور الإسلام كديانة خاتمة وجامعة الأثر الكبير في التغيير الذي مس جميع جوانب الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية في عموم البلاد التي انتشر فيها،كما ساعد في النهاية على بروز العمارة الإسلامية كظاهرة ثقافية وحضارية مصاحبة لهذا الدين الجديد،ومختلفة عن الانماط السابقة،صحيح انها اخذت منها،لكنها انفردت وتميزت وما يؤكد هذا أن الرسول "صلعم "لما هاجر إلى المدينة المنورة كانت أول الأعمال الجليلة التي قام بها هي بناء المسجد.[3]

رغم أن البناء كان بسيط في عناصره،لكنه عميق في معانيه،لأنه بهذا العمل أكد الرسول صلعم أن أول عنصر في البناء يمكن التركيز عليه هو المسجد[4]،وذلك لطبيعة الوظائف الدينية والإجتماعية

---

[1]- ثروت عكاشة،**القيم الجمالية في العمارة الإسلامية،العين ترى والأذن تسمع**،د ط،دار الشرق الولى،1414هـ،1994م،ص،30.

[2]-عفاف صبرة،نجوى كيرى،مرجع سابق،ص،201.

[3]-مسجد قباء،أول مسجد بني في الإسلام كان ذلك في السنة الأولى للهجرة سنة 1هـ،622م، وكان أول مهندس له هو الرسول عليه الصلاة والسلام، يقع المسجد إلى الجنوب منالمدينة المنورة ،عرف عدة توسيعات في مختلف المراحل الإسلامية،اط وسع في عهد عثمان بن عفان،وعمر بن عبد العزيز،والسلطان قاتباي والسلطان العثماني محمود الثاني،وغيرهم كما عرف توسيعات أخرى في العصور الحالية ، يتكون المسجد حاليا من أربعة مآذن وستة وخمسين قبة،أنظر:

[4]-زكي محمد حسن ،**الفنون الإسلامية**،مؤسسة هنداوي،ص، 13

التي يقوم بها،ومن هنا ظل المسجد رمزا لكل مدينة أنشئت في العصور اللاحقة،وفي كل المناطق التي دخلها الإسلام شرقا وغربا.

يطلق إسم العمارة الإسلامية على كل النماذج المعمارية التي سادت في المناطق التي دخل إليها الإسلام،وإمتدت هذه الرقعة الجغرافية تقريبا من الأندلس غربا إلى بلاد الفرس شرقا،حتى الهند وبلاد ماوراء النهر، ساهم إنتشار الإسلام بين تلك الشعوبفي خلق ثراء وتنوعبما حوى من مختلف الثقافات والعادات والخبرات المتنوعة لدى الشعوب المختلفة كالترك والفرس وغيرهم في شتى الميادين ومنها الميدان العمراني الذي يعد واحدا من أهمها، دون أن نغفل بطبيعة الحال الدور العربي في فنون العمارة.[1]

نشأت العمارة الإسلامية في بداية الامر كحرفة بسيطة من حيث البناء أو طبيعة الأشكال، أو نوعية الوسائل المستعملة في عملية البناء، سرعان ما بدأت هذه العنصر تتغير وتتطور، بعد أن وصل الإسلام إلى مناطق مختلفة، كانت هي الأخرى تملك المقومات الحضارية ،والخصائص العمرانية المميزة لها، ومن هنا بدأت عملية التزاوج بين مختلف ثقافات تلك الشعوب.

لعب عامل الزمن من جهة وتطور الحاجيات من جهة أخرى دورا هاما في عملية التحول والإنتقال من حرفة بسيطة تعتمد على أدوات محدودة، إلى نشاط أقل ما يقال عنه أنه أصبح غني بمظاهر الإبداع والزخرفة معبرا عن مختلف المشاعر والأحاسيس،في بيئات جغرافية وبشرية متنوعة كالفارسية والتركية وغيرها، ومن هنا بدأ نمط عمراني جديد في إيران وبلاد ماوراء النهر وغيرها.

كل هذا التحول أنتج فن معماري مهاري،ديني حضري للمدراس والقصور والمساجد[2]، إرتبطت التحولات التي طرأت على العمارة الإسلامية، بالتحولات التي طرأت على مختلف المهن والحرف،التي ساهمت في تطور العمارة،خاصة تلك التي وجدها المسلمون في البلاد التي دخلوها، إذ أن البعض منها كان على درجة لابأس بها من التطور المعماري خاصةعند الفرس الذين تميزوا

[1]-رنين مهنا،**نظريات العمارة**،د.ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون،ص،69.

[2]-ثروت عكاشة،**القيم الجمالية في العمارة الإسلامية**،ص30-

بعمارتهم وهندستهم،وفي النهاية حدث ذلك التزواج بين مختلف الثقافات التي أنتجت في نهاية الأمر فنون معمارية متشابهة في كلياتها ومتباينة في الجزئيات،خاصة في بناء المساجد وزخرفتها[1].

في كل المعتقدات التي عرفتها البشرية سواءا كانت سماوية أو وثنية،لعبت الهياكل المعمارية الدينية دورا بارزا في التعبير عن فكرة الإنسان ووجدانه، فالمعبد البوذي قبل أن يكون مكان عبادة تقام فيه مختلف الطقوس،فهو رمز ديني،وهو ترجمة لما كان يعتقد به الإنسان البوذي من خلال التعبير عن معتقده ومشاعره، والكنيسة المسيحية هي الأخرى لعبت نفس الدور، بإعتبارها تعكس رغبات وأفكار الإنسان المسيحي ، فالهيكل الديني تحت أي مسمي ظل هو الحاضنة التي يلجأ إليها الناس في مختلف الديانات.

لم يكن غريبا على العمارة الإسلامية أن تسلك نفس المسلك من خلال الإهتمام بالعمائر الدينية، لما تمثله من أهمية للإنسان المسلم،كرمز للعقيدة،ومكان للممارسة مختلف الشعائروالعبادات،ومن هنا كان الإهتمام بالمسجد كقيمة روحية ومعنوية،تسكن الوعي الفردي والجماعي للمسلمين،ففي كل البلاد التي دخلها المسلمين كانت أول الخطوات المتبعة هي بناء المسجد أو الجامع،وهذه الكلمة هي دالة على الوحدة وروح الجماعة،فهو مكان لجمع الناس وجمع القلوب أيضا.

إهتم المسلمون إهتماما بالغا ببناء المساجد،كما فعلت كل الأمم مع أماكن العبادة، بإعتبار أن المسجد يقوم بوظفتين أساسيتين،الوظيفة الأولى هي الدور الروحاني كمكان مقدس للعبادة، أما الوظيفة الثانية فهي الدور الإجتماعي لأنه مكان لمختلف الإنشغالات الأخرى ، كالتعليم وحل القضايا الإجتماعية ، بطبيعة الحال فالعمارة الإسلامية تختلف في ظاهرها ومضمونها عن العمارة عند الشعوب الأخرى، لذا كان من الواجب الإشارة إلى العناصر الأساسية للعمارة الإسلامية التي تبرز خصوصياتها وتعطيها طابع التفرد والتميز.

[1]-زكي محمد حسن،**الفنون الإسلامية**،ص13.

3-مبادئ العمارة الإسلامية

يشير الدكتور محمد القحطاني،في كتابه مبادئ العمارة الإسلامية وتحولاتها المعاصرة[1]، إلى مجموعة من الأسس والعناصر التي عرفتها العمارة أو تلك التي ميزتها وأعطتها بعدا روحيا وجماليا،وهذه العناصرهي: الإحتواء ،الظهور،التحول ،الطبقات ،التكرار[2].

إن الغرض من إبراز هذه العناصر الأساسيه في فن العمارة الإسلامية،ليس الهدف منه البحث كل العناصر والمبادئ التي شكلت أسس العمارة والبناء في مختلف الصور الإسلامية، إنما الهدف من ذلك الغاية من ذلك التفاصيل الجزئية التي طرأت على العمارة الإسلامية،خاصة بالنسبة للفترة محل الدراسة،وهي فترة العصر التيموري ،التي شكلت مرحلة هامة من مراحل تطور وتميز العمارة الإسلامية، بعد أن تنافس السلاطين والأمراء على رعايتها والتفنن فيها، حتى صارت محل إهتمام الباحثين والدارسين.

كان من الضروري أن أشير إلى تلك المبادئ ولو بشرح موجز لمعرفة مختلف التفاصيل و الجزئيات التي طرأت على العمارة الإسلامية، بإعتبار أن الكليات ظلت في كل العصور قائمة وثابتة لم تتغير.في حين أن الجزئيات عرفت تطورات متعددة تبعا للمتغيرات الساسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية وحتى العرقية، بإعتبار أن كثير من العناصر التي دخلت الإسلام ، لم تكن من أصول عربية ، فدخلت بإرثها الثقافي والحضاري لتضيف لبنة جديدة إلى الحضارة الإسلامية.

المبدأ الأول هو مبدأ الإحتواء، ويقصد به توجه العمارة بأشكالها كافة نحو الداخل، في تجاهل يبدو متعمدا لكل أوجه البناء الخارجية ، مهما كانت طبيعة البناء عاما أوخاصا، صغيرا أوكبيرا،فظل

[1]- كتاب قيم صادر عن مركز الدراسات الوحدة العربية عرض فيه الدكتور القحطاني بالتحليل والتفصيل مختلف التحولات التي طرأت على العمارة الإسلامية،عبر مختلف العصور الإسلامية ، وقد أعطى المؤلف تفصيلات وافيه عن تطور العمارة الإسلامية منذ العهود الأولى،ومنها العصر التيموري،مقدما شروحات وافيه عن مختلف مظاهر العمارة الإسلامية في هذه الفترة مع إبراز بعض النماذج المعمارية،انظر:محمد هاني القحطاني،**مبادئ العمارة الإسلامية وتحولاتها المعاصرة ،قراءة تحليليةفي الشكل**،ط1،مركز الدراسات الوحدة العربية،2009.

[2]- نفسه،217،وما بعدها

الإهتمام بالداخل مقدما على الخارج في عمارة الإحتواء،وينطلق هذا النمط العمراني من حالة البيئة الطبيعية والإجتماعية والثقافية للمجتمعات الإسلامية.

المبدأ الثاني يتمثل في مبدأ الظهور،وهو معنى عمراني معاكس تماما لمفهوم الإحتواء،هنا يتم التركيز على الجوانب الخارجية المرئية،التي يراها المشاهد، وتتيح له مشاهدة الأشكال الخارجية وهياكلها،وهو مرتبط بمختلف التحولات التي ظهرت على المجتمعات الإسلامية، ويظهر مبدأ الظهور بشكل بارز في فترات محددة من التاريخ الإسلامي، لاسيما في واجهة القصور التي أنشات في العصر العباسي الأول،كما هو الحال في مدينة سمراء في العراق ، وأيضا في تاج محل بالهند، ويرجع الإهتمام بعامل الظهور إلى حالة الرخاء التي عرفتها المنطقة سواءا في العراق أو الهند، وبصفة عامة فإن مبدأ الظهوريسمح بوجود مساحات مفتوحة في نسيج المدينة التي تتمكن المباني وأفنيتها ومختلف عناصرها من الظهور،وتظهر من خلالها هندستها وجمالها سواءا كان نسيج عمراني واحد أو عدة أنسجة[1].

المبدأ الثالث يتمثل في مبدأ الطبقات وهي مجموعة العناصر والفراغات والأشكال الواقعة داخل نسيج الإحتواء، أو تلك التي تشكل عمارة الظهور، والطبقات بإختلاف أنواعها هي تمثل اللبنات الأساسية التي تتكون منها هذه العمارة،وهي المادة الخام التي تشكل الأشكال والأحجام ومختلف الكتل،ووحدات الطوب والحجر، فإذا كان السقف والجدار يشكلان عمارة إحتواء، فإن الأسطح والعناصر العمودية والأفقية تبرز عناصر الظهور، ومفهموم الطبقات قريب إلى مفهوم التدرج في العمارة[2].

المبدأالرابع هو مبدأ التحول:هو عملية مستمرة ودائمة في بناء المدينة الإسلامية يعتمد على عنصرين أساسين،ليكسب مظهره ، العنصر الأول هو عامل الزمن، والعنصر الثاني هو تغير أدوات وعناصر العمارة، وقد عرفت العمارة الإسلامية في مراحلها المختلفة صور كثيرة من مظاهر التحول مع

[1]-محمد هاني القحطاني،**مرجع سابق**،ص،68.

[2]-نفسه،ص،218.

الأسف يصعب الإحاطة بكل تفاصيلها، وبصفة عامة يمكن القول أن مبدأ التحول مرتبط بمختلف التحولات التي تطرأ على المجتمع ومختلف العناصر المعمارية[1].

المبدأ الخامس هو مبدأ التكرار:هو عملية توظيف المفاهيم الأربعة السابقة ،سواءا كانت العملية العمرانية بناء مدينة كاملة ، أو نسيج واحد مستقل ، أو مجرد عنصر معماري، فإن المرء يجد نفسه أمام مجموعة من العناصر والأشكال والمفردات البصرية الجمالية بطرق مختلفة،وفي مناطق جغرافية مختلفة، ويمكن أن نبرز مبدأ التكرار في العمارة الإسلامية من نموذج مدينة سامراء أو مدينة القصور[2]، فيمكن أن نعتبر القصرالواحد المتكررة الواحدة في المدينة، كما أن القصر الواحد،لا يعد أن يكون سوى تكرار لعدد كبير من الغرف.

الغرض من إبراز هذه المبادئ هو معرفة إلى أي مدى طبقت في العصرالتيموري،وقبل الحديث عن العمارة التيمورية،لابد من تقديم لمحة وجيزة عن تطور العمارة الإسلامية منذ القرن الأول الهجري إلى غاية القرنيين الثامن والتاسع الهجريين[3]،خاصة في ظل تراكم التجارب المعمارية والخبرات الفنية،التي جعلت هذه الفترة مميزة عن الفترات الإسلامية السابقة، ورغم أن الإختلاف لم يكن كليا بإعتبار أن العمارة التيمورية حافظت على المبادئ العامة للعمارة الإسلامية ، إلا أن التحول أصاب الجزئيات الناتجة عن التحولات العميقة التي عرفها العالم الإسلامي،من حيث البيئة الجغرافية ، أو طبيعة العناصر البشرية،التي قدمت إضافات وتجارب جديدة زادت الفن المعماري الإسلامي قوة وتأثيرا، كما أن المواد التي إستعملت في عملية البناء تغيرت حسب طبيعة البيئات الجغرافية، إضافة

---

[1]-كان بناء مدينة سامراء في أواخر الربع الأول من القرن الثالث الهجري،وظلت لمدة خمسين سنة مركزا لإقامة الخلفاء العباسيين، أنشاها الخليفة المعتصم في منطقة غير مأهولة بالسكان،وأشرف على تخطيطها وبناء قصورها،ومن أشهر تلك القصور قصر الواثق،الذي يسمى بالقصر الهاروني،أنظر:

صالح أحمد العلى،**سامراء دراسة في النشأة والبنية السكانية**،ط1،شركة المطبوعات للنشر والتوزيع والنشر،،2001م

[2]-نفسه،ص،11.

[3]-أكيد أن هذه الفترة الزمنية الطويلة قد عرفت كثير من المتغيرات من حيث النسيج الإجتماعي والتركيبة العرقية،وتطور مختلف الأدوات المعمارية سواءا من حيث مواد البناء أوأساليب البناء فهي تطورت تبعا لمختلف التجارب التي عرفها العالم الإسلامي.

الى تطور الفنون التطبيقية ،كالخط والزخرفة، والفسيفساء وغيرها أعطت وجها جديدا للعمارة الإسلامية في العصر التيموري،خاصة في بناء القصور والمدارس والمساجد.

4-النماذج المعمارية الإسلامية

4-1-النموذج الأموي:إنتهى عصر الخلفاء الراشدين بقيام الدولة الأموية [1]، إنتقلت العاصمة الأسلامية من المدينة المنورة والكوفة إلى دمشق وكان من نتائج هذا الإنتقال حدوث إحتكاك مباشر بشعوب تلك المنطقة ،خاصة الروم البزنطيين،الذين تتمتعوا بكثير من التجارب المعماريةخاصة في بناء الحصون والقلاع والكنائس،من هنا أمتزجت الخبرات العربية بخبرات وتجارب السكان هناك خاصة منهم البزنطيين[2] .

أسهم البزنطيون في خلق نسق عمراني معين تم نقله فيما بعد إلى بقية الأقاليم، ومن أبدع العمائر الأموية في الشام قبة الصخرة في بيت المقدس والمسجد الجامع في دمشق[3]، الذي بني في عهد عبد الملك بن مروان سنة 72هـ،691م ، وبقيت آثارهما راسخة تحاكي التطور الذي وصلت آليه العمارة الآسلامية في العهد الأموي.

4-2-النموذج العباسي

إرتبط النموذج المعماري العباسي بالخلافة العباسية التي قامت سنة 132هـ،749م، بعد أن سقطت دولة بنو أمية، وإذا كانت العمارة الأموية قد تأثرت بشكل واضح بالنسق العمراني البزنطي، فإن العمارة العباسية هي الأخرى تأثرت في بداياتها بالعمارة الفارسية، خاصة أن الفرس كان لهم دور بارز في قيام الخلافة نفسها، وإمتد هذا التأثير إلى جوانب متعددة منها، سياسية وإجتماعية وإقتصادية وعمرانية، كما أن الفرس كان لهم دور كبيرا في الفنون المعمارية قبل الإسلام،من خلال بناء القصور ومختلف أماكن العبادة.

[1]- ديماند،**الفنون الإسلامية**،تر،زكي محمد حسن،ط1،دار الكتاب العربي،ط1984،1م،ص،27.
[2]-نفسه،ص،27.
[3]- عادل الألوسي،**روائع الفن الإسلامي**،دط،عالم الكتب،2003م،ص،12.

وعموما يلاحظ قوة التأثير الفارسي في العمارة العباسية ، من خلال طغيان الأساليب الفنية الفارسية،خاصة في تجسيد مبدأ التكرار والظهور في نفس الوقت[1]،وهو ما تعكسه الفسيسفاء والكتابات المختلفة خاصة في القصور والمساجد،ويعد بناء مدينة بغداد في حد ذاته من بين الإنجازات الكبرى التي أسهم فيها الفرس، من خلال إستعمال بعض مواد البناء التي إشتهروا بها.

العنصر الثاني الذي لعب دورا بارزا في العمارة العباسية ، يتمثل في السلاجقة الأتراك[2]،الذين قويت شوكتهم بعد أن وضعوا أيديهم على إقليم خراسان،الذي عد قاعدة العمليات العسكرية في آسيا الوسطى.

أعلن السلاجقة بذلك قيام دولتهم التي شملت بلاد ما وراء النهر، حتى إمتد نفوذهم إلى إقليم فارس، وأزالو بذلك حكم الدول التي كانت قائمة هناك،وكسب السلاجقة ود المسلمين من خلال ميلهم للمذهب السني، وولائهم للخليفة العباسي أمير المؤمنيين[3].

إذا كان دور السلاجقة الديني والسياسي والحربي معروف على نطاق واسع،وقد أشارت الكثير من المؤلفات إلى الدور الذي لعبه السلاجقة في الحياة السياسيةو الإجتماعية والثقافية للبلاد الإسلامية، إلا أنه يمكن الإشارة هنا إلى عنصرين رئيسيين ، ميزا دورهم في الحضارة الإسلامية، العنصر الأول هو إهتمامهم وتركيزهم على نشر التعليم وفق المذهب السني خاصة في عهد السلطان ملكشاه من خلال إنشاء المدارس النظامية[4]، أما العنصر الثاني والذي يعنيينا مباشرة،وهو إهتمامهم بالجانب العمراني، إذ برع السلاجقة خاصة في الزخارف المعمارية، صحيح أنها كانت معروفة في أنحاء متفرقة من إيران وأواسط آسيا،إلا أن الزخرفة المعمارية بدأت منذ عهد السلاجقة تأخذ أسلوبا

---

[1]- زكي محمد حسن، ***الفنون الاسلامية***،ص،14.

[2]- نفسه،ص،15.

[3]-محمد عبد العظيم أبو النصر،**مرجع سابق**،ص،141.

[4]-قام السلاجقة ببناءهذه المدارس التي كان هدفها تعليم المسلمين ومحاربة التغلغل الباطني والصليبي في البلاد الإسلامية خاصة في أملاك الخلافة العباسية للمزيد عن المدارس النظامية أنظر:

علي محمد الصلابي،**السلاجقة وبروزمشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والصليبي**،ط1،دار المعرفة،بيروت،1430ه،2009م.ص،312وما بعدها.

جديدا، بعد أن بدأإستعمال الطوب على نطاق واسع ،بإعتباره مادة طبيعية تساعد على إنتاج مختلف الأشكال الهندسية،ذات رؤوس متنوعة ،عمودية، أفقية، أو منفرجة[1].

وقد أخذ التيموريون جزءا كبيرا من هذه الأساليب، وبصفة عامة يمكن القول أن العمارة الإسلامية في العصر العباسي،أخذت الكثير من الأساليب الهندسية والفنية ومختلف الزخارف من الفرس والسلاجقة.

4-3-النموذج الفارسي المغولي

توفقت عملية البناء في العالم الإسلامي منذ بداية القرن السابع الهجري،الرابع عشر الميلادي، لعدة عوامل يمكن الإشارة إلى بعضها، كضعف الدولة الإسلامية التي إنقسمت إلى عدة دويلات متصارعة، قل إهتمامها بالجانب العمراني،إضافة إلى تراجع رعاية الأمراء والحكام لمثل هذه الجهود ، بعد أن ظل التركيز على الجانب الحربي من الإهتمامات الكبرى عند الكثير منهم، أما السبب الأبرز فهو إجتياح المغول للعالم الإسلامي[2].

تحولت خلاله الكثير من البلاد الإسلامية إلى ركام من الدمار والخراب[3]،خاصة في كلا من بخارى وسمرقند،ولم تسلم حتى عاصمة الخلافة من الخطر الداهم للمغول إنتهى بسقوط عاصمة الخلافة سنة 656 هـ،1258م،إلا أن الأمر ظل مؤقتا،فسرعان ما بدأت العناصر المغولية تعرف حياة الأستقرار،وتتخلى عن حياة التنقل والترحال، ملتفتة إلى ما حولها من مظاهر المدنية ، خاصة في إيران التي كانت من أهم المناطق التي إستقر بها المغول،وتكونت بها دولة قوية ممثلة في دولة الإيلخانيين.

تخلى أحفاد جنكيزخان عن همجيتهم العسكرية تدريجيا،وعن وثنيتهم الدينية بعد ذلك، بعد أن إعتنق الكثير منهم الإسلام خاصة الحكام منهم، ولعل أبرزهم إسلام أحمد تكودار ومحمود غازان ، صحيح أن المغول لم يملكوا مقومات الحضارة كماهو عند الكثير من الشعوب السابقة ، لذلك إندمجوا

---

[1]-محمد القحطاني،**مرجع سابق**،ص،345.

[2]-احمد حافظ حمدى،**مرجع سابق**،ص،304.

[3]-إبن الأثير،**مصدر سابق**،ص،2

تدريجيا في المدينة الإيرانية وأخذوا منها، إلا أنهم كانو متأثرين ببعض مظاهر الحضارة الصينية نتيجة الإحتكاك الذي حدث بينهم وجيرانهم في بعض المحطات التاريخية.

ما يمكن الإنتباه إليه أن إسلام المغول وإندماجهم في العالم الإسلامي ساعد على إنتاج نسق عمراني جديد يجمع بين الخبرات الفارسية والتأثيرات الصينية، ورغبات المغول الطامحة إلى تخليد أمجادهم،وهو ما إنعكس على موجة البناء في العمارة الإسلامية،وكان من نتائج ذلك قيام مراكز حضارية جديدة منافسة لبغداد ،كبخارى وسمرقند وهراة، وأصبح النموذج الفارسي المغولي أكثر النماذج المعمارية تأثيرا خاصة في عهد السلاطيين والأمراء التيموريين خلال القرنيين الثامن والتاسع الهجريين ،الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين[1].

4-4_العمارة التيمورية

يقصد بها النمط العمراني في عهد تيمورلنك وخلفاءه، وقبل التركيز على هذا الجانب بإعتباره أساس هذا العمل ، لابد من الفصل بين مفهوميين أساسيين حتى تتضح الفكرة لدى الباحث و الدارس،ليحدد الفرق بين العمارة وفن العمارة، فإذا كان الأول هو إختصاص هندسي محض ، الغاية منه تحقيق خدمة وظيفية معينة كما هو في المساجد والمدارس وغيرها ، فإن الثاني فن العمارة"، فيقصد به الجانب الإبداعي الجمالي في المبني ذاته[2]، فالزخارف والألوان ومختلف الكتابات تزيد في تشخيص هوية المبني ووظيفته، ومن هنا فإن العمران في عهد التيموريين أصبح يجمع بين المفهومين فهو عمارة وفن في نفس الوقت،فالمبني المنشأ مهما كان يقوم بالجانب الوظيفي المنوط به،وفي نفس الوقت يظهر فيه الحس الفني والإبداعي، وهو ما أصبح بارزا في عمارة التيموريين من خلال النماذج المعمارية التيمورية.

[1]-سعد زغلول عبد الحميد،**العمارة والفنون في الدولة الإسلامية**،منشأة المعارف،دط،،2004م،ص1.
[2]-القحطاني،**مرجع سابق**،ص،387.

إنطلاقا من هذا التحليل يمكن القول أن العمارة التيمورية بمختلف عناصرها حققت إلى أبعد حد ما ،الجمع بين المفهومين، خاصة وأن الدولة ضمت أجزاء واسعة من العالم الإسلامي، كأفغانستان وإيران وأوزبكستان وأجزاء واسعة في شبه القارة الهندية،تتنوع بها الثقافات وتعدد الفنون.

حظيت مدينة سمرقند بأهمية مميزة في عهد تيمورلنك وحفيده ألغ بك، فإضافة إلى خصوصيتها الجغرافية والطبيعة التي جعلت منها طريقا حيويا وملتقى الثقافات عبر مختلف العصور، فإن تيمورلنك عمل كل ما يستطيع من أجل رعايتها والإهتمام بها، ولذلك كان أغلب الناجين من حملاته العسكرية،هم المهرة من البناءين والفنانين والنساجين والصناعيين الذين أوكلت لهم عمارة وبناء مدينة سمرقند[1].

إجمالا يكمن القول أن العمارة التيمورية كانت مزيجا من التأثيرات لشعوب وثقافات متنوعة،غلب عليها بشكل خاص الطابع السلجوقي،بأعتبار أبرعوا في العمارة وفنونها، إلا أنها لم تكن بعيدة عن التأثيرات الإيرانية والهندية والعربية وحتى الصينية[2]،لذلك مثلت العمارة التيمورية مرحلة هامة في تاريخ العمارة الإسلامية، ليس في آسيا الوسطي وحدها إنما في مجمل العالم الإسلامي، مبتدعة أساليب جديدة في العمارة من خلال تطور مواد البناء والزخارف والأشكال العمرانية المتعددة الأشكال الهندسية،وكثير من الشواهد العمرانية التي تعود إلى تلك المرحلة تعبر بشكل جلي على مدى التطور الحاصل من خلال بناء المساجد وزخرفتها، والتنافس فيها بين الحكام والأمراء، وإقامة المدارس والخوانق،التي ظلت لفترة طويلة تستقطب رواد العلم وتتكفل بهم، والقصور والحدائق،التي عكست حالة الرخاء الإقتصادي في مدن آسيا الوسطى مدن الإمامة والإمارة وحواضر الفنون والعمارة[3].

---

[1]-إبن العماد الحنبلي،**مصدر سابق**،مج9،ص،100.

[2]– تأثر التيموريون في بناء عمائرهم وزخرفتها بشكل خاص بالسلاجقة،خاصة في إنشاء القباب والمحاريب،والأشكال الهندسية المختلفة بحكم تطور مواد البناء التى أصبحت لها مرونة كبيرة مما سمح بإنتاج عدد لابأس به من المربعات والمثلثات والمكعبات وغيرها من الأشكال الهندسية التي زانت مختلف العمائر..

[3]– مجلة العربي،عدد،602،ص،75.

5-نماذج من العمارة التيمورية

1-المساجد

شكل المسجد في الحضارة الإسلامية روح المدينة وقلبها فكان الإهتمام به عبر كل العصور التاريخية ضرورة ملحة ، ليس لأنه يقوم بوظيفة دينية، إنما لوظائفه المتعددة، فهو من أهم المؤسسات في المجتمعات الإسلامية، إذ يتمتع بدور فعال ومؤثر في حياة الفرد والمجتمع، فهو في كل مراحل التاريخ الإسلامي مكان مقدس، يؤدي وظيفته الدينية والإجتماعية والتربوية[1].

على المستوى الديني هو مكان لمختلف العبادات خاصة إقامة الصلاة ، أما على المستوى الإجتماعي فهو مكان جامع للناس،يتم فيه عرض ومناقشة كل القضايا التي تهم المسلمين، كالزواج والطلاق والميراث وغيرها، أما على المستوى التربوي فهو يقوم بدور تعليمي بارز،من خلال تحفيظ القرآن الكريم،ودراسة السيرة النبوية، وتاريخ الشعوب والأمم،ومن هنا إهتم به المسلمين حكاما ومحكومين،تقديسا له وتعظيما لدوره، لذلك فالرسول "صلعم" بعد هجرته إلى المدينة المنورة، كانت من بين أعماله الأولى بناء المسجد[2]، بإعتباره أول مكان يجمع المسلمين، وإستمر الأمر هكذا في كل العصور الإسلامية وفيمختلف الأقاليم ، إذ إنتقل المسلمون من القناعة بالضرورى إلى الطوح إلى الأبنية الفاخرة إنتقالا سريعا إلى درجة تبعث على الدهشة[3]،وهناك الكثير من الشواهد التي بقيت قائمة إلى يومنا هذا في كثير من المدن الإسلامية،كدمشق وبغداد،والكوفة وغيرها[4].

المسجد بالكسر، هو إسم لمكان السجود،والمسجد بالفتح تعني جبهة الرجل حيث يصب السجود[5]،والمسجد بكسر الميم هو الحصير الصغير[6]، أما من الناحية الشرعية ، فهو كل موضع من

---

[1]- سعاد ماهر،***مساجد في السيرة النبوية***،دط،الهيئة المصرية للكتاب،1987م.،ص،21.

[2]- علياء عكاشة،**العمارة الإسلامية في مصر**،الجيزة،مصر ،2008م،ص،38.

[3]- كريستي وآخرون،مرجع سابق،ص،121.

[4]- سعاد ماهر،***مساجد في السيرة النبوية***،ص،21

[5]- الزركشي بدر الدين محمد بن بهادر،**أعلام الساجد بحكم المساجد**،تق،أيمن صالح شعبان،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،1416هـ،1988م،ص381

[6]- سيد بسيوني،**فن العمارة**،الطبعة العربية،دار البازوري العلميه للنشر والتوزيع،2007م،ص،135.

الأرض لقول الرسول صلى الله عليه وسلم"جعلت لي الأرض مسجدا"[1]، وقد أشتق إسم المسجد من مكان السجود،والسجود لله من بين أشرف الأعمال التي يكون فيها المسلم قريبا من الله،لذلك قيل مسجد ولم يقولوا مركع[2]، وهو من الألفاظ التي لم تكن معروفة في الجاهلية.

رافق تطور الحضارة الإسلامية في شقها المعرفي تطورا موازيا في الجانب المادي،خاصة في ميدان العمارة والبناء، وكانت عملية بناء المساجد من الأولويات، إذ لا تخلو محطة تاريخية من الإهتمام بالمساجد إنجازا ورعاية وزخرفة، وككل البلاد الإسلامية لم تشذ بلاد ما وراء النهر عن القاعدة، فظل الإهتمام ببناء المساجد يحظى برعاية بالغة رغم ظروف الحرب وعدم الإستقرار أحيانا،وإذا كان الموضوع محل الدراسة يركز بشكل خاص على ما أنجزه التيموريين ، إلا أنه لابد من الإشارة ولو بشكل سريع إلى بداية الإهتمام بالمساجد في بلاد ما وراء النهر.

تشير الدراسات التاريخية والأثرية أن بداية بناء المساجد في بلاد ما وراء النهر، تعود إلى القرن الأول للهجرة، إنعكاسا لحركة الفتوحات الإسلامية التي بدأت في المنطقة منذ هذاالتاريخ،كان أول مسجد ذلك الذي بناه قتيبة بن مسلم الباهلي في بخارا سنة 94ه[3]،وتطورت عملية البناء في المراحل اللاحقة، إلا أن أسوء مرحلة عرفتها المنطقة كانت مع الغزو المغولي في بداية القرن السابع الهجري،الثالث عشر الميلادي.

تعرضت البلاد عامة والمساجد بشكل خاص إلى عملية تدمير واسعة أتت على الكثير منهاخاصة في مدينة بخارا وسمرقند،إلا أن عصر تيمورلنك وخلفاءه شهد رعاية واسعة وإهتماما مميزا لعملية بناء المساجد، وكان تيمورلنك أحرص ما يكون أن يشرف على تلك الأعمال بنفسه[1]، وكان

---

[1]-عن التعريف بالمساجد والسجود،أنظر:
سعاد ماهر،***مساجد في السيرة النبوية***،ص،13.

[2]- الزركشي **مصدر سابق**،ص،ص،13،14

[3]- عبد الرزااق بن حمود الزهراني،**المساجد في أوزبكستان عمارتها وخصوصياتها الإجتماعية**،مجلة شؤون إجتماعية،عدد،2000،68م.ص،51.

3-محمد ابو العظيم أبو النصر،مرجع سابق،ص،300.

بين حملة عسكرية وأخرى ، يتفقد مدى التطور التي وصلت إليها عملية العمران وخاصة بناء المساجد.

من المساجد التي حظيت بشهرة واسعة في بلاد ما وراء النهر،ذلك المسجد الذي بناه تيمورلنك كهدية لزوجته المفضلة،سراي ملك خاتون،التي تعرف بإسم بيبي هانم[1]،والذي سمي بإسم مسجد بيبي هانم بعد وفاتها،والتي دفنت بالقبة الملحقة بالمسجد،وقبل وفاتها كان يطلق عليه مسجد سمرقند الجامع،نال هذا المسجد شهرة واسعة في العالم الإسلامي،ونسجت حوله الكثير من الروايات والأساطير، حول ظروف وأسباب بناءه،يقع المسجد في الجزء الشرقي من ميدان ريجستان،تحديدا في نطاق مدينة طشقند، بدأت عملية بناء المسجد بعد عودة تيمورلنك من حملته العسكرية على الهند.

أما عن تخطيط المسجد فهو تقريبا على شكل مستطيل طول ضلعيه الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي 109م،وطول ضلعيه الشمالي الشرقي،والجنوبي الشرقي167م،يتوسطه صحن مكشوف[2]. أخذ شكل المستطيل،يتوسط كل أضلاعه إيوان[3]،بينها غرف تستعمل في إلقاء الدروس،وبعضها لمبيت الأساتذة والطلاب، للمسجد مأذن من بينها مأذنتان على جانبي كتلة المدخل أكثر ضخامة وإرتفاع عن باقي المآذن[4].

[1]– تسمى بيبي هانم أوبيبي خانم تزوجها تيمورلنك بعد وفاة زوجته الأولى الجي كان اغا،وتعد هذه المرأة الصينية على قدر كبير من الذكاء والجمال،وكانت الزوجة المفضلة لتيمورلنك،لذلك جاء بناء المسجد كهدية لها تقديرا لها وإعترافا لفضلها ودورها إدارة الدولة وإخلاصها.أنظر:

شعبان طرطور ،**الدولة الجلائرية**،دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع،1407هـ،1987،ص43. وايضا،

محمود شيت الخطاب، ***قادة الفتح الاسلامى لبلاد ما وراء النهر***،ص،91.

[2]– الصحن هو عبارة عن مساحة مكشوفة من المسجد بحرم المسجد وروضته،وفي كثير من المساجد يضم الصحن مصادرللمياه،تستعمل لغرض الوضوء،أنظر:

يسر رنا إسماعيل،**تاريخ العمارة بين القديم والحديث**،ط1،د د ن،الأردن،2010م.

[3]–هو عبارة عن قاعة مسقوفة بثلاثة جدران فقط،والجهة الرابعة مفتوحة تماما على الهواء الطلق،و قد تكون مصفوفة بأعمدة او يتقدمها رواق مفتوح،تطل من خلاله على الصحن،أو الفناء الداخلى،وقد شاع استعمال الآواوين قديما بشكل خاص عند الفرس.

[4]– حسين مؤنس ،**أطلس تاريخ الإسلام**،ط1،الزهراء للأعلام العربي،القاهرة،1407هـ،1987مً،113.

في وسط الجهتين الشمالية والجنوبية،يوجد مسجديين صغريين، أما المسجد الرئيسي فإرتكزت سقوفه على أكثر من أربع مئة عمود رخامي، أما المأذن فإرتفعت في أركان الأسوار التي تحيط بالمسجد، أما عن الجدران فكانت مزخرفة بالطوب الأزرق، أما بالنسبة لبوابة المسجد والمئذنتان والأضلاع فقد زينت بالرخام وبالحجارة المنقوشة والفسيسفاء[1].

إستغرقت عملية بناء المسجد أكثر من خمس سنوات بعد عودة تيمورلنك من حملته العسكرية الناجحة على الهند[2].

تشير بعض الكتابات التاريخية أن تيمور لنك خلال عودته من الهند جاء بأكثر من مئة مهندس وبناء ونجار وفنان ، يساعدهم أكثر من خمس مئة عامل، وأكثر من خمس وتسعون فيل ، إستعملت في عملية نقل المواد خاصة الحجارة.

من المساجد التي تعود إلى العصر التيموري مسجد كآليات في بخارا ومسجد الجمعة في سمرقند، يعتبر مسجد كأليات ببخارا من بين المصليات الأميرية، يحتوى على إيوان ومدخل عال ومئذنة أخذت الشكل الدائري[3]،كان مخصص في الغالب لأداء صلاة الجمعة، أما بجواره فتوجد باحة واسع محاطة برواق ذي قباب مرفوعة على أعمدة حجرية[2]،يشتهر هذا المسجد بقبته الزرقاء ومئذنته العالية التي تصل إلى 46متر،وقد زينت بالطوب المزخرف بمهارة عالية،عبرت عن مدى التطور الذي وصلت إليه الزخرفة الإسلامية في العصر التيموري، وهنا لابد من التذكير أن مختلف الزخارف كانت متطورة جدا خاصة وأنها ظلت مرتبطة بما تركه السلاجقة في المناطق الإيرانية، إذ حرص الفنانون في ذلك الوقت بشكل واسع على إستعمال المقرصنات في تزيين المباني ومنها المساجد[4].

هناك بعض المساجد الأخرى التي تعود إلى عهد التيموريين كمسجد الشاه الذي أشرف على بناءه تيمورلنك، ومسجد المقطع الذي بني في عهد ألغ بك، إضافة إلى مساجد أخرى بنيت في أنحاء

---

[1]- سعد زغلول،**مرجع سابق**،ص،422.
[2]-محمد عبد العظيم أبو النصر،**مرجع سابق**،ص،300.
[3]-دونالد والبر،**مرجع سابق**،ص،79.
[4]- عادل الألوسي ،***روائع الفن الاسلامي***،ص،24.

متفرقة من البلاد الإسلامية التي كانت خاضعة للتيموريين، فكان ما أنجزه خلفاؤه أكثر جاذبية ونضجا،فعلى الطريق بين طهران وسمرقند، إستخدمت جوهر شاد زوجة شاهرخ المهندس المعماري قوام الدين الشيرازى الذي كان يوصف بأحد المصابيح الآربعة التي كانت تضئ البلاط،وسببا في بناء المبانى الفخمة[1] في بناء مسجد يحمل إسمها وكان ذلك سنة 821هـ،1418م،يتكون المسجد من أربعة مداخل كبرى تنتهي إلى فناء رئيسي، كسيت واجهته بأشكال مختلفة من الزخارف،مشبعة بمختلف الأشكال الهندسية والخطوط العربية أكثرها بروزا الخط الكوفي.

أما المأذن فمزودة بفوانيس رائعة تضئ المكان وكأنها تحرس الضريح،أمافي الجزء الجنوبي الغربي من الرواق ذي الأعمدة[2] المؤدي إلى المسجد إرتفعت مئذنة عالية غلب عليها اللون الأزرق، وعليه نقش بحروف بيضاء على أرضية زرقاء إهداء الملكة وهو يفيض تقي وفخرا" أن عظمتها في المجد شمس الطهارة والعفة جوهر شاد،خلد الله عظمتها وأدام طهارتها،من مالها الخاص، ولخير آخرتها،ومن أجل اليوم الذي يحاسب فيه المرء على ما قدمت يداه، تقربا إلى الله وشكرا له سبحانه،شيدت هذا الجامع العظيم،هذا البيت المقدس،في عهد السلطان المعظم، والد نائب الملك شاهرخ أدام الله ملكه،وإمبراطوريته وزاد على أهل الأرض صلاحه وعدله .

5-2القصور والخيام

تشير الكثير من المعلومات التي جاءت في أمهات الكتب بأن الكثير من الأبنية والدور الأنيقة،والقصور السلطانية المنتشرة في معظم الأقاليم والتي تمتد إلى بعضة أميال تحيط بها مختلف

---

[1]– تعد الأعمدة من أهم العناصر المعمارية التي إستحدمت على مر الحضارات،وإعتبرت من بين أهم العناصر الإنشائية في العمارة خاصة في إنشاء المساجد،أنظر :

رنا إسماعيل البير،**مرجع سابق**،ص،144.

[2]– عبد الستار محمد فيض،**المساجد والآثار الإسلامية في آسيا الوسطى**،مجلة الوعي الإسلامي،عدد،153،رمضان،1397هـ،ص،112.

البساتين المتنوعة الثمار، من أشهر القصور التي تعود إلى عهد تيمورلنك القصر الأزرق، الذي شيده تيمورلنك في مدينة كش مسقط رأسها[1].

يعد هذا القصر تحفة معمارية ، إستغرقت عملية بناءه عشر سنوات، إستقدم له أشهر المهندسين والبناءين الفرس،والقصريتميز بقبة لها تجاديف كبيرة وكثيرة مكسوة بالآجر المصقول،ومزخرفة بنقوش عربية ،أما الغرف فكانت على نسق واحد،وبالقصر خصصت قاعة للحريم،أما في واجهة القصر فوضع شعار "الشمس والأسد" أما قاعة القصر الكبرى،فتطل على بساتين خضراء يجري فيها الماء متدفقا، خاصة وأن مدينة كش تتميز بموقع جغرافي هام بإعتبارها تطل على مصادر مياه متنوعة حتى سميت في الكتابات التاريخية المدينة الخضراء[2].

قصر آخر حظي برعاية خاصة هو قصر "أك سراي" أي القصر الأبيض وأك لا تعني اللون فحسب إنما الأيادي البيضاء المنعمة التي تمنح وتهب، بني القصر في ساعات السعادة ، يذكر أنه بدأ إنجازه بعد عودته من خوارزم، إذ أرسل إلى مدينته العشرات من المهرة والفنانين والحرفيين ليبنوا في مسقط رأسه آية معمارية بدأ إنجازها سنة 1380م، وإنتهى منه سنة 1396م، وإستمر في تزينه فترة طبقا لما ذكره سفيرملك قشتاله غنزالس دي كلافيجو.

هناك قصور أخرى بنيت في عهد تيمور وخلفاءه ومنها قصر باغ جنازان أو قصر"روضة الحور"، وقد عرف بهذا الإسم، لأنه كانت تحوطه طرق جميلة يقوم شجرالحورعلى جوانبها.

5-3الأضرحة

إهتم التيموريون ببناء الأضرحة،وهي في الحقيقة عملية دأبت عليها البشرية منذ القدم ،وعادة ما تستعمل لدفن الملوك والسلاطين والأمراء والصالحين،تخليدا لذكراهم،وعادة ما تعلو الضريح قبة،وتختلف عملية بناء الأضرحة من منطقة لأخرى ومن عصر لآخر، وإستعمال الأضرحة و القباب فوق القبور يتعارض مع الأحاديث النبوية[3].

[1]- مجلة العربي،عدد602،يناير 2009م،ص،75.

[2]-نفسه،ص،75.

[3]-صالح لمعي مصطفي،**القباب في العمارة الإسلامية**،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،دت ،ص،23.

إن بناء الأضرحة على القبور هو في الحقيقة تذكير لما كان موجود في الجاهلية، لذلك إبتعد المسلمون الأوائل على بناء الأضرحة فوق القبور[1]، وهي عادة كانت موجودة عند الأمراء الساسانيين، ورغم إنتشارها على نطاق واسع في العصر التيموري إلا أنه لا يمكن إعطاءها قيمة كبيرة من حيث تأثيراتها على العمارة الإسلامية ، في ظل إنتشار عناصر معمارية أخرى كبناء المدارس والمساجد والقصور وغيرها.

من الأضرحة الشهيرة التي تعود إلى عهد التيموريين الضريح الذي قام ببناءه تيمورلنك على قبر شقيقته شيرين بيكه آغا المتوفية سنة 787هـ،1385م، كما بنى ضريح آخر على قبر حفيده محمد سلطان الذي توفي في 18 شعبان 806هـ،9مارس 1403م، وتم بناء الضريح في ربيع الأول سنة807هـ،سبتمبر 1404م، وبعد محمد سلطان أحب أحفاد تيمورلنك لذلك خلده بهذا الضريح.

ضريح غورأمير:يقع في الجهة الجنوبية من ميدان ريجستان[2] قرب بوابة بخارا،التي هي إحدى البوابات الرئيسية لسمرقند القديمة، وهذا الإسم في الحقيقة لايطلق فقط على الضريح المدفون فيه تيمورلنك فقط، وإنما هو عبارة عن منشأة عمرانية تشمل الضريح والرواقين الشرقي والجنوبي ومدرسة دينية.

تذكر بعض الكتب أن غور أمير يتكون من خانقاه ومدرسة متقابلتان وفناء مكشوف على ثلاثة جوانب منه قاعات وفي أركانه الأربعة مأذن ،وقد تولى محمد سلطان حفيد تيمورلنك ببناء المدرسة والخانقاه في نهاية القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي،وعلى الضريح توجد تسعة شواهد قبور لعائلة التيموريين، وفي عهد ألغ بك أحيط الضريح بشريط من الرخام من شظايا أحجار كريمة ، جلبها ألغ بك من إحدى حملاته العسكرية، وقد دفن معظم أفراد الأسرة التيمورية في غور أمير[3].

---

[1]- نفسه،ص،.23

[2]- فيتالي نومكين،**مرجع سابق**،ص75..

[3]-نفسه،**مرجع سابق**،75.-

ضريح ياسي تركستان: هو عبارة عن مسجد ومكتبة ومدفن وخانقاه بني عام 797هـ،1394م،يتكون المدفن من صحن مغطي بقبة كبيرة، وإيوان واحد يؤدي إلى المدفنوعلى جانبي الصحن غرفتان،يقابل المدفن باب خارجي وهو عبارة عن إيوان واسع عرضه تقريبا ثمانية عشر متر،وفي ركني الواجهة نجد مئذنتان يتميز الضريح،بأشكاله المتنوعة وكثرة الزخارف الفسيسفائية[1].

جبانة شاهي زندة:يقصد بشاهي زندة الملك الحي ولا يقصد هنا تيمورلنك بل يقصد به قثم بن العباس إبن عم الرسول صلى الله عليه وسلم الذي إستشهد سنة 57هـ،676م[2]، في إحدى عمليات الفتح لبلاد ماوراء النهر، أقيمت في مدينة سمرقند ما بين 1376م،1435م، وهي عبارة عن مجموعة من الأضرحة خصص الجزء الأكبر منها لأسرة تيمور وذريته، شيد ألغ جبانة شاهي زندة،والتي تعد من بين أشهر جبانات العالم الإسلامي و التي تضم موتى أسرة واحدة، وهي الاسرة التيمورية وهي إحدى نماذج العمارة الإسلامية التي تمثل الأسرالحاكمة خلال القرن التاسع الهجري،الخامس عشر الميلادي في بلاد ما وراء النهر.

يعود إنشاء جبانة شاهي زندة إلى القرن الخامس الهجري،الحادي عشر الميلادي، وإستمر الإهتمام بها في مختلف العصور الإسلامية، وكانت تحوي العديد من المباني الجنائرية والمساجد والمدارس، وهي تعكس بشكل واضح وصريح مدى التطور الذي وصلت إليه مدرسة ماوراء النهر المعمارية، من حيث نوعية المواد المستعملة، أو طبيعة الهندسة المعمارية من خلال الأشكال المتنوعة والزخارف الجميلة[3].

---

[1]- عفيف بهنسي،**موسوعة التراث المعماري**، ج1،ط1،دمشق،2004م،ص383..

[2]- يعتقد سكان المنطقة لفترة طويلة أن قوات قثم إبن العباس التي دخلت المنطقة تم القضاء عليها،إلا هو نجا وإختفي ولازال في الحياة ومنها إشتق شاه زندة التي تعني الحاكم الحي،أنظر:

-فيتالي نومكين،**مرجع سابق**،20 ،

-ثروت عكاشة،**مرجع سابق**،ص،269..

[3]--سعد زغلول عبد الحميد،**مرجع سابق**،ص،444.

حظيت جبانة شاهي زندة برعاية ألغ بك حفيد تيمور لنك في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي،من خلال تجديدها وإعادة بناءها بما يليق بأصحابها، وتضم أضرحة عدد لابأس به من أقارب تيمورلنك وزوجاته، أما عن الخصائص المعمارية لهذه الجبانة، فيغلب عليها الطابع الزخرفي الأخاذ،تغطي وجهها الخارجي مجموعة من البلاطات الخزفية المنقوشة،تكسوها فسيفساء ملونة، يغلب عليها في كثير من الأحيان اللون الأزرق والفيروزي والأحمر والذهبي والأسود، ويظهر هذا الإهتمام المبالغ فيه أحيانا إلى أهمية الأشخاص الذين دفنوا بتلك الأضرحة.[1]

5-4- بناء المدارس والخوانق والمكتبات

ظل العلم في الحضارة الإسلامية غاية نبيلة داب عليها الحكام في كل العصور، لأنه يحقق غايات إجتماعية ودينية تمثل جوهر رسالة الإسلام، وبالرغم من أن تيمورلنك كان لايقرأ ولايكتب ولكنه أجل العلم والعلماء،وظل حريصا على بناء المدارس والخوانق من أجل تعليم القرآن ودراسة السيرة النبوية،لعل من أشهر المدارس تلك التي آنشاها سنة803هـ،1399م[2] في مدينة سمرقند ،وأ جرى عليها الإنفاق حتى تقوم بدورها التعليمى والروحى.

المدرسة عبارة عن صحن مكشوف تتعامد عليه أربع إيوانات وعلى الجوانب حجرات مقببة من طابقين تطل على الصحن،وكانت هذه الحجرات مخصصة للدرس والتحصيل، ومكان لإقامة الأساتذة والطلاب.

إهتم خلفاء تيمورلنك ببناء المدارس التي تساهم في نشر العلوم الدينية والعلمية، إذ عمل السلطان حسين بايقرا على إنشاء مدرسة من ماله الخاص إستدعى لها أمهر المهندسين والنحاتين،والرسامين والفنانين والخطاطين الذين أبدعوا في بناءها وزخرفتها،وكان ذلك سنة

[1]-هناك الكثير من أقارب تيمورلنك الذين دفنوا في جبانة شاهى زندة ومنهم على الخصوص،شقيقتاه شرين بيكا أقا والأميرة تركان أقا،وإبنة أخت أوأخ الأمير تيمور لنك الأميرة شادي ملوك،ومن زوجاته الأميرة طوغلو تكين والأميرة نزمان أقا والأميرة تومان أقا،إلى جانب قبر قثم بن العباس إبن عم الرسول عليه الصلاة والسلام،كما دفن بها أيضا القاضى زادة الرومي معلم ألغ بك

[2]-فيتالى نومكين،**مرجع سابق**،ص،75.

898هـ،1492م[1]،كما عمل على إنار المكتبات،ويذكر عن السلطان حسين بايقرا أنه كان يصدر الآحكام المطاعة لتحقيق إلتماسات علماء الإسلام،وعلماء العصر،كما كان يبذل الإقطاعات والإنعامات لهم،بل كان يتردد على مجالس الوعظ ، كما أنشأ الوزير علي شير نوائي المدرسة الإخلاصية وهي مدرسة دينية، عين بها مدرسين لتدريس أصول الفقه وعلوم الحديث، وألحق بها أيضا مسجدا، وإلى جانب المدرسة أنشأ دار الحفظة خصها لتلاوة القرآن الكريم، وألحق بها خانقاه لإطعام المساكين،وأوقف الوزير جميع ممتلكاته للإنفاق على المدرسة والمسجد ودار الحفظة، كما أنشئت زوجته "بليكة سلطان بيكم"، مدرسة أطلق عليها المدرسة البديعية نسبة إلى المهندس المعماري الذي قام ببناءها[2].

ولما كانت المكتبة رديفة المدرسة فقد حرص السلاطين التيموريين والوزراء على إنشاء المكتبات، لما توفره من معارف وعلوم، خاصة وأن الكثير من الكتب والمخطوطات كان يتعسر على المهتمين بشؤون المعرفة أن يصلوا إليها ، وتعد مكتبة بايسنقر بن شاهرخ أهمها، إذ تعتبر مجمعا ضخما لجمع الكتب وتجليدها وزخرفتها[3]، إضافة إلى المكتبة التي أنشاها السلطان حسين بايقرا ،التي حوت الكثير من الكتبوالمجلدات ، وجمعت أشهر الوراقيين والمصميين والخطاطين والمصوريين،والتي أسندت إدارتها لأحد أشهر المصوريين في تلك الفترة وهو الرسام بهزاد[4].

يضاف إلى هذه المكتبات القيمة مكتبة الوزير علي شير نوائي التي أقامها بجوار مدرسته و يذكر

1- خليل الله خليلي،**هراة ،تاريخها،اثارها ورجالاتها**،دط،بغداد،1974م،ص،58.
2- عفاف صبرة،نجوى كيرة،مرجع سابق،ص،292...
3- نفسه،ص،ص،62،63 .
4- عن بهزاد،أنظر: الصفحة 162وما بعدها من هذا العمل..

خواند مير[1] في كتابه دستور الوزراء أنه إستفاد منها بعد أن فتح له الوزير مكتبته وتركه ينهل منها[2]،وضمت المكتبة كتب نفيسة ذات قيمة علميه كبرى،مازالت بعضها تملأ أرفف المكتبات في العالم وقد ختمت بختم الوزير نفسه.

كان لهذه المكتبة الفضل الكبير فيما وصل إليه المؤرخ ميرخواند،الذي ظل طوال حياته معترفا بفضل الوزير علي شير نوائى في دفعه إلى العلم والكتابة وإحاطته بكل أسباب الآمان والحماية،وإن دل الآمر، إنما يدل على حب هذا الوزير للعلماء والفضلاء.

5-5-ميدان ريجستان

من العمائر التي يمكن الإشارة إليها الساحات إليها ساحة أو ميدان ريجستان ،وهو الساحة المركزية في مدينة سمرقند القديمة، وتعني ريحستان ساحة، سميت بهذ الإسم نظرا لأن قناة كبيرة كانت تعبر وسطها،وكثيرا ما كانت تترك ترسبات رملية ورائها، يتكون مجمع المباني من ثلاثة معالم لمدراس، أهمها مدرسة ألغ بك،ومدرسة شيردار ،ومدرسة تيلا كاري[3].

ظلت الساحة لوقت طويل الساحة الرئيسية التي تعلن منها بداية الحرب ونهايتها وتنفذ فيها الإعدامات،وتعرض فيها غنائم الحرب والسبايا وتقام فيها الأسواق، وتعرض فيها البضائع من كل أنحاء العالم.

---

[1]- من أشهر المؤرخين ولد سنة 880هـ،881هـ،عاصر أزهى الفترات التاريخية للدولة التيمورية وهي الفترة التي حكم فيها السلطان حسين بايقرا بين 873هـ،911هـ،1468م،1504م،بشرف بخدمة البلاط التيموري بعد أن ألحقه الوزير علي شير نوائي به،كما عاصر فترة الإنتقال إلى العصر الصفوي بعد سقوط الدولة التيمورية،إذ تعرض لكثير من العنف والعذاب جعلته ينتقل إلى الهند والتحق ببلاط ظهير الدين بابر مؤسس أول إمبراطورية مغولية بالهند،له عدة مؤلفات لقيت شهرة واسعة في العالم وخاصة في العالم الإسلامي،له عدة مؤلفات وصل البعض منها الينا خاصة تلك التي ترجمت إلى اللغة العربية،ومن مؤلفاته،ماثر الملوك،خلاصة الأخبار في بيان أحوال الأخيار،دستور الوزراء،مكارم الأخلاق،وكتاب حبيب السير في أخبار البشر،وكتاب روضة الصفا الذي عد أشهر المؤلفات ،والذي طبع عدة مرات بالهند وإيران .أنظر:

أمين حربى،سليمان،المؤرخ الإيراني خواند مير كما يبدو من خلال كتابه دستور الوزراء،ص،10،وما بعدها.

[2]-خليل الله خليلي،**مرجع سابقً**،ص،65.

[3]-أنظر الملحق رقم 17،ص،313..

تشير الكثير من الكتب أن ألغ بك لما كان مولعا بعلم الفلك ، ساهم في بناء المدرسة، وكان ذلك بين عامي 1417م و1420م ،غربي الساحة ويزيد إرتفاعها عن باقي المباني المحيطة بها،و ظل يقدم بها الكثير من الدروس في الرياضيات والفلك لطلابه[1]، كما أنها ظلت مدرسة محافظة على مركزها كمدرسة رائدة في التعليم والعبادة في بلاد ما وراء النهر[2].

أما مدرسة شيردار يدل إسمها على أسدين أو نمرين مرسومين على بوابة المدرسة،تتشابه في خصائصها الهندسية ووظيفتها المعرفية ما كانت تقوم به مدرسة ألغ بك.

أما مدرسة تيلا كارى،فيعتقد أن تسميتها بهذ الإسم يعود إلى إستعمال الطلاء الذهبي بكثافة،

حتى أطلق عليها المدرسة الذهبية، وظلت هي الأخرى تقوم بأدوارها التعليمية، أما عن شكلها الهندسي فقد إعتمدت الأسلوب السلجوقي، الذي يعتبر المرجع الأول في العمارة التيمورية[3].

صحيح أن تيمورلنك قد عاش طوال حياته على ظهر جواد منشغلا بالحروب ، لكن رغم ذلك إلا أنه ظل حريصا من يجعل من حاضرته سمرقند منافسة لكل مدن الشرق، بقصورها ومساجدها وحدائقها حتى أن الكثير ممن زاروا تيمورلنك وسمرقند ذهلوا لكل ذلك التطور[4].

6–مبادئ العمارة التيمورية

خضعت العمارة التيمورية في سياقها التكويني إلى نفس المبادئ العامة التي ميزة العمارة الإسلامية، فتأثرت بنفس تلك المبادئ ،فإذا تحدثنا عن مدينة سمرقند نجد أنها عبارة عن نسيج

[1]–فيتالي نومكين،**مرجع سابق**،ص،100.

[2]–من سخرية القدر أن الذي أنقذ المدرسة من الإندثار،هو الرئيس السوفياتي لينين ،وذلك عندما أمر سنة 1922 م بإنشاء مصنع للسراميك في سمرقند لإصلاح المدرسة،وفي سنة 1932م،أعلنت الحكومة السوفياتية عن إصلاح مئذنة المدرسة الشهيرة،التي أصبحت قريبة من الإنهيار..

[3]–في حقيقة الأمر فإن المدرستين الآخيرتين شيردار وتيلا كاري قد أنشاتا في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، إلا أن وجودها في هذه الساحة أعطى الإنطباع وكأنها بنيت في نفس الفترة التي بنيت فيها مدرسة ألغ بك.

[4]–فامبري،**مرجع سابق**،ص،257.

متماسك للمدن تخترقه دهاليز وممرات تنتهي في ساحات عامة، لذلك فإن جزء كبير من المدينة إعتمد على هذا المبدأ العمراني[1].

إعتمدت تقنية البناء، نظامالعقد المدبب ، أما الجدران في حنباتة الرئيسية هو تكرار بطرق معينة للعقد المدبب،وعادة ما يكون الجدار في حاجة إلى دعم في الإتجاه الأفقي،وقد وفر العقد المدبب العمل الذي يحتاجه في الأداء الإنشائي،وهذ سمح ببناء جدران طويلة عالية، ما أثر بشكل عام على المبنى بحيث يظهر الجانب الجمالي للمدينة إلى الداخل أكثر منه إلى الخارج،وهو ما جعل المدينة تستحوذ على مفهوم الإحتواء،بحيث تظهر المدينة من الخارج كأنها جدران مستمرة ومنكسرة في بعض الأحيان، تظهر كأنها أبراج أو غيرها أما في الداخل فهي تبدو عكس ذلك، حيث طبق هذا المبدأا على نطاق واسع في بلاد ما وراء النهر[2].

إذا كان مبدأ الإحتواء طبق على المدينة تحت ضغط حاجيات معينة خاصة فيما يتعلق بنظام الحماية، إلا أن التيموريين إهتموا أيضا في إبراز الجانب الخارجي لبعض العمائر، ويبدو الأمر واضحا هنا في ميدان ريجستان ومدارسه الثلاثة،إذ يبدو المبنى بشكل واضح وبارز كما هو في الملحق رقم8.

كما يلا حظ على بعض العمائر التيمورية إنتهاج نظام التحول، أي الإنتقال من نسق عمراني إلى أخر، وقد أشرت فيما سبق أن نظام التحول في العمارة الإسلامية يحتاج إلى فترة زمنية طويلة ، كما أنه يرتبط بالنسق العام الذي يميز العمارة الإسلامية ، لذلك فإن التيموريين إعتمدوا بشكل آخر على العناصر المعمارية المورثة عن السلاجقة، مع إنتهاج شكل من أشكال التغيير والتطوير تبعا لكثير من المتغيرات التي عرفها المجتمع الإسلامي[3]، يظهر مبدأ التحول بشكل بارز خاصة في بعض المنشآت مثل المساجد والقصور والمدارس،لكن المفارقة أن عمر العمارة السلجوقية في بلاد المشرق الإسلامي إمتد أكثر من ثلاثة قرون،في حين أن العمارة التيمورية لم يكن بإستطاعتها أن تصمد إلى نهاية القرن

[1]– فيتالي نومكين،**مرجع سابق**،ص،75.

[2]– هاني محمد القحطاني،**مرجع سابق**،80.

[3]– يقصد هنا بطبيعة الحال تغير كثير من العناصر منها اكثير من الباحثين أو حتى الذين أدوات البناء وموماد البناء المستعملة والأساليب الهندسية النتهجة في ذلك إضافة إلى الإستفادة من مختلف التجارب المعمارية.

التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، مع الأسف إن الكثير من العمائر الإسلامية في تلك المنطقة قد أتت عليها عوامل التعرية،وجزء كبير منها لم يتعرض لعملية الترميم[1] .

في سياق آخر طبقت العمارة التيمورية مبدأ الطبقات،ويظهر ذلك جليا في مختلف الواجهات الضخمة للمدراس والمساجد،فالإيوان الرئيسي عادة ما يتدرج إلى طبقات أصغر،وهكذا،كما يمكن أن نلحظ مبدأ الطبقات خاصة في عملية الزخرفة، إذ تظهر هناك فسيسفاء من الزخارف الهندسية والكتابية ، متخذة أحجاما مختلفة ، ولكنها تعتمد نفس أسلوب الزخرفة.

في الأخير يمكن إبراز دور آخر عنصر من مبادئ العمارة الإسلامية وهو بطبيعة الحال مبدأ التكرار، خاصة في ظل نزوع العمارة الإسلامية نحو الخارج، أي الإعتماد على مبدأ الظهور، ويبدو الأمر أكثر وضوح خاصة في ميدان ريحستان، ويظهر مبدأ التكرار هنا في مختلف العناصر المعمارية[2]،ومنها خاصة في العقود المدببة التي أحاطت بالساحة من كل الجوانب، كما أن جل الهياكل المعمارية التيمورية تكرار إنشائي يتضح في تحول الأشكال[3]،الهندسية الحاملة للقباب والبوابات إلى أشكال هندسية متكررة ،كما يظهر التكرار جليا من خلال مختلف الزخارف الكتابية والهندسية، وعموما فإن التكرار عادة ما يستعمل لأغراض فنية وجمالية وظهر جليا في كل العمائر التيمورية[4] .

إنطلاقا مما ذكر حول المبادئ الأساسية للعمارة التيمورية يمكن أن نستنتج بعض الخصائص التي ميزتهامن حيث المواد المستعملة في عملية البناء والزخرفة أو من حيث الأساليب الفنية المنتهجة.

---

[1]- يشير كثير من الباحثين أو حتى الذين كان لهم شرف زيارة سمرقند أن نسيجها المعماري الإسلامي ،فقد الكثير من مقوماته ،إلاأن هناك جهود جدية في إعادة ترميم ما أمكن من منشئات معمارية،وهنا لابد من الإشارة إلى بعض الجهود التي قامت بعض البعثات العلمية الروسية سنة 1908م،والتي إهتدت إلى المرصد الفلكي الذي إقامه ألغ بك ،وذلك اعتمادا على بعض الوثائق التاريخية،حيث كشفوا عن ما تبقى من أجزائه،وأقامو قربه متحفا يحتوى على كتب الفلك النادرة.

[2]- سعد زغلول عبد لحميد،**مرجع سابق**،448

[3]-أنظر الملاحق،الملحق رقم،18.،ص،314،والملحق رقم 19،ص،315.

[4]- هاني محمد القحطاني،**مرجع سابق**،ص،345

ا–من حيث المواد:

1–عرف بلاد ما وراء النهر أنها غنية بمختلف الأحجار بين رملية وجرية وغرانتية ورخام ومرمر وكلها مواد تخدل إما في عملية البناء في حد ذاتها أو في عملية الزخرفة،وعادة ما كانت تستعمل المواد الغرانتية في وضع الأساسات والدعامات ومختلف العناصر المعمارية التي تحتاج إلى مواد متينة وقوية، كما أن بعض الأحجار لها قابلية للنحت والزخرفةمما يجعلها تستعمل كمواد للتجميل ولتزيين.

2–إستعمال الجص كعنصر أساسي من عناصرالعمارة، لأنه غالبا ما كان يستعمل في العصور السابقة كمادة لتغطي الجدران لتخفي هيئة الأجر.

3–إستعمال وإستخدام بلاطات القاشاني[1] والفسيسفاء الزخرفية في تغطية الجدران والقباب،وذلك من أجل إستعمال الألوان على القاشاني خاصة وأن الجص لايقبل الألوان.

4–استعمال الطوب المحروق وذلك بعد ان اجاد البناؤون عملية الحرق،مع اخراج اشكال والوان مختلفة،ذات قوة ومتانه،وصفاء.

ب–من حيث الاساليب:

إعتمد التيموريون على نفس الأساليب المعمارية، التي إنتشرت في العالم الإسلامي ، إلا أنهم أخذوا بشكل خاص النماذج السجلوقية التي إنتشرت في العراق وإيران خاصة ، مع تطوير الأساليب الفنية المتبعة ،خاصة في ظل تطور العلوم والحسابات الهندسية، ومن هنا يمكن إجمال الأساليب التيمورية فيما يلي[2]:

[1]–يعود أصل تسمية القاشاني إلى مدينة قاشان الإيرانية،والقاشاني هو عبارة عن بلاطات مربعة ومستطيلة ومثلثة،عادة ما يستعمل القاشاني كعنصر من عناصر التزيين على الجدران في المساجد والقصور،وزخرفة الجدران والمحاريب والقباب والمآذن ،أصبح أكثر إستعمال على نطاق واسع منذ القرن 8هـ،14،أستعمل على نطاق واسع خاصة في العمائر الإسلامية.

[2]– تختلف المآذن التي بنها المسلمون في مصر والشام وشمال إفريقيا والأند لس عن المآذن التيمورية،بكونها لاتحتوى على طوابق ونوافذ،فهي عبارة عن بناء شاهق،ليس فيه سلالم تؤدي إلى دورات يقف عليها المؤذن ،وعادة ما كان المؤذن ينادى إلى الصلاة من فوق سطح المسجد،وعادة ما كانت توسع قاعدة المئذنة وتعمق أساساتها في الأرض،حيث أصبحت المئذنة كأنها بناء قائم بذاته،يعود هذا النموذج إلى الطراز السلجوقي.

1-إعتمد التيموريون بشكل واسع على إرث السلاجقة المعماري، ومفردات العمارة السلجوقية ، خاصة وأن هؤلاء كانو بارعين في بناء القصور والحصون والمساجد.

2-تعدد المآذن في العمارة التيمورية، إذ في المنشأة الواحدة نجد أكثر من مأذنة،كماهوفي مسجد بيبي هانم، وضريح غو أمير، وعادة ما توجد المآذن على أركان البناء أو على جانبي كتلة المدخل، يغلب عليها الشكل الأسطواني، ولا يكون للمئذنة في الغالب إلا شرفة واحدة[1].

3-تميزت المساجد والمدارس التيمورية بتخطيط مختلف، فهي عبارة عن صحن أوسط مكشوف، ذو شكل مربع أو مستطيل تحيط به أربع إيوانات على جوانبها مجموعة من الغرف[1].

4-غلب على العمارة التيمورية إستعمال البلاط القاشاني، إضافة إلى كثرة إستعمال الألوان،خاصة اللون الأزرق، وقد علق أحد زائري مدينة سمرقند عن إنتشار اللون الأزرق في مدينة سمرقند قائلا"ولسمرقند المدينة لون واحد تجده في سمائها وقبابها ومساجدها ومآذنها وساحاتها ومدارسها وأضرحتها ،هو الأزرق الخليط بالسماوي،والفيروزي والكحلي،وهو اللون المفضل لتيمورلنك،وسمرقند مغطاة من رأسها الى أخمص قدميها بالبلاط القاشاني،بكل ما فيه من خيالات وتفرعات مع تدخلات اللون الأبيض،مع قليل من الأخضر"[2].

5-إعتمدت العمارة التيمورية على مبدأ الظهور من خلال إستمرار الأشكال المربعة والمقببة للأضرحة في الظهور[3]،وهي بذلك تجسد مبدأ التحول الذي طرأ على العمارة السلجوقية، التي ظلت لوقت طويل تعتمد مبدأ الإحتواء.

وصفوة القول يمكن إستخلاص أن العمارة التيمورية ظلت وفية للمبادئ العامة التي ميزة العمارة الإسلامية،محافظة على مبادئ العمارة الأساسية التي أشرت إليها في مواضع متعددة من هذا العمل،مستهلمة مختلف تجارب ونماذج العمارة السلجوقية،ولكن الفرق بين النموذجين أن العمارة

[1]- محمد عبد العظيم أبوالنصر ،**مرجع سابق**،ص،317

[2]-نفسه،ص،317.

[3]- هاني محمد القحطاني،**مرجع سابق**،ص، 218.

السلجوقية إستغرقت ما يقارب ثلاثة قرون أو أكثر في مختلف دول المشرق الإسلامي، إلا أن العمارة التيمورية برزت تجلياتها مع بداية القرن الخامس عشروإنتهت بنهايته، أو زادت قليلا، وبذلك تعتبر أقصر فترات التاريخ الإسلامي، ورغم ذلك تعتبر من أكثر فترات التاريخ الإسلامي خصوبة إزدهارا وتنوعا.

7-الوظائف التي توفرها الفنون فيالعمارة التيمورية:لابد من الإعتراف أن الفن هو ترجمة لمختلف الأحاسيس والمشاعر وأيضا وسيلة من وسائل التعبير عن الجمال الروحي والمادي،ولأجل ذلك عمل التيموريين على ربط الفنون بفن العمارة ووظائف معينة ومحددة.

1-وظيفة التوحيد:

صحيح أن التعبير عن الجمال والإبداع أمر محمود، إلا أنه وفي الوقت نفسه، لابد للفنون أن تؤدي دورا لايتنافى مع العقيدة الإسلامية، ومن أجل ذلك عمل التيموريون على ربط مختلف الإبداعات التي ورثوها عن أسلافهم المسلمين بالثقافة الإسلامية، مع تطوير تلك النماذج تبعا للمغيرات التي طرأت على المجتمع، ولذلك لا تخرج تلك الفنون عن دائرة المتأمل الذي يرى في القدرة الإلهية وعظمة الخالق،خاصة في ظل مختلف الخطوط والزخارف،والرسومات المختلفة والنقوش المتنوعة[1] .

2-وظيفة تغيير المظهر:

إن التنويع في العمارة التيمورية من خلال إعادة إنتاج أنماط معمارية جديدة أو تطوير بعض ماهو قائم إنما هو تعبير عن مدى التطور الفكري، ونوعية وطبيعة التيار الفكري الذي يسود المجتمع،وطبيعة التحولات الإجتماعية التي حدثت في المجتمع وهنا لابد من القول أن رخاء الحياة الإقتصادية والإجتماعية،والحرية الفكرية، وتطور الفنون وأساليبه ونشاط الحركة الأدبية والعلمية، قد ساهم في إثراء الجوانب المعمارية ، ومن هنا وجدنا أن الكثير من الأشكال المعمارية غلب عليها التنوع في الأساليب الزخرفية،وتعدد الألوان.

[1]-إسماعيل راجى الفاروقي،لمياء الفاروقي،**مرجع سابق**،ص،539

3-وظيفة التجميل:

في حقيقة الأمر كل ما ذكر يعبر عن الجمال رغبة في إشباع الذات التي تبحث دائما عن ملئ الفراغ، ومحاولة تقديم ماهو أفضل حتى تسحر العين ويؤخذ الفؤاد،من خلال تلك البصمات الفنية القوية والمعبرة، التي أبهرت في وقتها ، ولازلت تغري كثير من رآها[1] ، وقد أبدع التيموريون في ذلك خاصة وأن فلسفتهم المعمارية،إعتمدت على التنوع وتعدد المصادر.

ثعرف العصر التيموري تطور كثير من وسائل الطلاء والتلبيس خاصة في ظل تطور مختلف أنواع الخزف والبلاطات ومنها القاشاني، لذلك إهتم التيموريون بكسوة الأسطحومختلف الهياكل المرتبطة بالبناء، والرسومات بأنوعها وكأنها تقدم لوحة واحدة، إذ عملت هذه الطلاءات على إخفاء المظهر البنيوي للهيكل،حتى لا ينكشف[2].

وفي مجمل القول بقيت العمارة التيمورية محافظة على الأسس الإسلامية ، مع تغيير في الجزئيات تتبعا لتغير متطلبات المجتمع من جهة ومن جهة أخرى، تزايد الأدوات والوسائل التي يمكن لها أن تزيد المبنى مهما كان نوعه أكثر جمالية[3].

لما كانت العمارة أهم مظاهر الحضارة، فإن الوقوف على كثير من المنشآت المعمارية التي أنشئت في عهد تيمورلنك وخلفاءه،إنما هو إسترجاع لمرحلة تاريخية مهمة في تاريخ العمارة وفن العمارة الإسلامية، في ظل الإعتقاد السائد بأهمية دراسة العمارة ومساهمتها في كتابة التاريخ،و وهو أمر مؤكد لا يستغنى عنه أي باحث.

رغم أن معظم المصادر التاريخية و كتب التاريخ على كثرتها وقفت مطولا عند حجم الخراب الذي خلفته الحروب الطويلة في كثير من المدن الإسلامية ،كبغداد ودمشق وحلب وغيرها، وهو أمر لايختلف عليه إثنان،الإأنه في المقابل لابد من ضرورة لفت الإنتباه إلى حقيقة لابد من الإعتراف بها،وتتمثل في حالة التطور المعمارى الذي وصل اليه عصر التيموريين،رغم أن الكثير من المصادر

---

[1]- مجلة العربي،عدد602،ص،75.

[2]-سعد زغلول عبد الحميد،**مرجع سابق**،ص،450

[3]- زكي محمد حسن،**الفنون الإيرانية**،ص،84.

تناست أو حاولت أن تتجاهل ذلك التطور المعماري الذي بلغ أوجه في عصر التيموريين،من مساجد وقصور ومدارس وساحات وغيرها[1]، إنما هو دليل على ذلك التطور الكبير، خاصة وأن تيمورلنك ظل في كل حروبه حريصا أن يكون من بين غنائمه،المهرة والحرفيين والصناعيين،وبذلك جمعت العمارة التيمورية، كل ملامح الفن المعماري الإسلامي،بأصوله العربية والفارسية والهندية والتركية،في قالب واحد جديد أكثر إبداعا وتميزا[2].

إذا كانت أجزاء من تلك الآثار قد تأكلت بفعل عوامل الزمن، إلا أن صفحات الكتب نقلت ذلك التطور بأدق التفاصيل،ولم تخلو السجلات والدفاتر من ذكر تلك النهضة الحضارية في شتى جوانبها ، رغم ما أصابها من خراب ودمار، وإذا كان البعض من المؤرخين قد أغفلوا تلك الجوانب عمدا أو تجاهلا، أو نتيجة مواقف سياسية، خاصة أولئك الذين رأو أن تيمورلنك مجرد رجل حرب،كلما ذكرإلا ذكرت معه المآسي والمحن التي عرفها العالم الإسلامي ومنطقة آسيا الوسطى على وجه الخصوص، لكن رغم ذلك هناك من إجتهد بأن ينقل صورة مشرقة عن ما وصل إليه التيموريين[3]،خاصة خلفاء تيمورلنك في سمرقند وهراة[4].

[1]-أنظرالملاحق:الملحق رقم13،ص،309،والملحق رقم 14،ص،310،والملحق رقم 15،ص،311،والملحق رقم16،ص،312،تجسد هذه الملاحق بعض مبادئ العمارة التيمورية في بناء مختلف المائر،ويلاحظ تجسيد لمبدأ التكرار.

[2]-عبد العظيم ابو النصر،مرجع سابق،ص،211.

[3]-أرمينوس فامبرى ،مرجع سابق.ص،252،وما بعدها.

[4]-إن الأهمية الإستراتجية لمنطقة آسيا الوسطى جعلتها عبر العصور التاريخية منطقة أطماع وتجاذبات سياسية في العلاقات الدولية،فمنها مر الإسكندر لمقدونى وهو يحاول الدخول إلى الصين،وفيها عبثت جيوش جنكيزخان،بالتاريخ والحضارة والإنسان،وفيها مارس الروس و فيما السوفيات أبشع الجرائم إتجاه السكان المسلمين،وفي الفترة المعاصرة

ظلت المنطقة في قلب الصراع والأطماع من الهيمنة السوفياتية والصينية،وقد يتعجب غير الملم بالتاريخ،كيف ظلت أفغانستان وهي جزء هام من المنطقة محل تحرشات دولية وإعتداءات من طرف قوى كبرى، رغم جغرافيتها الصعبة ومواردها الفقيرة،لكنها غنية بحضارتها وقوة الإنسان فيها الذي ظل عبر العصور شرسا في مقاومة الأعداء،وهنا الإشارة تبدو قوية إلى التدخل السوفياتي في أفغانستان في عام 1979م،والتدخل الأمريكي في المنطقة ذاتها عام 2001م، كلاهما لم يحققا المراد من ذلك، والسر في ذلك بسيطوالإجابة لاتحتاج الى عناء وجهد،ببساطة فإن المنطقة ظلت في التاريخ حاضرة وقوية،وفي الجغرافيا عصية تشكل نقطة إتصال بين مناطق هامة في العالم.

لقد كان السفير الإسباني كلافيجو غنزاليس أحد أبرز من كتب عن ذلك التطو،وهو الذيحضر جزءامن الإحتفالات في مدينة سمرقند وهو يقول عن لقاءه الأول مع تيمورلنك"لقد كان جالسا على تخت ومتئكا على وسادات من الحريروقربه تانورة مياه يسبح في بركتها تفاح أحمر،وكان يلبسعباءة من الحريرذات لون واحد وقلنسوة طويلة فوقها تلج مرصع بالزمرد واللؤلؤ، والأحجار الكريمة..." وقد كان ذلك اللقاء، وسط حديقة غناء أقيمت على بعض المناطق، في كل من أطرافها خيمة كبيرة من الحرير كان تيمورلنك ورجاله ينصبونها في حدائق سمرقند وينتقلون فيها من حديقة إلى أخرى حتى لا يفقدوا نبداوتهم .

الخاتمة

إرتبط ذكر المغول في العقل العربي بكل معاني الوحشية والخراب،سواءا عند المغول الجنكيزخانيين أو االمغول التيموريين، وإن كانت معظم المؤلفات التاريخية التي أسعفنى الحظ في الإطلاع عليها لم توضح بشكل صريح الحد الفاصل بينهما من حيث الإنتماء العرقي ، والتواجد والإنتشارالجغرافي ، إلا أن ما إتفقت عليه تلك المؤلفات يكمن في أن هؤلاء مارسوا كل أنواع الخراب والتدمير في البلاد الإسلامية وعلى نطاق واسع، حتى أنه رسمت في العقل العربي نفس الصور المروعة التي سار عليها هولاكو في القرن السابع الهجرى، الثالث عشر الميلادي ،وبعده تيمورلنك في القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي.

وبصفة عامة وإنطلاقا لمجمل التحليل الذي أوردته في ثنايا هذا العمل ، فإنه يمكن الوصول إلى النتائج التالية، التي رأيت أنها تعتبر أهم ما توصل إليه العمل وهي:

أولا:لقد ظهر المغول في بداية ظهورهم كما صورتهم معظم المصادر التاريخية أقرب إلى الوحوش من خلال الأعمال الوحشية التي قاموا بها في مختلف البلاد التي دخلوها،وكان للعالم الإسلامي الحظ الأوفر في تلك المجازر المروعة التي ألمت بالإسلام والمسلمين، حتى أن واحد من أشهر المؤرخين المسلمين في تلك الفترة ، وهو عزالدين بن الآثير كتب مذهولا عن ما حدث للبلاد الإسلامية خاصة في مدينتا بخارا وسمرقند،فكتب عن الحوادث خاصة حوادث عام،616هـ،617هـ، بمرارة وألم وكأنه ينعي الإسلام والسلمين على حد ما ذكر، ولكن إرادة الله في خلقه، وتلك حكمة لا يعلمها إلا هو أخرج من أصلاب هؤلاء المغول من يعبد الله ، ويؤمن بمحمد ورسالته،ويدافع عنها، فمن صلب جنكيزخان من إبنه جوجي ، أسلم أول حفيد مغولي ،كما تذكر ذلك مختلف المصادر، فكان إسلام بركة خان حدثا مهما،وهنا لابدمن الوقوف عند كثير من النقاط التي ظلت بعيدة عن رسم الصورة الإيجابية لتاريخ المغول،بعيدا عن تلك الصورة النمطية التي رسمتها معظم المصادر التاريخية،ومنها على وجه الخصوص أن الأمراء المغول كانوا يحترمون إختيارات بعضهم، ورغم إسلام بركة خان إلا أنه بقي عنصرا هاما في تسيير مغول القبيلة الذهبية، وظل يلقى إحترام أخيه الأكبر باتو خان، حتى أن البعض إعتبر ذلك قمة التسامح بين المغول، وقد لقى إسلام بركة خان إستحسان كبيرا في العالم

الإسلامي ،وكان له أثرا بارزا على تطور العلاقات الحسنة بينه ،وبين سلطان المماليك الظاهر بيبرس،كما سجلت معظم المصادر التاريخية ذلك، كما أن بركة خان دخل في كثير من الحروب مع أبناء عمومته من بني هولاكو المتعصبين للوثنية والمسيحية.

كما أسلم من نسل هولاكو خان الكثير من الأبناء، وهنا تحققت أيضا معجزة الله في خلقه،فمن صلب هذا الرجل الذي إقترنت صورته في التاريخ وفي العقل العربي والإسلامي بكل صور الخراب والقتل والترويع، وكرهه للإسلام والمسلمين، فمن صلب هذا الرجل أسلم أحمد تكودار،الذي كان له دورا بارزا في التحول الكبير الذي طرأ على مغول إيران، وهنا لابد أن أقف عند جزئية يراها البعض بسيطة وأريد التعليق عليها،والتي يظهر من خلالها مدى تمسك المغول بالقوانيين وإحترامها، وهنا بطبيعة الحال أقصد إلياسا ، ورغم إعتناق إحمد تكودار الأسلام، إلا أن الحكم آل إليه كما تنص على ذلك التقاليد وقوانين إلياسا،صحيح أن أحمد تكودار في الأخير قتل في الآخير،ولكن هذا لم يمنع من إستمرار التحول نحو الإسلام،خاصة في عهد محمود غازان.

في كل هذا يمكن القول أن القبائل الوثنية المتشبعة بالروح القتالية الدموية، سرعان ما بدأت تتحول تدريجا حتى تحول معظم المغول إلى الإسلام، وتلك هي عظمة الإسلام والمسلمين.

ثانيا: لقد ظهر تيمورلنك بعد مئة وخمسين عاما تقريبا من قيام إمبراطورية جنكيزخان،في نفس الرقعة الجغرافية تقريبا التي سادت فيها الإمبراطورية الجنكيزخانية،مع تغير شبه تام يتمثل في تحول معظم المغول إلى الإسلام، وهو تحول لابد أن يأخذ بعين الإعتبار،ورغم تباين الكتابات التاريخية في أصوله المغولية بين مؤيد لذلك، وناكرا له ، إلا أن المؤكد في ذلك أن نفس الصورة التي ظهر بها جنكيزخان،تكررت بشبه يكاد يكون تام مع تيمورلنك، الذي مارس نفس أساليب القتل والحرب، ولم يتوقف عن الحرب إلا وهو طريح الفراش.

لقد طرحت الكثير من الكتابات عدة أفكار فيما يتعلق بتيمورلنك، من حيث إسلامه وطبيعة معتقده المذهبي ، إلا أن ماكتب لا يجيب على تلك الأسئلة بوضوح،فقد حاول المؤرخون الفرس الذين كان أغلبهم على مذهب الشيعة أن ينسبوا أمره إلى الشيعة،لكن الكثير من المحطات التاريخية

التي وقفت عنها وجدته غير ذلك على الأقل فيما وصلت إليه، في حين أن المؤرخون السنة، فقد وصل البعض منهم إلى درجة تكفيره، وقد تبدو آراء االبعض منهم حول هذا الأمر مرتبطة بكثير من الأحداث السياسية التي كان سببا فيها،والكثير من المؤرخين كانوا مرتبطين في مواقفهم أحيانا إنطلاقا من مواقف سياسية، خاصة أولئك الذين كانوا على علاقة قوية مع المماليك، أو الذين تعاطفوا معهم.

أما هو فيعبر عن نفسه وإنتماءه الديني من خلال ما تناوله في مذكراته التي أشرت إليها في ثنايا هذا العمل، وبدا كأنه معتزا بأهل السنة والخلفاء الراشدين معظما لمكانتهم وقدرتهم، حتى بعض أحفاده حمل أسماء الخلفاء الراشدين ، كأبي بكر وعمر، وهي أسماء ظل يرفضها بعض أهل الشيعة، لكن ما إتفقت عليه معظم الكتابات التاريخية على أنه كان على درجة كبيرة من الدهاء العسكري والسياسي الذي جعله يوقع ويهزم أشد خصومة مهارة وقدرة،وهنا يمكن التذكير بما فعله بخصمه السلطان العثماني بايزيد في موقعة أنقرة الشهيرة كما أن بعض خلفاء الذين حكموا بعده من الأبناء،خاصة السلطان شاهرخ،والأحفاد كبايسنقر وألغ بك ،وحسين بايقرا، كانوا أشد التيموريين تمسكا بالإسلام،وكان لهم فضل كبير في تطور المظاهر الحضارية،لدولة التيموريين ، ليس في آسيا الوسطى وحدها بل في العالم الإسلامى كله.

ثالثا:لقد حقق تيمورلنك الكثير من الإنتصارات العسكرية التي مد من خلالها إمبراطوريته إلى حدود الهند، وكاد يلحق الصين بأملاكه لولا نهايته التي كانت بمنطقة أترار،وإذا كان الجانب العسكري ليس من صميم هذا العمل،و لم يكن غاية من هذه الدراسة، إنما التركيز على الجوانب التي إستفاد منها تيمورلنك من خلال حملاته العسكرية المتعددة التي قادته إلى مختلف الأقاليم، التي ركز فيها أن ينقل من كل المدن التي دخلها، أكثر المهرة والصناعيين والمهرة كما فعل ذلك عند غزو بغداد عام 795هـ،ودمشق عام 802هـ،كما أن حملته المظفرة على الهند كانت محملة بالكثير من الأسلاب والأحجار الكريمة والفيلة التي إستغلها في بناء الكثير من العمائر الدينية،ففي الوقت الذي كان يدمر

تلك المدن ،ظل حريص كل الحرص على بناء مدينة سمرقند، التي صارت في عهده من أبرز مدن آسيا الوسطى.

إلا أن هذه الحملات العسكرية ورغم نجاحها في اسقاط خصومه،وساهمت في تحقيق طموحات تيمورلنك ، إلا أنها في المقابل أثارت حقد الصليبين الأرثوذكس على المسلمين في منطقة آسيا الوسطى،وكان وقع الهزيمة التي ألحقها تيمورلنك بالعثمانيين في موقعة أنقرة،و قبلها بمغول القبيلة الذهبية،شجعتالأرثوذكس في روسيا أن ينتقموا من المسلمين في تلك المناطق، خاصة في ظل السياسة الرهيبة التي نهجها إيفيان المرعب إتجاه المسلمين، والتي إنتهت في بداية القرن العشرين إلى ضم تلك المناطق الإسلامية إلى سلطة ما صار يعرف بالإتحاد السوفياتي .

لذلك فإن معظم المؤرخين يحملون تيمورلنك أسباب قيام الحملة الصليبية الأرثوذكسية،التي قامت بها روسيا ضد مغول القبيلة الذهبية الذين تشتت أمرهم وضاعت قوتهم ، حيث تم مصادرة أملاك المسلمين ومطاردتهم في تلك البلاد خاصة في ظل الدعم الذي أبدته الكنيسة الغربية في دعم الروس،وتحريضهم ضد المسلمين، وزاد الأمرقسوة بعد سقوط القسطنطينية عام 1453م، حيث إعتبرت روسيا نفسها وريثة الإمبراطورية البيزنطية.

رابعا: رغم أن عصر تيمورلنك طغت عليه الحروب التي لم تكاد تنقطع، إلا أن ذلك لم يمنع قيام نهضة فنية كبرى ،خاصة في عهده وعهد خلفاءه من بعده، إذ إزدهرت في تلك الفترةالكثير من المظاهر الفنية التي حرص تيمورلنك على رعايتها ، وبلغت أقصى درجة النضج خاصة في عهد إبنه شاهرخ ، وأحفاده في هراة كالسلطان بايسنقر،وحسين بايقرا، وحفيده ألغ بك في مدينة سمرقند، حيث إزدهرت في هذه الفترة كثير من الفنون،خاصة فن التصوير،والزخارف المتنوعة ،وفنون تجليد الكتاب،حتى صارت مدينتا سمرقند ، وهراة من أبرز المدن الهامة في الحضارة الإسلامية خلال عصر التيموريين الذي إمتد إلى غاية بداية القرن التاسع الهجري ، السادس عشر الميلادي.

لقد صارت مدينة سمرقند في عهد تيمورلنك وحفيده ألغ بك من أبرز المراكز الفنية والحضارية في العالم الإسلامي ، حتى أن من زارها في عهد تيمورلنك ذهل لذلك التطور الذي عرفته المدينة،

وهي نفس المكانة التي وصلت إليها مدينة هراة في عهد السلطان شاهرخ، والسلطان بايسنقر وآخر التيموريين السلطان حسين بايقرا.

خامسا: لقد صورت الكثير من المصادر التاريخية تيمورلنك رجل الحرب فقط، إلا أنه في الوقت نفسه كان راعيا للعلم والعلماء ومهتم بميدان المعرفة، وفي نفس الطريق سار الكثير من خلفاءه، ورغم أن الجميع يجمع على أنه كان أميا لايعرف القراءة والكتابة،لكنه كان يجل العلماء ويناقشهم،ويقيم الكثير من مجلس العلم والمناظرة معهم،ويرعى الكثير منهم ،كما شيد المدارس لتقوم بنشر المعرفة بين الناس. كان إبن خلدون أهم شخصية علمية إلتقت تيمورلنك خلال سقوط دمشق ،وقد جرى بين الرجلين مناقشات متعددة ،في التاريخ والفلك وغيره، وقد أعجب إبن خلدون بقدرات تيمورلنك وقدرته على تذكر حوادث التاريخ وعرضها، وقد سجل إبن خلدون جزء من تلك المناقشات ، وطبيعة الأفكار التي ناقشها،و إن كان الكثير من معاصري إبن خلدون إتهموه بالتملق، إلا أن إبن خلدون حاول أن يعطي وصفا لذلك اللقاء دون مبالغة.

وإذا كان تيمورلنك على غير عادة الملوك والأمراء في التاريخ الإسلامي ، لم يكن مهتما بالشعر إلا أنه إهتم برعاية الكثير منهم، كما حرص على إنتشار مختلف العلوم،الفقهية والتاريخية، وإليه يرجع الفضل في ظهور كتابات المؤرخ حافظ أبرو، ونظام الدين الشامي ، كما إنتشرت في عهده الطريقة الصوفية النقشبدية في آسيا الوسطى بشكل لافت.

أما في عهد خلفاء خاصة إبنه شاهرخ، فإن هذا الأخير، كما تذكر المصادر كان أكثر التيموريين ورعا وتقوى،وحبا للعلم،يجل العلماء ويكرمهم،كما كان حريصا على بناء المدارس، مقربا لأهل العلم ومحسنا إليهم ، فكان للمعرفة الحظ الأوفر في الرعاية والإهتمام.

وقد فعل إبنه ألغ بك الأمر نفسه في مدينة سمرقند التي حكم فيها فترة طويلة، قبل أن تصير إليه مقاليد الحكم بعد وفاة أبيه شاهرخ، إذ إزدهرت مدينة سمرقند أيما إزدهار، خاصة وأن ألغ بك ظل وفيا للعلم ورجاله، حتى أنه كان هو الآخر عالما مهتما بالعلوم وعلى رأسها علم الفلك الذي برع فيه،وكتب فيه الزيج المشهورالذي عرف بزيج ألغ بك، والذي يعتبر حسب المؤرخين آخر زيج ألف في

العصور الوسطى، والذى إعتمد عليه الأوربيين في علم الفلك الحديث، لذلك فإن شهرة ألغ بك كعالم، ظلت أكثر تأثير من شهرته كحاكم ولعل أزهى مرحلة إزدهرت فيها الحياة الفكرية،هي تلك التي عرفتها مرحلة حكم آخر التيموريين السلطان حسين بايقرا، فقد كان عهده بحق أزهى مرحلة ،من خلال تطور الحياة العلمية خاصة علم الفلك.

يعتبر الكثير من المؤرخين أن أزهى عصور الحياة الأدبية والفكرية في العصر التيموري إنما تعود إلى عهد آخر التيموريين السلطان حسين بايقرا، إذ يعتبر أزهى عصور الثقافة والفن والأدب،وظلت عاصمته هراة منارة للعلم ورجاله من الشعراء والرسامين والمصوريين والمؤرخين، ولايذكر عصره إلا مقرونا بالشاعر والمتصوف الكبير عبد الرحمان الجامي ، الذي ألف في الأدب نثرا وشعرا،باللغتين العربية والفارسية،كما يمكن الإشارة أيضا إلى الإهتمام بعلم التاريخ،من خلال ذكر بعض المؤرخين،ومنهم مير خواند،صاحب كتاب روضة الصفا ،وحفيده خواند مير الذيكتب عدة مؤلفات أشهرها دستور الوزراء،كما ألف معين الدين الأسفزازي ، كتاب روضة الجنات في أوصاف مدينة هراة، ويمكن أن نختم ذكر تطور الحياة الفكرية،بما كتبه الوزير علي شير نوائي الذي عد أشهر الوزراء التيموريين،الذي جمع بين منصب صفة الوزير، والوزير المثقف الراعي لكل أشكال الفنون والثقافة والفن.

وفي الأخير يمكن القول في هذه النقطة أن العصور التيمورية بلغت درجة كبيرة من الرقي ويمكن الإستدلال على ذلك بما وصلت إليه مدرسة التصوير في مدينة هراة ، والتي مثلها أشهر المصورين والرسامين ، كان على رأسهم الرسام والمصور كمال الدين بهزاد،بلاط السلطان لا يخلو من تلكالأسماء اللامعة التي تركت أثرا كبيرا في الفن والأدب ، والفلسفة والتصوف، وهي من الحسنات التي يمكن أن تحجب بعض ما فعله تيمورلنك من جرائم.

سادسا: يعتبر العمران أحد المظاهر الرئيسية في دراسة الحضارة،وتطور المجتمعات البشرية وفق ما أورده إبن خلدون،وتحت هذا التفسير يمكن القول أن العمارة في عهد تيمورلنك وخلفاءه بلغت درجة كبيرة من الإتقان، وأصبحت كأنها مدرسة عمرانية قائمة بذاتها،لا من حيث تطور وسائل العمارة، وإنما إلى تطور الأساليب الفنية في البناء والزخرفة،وقد ترك التيموريون شواهد عدة في العمارة في سمرقند وهراة،من مساجد وقصور ومدارس،فبقدر من كان تيمورلنك حريص على الهدم في الكثير من المدن التي دخلها، ظل أشد حرصا على بناء سمرقند،وكذلك فعل شاهرخ،وزوجته جوهر شاد في مدينة هراة،العاصمة الثانية للتموريين.

وإجمالا لكل ما ذكرته من إستنتاجات فإنه يمكن القول أن ما أنتجه التيموريين على المستوى المادي من عمارة وبناء، وما أبدعوه في مجالات الفكر والأدب والفن والفلسفة لا هوجدير أن يكون ضمن التراث الانساني للحضارة التي تعترف فقط بما يقدمه الإنسان من إضافات على تاريخ الإنسانية الزاخر بمختلف الإنجازات في ميادين عدة، وفي إعتقادي فإن الأمر كان كذلك،في الدولة المغولية الثانية، التي بدأت بتيمورلنك، وإنتهت بالسلطان حسين بايقرا، على طول فترة زمنية إمتدت من **771**ه،**911**ه ،**1370**م،**1506**م،رغم الصورة القاتمة التي رافقت معظم هذه التحولات الكبرى في تاريخ تيمورلنك وخلفاءه.

الملاحق

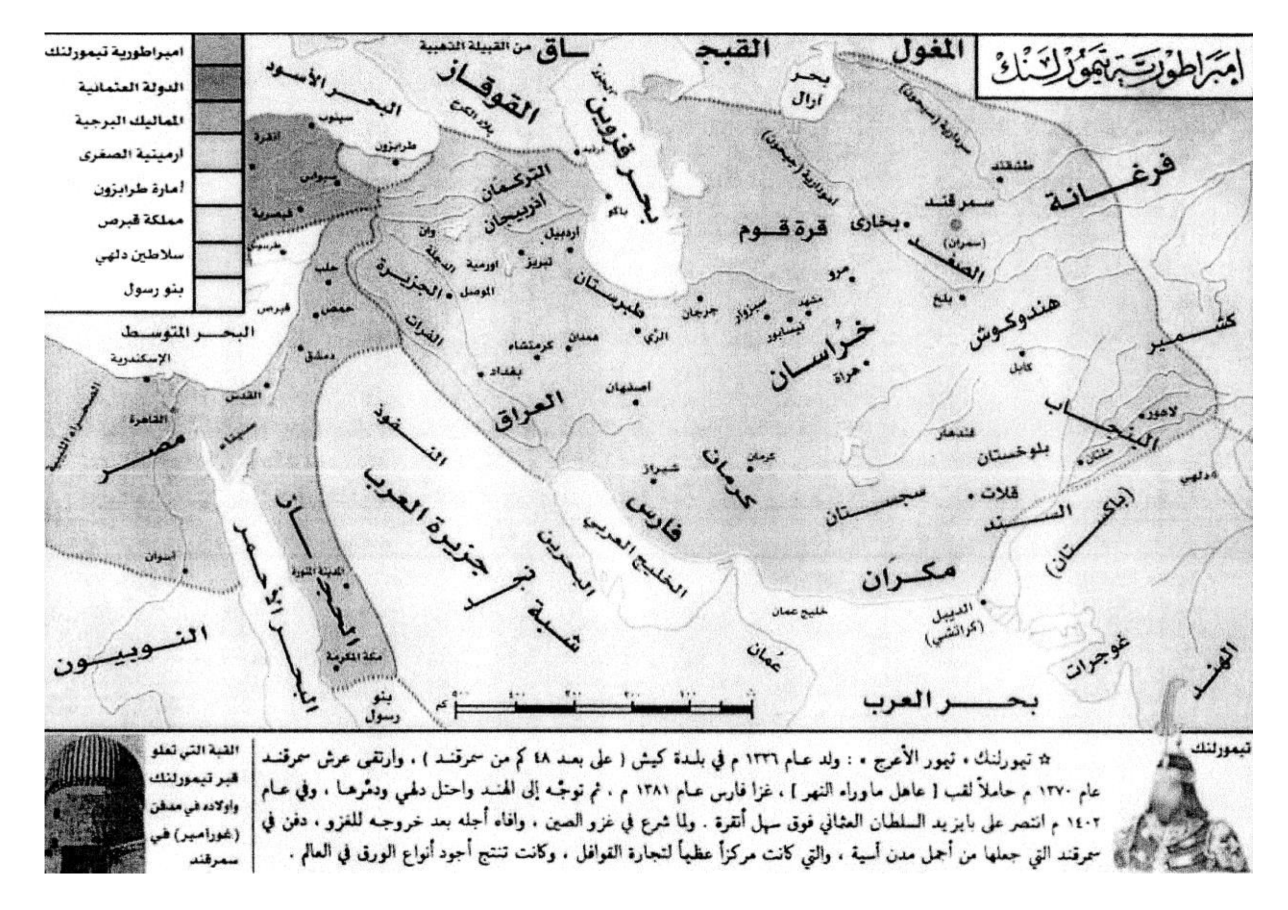


الملحق رقم 1 ،تمثال الامير تيمورلنك بسمرقند،المرجع،



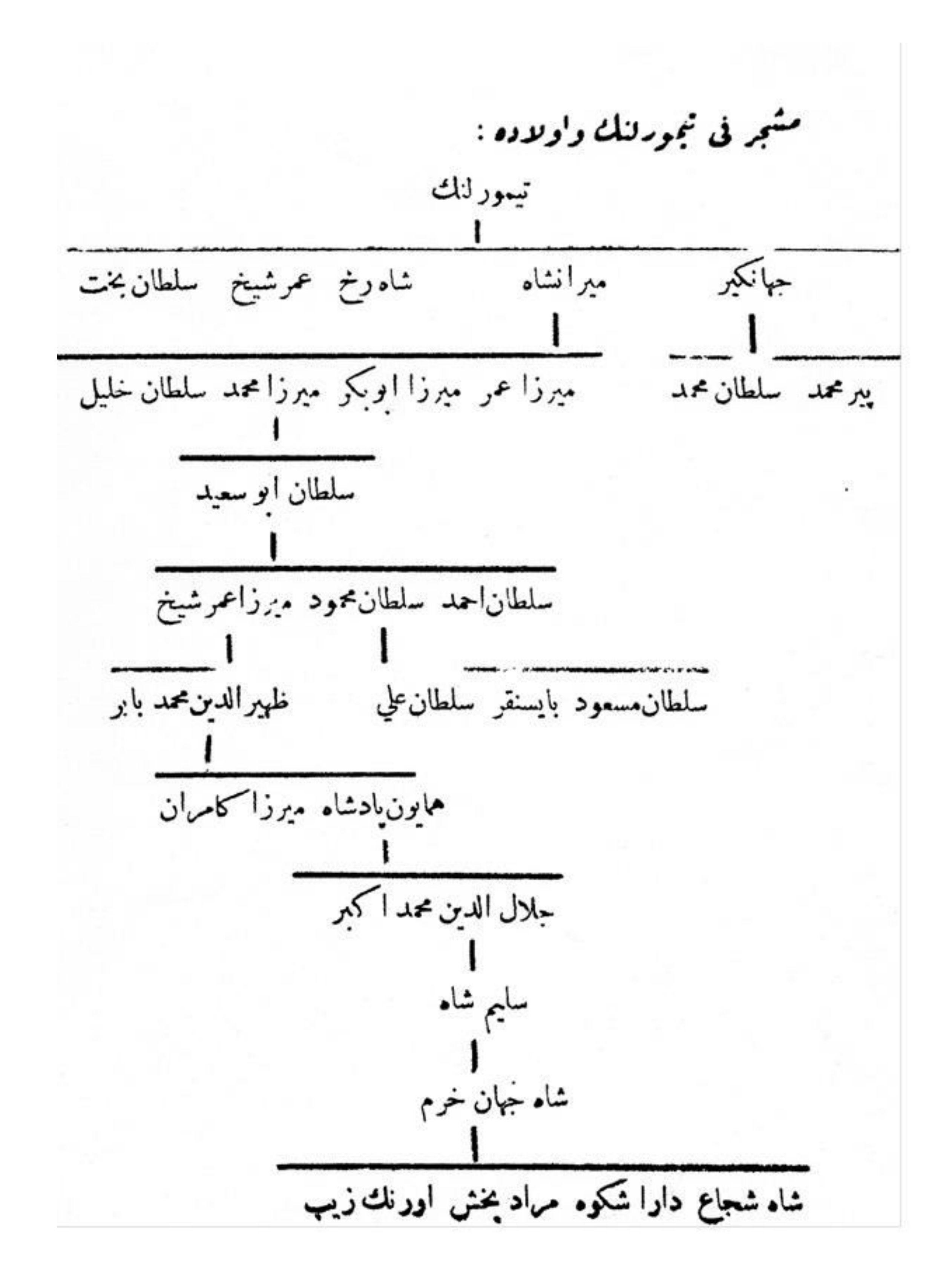
الملحق رقم 02،،طابع بريدى لتيمورلنك اصدرته حكومة اوزبكستان عام 2007م،تخليدا لبطلهم القومى.

المرجع الموقع الالكتروني .www.descover.syria.coM



الملحق رقم 03،امبراطرية تيمورلنك،مع صورة لتيمورلنك،وقبة غور امير في مدينة سمرقند.

المرجع،حسين مؤنس اطلس تاريخ الاسلام،ص، 71.



الملحق رقم 05،عباس العزاوي،مرجع سابق،278.

ا

تابع مشجر تيمورلنك واولاده :

تيمورلنك

جهانكير ميرانشاه شاه رخ عمرشيخ سلطان بخت

محمد ، الوغ بك ، اسيورغنمش ابراهيم احمدچوكي بايسنقر

عبد العزيز ، عبد اللطيف عبدالله ابوبكر ، محمد .

محمد بابر علاء الدولة

يادكار محمد شاه محمود ابراهيم

ميرزا احمد ميرزا رستم بايقرا ميرزا پير محمد ميرزا اسكندر

سلطان غياث الدين منصور

سلطان حسين بايقرا

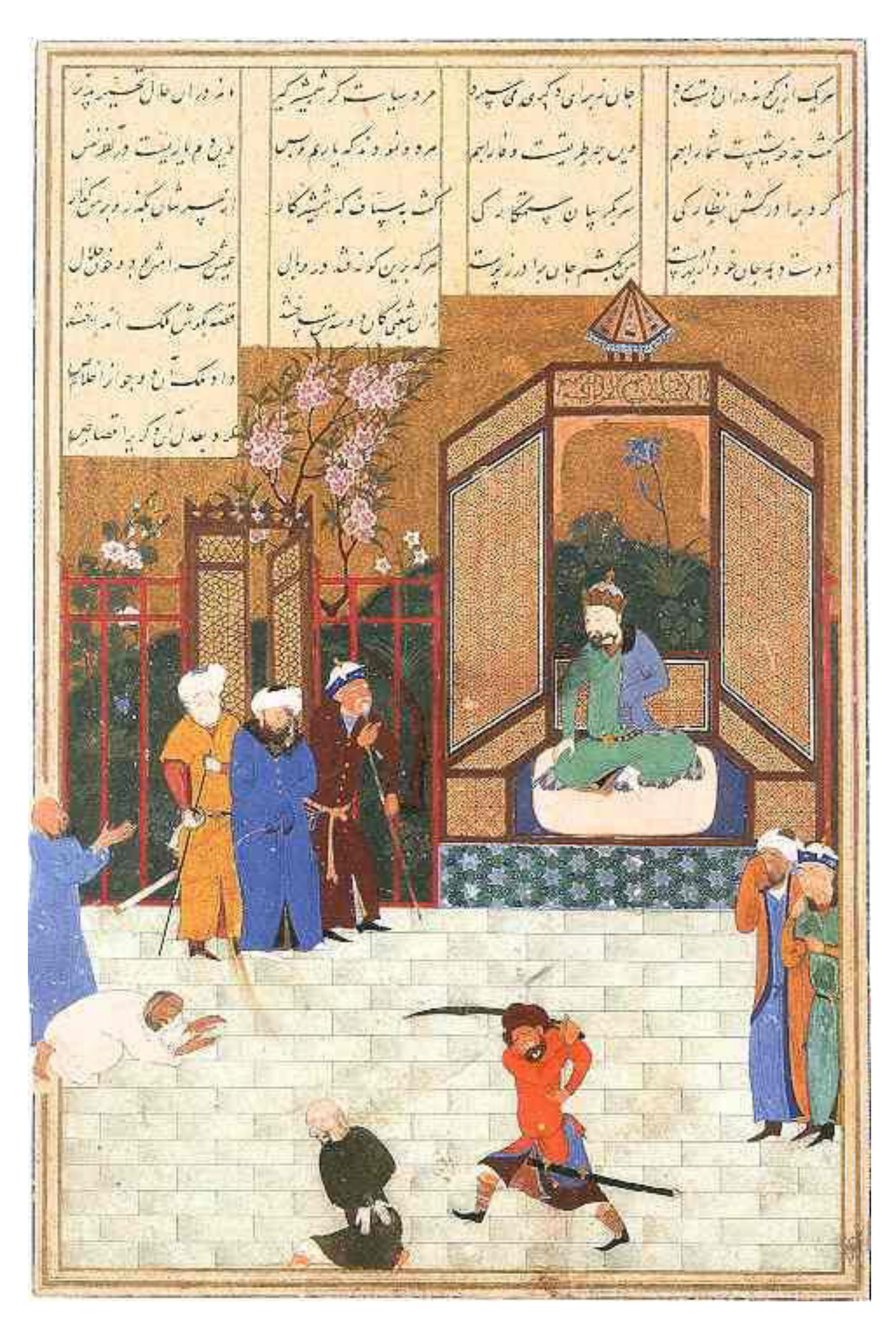
محمد محسن (كبك) ، بديع الزمان ، مظفر حسين ، محمد حسين ، ابو المحسن

تابع الملحق رقم 04،المرجع،عباس العزاوى،مرجع سابق،279.

الملحق رقم 05 صورة للرسام بهزاد

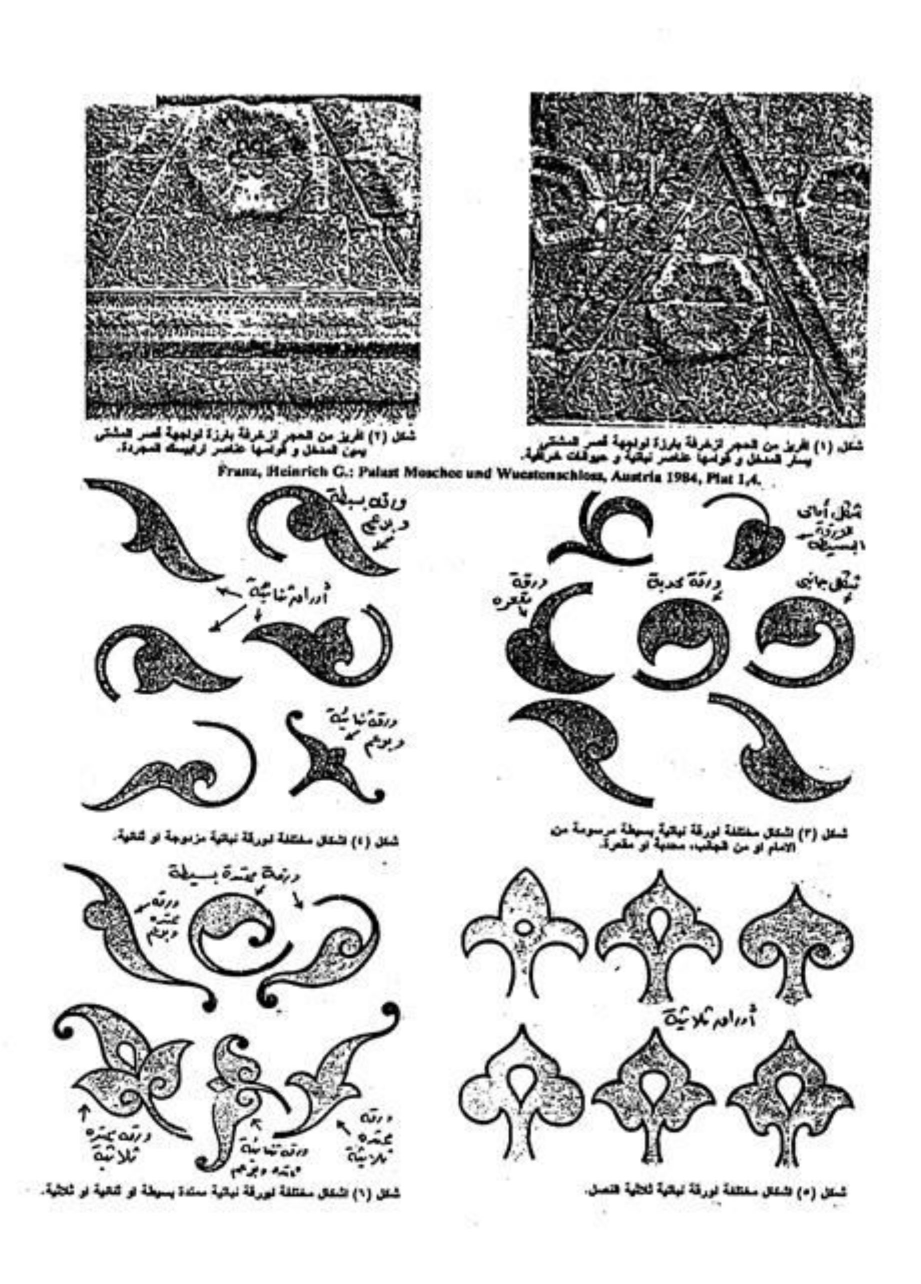


الملحق رقم 05 صورة للرسام بهزاد



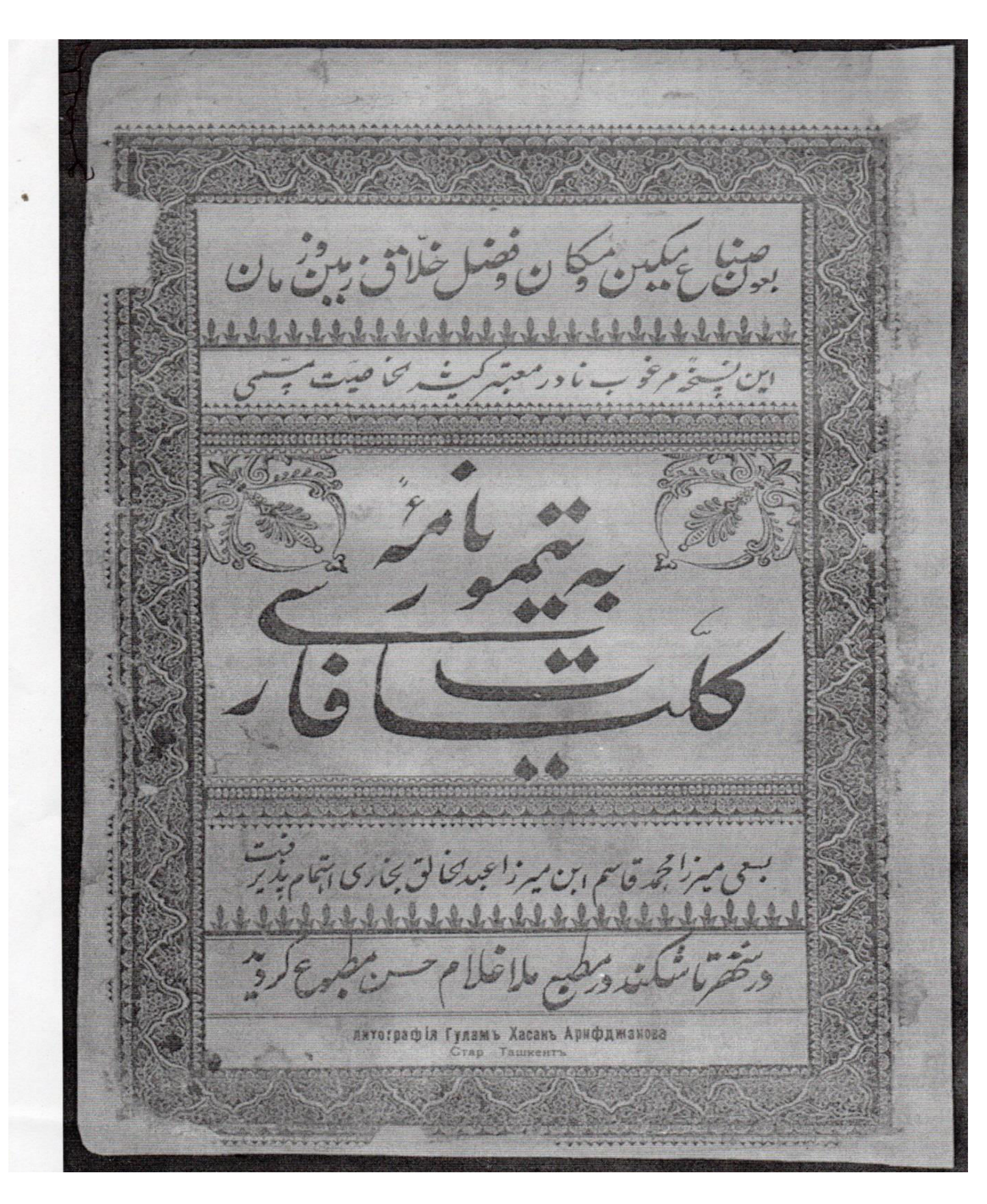
الملحق رقم06،نموذج من رسومات بهزاد

المرجع،زكي محمود حسن،**الفنون الإيرانية**،ص،38.



الملحق رقم 07،نماذج من الزخارف النباتية،تجسد مبدأ التكرار.

المرجع،التوريق بإعتباره أحد عناصر الزخرفة الإسلامية،مجلة علوم وفنون، دراسات وبحوث،ص،43.



بعون صناع بیکین مکان و فضل خلاق زمین و زمان

این نسخه مرغوب نادر معتبر گشته بخاصیت بسی

کلیات تیمور نامهٔ فارسی

بسعی میرزا محمد قاسم ابن میرزا عبد الخالق بخاری اهتمام پذیرفت

در شهر تاشکند در مطبع ملا غلام حسن مطبوع گردید

Литографія Гуламъ Хасанъ Арифджанова

Стар Ташкентъ

الملحق رقم 08،نسخة من كتاب تيمور نامة بالفارسية



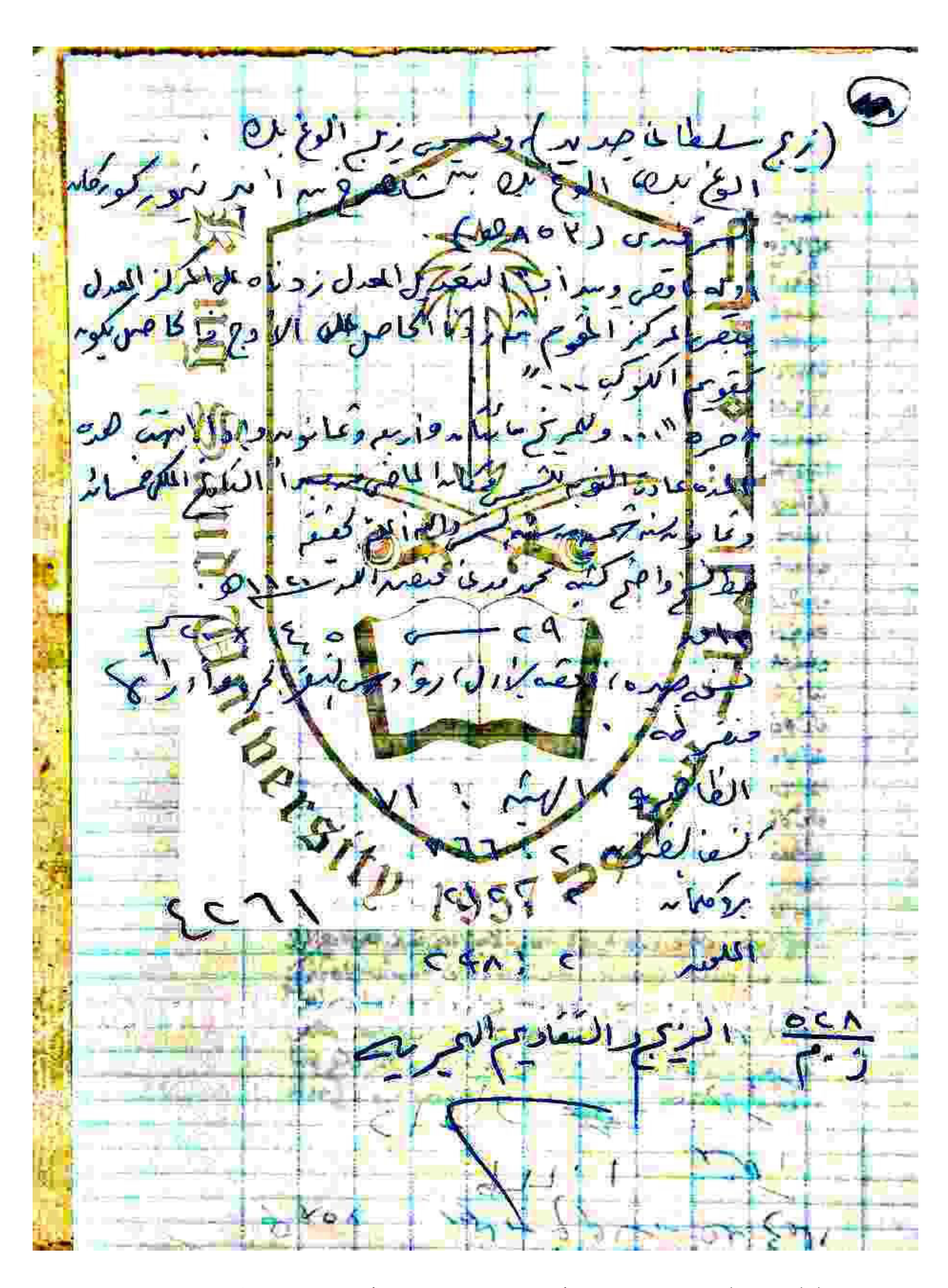
1-الملحق رقم09،طابع بريدى اصدرته الحكومة السوفياتية سنة 1987م،اعترافا بدور الغ بك العلمي.

www.descover.syria.comالمرجع،الموقع الالكترونى،

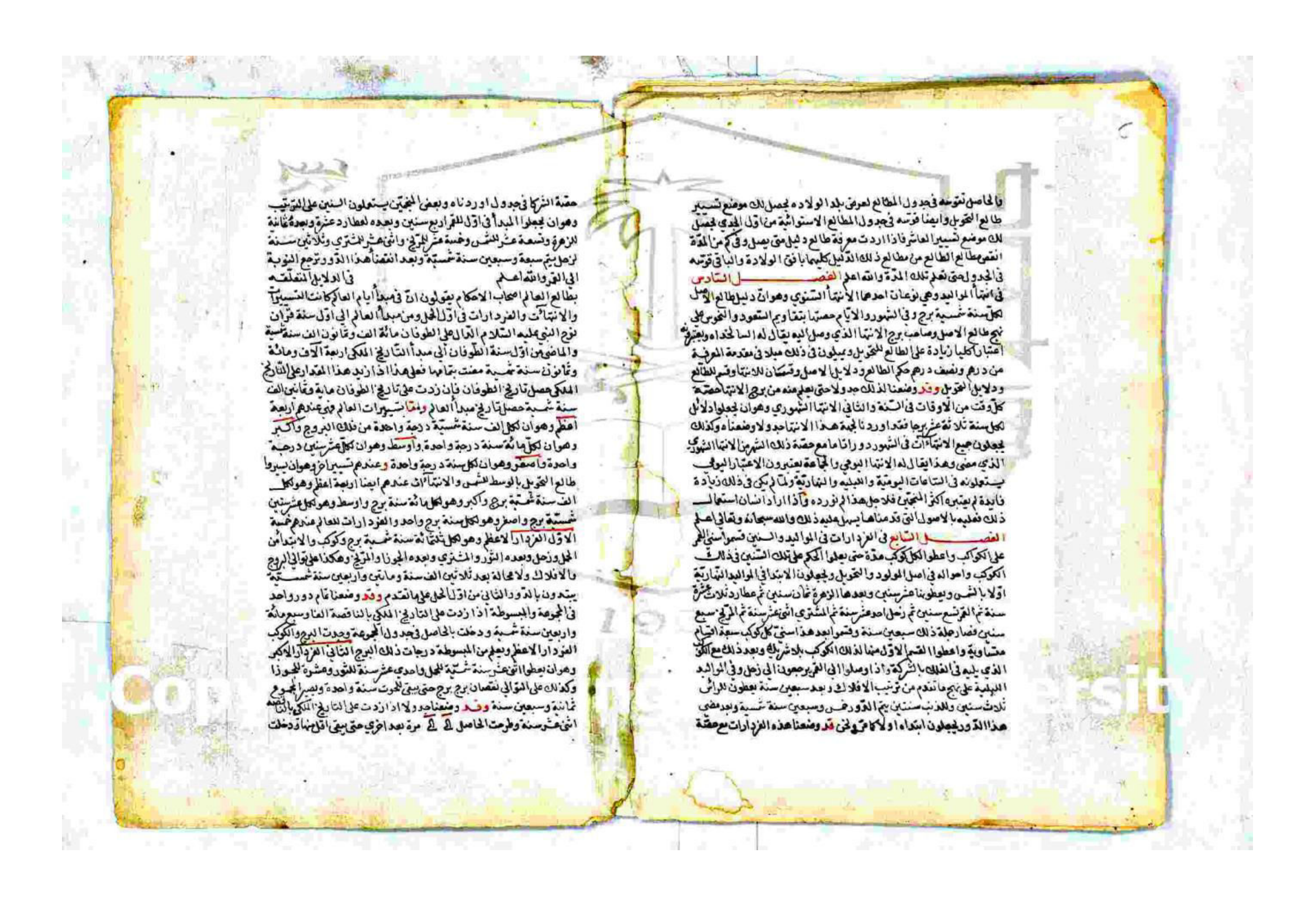


الملحق رقم 10،مرصد سمرقند الفلكى الذي بناه ألغ بك ووصلت إليه بعض البعثات العلمية الروسية

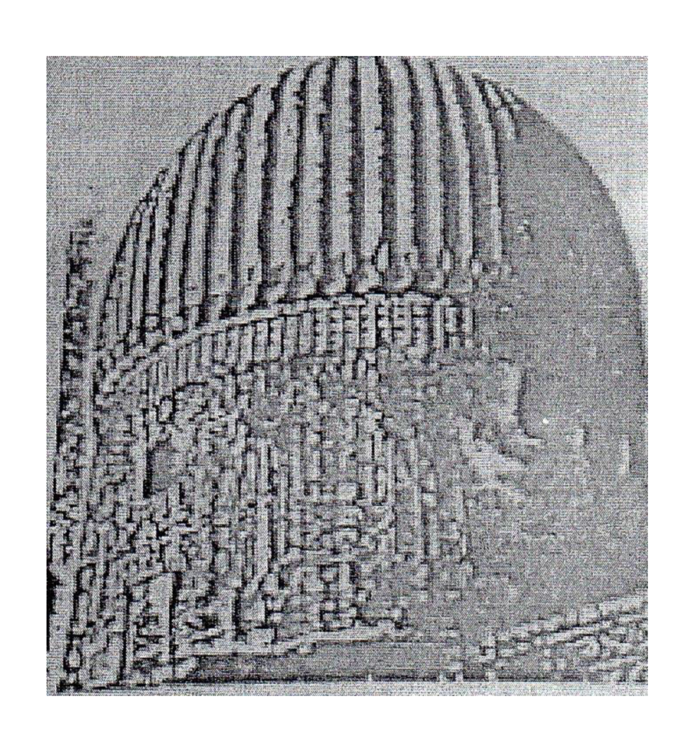
www.descver.syria.comالمرجع الموقع اللكترونى،.



الملحق رقم11،وثيقة1. نسخة من زيج ألغ بك محفوظ بجامعةأل سعود المملكة العربية السعودية

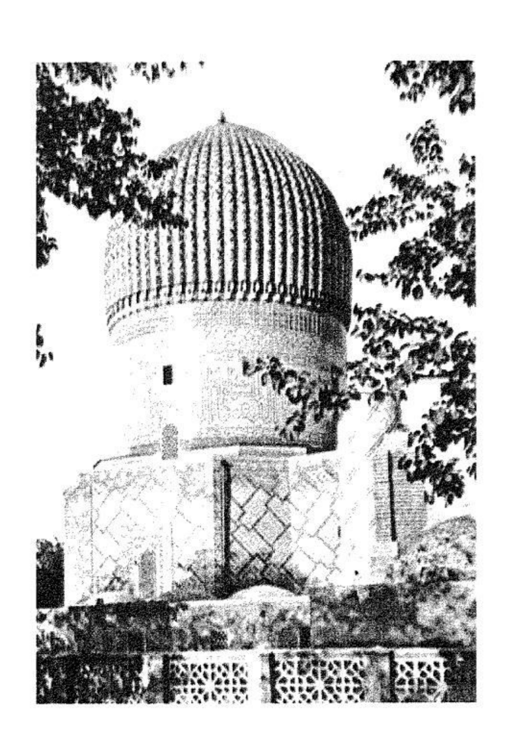


الملحق رقم12،نسخة رقم 2،مخطوطة محفوظة بجامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية

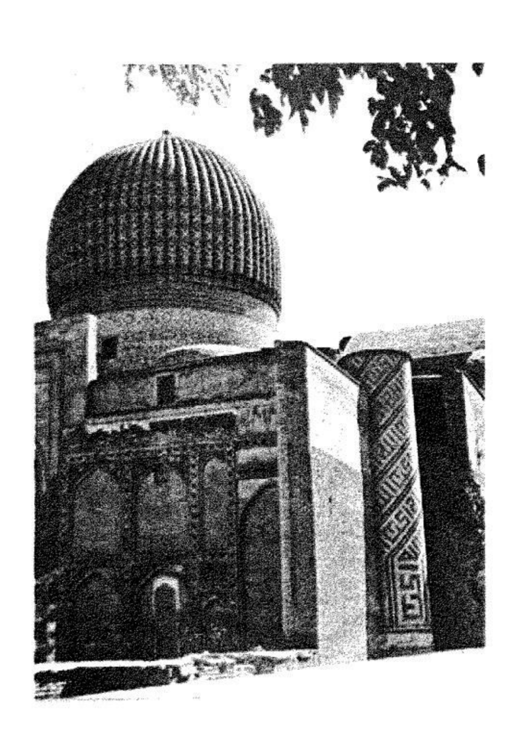


الملحق رقم13 ،يجسد مبدا التكرار في العمارة التيمورية.

سعد زغلول عبد الحميد،مرجع سابق،ص،445.



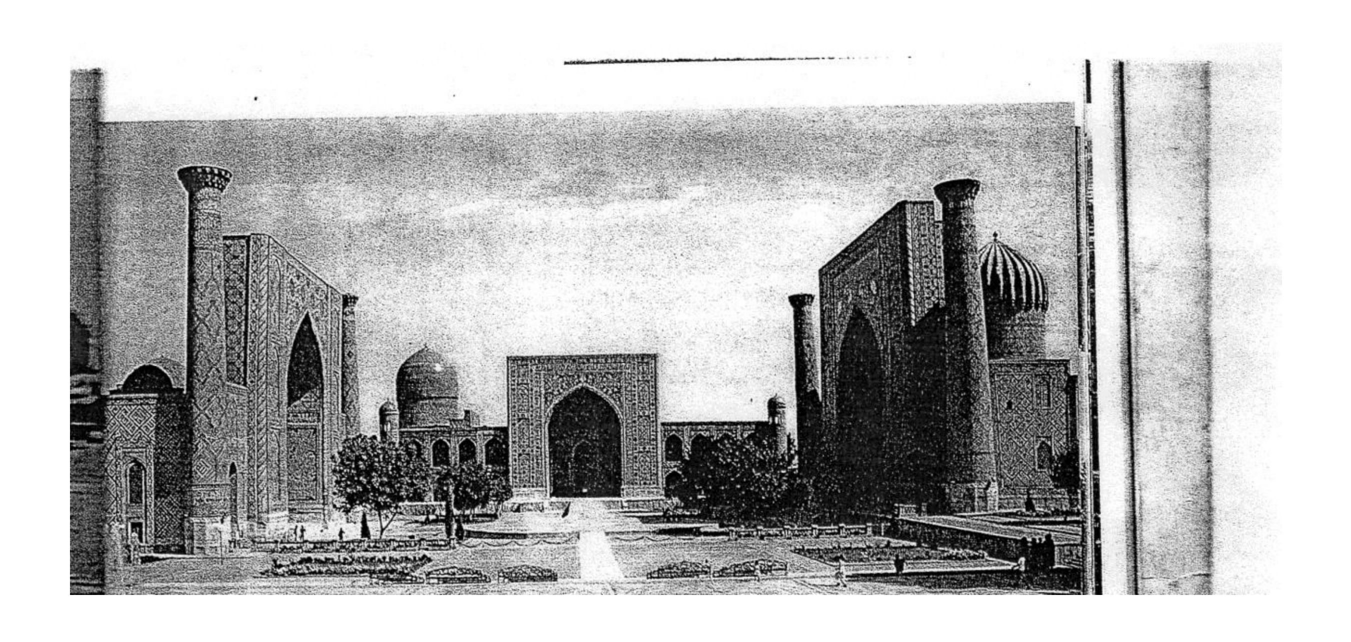
صورة ٦٩ ـ الاتحاد السوفيتي: سمرقند: مدفن تيمورلنك
(٨٠٦ ـ ٧ هـ/ ١٤٠٣ ـ ٤م).



صورة ٧٠ ـ الاتحاد السوفيتي: سمرقند: مدفن تيمورلنك
(٨٠٦ ـ ٧ هـ/ ١٤٠٣ ـ ٤م).

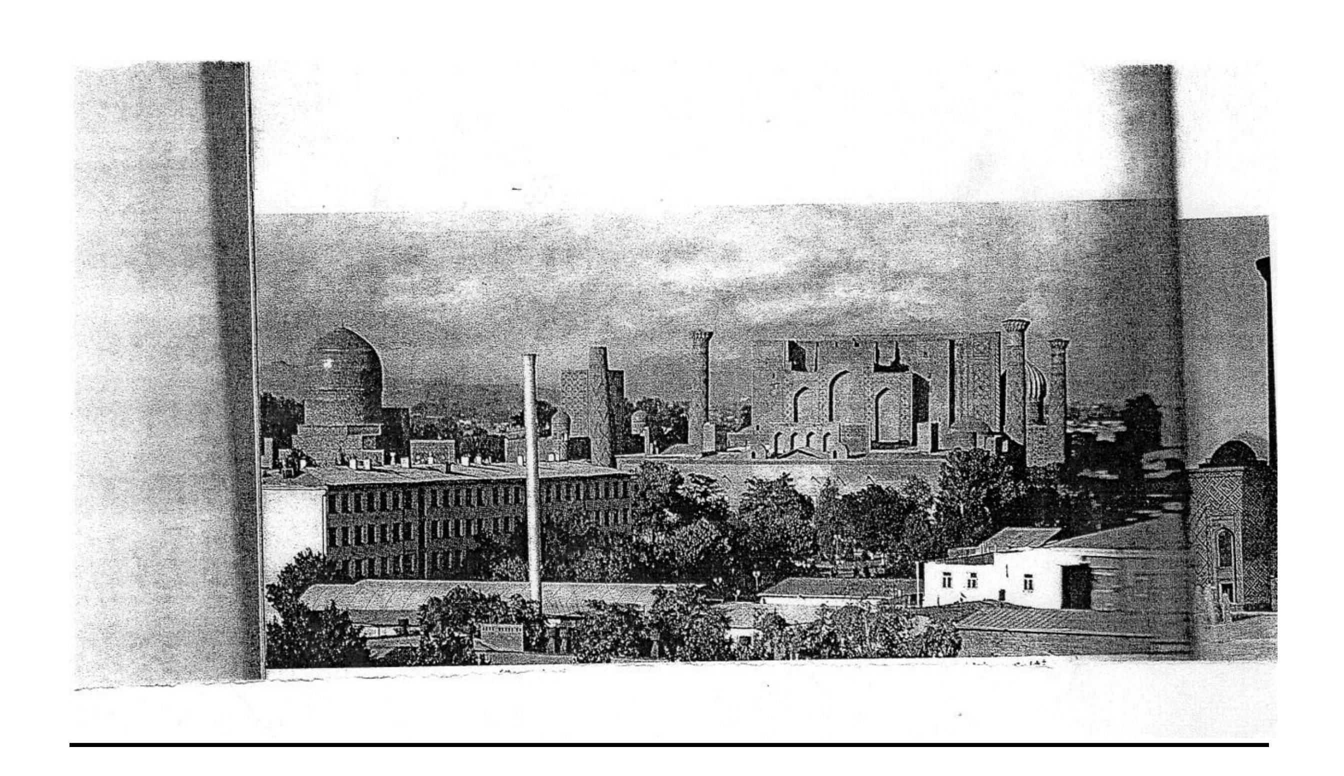
الملحق رقم 14،مدفن الآمير تيمورلنك

المرجع،فيتالى نومكين،مرجع سابق،ص،78.



الملحق رقم 15،صورة لمسجد بيبى هانم الذي بناه تيمورلنك اكراما لزوجته الصينية،والذي يجسد مبدا التكرار في العمارة التيمورية

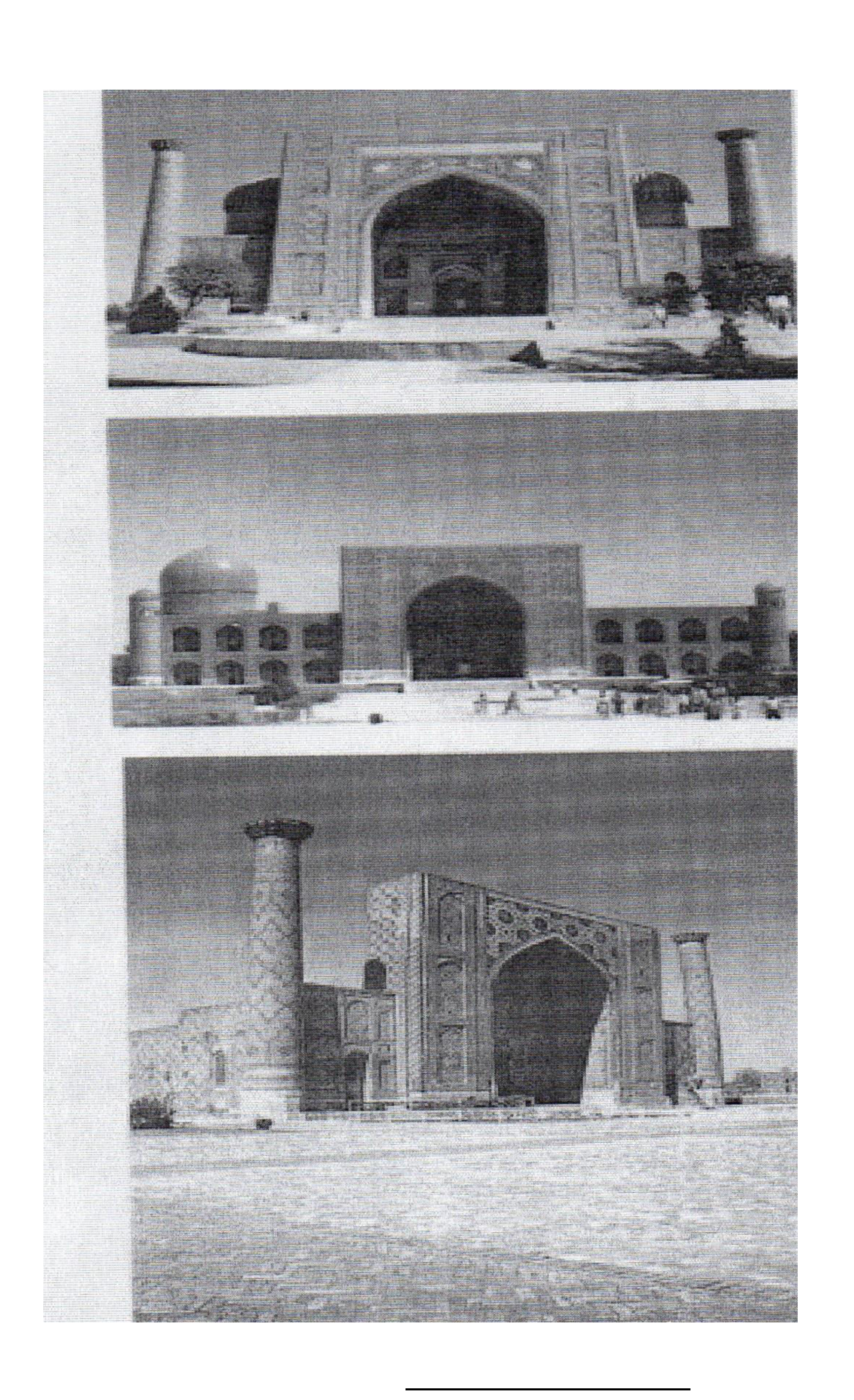
المرجع،مجلة العربي،عدد 602،سنة2009م،ص،64.



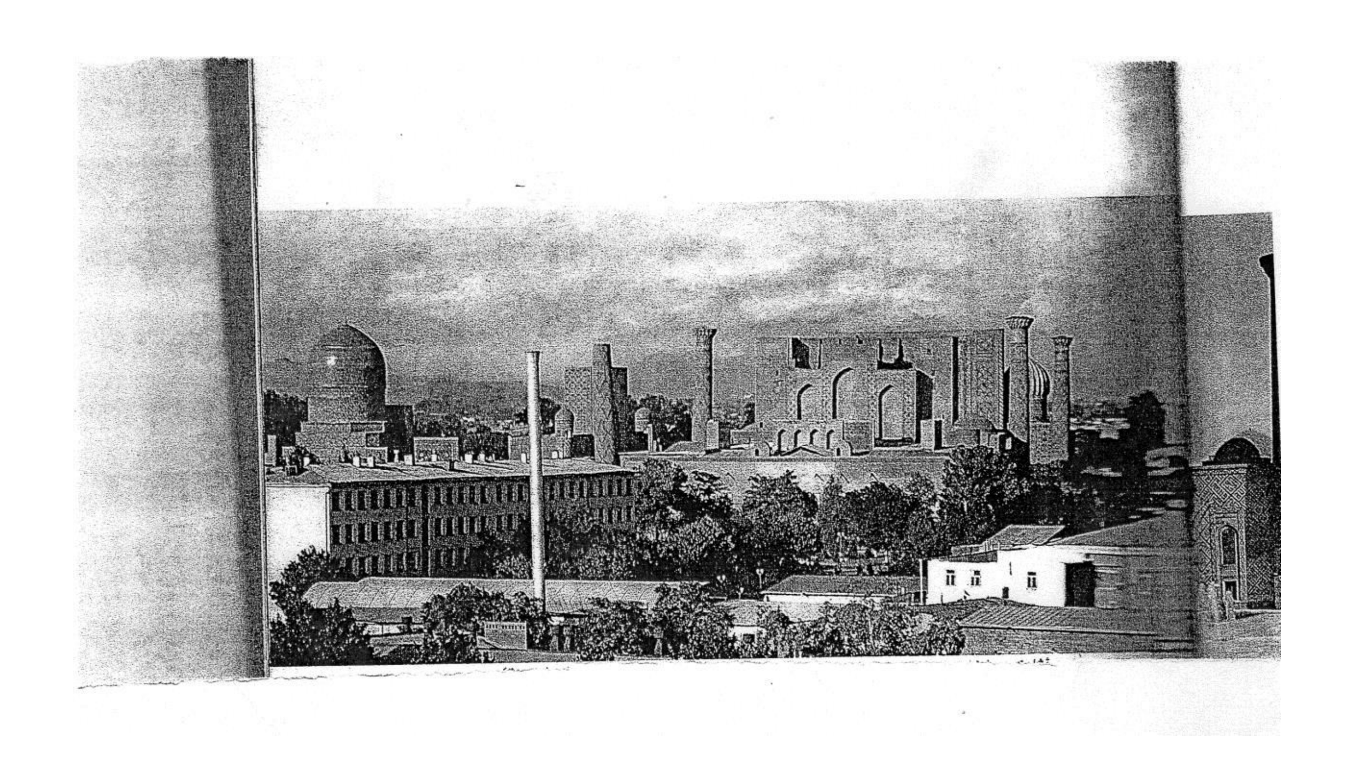
الملحق رقم 16،مجمع ريجستان في سمرقند

مجلة العربي،عدد602،سنة 2009م،ص،44

الملحق رقم،17،مدرسة شيردار في الاعلى،ومدرسة تيليا كارى في الوسط،ومدرسة الغ بك في الاسفل.

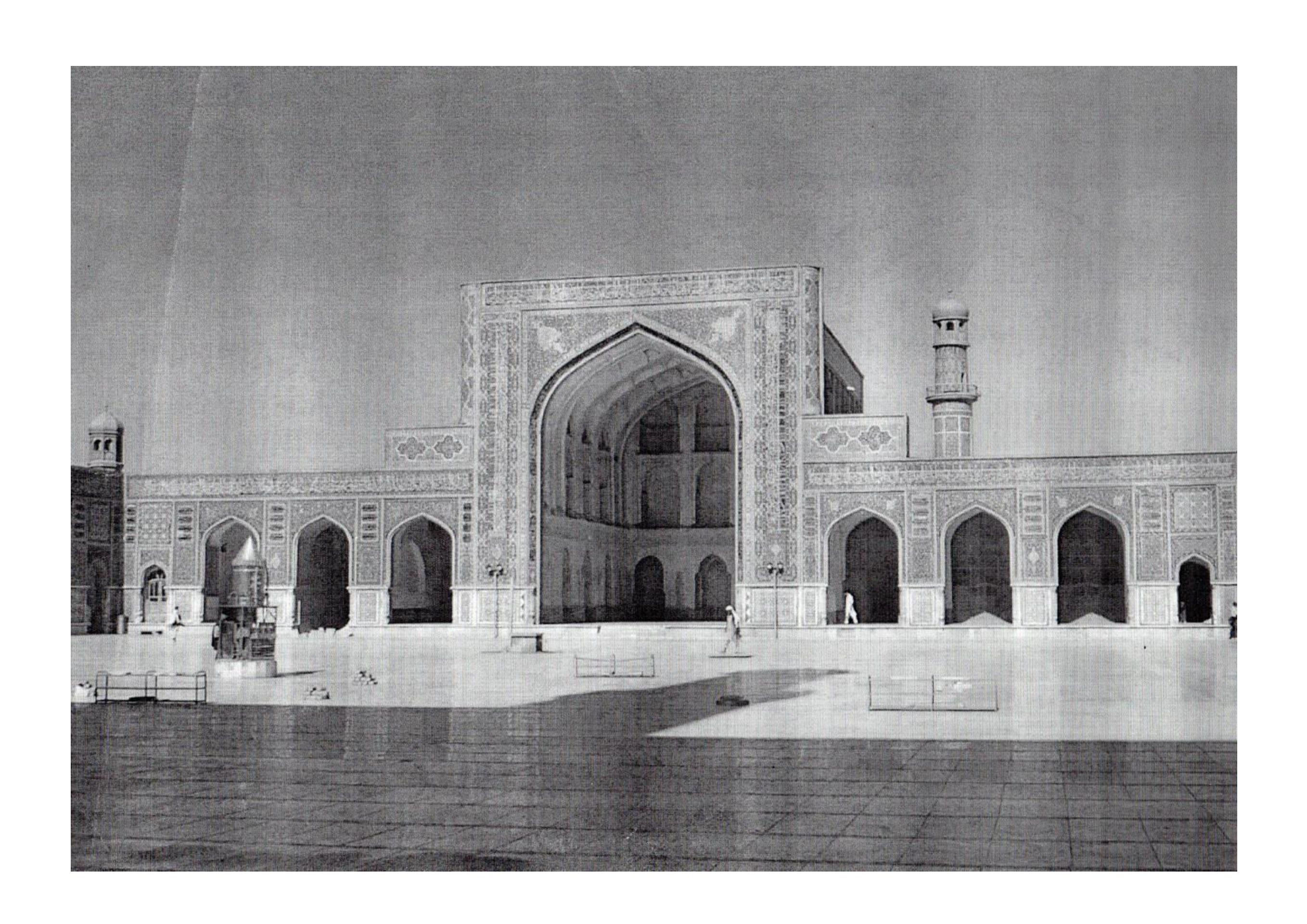


محمد هانى القحطانى،مرجع سابق171.



الملحق رقم18،مبدا الظهور في العمارة التيمورية.

العربي،العدد،602،ص،45.



الملحق رقم19 صورة اخرى لمسجد سمرقند تجسد مبدا الظهور

مجلة العربي،عدد602،سنة 2009م،ص،45



الملحق رقم 20،نماذج من العمارة التيمورية،منارة مسجد كليات ببخارى،ومسجد جوهر شاد زوجة شاهرخ.المرجع:فبتالى نومكين،مرجع سابق،ص،128.

قائمة المصادر والمراجع

1-القرآن الكريم

2-المصادر:

1-إبن الأثير عزالدين بن الحسن بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الواحد،**الكامل في التاريخ**،تحقيق عيد السلام تدمري،دار الكتاب العربي،1427هـ،2006م.هـ

2-إبن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله،**تحفة النظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار**،ج1،ج2،ط1،المبعة الخيرية،1325هـ.

3-بابرشاه ظهير الدين محمد ،**تاريخ بابر شاه وقائع فرغانة**،تر،ماجدة مخلوف،ط1،دار الأفاق العربية1422هـ،2002م.

4- البدر العينى،السلطان**برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة**،78هـ،855هـ،1382م،1398م،تحقيق إيمان شكري،ط1،دار الصفوة للطباعة ،2000م.

5-إبن أبي رزعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين،**الذيل على العبر في أخبار من عبر**،تحقيق وتعليق مهدي عباس،ط1،مؤسسة الرسالة،بيروت ،لبنان،1409هـ،1989م

6-إبن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف،**المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافي**،تحقيق،محمد محمد أمين،دط،ج4،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1986م.

7-إبن تغري بردي،**المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافي**،تحقيق،نبيل محمد عبد العزيز،ج3،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1985م.

8-إبن تغري بردي ،**المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي** ،تحقيق،نبيل محمد عبد العزيز،ج5، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1988م.

9-إبن تغري بردي،**المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**،تحقيق،محمد أمين،سعيد عبد الفتاح عاشور،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1984م.

10-إبن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف،**النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة**،ط1،ج12،ج15، تحقيق وتعليق،محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1413هـ.

11-تيمورلنك ، **مذكرات تيمورلنك**، وضعت باللغة الجعطائية ترجمة ، أبوطالب الحسيني إلى الفارسية ، ترجمة تشارلز ستيورات إلى الإنجليزية ، ترجمة دينا الملاح إلى العربية ، ط 1 ، مكتبة مؤمن قريش ،2012م.

12-الثعالبي عبد العزيز،**سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية 132هـ،750**،تحقيق، حمادى الساحلي،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1995م.

13-الهمذاني رشيد الدين فضل الله،**جامع التواريخ تاريخ خلفاء حنكيزخان،من أوكتاى خان إلى تيمور قان**،ط1،ترحمة،فؤاد عبد المعطى الصيادمراجعة يحي الخشاب،دار النهضة العربية،بيروت لبنان،1983م.

15-الجامي نورالدين عبد الرحمان،**يوسف وزوليخا رؤية صوفية**،ترجمة عائشة عفا،دط،دار المنهل،دمشق،2003م.

16-الجامي نورالدين عبد الرحمان،**نفحات الأنس في حضرات القدس**،دط،دار الكتب العلمية،بيروت،2003م.

17-الجامي نورالدين عبد الرحمان،**بهارستان**"الربيع"،ترجمة وتعليق،كمال الدين حلمى،دط،دار السلاسل للطباعة والنشر،الكويت،1406هـ،1986م

18-الجامي نورالدين عبد الرحمان،**الدرة الفاخرة**،تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح،وأحمد عبده عوض،ط1،مكتبة الثقافة الدينية،دمن،1422هـ،2000م.

19-الجامي نورالدين عبد الرحمان،**لوائح الحق ولوامع العشق**،دط،المجلس العلمي للثقافة،دم ن،2003م.

20-الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر البصرى،**التبصر بالتجارة في وصف ما يستطرف فيالبلدان من الآمتعة الرفيعة،والآعلاق النفيسة،والجواهر الثمينة**،تص،تع،حسن حسنى عبد الوهاب،ط2،المطبعة الرحمانية ،مصر،1354هـ،1935م.

21-الحنفي زين الدين عبد الباسط بن شاهين الظاهري الحنفي،**نيل الأمل في تاريخ الدول**،تحقيق،عمر عبد السلام تدمرى،ط1،ق3،ج1،801هـ،830هـ،المكتبة العصرية،صيد بيروت،1422هـ،2002م.

22-حاجي خليفة ،**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**،دط،ج2،دار أحياء التراث العربي، بيروت،لبنان،دت الحنبلي عبد الحي محمد بن أحمد،**شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ،ط1،مج 9، إشراف وتحقيق عبد القادر الأرناؤوط،دار إبن كثير،دمشق بيروت،1413هـ،1993م.

23-ابن حوقل ابو القاسم محمد،**صورة الارض**،دط،منشورات مكتبة الحياة،بيروت،1979م.

24-إبن خلدون عبد الرحمان،**التعريف بإبن خلدون ورحلته غربا وشرقا**، دط،دار الكتاب اللبناني،1979م.

25-إبن خلدون ولي الدين أبي زيد عبد الرحمان بن محمد،**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبارالعرب والبربر ومن عاصرهم من طوى السلطان** الأكبر،ط1،مج7،5،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1413ه،1992م.

26-الخطيب البغدادي أبي بكر بن علي،**تاريخ بغداد أو مدينة السلام**،ط1،مكتبة الخانجي ،القاهرة،المكتبة العربية بغداد،مطبعة السعادة،1349ه،1931م.

27- الدينوري أبي حنيفة بن أحمد بن داود،**الأخبار الطوال**،تحقيق محمد عامر وجمال الدين الشيال،دط،وزارة الثقافة والإرشاد القومي،دت.

28-الرمزي محمود،**تلفيق الأخبار وتلقيح الأثار في وقائع قازان والبلغار وملوك التتار**،ط1،مج2،1،دمن،1980م

29-السخاوي شمس الدين بن محمد عبد الرحمان،**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**،دط،ج3،دار الجيل،بيروت،دت.

30-السيوطي جلال الدين،**الإتقان في علوم القرآن**،تحقيق،شعيب الأناؤوط، تع، شيخ مصطفى،ط1،مؤسسة الرسالة،1429ه،2008م.

31-الشوكاني محمد علي،**البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع**،دط،ج1،دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة،دت.

32-الشهرستانيأبي الفتح محمد بن عبد الكريم،**الملل والنحل**،تحقيقو تعليق،أحمد فهمي محمد،ط2،مج1،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1413ه،1992م

33-إبن الشحنة ،**روض المناظر في علم الأوائل والأواخر**،تحقيق محمد مهني ،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،1417ه،1997م.

34-إبن العبري غريغوريوس أبو الفرج هارون،**تاريخ إبن العبري**،تصحيح أنطوان صالحي اليسوعي ،ط1، دار الرائد اللبناني ،لبنان 1415ه،1994م.

35-إبن حجر العسقلانى،**إنباء الغمر بإنباء العمر**،ج1، ج3،ج4،،تح،حسن حسنى،القاهرة،1419ه،1998م-

36-بن قايماز شمس الدين أبو عبد الله بن محمد بن عثمان،**تاريخ الإسلام ووفياتالمشاهير الأعلام**،تحقيق عمر عبد السلام،ط2،دار الكتاب العربي،بيروت1410ه،1993م.

37-القلشقندي أبو العباس أحمد بن علي،**صبح الأعشا في كتابة الإنشا**،تح،محمد حسين شمس الدين،دط،ج4،بيروت،1407 ه،1987م.

38-إبن أبي الحديد المدائني ،**حملات الغزو المغولي للشرق كما عاشها** عاشها، (589ه،656ه،1258،1190 1190،1258م)،دار لامارتونن1995م.

39-الكندي عمر بن محمد أبو الفوارس أبو حفص زين الدين بن الوردي المعري،**تاريخ إبن الوردي**،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،1417ه ،1996م.

40-إبن كثير الحافظ عماد الدين أبي الفدا إسماعيل القرشي ،**البداية والنهاية** مراجعة وتعليق،محمد محمد تامر وآخرون، ج7،دط،دار البيان العربي،2006م

42-النسوي أحمد بن أحمد،**سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي**،تحقيق حافظ أحمد حمدي ،دط،دار الفكر العربي،1953م.

43-النرشخي أبي بكر بن محمد بن جعفر **تاريخ بخارى**،تعريب وتحقيق وتعليق، أمين عبد المجيد بدوي وآخرون،ط3،دار المعارف دت.

44-إبن سباط حمزة بن أحمد العربي،**تاريخ إبن سباط**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ،ط1،دمن،1413ه،1999م

45-إبن عرب شاه أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقي،**عجائب المقدور في نوائب تيمور**،أركانيد، كلكتا،1882م.

46-إبن عرب شاه أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقي ،**عجائب المقدور في نوائب تيمور**،تحقيق،فايز الحمصي،ط1،مؤسسة الرسالةن1407ه،1986.

47-إبن عرب شاه ابى العباس شهاب الدين احمد بن محمد الدمشقى،**فاكهة الخلفاء ومفاكهةالظرفاء**،تح،ايمن عبد الجابر البحيرى،،ط1،دار الافاق العربية،1421ه،2001م.

48-إبن الفقيه أبي بكر محمد بن أحمد الهمذاني،**مختصر كتاب البلدان**،ط1،دار التراث العربي،1408ه،1988م.

49-أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمد ،**المختصر في أخبار البشر**،**المعروف**،**بتاريخ إبن الفدا**،تح،أحمد أيوب،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،1417ه،1997م.

50-القزويني زكرياء محمد بن محمود،**آثار البلاد وأخبار العباد**،دط،بيروت للطباعة والنشر،1404ه،1984م.

51-القرماني أحمد يوسف،**أخبار الدول وأثار الأول**،تح،أحمد حطيط،ط1،دار عالم الكتب،1410.هـ،1992م.

52-القلشقندي ابى العباس احمد بن علي،**صبح الاعشا في كتابة الإنشا**،تع،محمد حسين شمس الدين،دط،ج4،بيروت،1407هـ،1987م.

53-الغياثي عبد الله بن فتح الله،**تاريخ الدول الإسلامية في الشرق**،تحقيق، طارق نافع الحمداني ،ط1،دار ومكتبة الهلال،2010م.

54-المقريزى تقى الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدى،**السلوك لمعرفة دول الملوك**،تقيق محمد عبد القادر عطا،ج6،802هـ،822هـ،ط1،دار الكتب العلمية بيروت،لبنان،1418هـ،1992م

55--المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدى،المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والأثار،تح،محمد زينهم،مديحة الشرقاوى،ط1، ج2،مكتبة مدبولى،القاهرة،1997م.

56-المقدسي شمس الدين أبي عبد الله،**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**،ط2،مطبعة بريل ،ليدن،1909م.

2-المراجع

57-إقبال عباس الإشيتاني،**تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية** الدولة القاجارية، (205هـ،820م/1343هـ،1925م)،ترجمة علاء الدين منصور، مراجعة السباعي محمد السباعي ،دط،دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهة،1979م.

58-إقبال عباس،***أل بويخت***،ترجمة علي هاشم الأسدى،ط1425،1هـ، د م ن،2004م.

59-أرنولد توماس ، **الدعوة إلى الإسلام** ، تر ، حسن إبراهيم حسن وآخرون ، ط1، مكتبة النهضة المصرية ،1970 م.

60-أحمد عبد الرحيم مصطفى،**في أصول التاريخ العثماني**،ط2،دار الشروق،1046ه،

61- أرنولد توماس وأخرون،**تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير**، ترجمة زكي محمد حسن،ط1،دار الكتاب العربي،1984م.

62-الأمين حسين،**الإسماعليون والمغول ونصير الدين الطوسى**،دط،الغدير للطباعة والنشر،1997م.

63-أحمد عادل كمال،**الجمهوريات الإسلامية من الفتح الإسلامي إلى اليوم**،ط1،دار السلام،القاهرة،1427ه،2006م.

64-احمد معوض،**الوان من الشعر الفارسي**،ط1،القاهرة،1983م.

65-أوزوتا يلماز،**تاريخ الدولة العثمانية**،ط1،مج1،مؤسسة فيصل للتمويل،أستنانبول،1408ه،1988م.

66-إيمان محمد إبراهيم عرفة،**مدخل إلى تاريخ إيران منذ الغزو المغولي حتى نهاية العصرالتيموري مع نصوص تطبيقية**،دط،دار الثقافة العربية،2013م.

67-أندريه ميكائيل،**الإسلام وحضارته**،تر،زينب عبد العزيز،دط،المكتبة العربية،صيدا،بيروت،1981م.

68-باز علي،**كيف أسلم المغول**،ط1ندار الفتح للدراسات والنشرنعمان،الأردن،1429ه،2008م.

69-الباكوري عبد العزيز،**تركستان قلب أسيا**،دط،الجمعية الخيرية الباكستانية،1953م.

70- بدر مصطفى طه،***محنةا لإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدى*** **المغول**،ط2،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1999م.

71-باشا أحمد تيمور،**التصوير عند العرب**،دار الأفاق،دت،

72-بدر فاروق حامد،تاريخ أفغانستان من قبيل الفتح الإسلامي حتى وقتنا *الحاضر*،دط،المطبعة النموذجية بالحلمية الجديدة،مصر،دت.

73-الباشا حسن،**فنون التصوير في العصر الإسلامي**،ط1،دار النهضة العربية،1966م.

74- الباشا حسن،**التصوير الإسلامي في العصور الوسطى**،دط،جامعة القاهرة والكتاب الجامعي ،القاهرة،1992م.

75-براون إدوارد جرانفيل،**تاريخ الأدب في إيران من الفردوسى إلى السعد**ترجمة إبراهيم أمين الشواربي،ط2،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،1428هـ،2008م.

76-بديعة محمد عبد العال،**النقشبندية نشأتها وتطورها في بلاد الترك**،ط1،الدار الثقافية للنشر،القاهرة،1431هـ،2011م.

77-البنا سامح فكري طه،**تجليد المخطوطات في العصور الإسلامية العصر التيموري**،ط1،دار الكتاب العربي الحديث،2011م.

78-بارتولد،**تاريخ الحضارة الإسلامية**،ترجمة،حمزة طاهر،ط4،دار المعارف،دت. **79**-بارتولد،**تاريخ الترك بآسيا الوسطى**،ترجمة أحمد السعيد سليمان،دط،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1996م.

80-بارتولد فاسيلي فلاديمروفتش،***تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولى***،تر،الدين عثمان هاشم،دط،الكويت،1401هـ،1981م.

81-تراب محمد حسن،**أبو عبيدة بن الجراح**،ط1،دار لقمان،1418هـ.

82-الذنيبات عوض عبد الكريم،**مدخل إلى تاريخ العلوم عند العرب**،دط،كنوز المعرفة،جامعة مؤتة،2012م.

83-جوزيف داهموس،**سبع معارك حاسمة في التاريخ**، ترجمة محمد فتحي الشاعر،ط2،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1992م.

84-جان سوفاجيه، كلود كاهن،**مصادر دراسة التاريخ الإسلامي**،الهيئة المصرية للمطابع الأميرية،بالإشتراك مع لوس أنجلس بكاليفورنيا،1995م.

85-حنان عبد الفتاح مطاوع،**الفنون الإسلامية في نهاية العصر الفاطمي**،ط1،دار الوفاء،الإسكندرية،

86-حطيط أحمد ،***حروب المغول***،ط4،دار الفكر للكتاب،بيروت،لبنان،1994م.

87-الحضر محمد عبده،**إبن خلدون ومثل من فلسفته الإجتماعية**،دط،المكتبة السلفية،القاهرة،1343ه.

حماد فايد،***العلاقات السياسية بين المماليك والمغول***،دط،دار المعارف،1976م.

88-حسن إبراهيم حسن،**تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافى والإجتماعى**، ج2،ط14،مكتبة النهضة العربية،1416ه،1996م.

89-الخالدي إسماعيل عبد العزيز،**العالم الإسلامى والغزو المغولى**،ط1404،1ه مكتبة الفلاح،1984م.

90-خالد عزام،**العصر العباسي**،دط،دار أسامة للنشر والتوزيع،الأردن،2009م.

91-الخطاب محمود شيت،**قادة فتح السند والهند**،ط1،دار إبن حزم،1418ه،1998م.

92-الخطاب محمود شيت،**قادة الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر**،ط1،دار الأندلس الخضراء،1418ه،1998م.

93-حافظ أحمد حمدي، **الدولة الخوارزمية والمغول**،دط،دار الفكر،لبنان،1949م.

94-ديماند،**الفنون الإسلامية**،ترجمة أحمد عيسى محمد،دط،دار المعارف،دت.

95- الدفاع علي بن عبد الله،**العلوم البحتة في الحضارة الاسلامية،**

96-رضوى محمد تقى مدرس،**العلامة نصير الدين الطوسى حياته وأثاره**،ط1،ترجمة عليهاشم الأسدي ،معرض طهران الدولي السابع للكتاب،1414هـ،1999م.

97-رينسمان ستيفن،***تاريخ الحروب الصليبية***،تر،الباز العريني،دط، ج3،دار الكتاب اللبنانى،بيروت،1969م.

98-رضوان سيد علي،**محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوربا الشرقية**،ط1،الدار السعودية،1406 هـ،1982م.

99-رايس ديفيد تالبوت،**الفنون الإسلامية عبر العصور**، ترجمة فخري خليل،ط1،الأهلية للنشر والتوزيع،2013م. رفاعي أحمد فريد،**عصر المأمون**،مج2،1،ط2،دار الكتب المصرية،1346هـ،1927

100-رجب عبد الحليم،**إنتشار الإسلام بين المغول**،دط،دار النهضة العربية،دمن،دت.

101-زكي محمد حسن،**التصوير وإعلام المصورين قبل الإسلام**، مؤسسة هنداوي ،2013م.

102- زكي محمد حسن،**التصوير في الإسلام عند الفرس**،ط1،دمن،1354هـ،1935م.

103-زكي محمد حسن،**في الفنون الإسلامية**،مؤسسة هنداوي،2010م.

104- زكي محمد حسن،**فنون الإسلام**،ط1،القاهرة،1948م.

105-سعاد ماهر محمد،**الفنون الإسلامية**،دط،الهيئة العامة للكتاب،2005م.

106-سامح فكري البنا،**تجليد المخطوطات في العصور الإسلامية،العصر التيموري**،ط1،دار الكتاب الحديث،2011م.

107-سعاد ماهر محمد،**المساجد في السيرة النبوية**،دط،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1987م.

108-سعيد محمود عمران،**المغول وأوربا**،دط، الدار الجامعية،الإسكندرية،1967م.08

109-سليمان عبد الكريم محمد،**تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة مع مقال الكاتب اللاتينى دىمخائلنى حول تيمورلنك**،ط1،دار النهضة العربية،1405هـ،1985م.

110-شوقي ضيف،**تاريخ الآدب العربي،عصر الدول والإمارات،الجزيرة العربية،إيران**،ط2،دار المعارف،دت.

111-شبولر فاسلى،**العالم الإسلامي والغزو المغولي**،تر،خالد اسعد،ط1، ، مطبعة الرسالة،1986م.

112-شوقي أبو خليل،**في التاريخ الإسلامي**،ط1،دار الفكر،دمشق،1991م.

113- شاكر محمود،**تركستان**،ط1،دار الإرشاد،1390هـ،1970م.

114-شاكر محمود،**التاريخ الإسلامي،التاريخ المعاصرإيران وأفغانستان**،ط1،ج18،المكتب الإسلامي،1416هـ،1995م

115-شاكر محمود،**التاريخ الإسلامى،العهد المملوكي**،ط5،دمن،1429هـ،2000م.

116-شامى يحى،**تاريخ التنجيم عند العرب وأثره في المجتمعات العربية الإسلامية**،ط1،مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر،بيروت،1414هـ،1994م.

117-صفا محمد أسد الله،**جنكيزخان**،ط1،دار النفائس،1988م.

118- صفا محمد أسد الله،**تيمورلنك**،ط1،دار النفائس،1410ه،1990م.

119-**الصياد** فؤاد عبد المعطى،**محمود قازان وإعتناقة للإسلام**،دط،القاهرة،1979م.

120-الصياد فؤاد عبد المعطى،**المغول في التاريخ**،دط،دار المعرفة العربية،1980م.

121-الصياد فؤاد عبد المعطى،**مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني**،دط،دار الكتب،القاهرة،1967م.

122-الصلابي علي محمد،**فاتح القسطنطينية محمد الفاتح**،دط،دار الإيمان الإسكندرية،2000م

-**123**طرطور شعبان،**الدولة الجلائرية**،دط،دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع،1407ه،1987

124-طقوشمحمد سهيل،**تاريخ الدولة الصفوية في ايران ايران**،907ه،1148ه/1501م،1776م،ط1،دار النفائس،1430ه،2009م

125-طقوش محمد سهيل،***تاريخ الحروب الصليبية حروب الفرنجة في الشرق، (489ه،690ه،1096م،1291م)***؛ط1،دار النفائس،1432ه،2011م.

126-كاهن كلود،***تاريخ الشعوب الاسلامية، منذ ظهور الاسلام حتى قيام الامبراطورية العثمانية***،ط1،دار الحقيقة،بيروت،1972م.

127-لام هاولد،**جنكيزخان وجحافل المغول**،تر،مترى أمين،دط،دمن،1962م.

128-لام هاولد،**تيمورلنك**،تر،عمر أبو النصر،ط1،بيروت،1972م

129-الطايس علي أحمد،**فنون الزخرفة الإسلامية المبكرة في العصرين الأموي والعباسي**،ط1،مكتبة زهراء الشرق،1434ه،2013م.

130-أبو عبيه عبد الحميد،وطه عبد المصقود،**الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية**،ط1،ج1،دار الكتب العلمية،بيروت،1424ه،2000م.

131-عبد المنعم عبد الحميد سلطان،**أل مهلب في المشرق الإسلامي ودورهم السياسي والحربي حتى سقوط الدولة الأموية**،دط،مؤسسة شباب الجامعة،دت.

132-عبد المنعم صبحى محمد،**المغول والمماليك السياسة والصراع**،ط1،العربي للنشر والتوزيع،2001م.

133-عبد المنعم صبحى محمد،***سياسة المغول ا لإيلخانيينإتجاه المماليك في مصروالشام***،ط1،الإسكندرية،2000م.

134-عبد الرحيم أحمد مصطفى،**الدولة العثمانية في أصول التاريخ العثماني**،ط2،دار الشرروق،1988م.

135-عنان محمد عبد الله، ***إبن خلدون حياته وتراثه الفكري***،دط،مؤسسة مختارللطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،1991م.

136-عبد الحميد سعد زغلول،**العمارة والفنون في الدولة الاسلامية**،دط،منشاة المعارف،الإسكندرية،2004م.

137-عكاشة ثروت،**القيم الجمالية في العمارة الإسلامية العين ترى والأذن تسمع**،دط،مطبعة دار الشروق الآواى،1414هـ،1994م.

138-عبد السيد حكيم أمين،**قيام دولة المماليك الثانية**،تقديم مصطفى زيادة،دط،الدار القومية للطباعة والنشر19966م.

139- العزاوى عباس،**تاريخ العراق بين إحتلالين**،مج2،1،بغداد الحديثة،1936م.

140-عزام عبد الله،**الشاهنامة**،ترجمة الفتح بن علي البندارى،دط،مطبعة دار الكتب والوثائق القومية،القاهرة،2010

141-عليوة حسين عبد الرحيم،**الكتابات الآثرية العربية في الشكل والمضمون**،ط1،القاهرة،دت

142-عليوة حسين محمد،**المعادن**،إشراف حسن الباشا وأخرون،كتاب القاهرة فنونها وآثارها،القاهرة، 1970م.

143-عصام عبد الرؤوف الفقى،**بلاد الهند في العصر الإسلامى**،دط،دار الفكر ،القاهرة،2005م.

144-عفاف صبرة،نجوى كيره،**تاريخ الدويلات المستقلة في المشرق الإسلامى،دراسة حضارية**،ط1،زهلراء الشرق،2009م.

145-عبيد إبراهيم شبل،**الكتابات الآثرية على المعادن في العصرين التيمورى والصفوى**،ط1،دار القاهرة للكتاب،2002م.

146--العدوى إبراهيم،**نهر التاريخ الإسلامي ماهيته وروافده**،ط1،دار الفكر العربي،1998م. **147**-عودات أحمد وأخرون،**تاريخ المغول والمماليك من القرن السابع الهجرى حتى القرن** الثالث عشر الهجرى،دط،دار الكندى،1990م

148-الغامدي سعد بن حذيفة،**آوضاع الدول الإسلامية في الشرق الاسلامى**،ج1،دط،مؤسسة الرسالة،الرياض،1981م.

149-غريب سمير،**في تاريخ الفنون الجميلة**،ط1،دار الشروق،1419هـ،1998م.

150-غنجرى آحمد شوقي،**الإسلام والفنون**،ط1،دار الآمين للنشر والتوزيع،1408هـ،1987م.

151-غنيمة يوسف رزق،**نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق**،ط1،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،2001م.

152-فهمى عبد السلام عبد العزيز،**تاريخ الدولة المغولية في إيران**،دط،دار المعارف،الإسكندرية،1981م.

153-فريد بك المحامى،**تاريخ الدولة العلية العثمانية**،تح،إحسان حقىط1،،دار النفائس،1401هـ،1982م.

154--فشل والتر،**لقاء إبن خلدون لتيمورلنك**،تر،عمر توفيق،دط،منشورات دار الحياة،ب د ت

155-فيتالى نومكين،***سمرقند***،تر، صلاح صلاح،ط1،منشورات المجمع الثقافى،الإمارات الع بية المتحدة،1996م.

156-فامبري أرمينيوس،**تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر**،ترجمة أحمد محمود الساداتى،مراجعة يحى الخشاب،دط،مكتبة نهضة الشرق،دت.

157-القاسم فيصل بن قراز،**الأشاعرة في ميزان أهل السنة،نقد لكتاب أهل السنة الأشاعرة،شهادة علماء الأمة وأدلتهم**،ط1،المبراة الخيرية لعلوم القران،الكويت،1428ه،2007م.

158-القيصرى إعتماد يوسف،**فن التجليد عند المسلمين**،المؤسس العامة للتراث والأثار،بغداد،1979م.

159-القزاز محمد صالح،**الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية**،دط،مطبعة القضاء،النجف،1970م.

160-قرد فرنسيس،**ماركو بولو هل وصل إلى الصين**،تر،فاضل جنكز،ط1،دمشق،دت.-

161-القحطاني هاني محمد،***مبادئ العمارة الاسلامية وتحولاتها المعاصرة قراءة تحليلية في الشكل***،ط1،مركز الدراسات جامعة الدول العربية،أوت،2009م.

162-كراتشوفسكى أغناطيوس يوليانوفتش،***تاريخ الادب الجغرافى العربي***،ترجمة صلاح الدين عثمان،مراجعة أيغور بليانيف،قسم1،موسكو،1975م

163-لسترنج كى،**بلدان الخلافة الشرقية**،ترجمة وتعليق،بشير فرنسيس،وكوركيس عواد،ط2،مؤسسة الرسالة،1405ه،1985م.

164-لؤى حبيب،***تاريخ يهود ايران***،دط،ج3،دار صادر،دمشق،1985م.

165-ميكيل أندريه،**الإسلام وحضارته**،ترجمة،كمال لدين الحناوى،المكتبة العصرية،صيدا،بيروت،1981م.

166-محمد أحمد محمد ***اسلام الايلخانيين***،ط1،شركة ألفا للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،1989م.

167-مصطفى محمد،**صور من مدرسة بهزاد في المجموعات الفنية في القاهرة**،ترجمة،احمد عيسى محمد،دط،ألمانبا الغربية،1959م.

168-منى سيد علي حسن التصوير الإسلامي في الهند،**تسليات البلاط وحياة الشعوب في التصوير المغولي الهندي**،ط1،دار النشر للجامعات،القاهرةن1424ه،2003م.

169-نوارسامى،**فن صناعة المخطوط الفارسي**،ط1،دار الوفاء للطباعة والنشر،الإسكندرية،2002م. **170**

170-*هونكه ريغريد،**شمس العرب تسطع على الغرب،اثر الحضارة العربية في اوربا**،ترجمة فاروق بيضون،وكمال دسوقى،مراجعة سارة عيسى الخورى،ط8ندار الافاق،دارالجيل،بيروتن1413ه،1993م*

***171**-ياغى اسماعيل احمد*،**الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**،*مكتبة العيبكان*

***172-ولبردونالد ،إيران ماضيها وحاضرها**،ترجمة عبد النعيم محمد حسنين،ط2،دار الكتاب المصري القاهرة،دار الكتاب اللبناني،بيروت،1405ه،1985م.*

173- يسرى عبد الغنى عبد الله،**معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثانى عشر** الهجرى،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،1411هـ،1991م

3-المصادر الاجنبية

174-Marco,polo,**la descrption de monde**,introduction par,louis hamlis,ėd.taffin,lefort,paris,1995.

175-Rourbrouk,wi,**voyage dans L'empire mongol**,ėd,payot,paris,1985.

4-المراجع الاجنبية,

176-Bertold supler,**les mongoles dans L'histoire**.payot,paris,1961.

177-Corousset,Renė,**L'empire des steppes**,paris,1948.

Dohssonle, baron,***histoire des mongoles depuis tchingeg khan*ĵ،usque timour bey**,éd,amsterdam,1852.

178-Gerarde, walter,**le mémoir tamerlan**,éd,allin michel,paris,1963.

179-Grekov,(B),eT,Iakauvski,(A),Aharde de d or la domination tatare au (xííí,et,xí)de la mer gaune et la mer noir,traduit par,fransois thuret,éd,payot,paris,1939.

180-Jackson, peter,***the mission of Rourbroukwilliam***,1990.

181-Morgan, david,***the mongol***,oxford ,1986

182-Praudin, michel,***L'empir mongol et tamerlan***, payot, paris ,1937.

183-Saundens,juvaini,***the history of the mongol conquets***, London, 1971.

3-المعاجم والموسوعات.

184-بدوي عبد الرحمان ،**موسوعة المستشرقين**،ط1،دار العلم للملايين،بيروت،1993م.

185-البغدادي عبد القادر بن عمر عبد القادر بن عمر،**خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**،تح،محمد عبد السلام هارون ،ط3،مكتبة الخانجي ،القاهرة،1419هـ،1996م.

186-الفيروزابادي مجد الدين ابو طاهر محمد بن يعقوب،**المعجم الوسيط**، ج2،دط،دار الجيل،المؤسسة العربية للطباعة والنشر،بيروت،دت.

187-الفاروقى اسماعيل رامى،لوسى لمياء الفاروقى،**أطلس الحضارة الإسلامية**،،تر،عبد الواحد لؤلؤة،ط1،مكتبة العبيكان،الرياض،1419هـ،1990م.

188-العفيفي عبد الحكيم،**موسوعة 1000مدينة إسلامية**،ط1،أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع،1401هـ،2000م.

189-إبن منظور جمال الدين أبو الفضل بن مكرم الآنصارى،**لسان العرب**،دط،دت.

190-مؤنس-حسين،**أطلس الإسلام**،ط1،الزهراء للإعلام العربي،القاهرة،1407هن1987م.

191-المنجد صلاح الدين،**معجم المؤرخين الدمشقيين وأثارهم المطبوعة والمخطوطة**،دار الكتاب الجديد،بيروت،1398هـ،1987م.

192-مجموعة من المؤلفين،**دائرة المعارف الإسلامية**،ط1،مركز الشارقة للابداع الفنى،1418هـ،1998م.

193-نهى حنا،يوسف طنون،الموسوعة الثقافية العامة،الفنون"،ط1،دار الجيل،دار الجيل ،بيروت،لبنان،1420هـ،1990م.

4-الرسائل الجامعية:

194-إيمان محمد إبراهيم عرفة،**الحياة الثقافية في بلاط السلطان حسين بأيقرا**،رسالة ماجستير،جامعة القاهرة،1987م

195-بوبكر العربي،**إمبراطورية تيمورلنك"النشأة،التوسع،النتائج"**،رسالة ماجستير،جامعة الجزائر2،أبو القاسم سعد الله،الجزائر،2011م.

196-محمد سالم بكر باعامر،**صلة الدولة التيمورية بالعالم الإسلامي في عهد تيمورلنك**،رسالة دكتوراة،جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية،1413هـ،1993م.

197-محمد عبد الله عبد السلام علي،**ذيل جامع التواريخ رشيدي لحافظ أبرو**، رسالة ماجستير في اللغة الفارسية،كلية الأداب ،جامعة المنوفية،1431هـ،2010م

198-مائدة طارق محمد، **رسوم وتصاوير المخطوطات الأدبية والتاريخية في العصر التيموري**، رسالة ماجستير،مركز البحوث والدراسات بجامعة الدول العربية،2013م.

199-سامح فكري طه البنا،**فن التجليد في العهدالتيموري(771هـ،912هـ،1370م،1506م)**،رسالة ماجستير،مج1، كلية الآثار،جامعة القاهرة،1424هـ،2003م.

200-البسيوني أسامة عبد الله،**المدرسة التيمورية في هراة تحت رعاية الأمير بايسنقر دراسة أثرية فنية**،مج1،رسالة ماجستير،كلية الآثار،جامعة القاهرة،1430هـ،2009م.

201-رضوي إسماعيل عبد المعبود،**تصاوير الحكام في مدرستي التصوير التيمورية والصفوية**جامعة القاهرة،

202-رجب رمضان السيد عبد الوهاب،**فن القص في مؤلفات إبن عرب شاه**،رسالة دكتوراة غير منشورة،كلية دار العلوم،جامعة القاهرة ،2013م.

203-الشرقاوي داليا أحمد وداد،**الزخارف الإسلامية والإستفادة منها في تطبيقات زخرفية معاصرة**،رسالة ماجستير،قسم الفنون،جامعة حلوان،مصر،2000م.

204-منى عبد المزوقي وآخرون،**التوريق بإعتباره أحد عناصر الزخرفة الإسلامية دراسة** تحليلية،مجلة فنون ودراسات،دت.

المقالات:

205-أبواليزيد أشرف،**أوزبكستان مزارات وبازارات**،مجلة العربي، العدد602،الكويت،2009م.**206**-أبو اليزيد أشرف،**طهران ثقافة الشهداء أوحضارة الأحياء**،مجلة العربي،عدد،675،الكويت، ،2013م

207-جعفر كرارأحمد،**الإسلام والمسلمين في ظل الدولة المغولية في الصين**،مجلة جامعة الإمام،عدد،02،1438ه.

208-حناري علي كنجيان،فاطمة نصر الله،**وقفة نقدية مع إنتاجات الشاعر الإيراني جامي**،مجلة إضاءات نقدية،السنة الأولى،العدد2001،2م..

209-الراجحي محمد بن سليمان،لقاءات تيمورلنك ومجادلاته مع العلماء في بلاد الشام،مجلة الدرعية،السنة التاسعة،العدد،1427،56ه،2007م.

210-رائد عبد الرحيم،**ألفاظ فارسية في أدب العصر المملوكي،وكتب مؤرخيه،648ه،803ه**،مجلة جامعة النجاح للابحاث والعلوم،مج22،عدد،2008،4م.

211-رمضان محمد،**ياقوتة إسلامية ترقد على نهرزارفشان**،مجلة الدفاع،العدد110.

212–الزهراني عبد الرزاق حمود ، **المساجد في أوزبكستان عمارتها ووظائفها** ، مجلة شؤون إجتماعية ، العدد 68، السنة، 2007، 17م.

213–شفيعي رضا محمد كدكي،**الأدب الفارسي منذ عهد الجامي حتى أيامنا**،تر،بسام ربابعة،مجلة عالم المعرفة،العدد368،1430هـ،2009م.

214–شرين عبد النعيم حسنيين،**الثقافة العربية الإسلامية في العصر المغولي والتيموري**،مجلة ثقافتنا للدراسات،مج5،عدد18،1429هـ،2008م

215–شرين عبد النعيم حسنيين،**ألغ بك**،مجلة ثقافتنا للدراسات،مج5،عدد18،1429هـ،2008

216–الشواربي إبراهيم أمين،**مصادر فارسية في التاريخ الإسلامي**،مج7،مجلة كلية الآداب،جامعة الملك فؤاد الأول،القاهرة،1944م.

217–الطحطوح حسين علي،**الزط في ظل الدولة العربية الاسلامية،1هـ**/241هـ،633م/855م،مجلة جامعة تكريت،العراق،مج12،عدد5،2005م.

218–قديرة سليم،**السيد علي الهمذاني وخدماته العلمية والفكرية**،مجلة القسم العربي،جامعة البنجاب،العدد19،جامعة لاهور ،باكستان،2012م.

219–قداوي علاء محمد،**تيمورلنك ومحنة دمشق،803**هـ/1401م،مجلة آداب الرافدين،عدد،36،1424هـ،2003م.

220-قداوي علاء محمد،**العلاقات التيمورية المملوكية بعد تيمورلنك،807هـ،856هـ،1405م،1452م**،مجلة آداب الرافدين،العدد،1429،50هـ،2008م.

221-المشهداني ياسر عبد الجواد حامد،**حملة تيمورلنك وأثارها على الهند الإسلامية،799هـ،801هـ/1397م،1399م**،مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية،مج7،العدد4،جامعة الموصل،العراق،2008م.

222-أبي يزيد السيرافي،سليمان التاجر***أخبار رحلات العرب إلى الهند والصين***،منشورات معهد العلوم العربية والإسلامية،عدد،164،فرانكفورت،1414هـ،1994م.

1-فهرس الآعلام

ا

ب

ح

خ

د

ر

س

ش

ص،
ض
ط

ظ
ع

ن

2-فهرس الأماكن والقبائل والأجناس والأديان

ت

ج

ف

ق

ك

الفهرس

فهرس المحتويات

الإهداء

شكر